

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن محمد آل أبي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الولي الحادي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الرابع عشر

من آية (٣٢) من سورة الكهف إلى آخر سورة طه

تحقيق

الدكتور عبد العزيز بن محمد اليحيى

دقته ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تُكَيِّنُ سَهْوَنَ نَزَّالِ الْعَتَبَتَيْنِ

الأستاذ الدكتور

عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ السُّعُودِ

العبكان
Obekan

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨ هـ - ٢٥ مج.
٥٢٤ ص؛ ١٦، ٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠-٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٧-٣٧-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١٤)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨ هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تديق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٣، ٢٢٧ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

نشر وتوزيع العبيكان

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٦٥٤ + فاكس: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٠٩٥ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢. قوله تعالى : ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ الآية . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل توفي وترك ابنين ، فاتخذ أحدهما القصور والأجنة ، والآخر كان زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة ، فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدنيا أخذ مثل ذلك ففقد لآخرته ، واتخذ به عند الله الأجنة والقصور ، حتى نفذ ماله . فضر بهما مثلاً للمؤمن والكافر الذي أبطرتة النعمة»^(١) .

وقال الكلبي : «هما أخوان من بني مخزوم»^(٢) : أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد^(٣) زوج أم سلمة . والآخر : كافر وهو الأسود»^(٤) .

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٦٩ ، ١٧٠ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٣٠٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) بني مخزوم : هذه النسبة ترجع إلى قبيلتين ؛ إحداهما تنسب إلى بني مخزوم بن عمرو ، ومخزوم قريش هو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وقد نسب إلى هذه القبيلة خلق كثير ، أمّا مخزوم بن المغيرة فقد نسب إليه عدد كبير . انظر : الأنساب ٥/ ٢٢٥ ، واللباب ٤/ ١٧٩ ، ونهاية الأرب ٢٨١ ، والاشتقاق ٢/ ٢٦٩ .

(٣) عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي ، أبو سلمة المكي ، أمه برة بنت عبد المطلب ، وكان أخاً للنبي ﷺ من الرضاعة ، هاجر المهجرتين ، وشهد بدرأ مع النبي ﷺ ، توفي - رضي الله عنه - بالمدينة في حياة النبي ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة ، فتزوج النبي ﷺ بزوجه أم سلمة رضي الله عنهما . انظر : أسد الغابة ٣/ ١٩٠ ، والإصابة في تمييز الصحابة ، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٥٢ ، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٥١ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٩ ، ١٧٠ ، والكشاف ٢/ ٣٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٩ .

قال أبو إسحاق : «كان المشركون سألوا النبي ﷺ بمشورة اليهود عن قصة أصحاب الكهف ، وعن الروح ، وعن هذين الرجلين فأعلمه الله الجواب ، وإنه مثل له ﷺ وللکفار ، ومثل لجميع من آمن بالله ، وجميع من عند عنه وكفر به»^(١) . فقال : ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ منصوب^(٢) على معنى المفعول .

وقوله تعالى : ﴿وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ﴾ . الحفُّ : الإطافة بالشيء ، يقال : حفَّ القوم بسيدهم يحفُّون بضم الحاء إذا أطافوا به وعكفوا^(٣) ، ومنه قوله : ﴿حَافِيَتٍ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر : ٧٥] . والمعنى : جعلنا النخل مطبقاً بها . ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ ؛ أي بين الجنيتين ﴿زُرْعًا﴾ . ثم أخبر أنها كاملتان في مادة حملها وأعناهما ، والزرع الذي بينهما .

٣٣ . فقال : ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَإِنَّتِ أُكُلْهُمَا﴾ . ذكرنا الكلام في (كلا) عند قوله : ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء : ٢٣] ، وأمّا ﴿كُنَّا﴾ فذهب سيبويه إلى أنها فعلى بمنزلة الذكري ، وأصلها كلوى ، فأبدلت الواو تاء كما أبدلت في أنحت وبنت^(٤) . والذي يدل على أن لام (كلتا) معتلة قولهم في مذكرها : كِلَى ، وكِلَى فِعْلٌ ، ولامه معتلة بمنزلة لام حَجَى وَرَضَى ، وهما من الواو لقولهم : حَجَى يَحْجُو ، والرضوان ، ولذلك مثلها سيبويه بما اعتلت لامه فقال : «هي بمنزلة شروى»^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٨٤ .

(٢) في (ص) : (رجلين منصوب) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (حف) ١ / ٨٦٩ ، والصحاح (حف) ٤ / ١٣٤٤ ، والقاموس المحيط (حف)

٨٠١ ، ولسان العرب (حفف) ٢ / ٩٣٠ .

(٤) الكتاب لسيبويه ٣ / ٣٦٤ .

(٥) الكتاب لسيبويه ٣ / ٣٦٤ .

وأما أبو عمرو الجرمي فذهب إلى أنها معتلة وأن التاء فيها علامة تأنيثها^(١). وخالف سيبويه، وشهد بفساد هذا القول أن التاء لا تكون علم تأنيث الواحد إلا وقبلها فتحة، مثل: حَمْزَة وطلحة وقاعدة، أو تكون قبلها ألف نحو: سعادة وعزهاة، واللام في كلتا ساكنة كما ترى. ووجه آخر: أن علامة التأنيث لا تكون أبداً وسطاً، إنما تكون آخراً لا محالة، وكلتا اسم مفرد يفيد معنى التثنية فلا يجوز أن يكون علامة تأنيثه التاء، وما قبلها ساكن، وأيضاً فإن فعلى مثال لا يوجد في الكلام أصلاً، فيحمل هذا عليه، فإن سميت بـ (كلتا) رجلاً لم تصرفه في قول سيبويه معرفة ولا نكرة؛ لأن ألفها للتأنيث بمنزلة ألف ذكرى، وتصرفه نكرة في قول أبي عمرو؛ لأن أقصى أحواله عنده أن يكون كناية وقاعدة وعزة وحزمة^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنْتَ أَكْلَهَا﴾ قال الأخفش: «جعل الفعل واحداً ولم يقل: آتتا؛ لأنه جعل ذلك لقوله: ﴿كَلْتَا﴾ في اللفظ، ولو جعله على معنى قولك: كلتا، لقال: آتتا»^(٣). ونحو هذا قال الزجاج^(٤). ومعنى ﴿ءَأَنْتَ أَكْلَهَا﴾ صاحبها أكلها؛ أي أدت إليه ريعها تاماً من غير نقصان، وهو قوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ قال ابن عباس والمفسرون: «لم تنقص منه شيئاً»^(٥). يقال: ظلمه إذا نقصه، وقد مر. ﴿وَفَجَّرْنَا﴾؛ أي أنبطنا^(٦) وأخرجنا ﴿خَلَلَهُمَا﴾ وسط الجنتين ﴿نَهْرًا﴾،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٠٢/١٠، والبحر المحيط ١٢٣/٦، والدر المصون ٣٣٦/٧، وروح المعاني ٢٧٤/١٥.

(٢) انظر: البحر المحيط ١٢٣/٦، والدر المصون ٣٣٦/٧، وروح المعاني ٢٧٤/١٥.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٦١٩/١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٨٥/٣.

(٥) جامع البيان ٢٤٤/١٥، ومعالم التنزيل ١٧١/٥، وتفسير القرآن العظيم ٩٣/٣، والدر المنثور ٤٠٣/٤.

(٦) النبط: الماء الذي ينبط من فعر البشر إذا حفرت. انظر: تهذيب اللغة (نبط) ٣٤٩٧/٤، والقاموس المحيط ٦٨٩، ومعجم مقاييس اللغة ٣٨١/٥.

أخبر أن شربها كان من ماء نهر ، وهو من أعذب الشرب . والكلام في التفجير والخلال قد مر في سورة بني إسرائيل^(١) .

٣٤ . وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ ؛ أي كان للأخ الكافر أموال كثيرة ، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة في قوله : ﴿ثَمَرٌ﴾ يقول : «مال»^(٢) . وقال مجاهد : «ذهب وفضة»^(٣) . وقال قتادة : «يقول ومن كل المال»^(٤) .

واختلف القراء في قوله : ﴿ثَمَرٌ﴾ على ثلاثة أوجه : ثمر بضم الثاء والميم وهو قراءة أكثر القراء ، وقرأ أبو عمرو : بضم الثاء وسكون الميم ، وقرأ عاصم : بفتحها^(٥) .

قال الليث : «الثمر : حمل الشجر»^(٦) . والثمر أنواع المال ، يقال : أثمر الرجل ؛ إذا كثر ماله ، وثمر الله مال فلان ؛ أي كثره . وروى الفراء بإسناده عن مجاهد قال : «ما كان في القرآن من ثمر فهو مال ، وما كان من ثمر فهو من الشار»^(٧) .

(١) عند قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَيْنٌ فَتَفْجُرَ الْآلَٰتُهَا نَفْجِيرًا﴾ [الإسراء : ٩٠ ، ٩١] .

(٢) جامع البيان ٢٤٥ / ١٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٠٦ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٣٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٩٣ / ٣ .

(٣) جامع البيان ٢٤٥ / ١٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٧١ ، والكشاف ٢ / ٣٩٠ ، والدر المنثور ٤ / ٤٠٣ .

(٤) جامع البيان ٢٤٥ / ١٥ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٣٠٨ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٠٦ ، والبحر المحيط ١٢٥ / ٦ .

(٥) قرأ أبو عمرو البصري (ثمر) بضم الثاء وسكون الميم ، وقرأ عاصم ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء والميم ، وقرأ الباقر (ثمر) بضم الثاء والميم . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥ / ١٤٢ ، والسبعة ٣٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٤ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣١٠ .

(٦) تهذيب اللغة (ثمر) ١ / ٤٩٨ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٤٤ .

وقال ابن زيد : «الثُّمَرُ الأَصْلُ ، والثَّمَرَةُ ما يَجْتَنِي من ذي الثمر»^(١) . ويجمع ثَمَرَاتٌ مثل : رَقَبَةٍ وَرَقَبَاتٍ ، قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ [النحل : ٦٧] ، وَثِمَارٌ أيضاً مثل : رِقَابٌ في جمع رَقَبَةٍ ، ويجوز أن يُكْسَرَ ثِمَارٌ على ثُمَرٍ ككِتَابٍ وَكُتُبٍ ، ويجوز في جمع ثَمَرَةٍ وجهان آخران : ثِمَارٌ مثل : بَقَرَةٌ وَبَقَرٌ ، وَثُمَرٌ أيضاً كَبَدَنَةٍ وَبُدُنٌ وَخَشَبَةٍ وَخُشْبٌ .

فقراءة أبي عمرو بالتخفيف تحتمل ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أن يكون جمع ثِمَارٌ ، فخفف نحو كُتِبَ في جمع^(٢) كِتَابٍ . الثاني : أن يكون جمع ثَمرة مخفف نحو خُشِبَ جمع في^(٣) خَشَبَةٍ . الثالث : أن يكون ثُمَرٌ واحد مثل ثَمَرٍ فخفف نحو^(٤) عُتِقَ وَطُنُبٌ . فعلى أي هذه الوجوه كان ، جاز إسكان العين^(٥) وساغ^(٦) .

وأما قراءة العامة بضمّتين ؛ فلأن أهل اللغة فرّقوا بين الثُّمَرِ والثَمَرِ فقالوا : الثَّمَرُ المال ، والثُّمَرُ المأكول . وأكثر المفسرين على أن الثَّمَرُ هاهنا : الأموال ، وعلى قول ابن زيد الثُّمَرُ : الأصول التي تحمل الثمرة لا نفس الثمرة . وهذه القراءة أقوى الوجوه لقوله : ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَتَقَوَّى فِيهَا﴾ ؛ أي في الجهة ، والنفقة إنما تكون على ذوات الثمر في أغلب العرف^(٧) . وقال أبو إسحاق : «الثَّمَرُ هاهنا أحسن ؛ لأن قوله : ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَانِينَ ءَأَنْتَ أَكْلَهَا﴾ قد دل على الثَّمَرِ»^(٨) .

(١) جامع البيان ٢٤٦/١٥ ، والنكت والعيون ٣٠٦/٣ ، والبحر المحيط ١٢٥/٦ .

(٢) قوله : (في جميع) : ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٣) كلمة (في) : ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٤) كلمة (نحو) ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٥) في (س) : (العنق) .

(٦) الحجة في القراءات السبع ١٤٣/٥ .

(٧) جامع البيان ٢٤٥/١٥ ، ٢٤٦ ، والحجة في القراءات السبع ١٤٣/٥ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٢٨٥/٣ .

وحكي عن أبي عمرو أنه قال : « الثَّمَرُ والثُّمَرُ أنواع المال »^(١) . وهو المراد في هذه الآية ، لا الثمرة التي تُجنى ، دلَّ على هذا قوله : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ أي أهلك جنته وماله وأصول نخله وشجره ، وإذا كان كذلك فَمَنْ قرأ : بِثَمَرِهِ وثُمَرِهِ كان قوله أبين ، وأمَّا قراءة عاصم في قوله : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ يعني ثَمَر^(٢) نخله وكرمه ، فليس بال جيد^(٣) ؛ لأن هذا قد فهم من قوله : ﴿ ءَأَنْتَ أَكُلَهَا ﴾ وفي قوله : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ كأنه أخبر عن بعض ما أصيب وأمسك عن بعض ، وقراءة الباقيين في قوله : « وأحيط بثمره » جيدة عامة في الثمرة والأصول ؛ لأنه لا يكون أن يصاب الأصل ولا يصاب الثمرة .

وقال محمد بن سلام : « قال سلام أبو المنذر القارئ^(٤) : من قرأ : « ثَمَر » قال : من كل المال ، ومن قرأ : « ثُمَر » فهو جمع ثَمَره . فأخبرت بذلك يونس فقال : هما سواء »^(٥) .

وهذا على أنه جعل الثُمَر جمع ثَمرة ، كما ذكرنا في حَشَبَة وحُشْب ، والصحيح الفرق بين القراءتين على ما ذكرنا .

(١) الحجة في القراءات السبع ١٤٣/٥ والبحر المحيط ١٢٥/٦ ، والتفسير الكبير ١٢٥/٢١ .

(٢) قوله : (ثمر) : ساقط من الأصل .

(٣) قول المؤلف غفر الله له : « فليس بجيد » ليس بجيد ؛ فإن أراد القراءة فهي سبعية ثابتة عن النبي ﷺ ، ولا يجوز ردها ولا تضعيفها ، وإن أراد المعنى فقد وافقت وجهاً صحيحاً من أوجه اللغة العربية .

(٤) سلام بن سليمان المزني البصري أبو المنذر ، المُقَرَّر ، عالم باللغة والنحو والقراءات ، من علماء خراسان ، قرأ على عاصم الجحدري ، وروى عن الحسن ، ومطر الوراق ، وثابت وغيرهم ، وقرأ عليه يعقوب الحضرمي ، وكان صدوقاً ، صالح الحديث ، توفي - رحمه الله - سنة ١٧١ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٢٥٩/٤ ، وتهذيب التهذيب ٢٨٤/٤ ، والكاشف ٤١٣/١ ، وميزان الاعتدال ١٧٧/٢ ، وغاية النهاية ٣٠٩/١ ، ومعرفة القراء الكبار ١٣٢/١ .

(٥) تهذيب اللغة (ثمر) ٤٩٨/١ .

والتُّمْرُ فِي جَمْعِ الثَّمَرَةِ صَحِيحٌ ، غَيْرَ أَنَّ الثُّمْرَ هَاهُنَا الْأَوَّلَى أَنْ يَحْمَلَ عَلَى الْأَمْوَالِ كَمَا بَيْنَا^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد لأخيه »^(٢) . ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ ؛ أي يراجعه في الكلام ويجاوبه .

قال ابن عباس : « وذلك أنه سألَه عن ماله في ما أنفقَه ؟ فقال : قدمته بين يدي لأقدم عليه »^(٣) ، فقال : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ . روى أبو عبيد عن أبي زيد : « النفر والرهط ما دون العشرة من الرجال »^(٤) .

وقال أبو العباس : « النفر ، والقوم ، والرهط هاهنا معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء »^(٥) .

وقال الليث : « يقال : هؤلاء عشرة نفر ؛ أي عشرة رجال ، ولا يقال : عشرون نفراً ، ولا ما فوق العشرة »^(٦) .

قال ابن عباس : « يريد كثرة العبيد وعزة فيهم »^(٧) .

(١) وعلى هذا قول أكثر المفسرين . انظر : جامع البيان ٢٤٥ / ١٥ ، وإرشاد العقل السليم ٢٢١ / ٥ ، والدر المصون ٨٠ / ٧ .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣٠٦ / ٣ من دون نسبة .

(٣) معالم التنزيل ١٧١ / ٥ ، والمحزر الوجيز ٣٠٩ / ٩ ، والنكت والعيون ٣٠٦ / ٣ .

(٤) تهذيب اللغة (نفر) ٣٦٢٧ / ٤ ، ولسان العرب (نفر) ٤٤٩٨ / ٨ .

(٥) تهذيب اللغة (نفر) ٣٦٢٧ / ٤ ، ولسان العرب (نفر) ٤٤٩٨ / ٨ .

(٦) تهذيب اللغة (نفر) ٣٦٢٧ / ٤ .

(٧) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٤٦ / ١٥ ، والمحزر الوجيز ٣٠٩ / ٩ ، وزاد المسير ١٤٢ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٠٣ / ١٠ .

وقال الزجّاج : «أخبر أن ناصره كثير»^(١) . وقال قتادة في هذه الآية : «تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفس ، وهم الخدم والحشم»^(٢) . وقال مقاتل : «يعني ولداً»^(٣) . دليله قوله : ﴿إِنْ تَرَنِ أَنْأَ أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ . وقال المفسرون : «يعني عشيرة ورهطاً»^(٤) . ومنه قول امرئ القيس^(٥) :

مَالُهُ لَا عُدَّ مِنْ نَفَرِهِ

أي من رهطه وعشيرته .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ . [قال المفسرون : «أخذ بيد أخيه المسلم فأدخله جنته»]^(٦) يطوف به فيها ، ويريه إياها ويعجبه منها»^(٧) . وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ . قال ابن عباس : «يعني خارجاً عن الإيمان إلى الكفر بالله»^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجّاج ٢٨٥/٣ .

(٢) جامع البيان ٢٤٦/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٧١/٥ ، وتفسير ابن كثير ٩٣/٣ .

(٣) الكشف والبيان ٣٨٩/٣ ب ، وتفسير البغوي ١٧١/٥ ، وروح المعاني ٢٧٥/١٥ .

(٤) معالم التنزيل ١٧١/٥ ، والبحر المحيط ١٢٥/٦ ، وروح المعاني ٢٧٥/١٥ ، والتفسير الكبير ١٢٥/٢١ .

(٥) هذا عجز بيت لامرئ القيس يصف رجلاً بجودة الرمي ، وصدره :

فَهُوَ لَا تَنَمِي رَمِيَّتُهُ

لا عد من نفره : دعاء له يومهم الدعاء عليه ، وهو كقولهم : ما له قاتله الله . انظر : ديوان امرئ القيس ٧٦ ، ولسان العرب (نفر) ٤٤٩٩/٨ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٧) معالم التنزيل ١٧١/٥ ، والكشاف ٣٩٠/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٠٤/١٠ .

(٨) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة . انظر : جامع البيان ٢٤٦/١٥ ، والمحرم الوجيز ٣١٠/٩ ،

ومعالم التنزيل ١٧١/٥ ، والكشاف ٤٨٤/٢ ، وزاد المسير ١٤٢/٥ ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَلِذَٰلِكَ قَالَ لَقَمْنُ لِأَتِيهِ . وَهُوَ يَعِظُهُ . يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكُ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣] .

قال الزَّجَّاجُ : « وكل من كفر بالله فنفسه ظلم ؛ لأنه يولجها النار ، وأي ظلم للنفس فوق هذا ؟ »^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا مَا أَظْنُ أَنْ يَنْبَغَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ ؛ أنكر أن الله - تعالى - يفني الدنيا ، لما رأى ما راقه وكبر في نفسه ، وتوهم بجهله أنه يدوم ، وأن مثله لا يبدي ولا يفني .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَظْنُ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ . قال ابن عباس : « أنكر البعث والثواب والعقاب »^(٢) .

وقال أبو إسحاق : « أخبر أخاه بكفره بالساعة ، وبكفره بفناء الدنيا »^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ الآية . قال ابن عباس : « يريد إن كان البعث حقاً »^(٤) ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ ؛ يريد : كما أعطاني هذا في الدنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منه لكرامتي عليه^(٥) .

وقال أهل المعاني : « هذا يدل على أن صاحبه المؤمن قد أعلمه أن الساعة تقوم ، وأنه يبعث ، فأجابه بأن قاله له : إن كان الأمر على ما أعلمتني أني أبعث ؛

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٨٥ / ٣ .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ٢٤٦ / ١٥ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٦٣ / ٢ ، والمححر الوجيز ٣١٢ / ٩ ، ٣١٣ ، ومعالم التنزيل ١٧١ / ٥ ، وزاد المسير ١٤٢ / ٥ ، ١٤٣ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٨٥ / ٣ .

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤٠٤ / ١٠ بلا نسبة .

(٥) ما تضمنته هذه الآية من جهل الكفار واغترارهم بالحياة الدنيا جاء مبيناً في آيات أخر ، منها الآية ٥٠ من سورة فصلت : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظْنُ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ .

ليعطيني في الآخرة خيراً مما أعطاني في الدنيا ؛ لأنه لم يعطني هذا في الدنيا إلا وهو يريدني^(١) .

وقال ابن زيد : « شك ، ثم قال على شكه في الرجوع إلى ربه : ما أعطاني هذا إلا ولي عنده خير منه »^(٢) ، تهكماً سولته له نفسه .

واختلفوا في قوله : ﴿ مِنْهَا ﴾ فقرأوا بالإفراد والثنائية^(٣) . والإفراد أولى من حيث كان أقرب إلى الجنة المفردة في قوله : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ ، والثنائية لا تمتنع لتقدم ذكر الجنتين .

٣٧ . فأجابه صاحبه مكفراً له بهذا القول فقال : ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد أن آدم خلق من تراب »^(٤) . ثم ولده من نطفة ، وإذا كان أبوه من تراب فهو من تراب ، ومعنى النطفة في اللغة : الماء ، يقال : في القربة نطفة من ماء^(٥) . ولا فعل للنطفة .

قال الأزهري : « والعرب تقول للماء القليل والكثير : نطفة »^(٦) . وسمى الله - عز وجل - المني نطفة قال : ﴿ أَلَمْ يَكْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى ﴾ [القيامة : ٣٧] .

(١) معالم التنزيل ١٧٢ / ٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٨٦ / ٣ .

(٢) جامع البيان ٢٤٧ / ١٥ .

(٣) قرأ أبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ خَيْرًا مِنْهَا ﴾ بالإفراد ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر (خيراً منها) بالثنائية . انظر : السبعة ٣٩٠ ، والحجة ١٤٤ / ٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٤ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والعنوان ١٢٣ .

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان ٢٤٧ / ١٥ من دون نسبة ، والمحزر الوجيز ٣١١ / ٩ ، وروح المعاني ٢٧٦ / ١٥ ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (نطف) : ٤ / ٣٦٠ ، ومقاييس اللغة (نطف) ٤٤٠ / ٥ ، والصاحح (نطف) ٤ / ١٤٣٤ ، ولسان العرب (نطف) ٧ / ٤٤٦٢ .

(٦) تهذيب اللغة (نطف) ٤ / ٣٦٠١ .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ . قال الكلبي : «جعلك معتد الخلق والقامة ، صحيح اليدين ، والرجلين ، والعينين»^(١) . والتسوية : جعل الشيء على المقدار . وقال الزجاج : «أي ثم أكملك»^(٢) . وهذا الجيد في تفسير سواك هاهنا ؛ لأن العرب تقول للغلام إذا تم شبابه : قد استوى ، ومنه قوله : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص : ١٤] ؛ أي تم شبابه واجتمع ، فالتسوية هاهنا : واقع الاستواء بالمعنى الذي ذكرنا ، يقال : سواه الله رجلاً فاستوى .

٣٨ . ثم أعلمه صاحبه أنه موحد لله فقال : ﴿لَنَكْنَاهُ اللَّهُ رَبِّي﴾ وأصله : لكن أنا ، كما هو في قراءة أبي^(٣) ، فخفف الهمزة التخفيف القياسي ، وألقى حركتها على النون فصار لكننا ، فاجتمع المثان ، فأدغموا المثل الأول في الثاني بعد أن أسكنوها ، فصار في الدرج : لكننا هو الله ، فلم تثبت ألف أنا في الوصل ، كما لم تثبت الهاء في الوصل في نحو : إِرْمه ، وأغزه ، و﴿كِتَابِي﴾ [الحاقة : ١٩] ، و﴿حَسَابِي﴾ [الحاقة : ٢٠] ؛ لأنها إنما تلحق في الوقف لتبين^(٤) الحرف الموقوف عليه ، فإذا وقف على ﴿لَنَكْنَاهُ﴾ أثبت الألف في الوقف ، كما تثبت الهاء في الوصل ، وإذا لم يقف حذفها ، هذا وجه قراءة العامة^(٥) .

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة . انظر : إرشاد العقل السليم ٢٢٢/٥ ، والبحر المحيط ١٢٧/٦ ، وروح البيان ٢٤٧/٥ ، وفتح القدير ٤٠٩/٣ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٨٦/٣ .

(٣) المحتسب ٢٩/٢ ، والمحزر الوجيز ٣١١-٣١٣/٩ ، والبحر المحيط ١٢٨/٦ ، والدر المصون ٤٩٣/٧ .

(٤) في الأصل : (ليس) ، وهو تصحيف .

(٥) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمة ، والكسائي ﴿لَنَكْنَاهُ اللَّهُ﴾ بإسقاط الألف في الوصل ، وإثباتها في الوقف . انظر : الحجة في القراءات السبع ١٤٥/٥ ، والعنوان في القراءات ٣٠٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٦١/٢ ، والنشر في القراءات العشر ٣١١/٢ .

ومثل هذه القراءة في الإدغام ما حكاه أبو زيد في قول من سمعه يقرأ : ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج : ٦٥] «يريد : على الأرض ، لكنه خفف الهمزة ، وألقى حركتها على لام المعرفة فصار : (على الرض) ، فاجتمع لامان مثلان فأدغم الأول في الثاني»^(١) . وهذا كله في إجراء المنفصل مجرى المتصل في نحو : شدّ ، وحلّ .

وقرأ ابن عامر ، ونافع في رواية المسيبي^(٢) : ﴿لَنَكْنَأَ﴾ بإثبات الألف في الوصل والوقف^(٣) . وهذا على إجراء الوصل مجرى الوقف . وهو غير مختار في القراءة . فتكون كقراءة حمزة : (ومكر السيئ) بالجزم في الوصل^(٤) . غير أن أبا علي الفارسي ذكر وجهاً جيداً لهذه القراءة ، فجعل النون والألف في ﴿لَنَكْنَأَ﴾ الضمير المتصل في نحو : فعلنا ، ولم يجعله الضمير المنفصل وهو : أنا ، كما ذكرنا في القراءة الأولى فقال : «أدغم النون من (لكن) لسكونها في النون من علامة الضمير ، فيكون على هذا في الوصل والوقف ﴿لَنَكْنَأَ﴾ بإثبات الألف لا غير ، ألا ترى أن أحداً لا يحذف الألف في : نحن فعلنا . وعاد الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ، ولو عاد على اللفظ لكان : لكننا هو الله ربنا»^(٥) .

(١) الحجة في القراءات السبع ١٤٥/٥ .

(٢) إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المسيبي ، عالم بالقراءات ، تقدمت ترجمته .

(٣) قرأ ابن عامر الشامي ، ونافع المدني في رواية المسيبي (لكننا هو الله) بإثبات الألف في الوصل والوقف . انظر : السبعة ٣٩١ ، والحجة في القراءات السبع ١٤٥/٥ ، والغاية ٣٠٧ ، والتبصرة ٢٤٩ .

(٤) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمر ، وابن عامر ، والكسائي ، وعاصم (ومكر السيئ) بكسر الهمزة ، وقرأ حمزة ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ ساكنة الهمزة . انظر : السبعة ٥٣٥ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٢١٢ ، والمبسوط في القراءات ٣٠٩ ، والنشر في القراءات ٣/٣٥٢ .

(٥) الحجة في القراءات السبع ١٤٦/٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦ .

وقال أبو إسحاق في توجيه هذه القراءة : « أثبت الألف في الوصل ، كما كان يشبها في الوقف ، وهذا على لغة ^(١) مَنْ قال : أنا قمت ، فأثبت الألف ، قال الشاعر ^(٢) :

أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَأَعْرِفُونِي حَمِيدٌ قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا

ثم قال : فأما : ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ فهو الجيد بإثبات الألف ؛ لأن الهمزة قد حذفت من أنا فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة ^(٣) . فاختار قراءة ابن عامر على قراءة عامة القراء ^(٤) .

ورد ذلك عليه أبو علي في ما استدرك عليه فقال : « لا أرى ما قاله كما قال ؛ وذلك أن هذه الألف تلحق للوقوف ، ولا يسوغ أن تلحق في الوصل ، ألا ترى أن الهمزة في : ذيل أمه قد حذفت حذفاً على غير الحذف الذي توجه قياس التخفيف ، ولم يعوض منها ، فأن لا يعوض منها في التخفيف القياسي أجدر ؛ لأنها في هذا الوجه في تقدير الثبات ، ولولا ذلك لم يحرك حرف اللين ، كقولهم : جيل في تخفيف جيال ، فلما كانت في تقدير الثبات لم يلزم منها بدل . ومما يؤكد أن العوض لا يجب أن (أنا) علامة ضمير ، وعلامات الضمير لا ينكر كونها

(١) في الأصل : (لون) ، وهو تصحيف .

(٢) البيت لحميد بن ثور . قد تذریت السنا : علوت ذروته ، وبلغت غاية المجد . والشاهد فيه : ثبت ألف أنا في الوصل . انظر : ديوانه ١٣٣ ، وأساس البلاغة ٢٩٨ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٨٧ / ٣ ، والحجة في القراءات السبع ١٤٦ / ٥ ، وشرح المفصل ٩٣ / ٣ ، والمنصف ١٠ / ١ ، والإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٥٧ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٨٦ / ٣ .

(٤) قال الزجاج في معانيه ٢٨٨ / ٣ : « والأجود اتباع القراء ، ولزوم الرواية ، فإن القراءة سُنة ، وكلما كثرت الرواية في الحرف وكثرت به القراءة فهو المتبع ، وما جاز في العربية ولم يقرأ به قارئ فلا تقرأ به فإن القراءة به بدعة ، وكل ما قلّت فيه الرواية وضعف عند أهل العربية فهو داخل في الشذوذ ، ولا ينبغي أن تقرأ به » .

على حرف أو حرفين ، بل ذلك الأغلب من أحوالها والأكثر ، وأيضاً فلو جاز أن تثبت الألف التي حكمها أن تلحق في الوقف دون الوصل للحذف اللاحق للحرف ، للزم أن تثبت الهاء التي تلحق في الوقف [أيضاً إذا لحق كلمة محذوفة منها نحو : عه ، وشه ، وارمه ، واغزه ، فتثبت^(١)] في هذا الضرب ليكون عوضاً من المحذوف من الكلمة ، فإذا لم يجز هذا أحد فالأول كذلك لا فصل^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ﴾ من ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ ضمير علامة الحديث والقصة ، كما أن قوله : ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء : ٩٧] وقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] كذلك ، ويسمى هذا الضمير على شريطة التفسير ، وقد مضت هذه المسألة مشروحة عند قوله : ﴿فَأَسْرَهَا يُوَسِّفُ﴾ [يوسف : ٧٧] . وهذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر ، فيصير المبتدأ والخبر في موضع خبره .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ قال أبو إسحاق : «دل خطابه على أن صاحب الجنتين مشرك عابد مع الله غيره»^(٣) . وهذا من أبي إسحاق قول بمفهوم الخطاب .

٣٩ . ثم أقبل على أخيه يلومه فقال : ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ بمعنى : هلاً ، وتأويله التوييح . ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ذكر الفراء والزجاج في ﴿مَا﴾ وجهين :

أحدهما : أنه في موضع رفع على معنى : الأمر ما شاء الله ، أو : هو ما شاء الله . والمعنى : أن الأمر بمشيئة الله ، وفي هذا رد على الأخ الكافر ، حيث قال حين

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٢) الإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٥٩ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٨٦ / ٣ .

دخل جنته : ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ فرد عليه المؤمن وقال : هَلَّا قلت حين دخلتها : الأمر بمشيئة الله وما شاء الله كان .

الوجه الثاني : أن ﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ (شاء) على معنى الشرط والجزاء ، ويكون الجواب مضمراً على تقدير : ما شاء الله كان . ويكون التأويل : أي شيء شاء الله كان ، فطرح كان وأضمرته ، وجاز طرح الجواب كما قال : ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَنَّ نَفَقًا﴾ الآية [الأنعام: ٣٥] . ليس له جواب ؛ لأن معناه معروف ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي لا يقوى أحد على ما في يديه من ملك ونعمة إلا بالله ، ولا يكون له إلا ما شاء الله» ^(٢) . قال ابن عباس : «ثم رجع إلى نفسه» ^(٣) . فقال : ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ . قال الفراء : «﴿أَنَا﴾ إذا نصبت ﴿أَقَلَّ﴾ عماد ، وإذا رفعت ﴿أَقَلَّ﴾ فهي اسم ، والقراءة بهما جائزة» ^(٤) ، هذا كلامه ^(٥) .

وقال أبو إسحاق بياناً فقال : «﴿أَنَا﴾ يصلح لشيئين : إن شئت كانت تأكيداً للنون والياء ، وإن شئت كانت فصلاً ، كما تقول : كنت أنت القائم» ^(٦) . و﴿أَقَلَّ﴾ منصوب مفعول ثانٍ لـ (ترن) ، ويجوز رفعه على أن يكون ﴿أَنَا﴾ ابتداء ، و﴿أَقَلَّ﴾ خبره ، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ (ترن)» ^(٧) .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٨ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٠ .

(٣) ذكر نحوه السمرقندي بلا نسبة في بحر العلوم ٢/ ٣٠٠ ، والرازي ٢١/ ١٢٧ .

(٤) قراءة النصب للجهمور . وقراءة الرفع لعيسى بن دينار ، وهي قراءة شاذة لا يقرأ بها . انظر : الكشف ٢/ ٣٩١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩ ، والدر المصون ٧/ ٩٦ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٥ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٨ .

(٧) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٩٩ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٤٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

٤٠. قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي﴾. قال ابن عباس: «يريد في الآخرة»^(١).

قال الزجاج: «وجائز أن يكون أراد في الدنيا»^(٢).

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: «ناراً من السماء»^(٣). وهو قول الكلبي^(٤).

وقال قتادة والضحاك: «عذاباً»^(٥). وقال ابن زيد: «قضاء من أمر الله يقضيه»^(٦). هذا كلام المفسرين في تفسير الحسبان، [وذلك كله معنى، وليس بتفسير. وتفسيره ما ذكره أهل اللغة، قال الأخفش: «الحُسْبَانُ»^(٧) المرامي، واحدها حُسْبَانَةٌ»^(٨).

وقال ابن الأعرابي مما روى عنه ثعلب من رواية أبي عمرو: «أراد بالحسبان المرامي، قال: والحُسْبَانَةُ: السحابة، والحُسْبَانَةُ: الصاعقة»^(٩).

-
- (١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣١٥/٩ بلا نسبة، والماوردي في النكت والعيون ٣٠٧/٣.
 - (٢) معاني القرآن للزجاج ٢٩٠/٣.
 - (٣) معالم التنزيل ١٧٣/٥، والنكت والعيون ٣٠٧/٣، والدر المنثور ٤٠٦/٤.
 - (٤) بحر العلوم ٣٠٠/٢، وتفسير القرآن العظيم ٩٤/٣، والدر المنثور ٤٠٦/٤، والبحر المحيط ١٢٩/٦.
 - (٥) جامع البيان ٢٤٩/١٥، ومعالم التنزيل ١٧٣/٥، والنكت والعيون ٣٠٧/٣، وتفسير القرآن العظيم ٩٤/٣.
 - (٦) جامع البيان ٢٤٩/١٥، والكشف والبيان ٣٨٩/٣ ب، والبحر المحيط ١٢٩/٦.
 - (٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).
 - (٨) معاني القرآن للأخفش ٤٩٨/٢، وتهذيب اللغة (حسب) ٨١١/١.
 - (٩) تهذيب اللغة (حسب) ٨١١/١، والجامع لأحكام القرآن ٤٠٨/١٠.

وقال النضر: «الحُسْبَانُ: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة ينزع القوس ثم يرمي بعشرين منها دفعة، فلا تمر بشيء إلا أعقرته من صاحب سلاح وغيره، فإذا نزع في القصبة خرجت الحُسْبَانُ كأنها غيثه مطر، فتفرقت في الناس، واحدها حُسْبَانَةٌ، قال: والمرامي مثل المسالٍ دقيقة فيها شيء من طول لا حُرُوف لها»^(١). ونحو هذا قال أبو عبيدة، وابن قتيبة، وكل أهل اللغة^(٢). والمعنى في هذه الآية: أن يرسل عليها عذاب حسبان، وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك^(٣). فجعل الآية من باب حذف المضاف، وجعل الحسبان بمعنى حساب ذنوبه، قال الأزهري: «الذي قاله الزجَّاج بعيد، والقول ما قاله الأخفش وابن الأعرابي والنضر. والمعنى - والله أعلم - : أن الله يرسل عليها مرامي من عذابه، إمَّا بَرْدًا، وإمَّا حِجَارَةً أو غيرهما مما يشاء»^(٤). وقول المفسرين يوافق قول أهل اللغة؛ لأن ما قالوه لا يخرج عن أن يكون مرامي.

وقال أهل المعاني: «إنما سُمِّيَ المرامي حُسْبَانًا؛ لأنها تكثر كثرة الحسبان»^(٥).

وذكرنا الحسبان بمعنى الحساب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦].

(١) تهذيب اللغة (حسب) ١/ ٨١١، ولسان العرب (حسب) ٢/ ٨٦٧.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٤٠٣، وتفسير المشكل من غريب القرآن ١٤٣.

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٢/ ٢٩٠، والقرطبي ١٠/ ٤٠٨، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩.

(٤) تهذيب اللغة (حسب) ١/ ٨١١.

(٥) تهذيب اللغة (حسب) ١/ ٨١١، ولسان العرب (حسب) ٢/ ٨٦٧.

وقوله تعالى : ﴿فَنُصِصَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ . قال ابن عباس : «أرضاً لا نبات فيها» . وهو قول الكلبي وغيره^(١) . والزَّلَق في اللغة : المكان المزلق ، ومنه قول الشاعر^(٢) :

فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَقَا

والذي في الآية ليس من هذا ؛ لأنه ليس أنها تصوير مزلقة ، ولكن معناه : أنها تصوير جرداء لا نبات بها ، من قولهم : زَلَقَ رأسه ، وأزَلَقه ، وزَلَقه إذا حلقه ، والزَّلَق : الحلق ، والزَّلَق : المحلوق ، كالتَّقْضِ والنَّقْضِ ، فشبه الصعيد الذي لا نبات فيه بالرأس المحلوق^(٣) . قال الفرّاء : «الزَّلَق التراب الذي لا نبات فيه»^(٤) . وقال قتادة : وفي قوله : ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ يقول : «قد حصد ما فيها فلم يُترك فيها شيء»^(٥) . وذهب ابن قتيبة إلى الإملاس فقال : «الزَّلَق : الإملاس الذي تزل عليه الأقدام»^(٦) . وهذا الذي ذكره هو الأصل من أن المراد : ذهاب النبات لا الإملاس . والمعنى : أن هذا العذاب يهلكها ويبطل غلتها .

(١) جامع البيان ٢٤٩/١٥ ، والكشف والبيان ٣٨٩/٣ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٩٤/٣ ، والدر المنثور ٤٠٧/٤ .

(٢) هذا عجز بيت لابن سير ، وصدره :

اقدِرْ لرجلك قبل الخطو منزلها

انظر : الكامل في اللغة للمبرّد ١٢٧/٤ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (زلق) ١٥٥٠/٢ ، ومقاييس اللغة (زلق) ٢١/٣ ، والقاموس المحيط (زلق) ٨٩١ ، والصحاح (زلق) ١٤٩١/٤ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١٤٥/٢ .

(٥) جامع البيان ٢٤٩/١٥ ، والكشف والبيان ٣٨٩/٣ ب ، والدر المنثور ٤٠٧/٤ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٦٧/١ .

٤١. قوله تعالى : ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوُهُا غُورًا﴾. قال ابن عباس : «يعني النهر الذي من خلالها»^(١)(٢). ﴿غُورًا﴾ يقال : غَارَ الماء في الأرض ، يَغُورُ غُورًا ، أو غووراً إذا ذهب ، وَغَارَت العين في الرأس فهي غائرة^(٣).

وفي قوله : ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوُهُا غُورًا﴾ وجهان أحدهما : ذاغور فحذف المضاف^(٤). والثاني : وهو قول جميع أهل المعاني : أن الغور هاهنا بمعنى : الغائر ، أقيم المصدر مقام الصفة للمبالغة ، كما يقال : وجه فلان نور ساطع ، وعلى هذا يقال : ماء غُورٌ ، ومياه غُورٌ ، كما يقال : رجل عدل^(٥). قال الشاعر^(٦) :

وجاوبي نوحاً قياماً

يريد^(٧) : نساء نائحات قائمات ، فوصفهن بالمصدر . وقال قتادة في قوله : ﴿غُورًا﴾ يقول : «ذاهباً قد غار في الأرض»^(٨).

-
- (١) في نسخة (ص) : (في جلالها) ، وهو تصحيف .
- (٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٣٠٧ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩ ، وفتح القدير ٣/ ٢٦٢٠ .
- (٣) تهذيب اللغة (غار) ٨/ ١٨٤ ، والقاموس المحيط (الغور) ٤٥٢ ، والصحاح (غور) ٢/ ٧٧٤ ، ولسان العرب (غور) ٦/ ٣٣١٢ .
- (٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٧ .
- (٥) جامع البيان ١٥/ ٢٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٠ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٧ .
- (٦) هذا جزء من عجز بيت ذكرته كتب التفسير بلا نسبة ، والبيت :
هَرِيقِي مَنْ دُمُوعُهَا سَجَامَا ضَبَاعٌ وَجَاوِي نُوْحًا قِيَامًا
انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٤٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٩ ، وذكره ابن منظور في لسان العرب (نوح) ٨/ ٤٥٧٠ برواية أخرى نسبها إلى ثعلب ، فقال :
سَمِعَنْ بِمَوْتِهِ فَظَهَرَ نُوْحًا قِيَامًا مَا يَحُلُّ لَهْنَ عُوْدُ
في (س) : (يعني) .
- (٨) جامع البيان ١٥/ ٢٥٠ ، وذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب .

وقوله تعالى : ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ ؛ أي لا يبقى له أثر يطلبه به . وقال الكلبي : «لن تستطيع له حيلة»^(١) .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ ؛ معنى (أحيط) هاهنا : أهلك ؛ أي أحاط العذاب بثمره ، كما يحيط القوم بعدوهم فيهلكونهم عن آخرهم^(٢) . وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة : ٨١] . وقوله تعالى : ﴿بِثَمَرِهِ﴾ . قال ابن عباس : «بأشجار الثمر والنخل»^(٣) . وذكرنا الكلام واختلاف القراء في هذا عند قوله : ﴿وَكَاثَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ [الكهف : ٣٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ . قال ابن عباس : «يضرب يديه واحدة على الأخرى ندامة»^(٤) . وقال الكلبي : «يصفق بالواحدة على الأخرى ندماً»^(٥) .

وقال أبو عبيدة ، والزجاج ، والمفضل ، وابن قتيبة : «يقال : فلان يقلب كفيه على ما فاته . وتقلب الكفين يفعله النادم كثيراً ، والعرب تقول للرجل إذا ندم على الشيء وجعل يفكر فيه : يقلب يديه وكفيه ؛ لأن ذلك يكثر من فعله . فصار تقلب الكف عبارة عن الندم كعض اليد»^(٦) . قال الشاعر^(٧) :

كمغبونٍ يعضُّ على يديه يُقَلِّبُ كَفَّهُ بعدَ السَّباعِ

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٠ بلا نسبة ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٩ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٥٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٣ ، والكشاف ٢/ ٣٩١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٠ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ١٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٠٩ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٣ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٣ ، ونسباه إلى قتادة .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٩ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٨ ، وتفسير المشكل من غريب القرآن ١٤٤ .

(٧) لم أهد إلى قائله .

وقوله تعالى : ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ . يقال : أنفقت في هذه الدار ، وفي هذا الثوب كذا وكذا ، وأنفقت عليها أيضاً ، فيجوز أن يكون هاهنا بمعنى : على ، كقوله : ﴿وَلَا تُصَلِّبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه : ٧١] .

وقوله تعالى : ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ . ومضى الكلام في هذا مستقصى في سورة البقرة^(١) . والعروش في هذه الآية تعم سقوف الأبنية ، وما عُرِش للكروم . يريد : أنها ساقطة على سقوفها ، خالية من عريشها^(٢) . وقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ؛ تمنى منه حين لا ينفعه التمني . أخبر الله تعالى أنه سلبه ما أنعم عليه في الدنيا ، فندم حين لم ينفعه الندامة ، وتمنى أنه كان موحداً غير مشرك .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصُرُّونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «لم ينصره النفر الذين افتخر بهم في قوله : ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾»^(٣) .

قال الفراء والزجاج : «يَصُرُّونَهُ» محمول على معنى الفتنة ، ولو حمل على لفظها لقليل : تنصره ، كما قال : ﴿فَعَنَّةٌ تُقَنِّتِلُ﴾ [آل عمران : ١٣]^(٤) . ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ بأن يسترد بدل ما ذهب منه . قال الزجاج : «وما كان هو أيضاً قادر على نصره نفسه»^(٥) .

(١) عند قوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

(٢) معالم التنزيل ١٧٣/٥ ، والمحزر الوجيز ٣١٦/٩ ، والكشاف ٣٩١/٢ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة . انظر : جامع البيان ٢٥٠/١٥ ، ٢٥١ ، وبحر العلوم ٣٠٠/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٤١٠/١٠ ، وإرشاد العقل السليم ٢٢٤/٥ ، وروح المعاني ٢٨٤/١٥ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١٤٥/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٨٩/٣ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢٨٩/٣ .

وقال قتادة : «وما كان ممتنعاً»^(١) . وقد تمت هاهنا قصة الأخوين ، وضربت مثلاً للمؤمن مع الكافر ، فالكافر تغره دنياه ، ويتبجح بها ، ويظن أنها تبقى له ، والمؤمن يصبر على نوائبها احتساباً من الله - تعالى - جميل الأجر وجزيل الذخر ، ولا يركن إليها لما يعلم من فنائها . وقبل ذكر قصة الأخوين ذكر الله تعالى ما أعد للكافرين في قوله : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾ [الكهف: ٢٩] إلى آخر الآية ، وما أعد للمؤمنين في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١] الآيتان .

٤٤ . ثم عاد الكلام إلى ما قبل القصة فقال : ﴿ هُنَالِكَ ﴾ قال الكلبي : يقول عند ذلك ، وهو يوم القيامة»^(٢) .

وذكرنا عند^(٣) قوله : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣٨] أنه يجوز أن يشار بهنالك إلى المكان ، وإلى ما مضى من الزمان .

وقوله تعالى : ﴿ الْوَلِيَّةُ ﴾ . أكثر القراء على فتح الواو^(٤) ، والولاية : نقيض العداوة ، ومعناها التولي ، وهو مصدر الولي^(٥) . وروي عن أبي عمرو ، والأصمعي أنها قالوا : «الولاية بالكسر هاهنا لحن»^(٦) ، والكسر في فعالة يجيء في ما كان صنعة

(١) جامع البيان ١٥ / ٢٥١ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٤١٠ ، والدر المنثور ٤ / ٤٠٧ .

(٢) النكت والعيون ٣ / ٣٠٩ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢ / ٣٠٠ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي ١٠ / ٤١١ .

(٣) قوله : (عند) : ساقط من الأصل .

(٤) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وأبو عمر ﴿ الْوَلِيَّةُ ﴾ بفتح الواو ، وقرأ حمزة ، والكسائي (الولاية) بكسر الواو . انظر : السبعة ٣٩٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ١٤٩ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والعنوان ١٢٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ولى) ٤ / ٣٩٥٥ ، ومقاييس اللغة (ولى) ٦ / ١٤١ ، ولسان العرب (ولى) ٨ / ٤٩٢٠ .

(٦) قولها : «أن الكسر هنا لحن» هو قول لا يعول عليه ؛ لأنه مخالف لقراءة سبعة ثابتة عن النبي ﷺ ، والقراءة الثابتة حجة على اللغة ، فلا يجوز ردها أو تضعيفها ، وإن الفتح والكسر هنا جائز عند أكثر أهل اللغة .

نحو: الخياطة والصناعة^(١)، أو معنى متقلداً كالكتابة والإمارة والخلافة، وليس هنا معنى تولي أمر، إنما^(٢) الولاية من الدين^(٣). وكذلك التي في الأنفال: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وأمّا ولاية الأمور فهو بالكسر، كولاية السلطان، ومن أهل اللغة مَنْ يقول: يجوز الفتح في هذه، والكسر في تلك. كما قالوا: الوكالة والوكالة، والوصاية والوصاية بمعنى واحد^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْحَقُّ﴾. مَنْ كسر القاف جعله من وصف الله سبحانه، ووصفه بالحق وهو مصدر كوصفه بالعدل وبالسّلام^(٥). والمعنى: أنه ذو الحق وذو السّلام. وكذلك الإله معناه ذو العبادة، ويدل على صحة هذه القراءة: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ويصدقه قراءة عبدالله: «هنالك الولاية لله وهو الحق»^(٦). وقرأ أبو عمرو والكسائي: (لله الحق) بضم القاف^(٧). جعل الحق من صفة الولاية، وحجتها قراءة أبي: (هنالك الولاية الحق لله)^(٨). ومعنى وصف الولاية بالحق: أنه لا يشوبها غيره، ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق.

(١) في (ص): (الصياغة).

(٢) في (س): (إنها هو الولاية).

(٣) المحرر الوجيز ٣١٨/٩، والبحر المحيط ١٣٠/٦، والدر المصون ٤٩٩/٧، الحجة للقراء السبعة ١٤٩/٥.

(٤) الحجة للقراء السبعة ١٥٠/٥، وإملاء ما مَنْ به الرحمن ٣٩٩/١، والدر المصون ٤٩٨/٧.

(٥) قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم ﴿لِلَّهِ الْحَقُّ﴾ بالكسر. انظر: الحجة للقراء السبعة ١٤٩/٥، والغاية في القراءات العشر ٣٠٧، والتبصرة ٢٤٩، والنشر ٣١١/٢.

(٦) انظر: كتاب قراءة عبدالله بن مسعود، ١٢٤.

(٧) قرأ أبو عمرو البصري، والكسائي (لله الحق) بالضم.

انظر: السبعة ٣٩٢، والحجة في القراءات السبع ١٤٩/٥، والمبسوط في القراءات ٢٣٥، وحجة القراءات ٤١٨.

(٨) معالم التنزيل ١٧٣/٥، وروح المعاني ٢٨٥/١٥، والبحر المحيط ١٣١/٦.

وأما معنى الآية ، فقال أبو إسحاق : «في تلك الحال بيانُ الولاية لله ؛ أي عند ذلك يتبين وليُّ الله بتولي الله إياه»^(١) . قوله : (في تلك الحال) يعني : في حال مجازاة الله الكافر والمؤمن الولاية لله ، على معنى : هنالك يتبين ذلك على ما ذكر . وقال ابن قتيبة : «يريد يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ، ويتبرؤون مما كانوا يعبدون»^(٢) . وهذا أظهر من قول الزجاج . وذهب غيرهما في معنى الولاية في هذه الآية إلى تولي الأمر ، لا إلى معنى الموالاة ، فقال : «معنى الآية : في ذلك الموطن الذي هو موطن الجزاء لا يتمكن أحد من نصره أحد ، بل الله - تعالى - يتولى ذلك ، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين ، لا يملك ذلك أحد من العباد ، فالولاية يومئذ تخلص له كما قال : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ . يقول : هو أفضل ثواباً ممن يرجى ثوابه . قال أهل المعاني : «قوله : ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ مع أنه لا يثبت إلا هو ، على تقدير : لو كان يثبت غيره لكان هو خير ثواباً»^(٤) .

وقيل : «هذا على ادعاء الجهال والكفار أنه قد يثبت غير الله»^(٥) . ﴿وَحَيْرٌ عُقْبًا﴾ وعُقْبًا^(٦) . وهما لغتان في العاقبة يقال : عُقِبَ ، وَعُقِبَ ، وَعَاقِبَ وَعُقِبَى ، والعقب لا يكون لله - تعالى - كما يكون الثواب له . ولا يجوز أن يضاف العاقبة إلى الله تعالى ، أو يوصف بالعاقبة ، وإنما المعنى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٩ .

(٢) تفسير غريب القرآن ١/ ٢٦٨ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ١٧٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١١ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٢٩ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١١ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١١ .

(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي (عُقْبًا) مضمومة القاف ، وقرأ عاصم ، وحزرة ﴿عُقْبًا﴾ ساكنة القاف . انظر : السبعة ٣٩٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥٠ ، والتبصرة ٢٤٩ ، والعنوان ١٢٣ ، وحجة القراءات ٤١٩ .

غيره ، فهو خير عقب طاعة وإثابة ونصرة وما يكون من هذا المعنى ، ثم حذف المضاف إليه ^(١) .

٤٥ . ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد لقومك » ^(٢) . وقوله تعالى : ﴿ كَمَاءٍ ﴾ الكاف في محل الرفع خبر ابتداء محذوف ، أي هو كماء يعني مثل الحياة الدنيا ^(٣) .

﴿ كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ؛ يعني : المطر ^(٤) . ﴿ فَأَخْلَطَ ﴾ فالتف واجتمع به ، بذلك الماء أي بسببه ؛ لأن النبات إنما يختلط ويكثر بالماء ^(٥) .

وقال أبو إسحاق : « تأويله أنه نجع في النبات حتى خالطه ، فأخذ النبات زخرفه » ^(٦) . يريد : أن النبات شرب من ذلك الماء فبدأ فيه الري والنضارة ، فعلى هذا الوجه ، قد اختلط النبات بالماء حيث يروى به .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ ﴾ ؛ أي النبات ﴿ هَشِيمًا ﴾ ؛ معنى الهشيم في اللغة : الكسر ، والهاشم : الذي يهشم الخبز ويكسره في الثريد ، وبه سمي هاشم ، والهشيم : ما تكسر وتهشم وتحطم من يبس النبات ^(٧) .

(١) تفسير غريب القرآن ١/ ٢٦٨ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٠٥ ، والقرطبي ١/ ٤١١ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٥/ ١٧٤ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي ١٠/ ٤١١ .

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٠٠ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٣١٩ ، والدر المصون ٧/ ٥٠٠ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٤ .

(٥) المحزر الوجيز ٩/ ٣١٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٩ ، والقرطبي ١٠/ ٤١٢ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩١ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (هشم) ٤/ ٣٧٦٣ ، ومقاييس اللغة (هشم) ٦/ ٥٣ ، والقاموس المحيط (هشم)

١١٧٠ ، والصحاح (هشم) ٤/ ٢٠٥٨ .

وقال المفسرون في الهشيم : «إنه الكسير المتفتت»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾ . الذَّرُّ حمل الريح الشيء ثم تثيره ، يقال : ذَرْتَهُ الريح ، تَذَرُوهُ ، وتَذَرِيهِ ، وبه قرأ عبدالله : «تَذَرِيهِ الرِّيح»^(٢) . وتَذَرُوهُ ، وتَذَرِيهِ وتَذَرِيهِ لغات أربع^(٣) .

قال المفسرون : «تَرْفَعُهُ وتُفَرِّقُهُ وتنسفه»^(٤) . وهذه الآية مختصرة من قوله في سورة يونس : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية [يونس : ٢٤] . وقد شرحناها هناك .

قال أبو إسحاق : «أعلم الله أن الحياة الدنيا زائلة ، وأن مثلها هذا المثل»^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ ؛ أي على كل شيء من الإنشاء والإفناء قادراً ، أنشأ النبات ولم يكن ، ثم أفناه . قال الحسن : «كان الله على كل شيء مقتدرًا أن يكونه قبل كونه»^(٦) . قال الزجاج وهو مذهب النحويين في هذا : «أن معناه كان مقتدرًا : لم يزل»^(٧) ، أي ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث عنده . وهذا مما سبق بيانه قديماً .

(١) جامع البيان ١٥ / ٢٥٢ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٧٤ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٣٢٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٠٩ .

(٢) المحزر الوجيز ٩ / ٣٢٠ ، والكشاف ٢ / ٣٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٤١٣ ، والبحر المحيط ٦ / ١٣٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (ذرا) ٢ / ١٢٧٢ ، ولسان العرب (ذرا) ٣ / ١٤٩١ .

(٤) معالم التنزيل ٥ / ١٧٤ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٣٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٤١٣ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٩١ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٩١ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٩١ .

٤٦ . ﴿أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ .

قوله تعالى : ﴿أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ . قال المفسرون : «هذا رد على عيينة بن حصين ، والأقرع والرؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والغنى والأبناء . أخبر الله - تعالى - أن ذلك مما يُتَزَيَّن به في الحياة الدنيا ويَتَجَمَّل به ، لا مما ينفع في الآخرة»^(١) . ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ يعني : ما يأتي به سلمان ، وصهيب ، وفقراء المسلمين^(٢) .

واختلفوا في المراد بالباقيات الصالحات ، فقال ابن عباس في رواية سعيد ابن جبير : «هي الصلوات الخمس»^(٣) . وهو قول مسروق ، وإبراهيم ، ومحمد بن كعب^(٤) . وقال في رواية عطاء : «يريد سبحانه الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر»^(٥) . وهذا قول مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك^(٦) . وروي ذلك مرفوعاً : «أن النبي ﷺ سَمَّى هذه الأذكار الباقيات الصالحات فقال : «وهي الباقيات الصالحات»»^(٧) . روى ذلك أنس ، وأبو هريرة ، والخدري .

(١) جامع البيان ٢٥٣/١٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤١٤/١٠ ، والتفسير الكبير ١٣١/٢١ .

(٣) جامع البيان ٢٥٤/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٧٥/٥ ، والمحزر الوجيز ٣٢٢/٩ ، والنكت والعيون ٣١٠/٣ .

(٤) المذكور في الطبري وابن كثير خلاف هذا ، انظر : ٢٥٥/١٥ ، وابن كثير ٩٦/٣ .

(٥) جامع البيان ٢٥٤/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٧٤/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٩٦/٣ .

(٦) جامع البيان ٢٥٦/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٧٤/٥ ، وبحر العلوم ٣٠١/٢ ، والكشف والبيان ٣٨٩/٣ ب .

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، في القرآن ، باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى ٢١٠/١ ، والإمام أحمد في مسنده ٢٦٨/٤ ، والهيتمي في مجمع الزوائد ، في كتاب الصلاة ، باب فضل الصلاة وحقتها للدم ٢٩٧/١ ، وقال : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والبزار ، ورجاله رجال الصحيح ، غير الحارث بن عبدالله مولى عثمان وهو ثقة ، وابن الأثير في جامع الأصول ، في كتاب تفسير (سورة الكهف) ٢٢٠/٢ ، =

وزاد عثمان ، وابن عمر ، وسعيد بن المسيب : « لا حول ولا قوة إلا بالله ، مع هذه الأذكار في تفسير الباقيات الصالحات »^(١) .

وقال في رواية العوفي : « هي الكلام الطيب »^(٢) . وهذا أيضاً راجع إلى ذكر الله ؛ لأنه الكلام الطيب .

وقال في رواية الوالبي : « هي الأعمال الصالحات وجميع الحسنات »^(٣) .

وهو قول قتادة قال : « هي كل ما أريد به وجه الله »^(٤) . واختاره الزجاج فقال : « هي كل عمل صالح يبقى ثوابه »^{(٥)(٦)} .

قوله تعالى : ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد أفضل ثواباً وأفضل أملاً من المال والبنين »^(٧) . وهذا على عادة خطاب العرب تقول في الشئئين : هذا خير ، وإن لم يكن في الثاني شيء يُخَيَّر به . كقوله تعالى :

والطبراني في الصغير : ١/ ١٤٥ ، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٨٥ ، والطبري في تفسيره ١٥/ ٢٥٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٠٨ .

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٥٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٤ ، وتفسير الباقيات الصالحات وفضلها ٣٢ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٥٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٩ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٥٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٥ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٣٢٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٦ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٧٥ ، والكشاف ٢/ ٣٩٢ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٠ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٢ .

(٦) والراجح - والله أعلم - أن الباقيات الصالحات : كل عمل خير ، فلا وجه لقصرها على عمل دون آخر ، ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذا اختيار كثير من المفسرين . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٤ ، وأضواء البيان ٤/ ١٠٩ .

(٧) ذكره القرطبي ١٠/ ١٤٤ من دون نسبة ، وكذلك الألوسي في روح المعاني ١٥/ ٢٨٧ .

﴿أَصْحَبُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤] ، ومعلوم أنه لا خير في مستقر أهل النار ، وإلى هذا المعنى أشار الفراء فقال في قوله : ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الأمل للعمل الصالح خير من الأمل للعمل السيئ^(١) .

وقال ابن قتيبة : ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ مما يؤملون^(٢) ؛ أي هو خير أن يؤمل .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ﴾ . قال الزجاج : «هو منصوب على معنى واذكر ، ثم قال : ويجوز أن يكون نصبه على معنى : خير يوم تسير الجبال ، أي خير في القيامة»^(٣) . وهذا الوجه يحسن لو لم يكن في ﴿وَيَوْمَ﴾ الواو^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿نُسِرَ الْجِبَالُ﴾ . معنى التسيير : جعل الشيء يسير ، وقال الكلبي : «تُسِيرُ الجبال عن وجه الأرض ، كما تُسِيرُ السحاب في الدنيا ، ثم تكسر فتعود في الأرض»^(٥) . وهذا معنى قوله : ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥٠ ، ٦٠] ، وقُرى : ﴿نُسِرَ الْجِبَالُ﴾ على بناء الفعل للفاعل^(٦) . وهذه القراءة أشبه بما بعده من قوله : ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ﴾ ، وحجة القراءة الأولى قوله : ﴿وَسِرَّتِ الْجِبَالُ﴾ [النبا: ٢٠] ، وقوله : ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣] ، فبني الفعل للمفعول به .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٦ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٨ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٢ .

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٩ .

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ٣١١ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي في تفسيره ١٠/ ٤١٦ .

(٦) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر (ويوم تُسِيرُ الجبالُ) بالتاء ورفع الجبال ، وقرأ نافع ، وعاصم ، وحمة ، والكسائي : ﴿وَيَوْمَ نُسِرَ الْجِبَالُ﴾ بالنون ونصب الجبال . انظر : السبعة ٣٩٣ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٥١ ، والتبصرة ٢٤٩ ، والعنوان ١٢٣ ، والنشر ٢/ ٣١١ .

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ قال ابن عباس: «يريد لا جبل ولا بناء ولا شجر ولا ماء»^(١). وقال مجاهد: «لا خَرَّ^(٢) فيها»^(٣). وقال الكلبي: «ظاهرة ليس عليها شيء»^(٤).

وقال أهل المعاني: «لا شيء يسترها، يحشر الناس فيكونون كلهم في صعيد واحد، يرى بعضهم بعضاً»^(٥). وهذا قول قتادة في البارزة: «أنها الظاهرة التي لا بناء عليها، ولا شجر»^(٦). وقال عطاء: «قد برز الذين كانوا في بطنها فصاروا على ظهرها»^(٧). وحكى الكلبي هذا القول أيضاً فقال: «ويقال برز كل شيء فيكون على ظهرها»^(٨). وذكره الفراء فقال: «﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ يقول: أبرزنا أهلها من بطنها»^(٩).

-
- (١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب من دون نسبة.
 - (٢) قال الأزهري في تهذيب اللغة (خَرَّ) ١/ ١١٠٠: الوهدة: خَرَّ، والأكمة: خَمَر، والجبل: خَمَر، والشجر: خَمَر، وكل ما خلفك فهو خمر. انظر: القاموس المحيط (الخمر) ٣٨٧، والصحاح (خمر) ٦٥٠/٢.
 - (٣) جامع البيان ١٥/ ٢٥٧، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٨، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٦٥، وتفسير مجاهد ١/ ٣٧٧.
 - (٤) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب من دون نسبة، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٢.
 - (٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٥، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٢.
 - (٦) جامع البيان ١٥/ ٢٥٧، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٨، والدر المنثور ٤/ ٤١١.
 - (٧) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٦، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٧.
 - (٨) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ١٥/ ٢٥٧، والكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ، والنكت والعيون ٣/ ٣١١، ولباب التأويل ٤/ ٢١٥، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٧.
 - (٩) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٦.

والقول الأول هو الأولى^(١) . وهذا لا يصح إلا على بعد .

واستكره بأن يجعل برز بمعنى : أبرز ، فقد قال ابن هانئ^(٢) في قول لبيد^(٣) :

النَّاطِقُ المَبْرُوزُ والمَخْتومُ

قال : «يقال : بَرَزْتُهُ بَرَزَ ، بمعنى : أبرزته»^(٤) .

ويكون معنى الآية على هذا : وترى الأرض مبرزة ما فيها ، كما قال : ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق] . وهذه لغة شاذة لا يفسر بها كتاب الله .

وقوله تعالى : ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ ؛ أي المؤمنين والكافرين ، وقد تقدم ذكرهم في هذه السورة . ﴿فَلَمْ نَعَادِرْ﴾ ؛ أي لم نترك ولم نخلف ، يقال : غَادَرَهُ وأَعْدَرَهُ إذا تركه ، ومنه الغدر ؛ لأنه ترك الوفاء ، والغدير : الماء الذي غادره السيل والمطر^(٥) .

(١) هذا هو الراجح والله أعلم ، وما عليه جمهور المفسرين ، فهي ظاهرة وليس عليه ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان ؛ أي قد اجتثت ثمارها ، وقلعت جبالها ، وهدم بنيانها ، فهي بارزة ظاهرة . انظر : جامع البيان ١٥ / ١٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٤١٦ ، وأضواء البيان ٤ / ١١١ .

(٢) محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي ، أبو القاسم ، يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة ، ويعد أشهر المغاربة على الإطلاق ، وقد عاصر المتنبّي ، ووُلِدَ بإشبيلية ، ورحل إلى المنصورية قرب القيروان مدة قصيرة ، ثم رحل إلى مصر ، وقُتِلَ غيلة برقة سنة ٣٦٢ هـ ، وله ديوان مطبوع . انظر : وفيات الأعيان ٢ / ٤ ، والنجوم الزاهرة ٤ / ٦٧ ، وشذرات الذهب ٣ / ٤١ ، والأعلام ٧ / ١٣٠ . هذا عجز بيت لبيد ، وصدره :

أَوْ مُذْهَبٌ جَدَّدَ عَلَى أُلُوجِهِ

المَبْرُوزُ : المكتوب المنشور ، من أبرز الكتاب إذا أخرجه ونشره ، والمختوم : الذي لم ينشر . انظر : ديوان لبيد بن ربيعة ١٥١ ، وتهذيب اللغة (برز) ١ / ٣١٠ ، ولسان العرب (برز) ١ / ٢٥٥ .

(٤) تهذيب اللغة (برز) ١ / ٣١٠ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (غدر) ٣ / ٢٦٣٨ ، والقاموس المحيط (غدر) ٤٤٨ ، والصحاح (غدر) ٧٦٦ / ٢ .

٤٨. وقوله تعالى: ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ يعني المحشورين. ﴿صَفًّا﴾. الصف مصدر وصف به، ووضع موضع الحال، فهو بمعنى مصفوفين؛ كل زمرة وأمة صف^(١).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ القول هاهنا مضمر، أي يقال لهم: لقد جئتمونا. أو فيقول لهم الله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قال ابن عباس: «يريد حفاة عراة غرلاً»^(٢).

وقيل: «يعني فرادى»^(٣). كما قال في سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الآية. وقال أبو إسحاق: «أي بعثناكم كما خلقناكم»^(٤)، لأن قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يعني: بعثناكم.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ زَعَمْتَ﴾ خطاب لمنكري البعث خاص، ومعناه: بل زعتم في الدنيا أن لن تُبعثوا؛ لأن الله وعدهم البعث فلم يصدقوا، والمعنى: ﴿أَلَنْ تَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ للبعث والجزاء، و﴿بَلْ﴾ هاهنا إيدان بأن القصة الأولى قد تمت وبدأ في كلام آخر، وذلك أن الآية عامة في المؤمن والكافر إلى قوله: ﴿بَلْ زَعَمْتَ﴾ فلما أخذ في كلام خاص لأحد الفريقين أدخل ﴿بَلْ﴾ ليؤذن بتحقيق ما سبق، وتوكيد ما يأتي بعده، كقوله تعالى: ﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٠، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٣، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٠٠، والدر المصون ٧/ ٥٠٥.

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٢، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٦ بمعناه من دون نسبة، والنكت والعيون ٣/ ٣١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٧. يشهد لهذا حديث عائشة - رضي الله عنها - في الصحيحين، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخسر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً...». الحديث.

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٣٩٨ ب، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٦، والكشاف ٢/ ٣٩٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٧.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٩٢.

سَلِّكَ مِنْهَا بَلًّا هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ [النمل: ٦٦] ، وقد يجيء ﴿بَلًّا﴾ في الكلام لترك ما سبق من غير إبطال له ^(١) ، كقول لبيد ^(٢) :

بَلُّ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَائُهَا

لم يرد بـ(بل) هاهنا إبطال ما سبق ، وإنما أراد الإذعان بترك الكلام الأول ، كما تقول : دع ذا ، وارك ذا ، عند تمام ما يتكلم به والانتقال إلى غيره ، كما قال امرئ القيس ^(٣) :

فدُعْ ذَا وَسَلِّ الهمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ

٤٩ . قوله تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ . قال المفسرون : «يعني كتب أعمال الخلق» ^(٤) . و﴿الْكِتَابُ﴾ اسم الجنس ، فيعمُّ عند الإطلاق . قال أبو إسحاق : «معناه ووضع كتاب كل امرئ بيمينه أو شماله» ^(٥) .

(١) البحر المحيط ٦/ ١٣٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٠٦ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٦ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن ١/ ٤٠٠ ، وأضواء البيان ٤/ ١١٦ .

(٢) البيت للبيد . نوار : اسم امرأة . ونأت : بعدت . والأسباب : الحبال . والرَّمام : الحبال الضعاف التي أخلقت وكادت تنقطع . انظر : ديوانه ١٦٦ .

(٣) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه :

دَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَرَا

جَسْرَة : يقال ناقة جسرة طويلة ضخمة ، والجسر العظيم من الإبل . ودَمُول : السريعة . انظر : ديوانه ٦٣ ، وتهذيب اللغة (صام) ٢/ ١٩٦٥ ، ولسان العرب (هجر) ٤٦١٩ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٦ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٣ .

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾. قال ابن عباس: «يريد المشركين». ﴿مُشْفِقِينَ﴾ قال: خائفين^(١). ومعنى الإشفاق في اللغة: الخوف والحذر من وقوع المكروه، ويقال: شَفَقَ بمعنى أَشْفَقَ شَفَقَةً، وإشفاقاً فهو مشفق وشَفِيقٌ، وأصل الحرف من الرقة^(٢). وسنذكر ذلك مستقصى عند قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: ١٦] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا فِيهِ﴾؛ أي من الأعمال السيئة.

﴿وَيَقُولُونَ يَوَلَّيْنَا﴾ لوقوعهم في الهلكة يدعون بالويل على أنفسهم: ﴿مَا لَ هَذَا أَلَكْتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ أي لا تاركاً صغيرة، فقوله: ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ في موضع الحال، قال ابن عباس في رواية عكرمة: «الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك»^(٣).

ونحو هذا روى عنه الذبالي بن عمرو الأوزاعي في ما كان يعظ به المنصور^{(٤)(٥)}. ونحو هذا روى عن الحسن بن ابن عباس، وهو قول ابن أبي

(١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: جامع البيان ٢٥٨/١٥، والبغوي ١٧٧/٣ من دون نسبة، والقرطبي ٤١٨/١٠، والرازي ١٣٤/١١، وأضواء البيان ٢٤٩/٤.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (شفق) ١٩٠٠/٢، والقاموس المحيط (شفق) ٨٩٧/٣، ولسان العرب (شفق) ٢٢٩٢/٤.

(٣) معالم التنزيل ١٧٧/٥، والكشاف ٣٩٣/٢، والقرطبي ٤١٩/١٠، والدر المنثور ٤١١/٤.

(٤) عبدالله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر المنصور، ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عُني بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفاً بالفقه والأدب محباً للعلم والعلماء، ولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ، وعُرف بالشجاعة والحزم، توفي ببئر ميمون من أرض الحجاز محرمًا بالحج، ودفن في الحجون بمكة سنة ١٥٨هـ، ودامت خلافته ٢٢ عاماً. انظر: تاريخ بغداد ٥٣/١٠، والجرح والتعديل ١٥٩/٥، وتاريخ الطبري ٢٩٢/٩، والأعلام ١١٧/٤.

(٥) جامع البيان ٢٥٨/١٥.

ليلي^(١)، والكليبي^(٢). وقال في رواية عطاء: ﴿لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً﴾ يريد: من أعمالنا ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ يريد: الشرك^(٣). وقال سعيد بن جبير: «الصغيرة: اللمم، والكبيرة: الزنا»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَحْصَنَاهَا﴾ أي عدّها، وأثبتها، وكتبها، وحفظها، كل هذه ألفاظ المفسرين^(٥). والمعنى: أني أحصيت وأثبت في الكتاب. فأضيف الإحصاء إلى الكتاب توسعاً.

قال قتادة في هذا: «اشتكى القوم - كما تسمعون - الإحصاء، فإياكم والمحقرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾؛ أي في الكتاب مكتوباً مثبتاً ذكره. ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. قال الزجاج: «أي يعاقبهم، فيضع العقوبة موضعها في مجازاة الذنوب، قال: وأجمع أهل اللغة أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه»^(٧).

(١) عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، تابعي ثقة، قرأ القرآن على أبيه، وقرأ عليه أخوه محمد بن عبد الرحمن، وأبوهما ممن قرأ على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وله رواية قليلة في السنن. انظر: التاريخ الكبير ٦/٣٩٠، والکاشف ٢/٣٦٨، وغاية النهاية ١/٦٠٩، وتهذيب التهذيب ٨/٢١٩، ومعرفة القراء الكبار ١/٦٦.

(٢) المحرر الوجيز ٩/٣٢٦، والنكت والعيون ٣/٣١٢، والقرطبي ١٠/٤١٩.

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠/٤١٨ بلا نسبة.

(٤) معالم التنزيل ٥/١٧٧، والکشاف ٢/٣٩٣، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٤١٩، والبحر المحيط ٦/١٣٥.

(٥) جامع البيان ١٥/٢٥٨، ومعالم التنزيل ٥/١٧٧، والکشاف ٢/٣٩٣، وأضواء البيان ٤/١١٦.

(٦) جامع البيان ١٥/٢٥٨، والنكت والعيون ٣/٣١٣، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٤١٩، والدر المنثور ٤/٤١١.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٣.

وتأويل هذا : أنه لا يعاقب أحداً بغير جرم ، وهو معنى قول الضحاك : « لا نأخذ أحداً بجرم لم يعمله »^(١) .

٥٠ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ . قال المفسرون : أمر الله - تعالى - نبيه ﷺ أن يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس ، وما أورثه الكبر ، فقال : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ ؛ أي واذكريا محمد ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ ، قال ابن عباس في رواية عطاء : « يريد أن ملائكة السماء الدنيا يقال لهم : الجن »^(٢) . مثل قوله : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَالًا﴾ [الصافات : ١٥٨] يعني حين قالوا : الملائكة بنات الله . وكان ابن عباس يقول : « لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود »^(٣) .

وروى سعيد عن قتادة قال : « كان من قبيل من الملائكة يقال لهم : الجن »^(٤) . وقال شهر بن حوشب : « كان إبليس من الجن الذين ظفر بهم الملائكة »^(٥) .

وقال الحسن : « ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس »^(٦) .

-
- (١) معالم التنزيل ١٧٨/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٤١٩/١٠ .
 - (٢) جامع البيان ٢٥٩/١٥ ، وزاد المسير ١٥٣/٥ ، والمحرم الوجيز ٣٢٩/٩ .
 - (٣) جامع البيان ٢٦٠/١٥ ، والدر المنثور ٤١٢/٤ .
 - (٤) جامع البيان ٢٦٠/١٥ ، وتفسير القرآن للصنعاني : ٤٠٤/١ ، والدر المنثور ٤١٢/٤ .
 - (٥) جامع البيان ٢٦١/١٥ ، والبحر المحيط ١٣٦/٦ ، والدر المنثور ٤١٣/٤ ، وروح المعاني ٢٩٢/١٥ .
 - (٦) جامع البيان ٢٦٠/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٧٨/٥ ، والنكت والعيون ٣١٢/٣ .

وقد ذكرنا الخلاف في هذا في سورة البقرة عند ذكر قصة آدم بالشرح^{(١)(٢)}.

وقوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ذكر أهل التأويل في هذا ثلاثة أوجه: أحدها وهو الأكثر: أن معناه خرج عن أمر ربه إلى معصيته في ترك السجود. وهو قول الفرّاء، وأبي عبيدة.

قال الفرّاء: «أي خرج عن طاعة ربه، والعرب تقول: فسقت الرطبة من قشرها لخروجها منه، وكأن الفأرة إنما سميت فويسقة لخروجها^(٣) من جحرها على الناس»^(٤).

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

(٢) الذي عليه كثير من المفسرين - رحمهم الله تعالى - أن إبليس كان من الملائكة، أو من طائفة منهم يقال لهم: الجن.

قال الطبري، بعد أن ذكر الأقوال في هذه المسألة: «وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها، وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله - جل ثناؤه - خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى، فخلق بعضاً من نور وبعضاً من نار وبعضاً مما شاء من غير ذلك، وليس في ترك الله الخبر عما خلق منه ملائكته وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن مسماهم... وأما خبر الله عنه أنه من الجن فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جنّاً فيكون إبليس والملائكة منهم لاجتماعهم عن أبصار بني آدم». انظر: جامع البيان ١/ ٢٢٧، والمحزر الوجيز ١/ ٢٤٦، ومعالم التنزيل ١/ ٦٣، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٩٤، والبحر المحيط ١/ ١٥٣.

(٣) قوله: (لخروجها) ساقط من نسخة (ص).

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٤٧.

وقال أبو عبيدة: «فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» ؛ أي جار ومال عن طاعته»^(١) ،
وأشدد لرؤية^(٢) :

فوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهِ جَوَائِرًا

الوجه الثاني : ما ذكره الأخفش قال : «معنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ نحو قول العرب : أتنخم عن الطعام ؛ أي عن أكله ، ولما رد هذا الأمر فسق»^(٣) . ونحو هذا حكى الزجّاج عن قطرب^(٤) . قال أبو العباس : «ولا حاجة به إلى هذا ؛ الفسوق معناه : الخروج ، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ؛ أي خرج»^(٥) .

الوجه الثالث : ما ذهب إليه سييويه والخليل : «أن معنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أتاه الفسق لما أُمِرَ فعصى ، وكان سبب فسقه أمر ربه ، كما تقول : أطعمه عن جوع وكساه عن عُري ، المعنى : كان سبب فسقه الأمر بالسجود ، كما كان سبب الإطعام الجوع ، وسبب الكسوة العري»^(٦) .

(١) تهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٤٠٦ .

(٢) هذا عجز بيت لرؤية يصف إبلاً متعدلة عن قصد نجد ، وصدره :

يهوين في نجد وغوراً غائراً

انظر : ديوانه ١٩٠ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٠٦ ، وتهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ ، والبحر المحيط

١٣٦/ ٦ ، والزاهر ١/ ٢١٨ ، ولسان العرب (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٦١ ، وتهذيب اللغة (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٤) معاني القرآن للزجّاج ٣/ ٢٩٤ .

(٥) تهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ ، ولسان العرب (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٦) معاني القرآن للزجّاج ٣/ ٩٤ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٣٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٢٠ ،
والتفسير الكبير ٢١/ ١٣٧ .

قال أبو عبيد : «وهذه الكلمة -يعني الفسوق- لم أسمعها في شيء من أشعار الجاهلية ولا أحاديثها ، وإنما تكلمت بها العرب بعد نزول ^(١) القرآن» ^(٢) . قال أهل المعاني المبرّد وغيره : «هي كلمة فصيحة على ألسنة العرب» ^(٣) . وأؤكد الأمور ما جاء في القرآن ، ومعناه : الخروج ، كما قال : فواسقاً . . . البيت ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ . قال قتادة : «وهم أولاده ، وهم يتوالدون كما يتوالد بنوا آدم» ^(٥) . ﴿أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ . قال الكلبي : «ليس تصلون له ولا تصومون ، ولكن من أطاع شيئاً فقد عبده» ^(٦) . واختلف في كيفية ولادة إبليس وحصول ذريته ، فقال مجاهد في ما روى عنه ابن جريج : «أن إبليس أدخل ذكره في دبره ، فباض خمس بيضات فهم ذريته» ^(٧) .

وقال الشعبي في هذه الآية : «لا تكون ذريته إلا من زوجة» ^(٨) .

(١) في (ص) : (تبدل) ، وهو تصحيف .

(٢) ذكر نحوه ابن منظور في لسان العرب (فسق) ٦/٣٤١٤ .

(٣) تهذيب اللغة (فسق) ٣/٢٧٨٨ ، ولسان العرب (فسق) ٦/٣٤١٤ .

(٤) يريد به بيت رؤبة الأنف ذكره ، وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل اللغة والتفسير من أن الفسق معناه :

الخروج . انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/١٤٧ ، والمحزر الوجيز ٩/٣٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٤٢٠ ، والبحر المحيط ٦/١٣٦ ، وإرشاد العقل السليم ٥/٢٢٧ ، وأضواء البيان ٤/١٢١ .

(٥) جامع البيان ١٥/٢٦٢ ، ومعالم التنزيل ٥/١٧٩ ، والبحر المحيط ٦/١٣٦ ، وإرشاد العقل السليم ٥/٢٢٧ .

(٦) ذكر نحوه السمرقندي في بحر العلوم ٢/٣٠٢ .

(٧) معالم التنزيل ٥/١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٤٢٠ ، وإرشاد العقل السليم ٥/٢٢٧ ، والدر المنثور ٤/٤١٣ .

(٨) معالم التنزيل ٥/١٧٩ بمعناه ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٤٢٠ ، والبحر المحيط ٦/١٣٦ ، وروح المعاني ١٥/٢٩٥ .

وروى عبدالله بن المغيرة^(١) : «أن أبا هريرة قال : اسم امرأة إبليس ردة»^(٢) .
وروى ليث عن مجاهد قال : «ذريته الشياطين»^{(٣)(٤)} .

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ ؛ أعلم الله - تعالى - أنه من العداوة والحسد لبني آدم على مثل الذي كان لأبيهم . قال ابن عباس : «يريد كما أخرج أبويكم من الجنة»^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد حيث استبدلوا بالرحمن عبادة الشيطان»^(٦) .

وقال الحسن : «بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم أن أطاعوا إبليس ، فبئس ذلك لهم بدلاً»^(٧) .

-
- (١) عبدالله بن عثمان بن المغيرة الثقفي ، إمام زاهد ، تابعي محدث ، روى عن ابن عباس وغيره من أصحاب النبي ﷺ ، وروى عنه ابن جريح والحسن البصري وغيرهما من التابعين . انظر : الجرح والتعديل ١١١ / ٢ ، وتهذيب التهذيب ٣١٧ / ٥ ، والخلاصة ٢٠٦ ، وتقريب التهذيب ٢٠٧ .
- (٢) لم أقف على هذا القول ، وقد ذكر ابن عطية مثل هذا القول في تفسيره ٤١٣ / ١٠ ، ثم قال : «وهذا وما جانسه مما لم يأت به سند صحيح ، وقد طول النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد عن الصحة ، ولم يمر بي في هذا صحيح إلا ما في كتاب : مسلم من أن للوضوء والوسوسة شيطاناً يسمى الخنزب ، وذكر الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الوهان ، والله أعلم بتفاصيل هذه الأمور لا رب غيره» .
- (٣) جامع البيان ٢٦٢ / ١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٢١ / ١٠ .
- (٤) والحق في ذلك - والله أعلم - أن الله أخبر أن لإبليس أتباعاً وذريةً ، وأنهم يوسوسون إلى بني آدم ليضلّوهم . أمّا كيفية ولادة تلك الذرية فلم يثبت فيه نقل صحيح ، ومثله لا يعرف بالرأي ، بل يتوقف الأمر فيه على النقل الثابت عن النبي ﷺ .
- (٥) لم أقف على القول ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] .
- (٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣ / ٣٩٠ أ ، وبحر العلوم ٣٠٢ / ٢ ، ومعالم التنزيل ١٦٧ / ٣ .
- (٧) زاد المسير ١٥٤ / ٥ ، ومعالم التنزيل ١٨٠ / ٥ ، ونسبه لقتادة ، والجامع لأحكام القرآن ٤٢٠ / ١٠ .

وقال الزَّجَّاج : «بئس ما استبدل به الظالمون من رب العزة إبليس»^(١) .
والمعنى : بئس هو بدلاً ؛ أي إبليس .

٥١ . ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ؛ أي ما أحضرتهم ، يعني إبليس وذريته^(٢) .

قال صاحب النظم : «أوماً بقوله : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ ﴾ إلى أنه لم يشاورهم في خلق السماوات والأرض ولا في خلق أنفسهم»^(٣) . أي أنه خلقها وخلقهم على ما أراد وقدر من غير مشاورة لهم ، وإنما ضمن الإشهاد الإيحاء إلى المشاورة ؛ لأن الرجل إذا أراد مشاورة إنسان أشهده نفسه ، أو شهد به نفسه ، يدل على صحة هذا المعنى قوله : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا ﴾ أي الشياطين الذين يضلون الناس .

وقال أهل المعاني : هذه الآية تأكيد في زجرهم عن اتخاذ إبليس وذريته أولياء . يقول : ليس عندهم علم ما تحتاجون إليه فتقبلوا أنتم على اتباعهم ، فإني لم أشهدهم خلق السموات والأرض . وقيل : «إن هذه الآية إخبار عن كمال قدرة الله تعالى ، واستغنائه عن الأنصار والأعوان»^(٤) .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٩٤ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٦٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٠ ، والمحرم الوجيز ٩/ ٣٣٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٥ .

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٨٠ من دون نسبة ، والسمرقندي في النكت والعيون ٣/ ٣١٥ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٣ .

قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ . قال قتادة : «أعواناً»^(١) . ولفظ العَضُد يستعمل كثيراً في معنى العون ، وذلك أن العَضُد قوام اليد ، ومنه الاعتضاد وهو التَّقْوَى ، واعتضدت بفلان معناه : استعنت به ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص : ٥٣] ؛ أي سنعينك ونقويك ، وكل معين فهو عضد ، وعاضدني فلان ؛ أي عاونني ، وفي العضد لغات : عَضُد ، وَعَضُد ، وَعُضُد ، وَعُضُد^(٢) . والناس على أن معنى هذا : استغنى الله - تعالى - بقدرته عن الأنصار .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : لم يعضدوا لي ولياً ، ولم ينصروا لي عبداً ، ولم يقوموا لأحد من أوليائي بحق»^(٣) . ومعنى هذا : أنهم لو نصروا أولياء الله لكان كأنهم نصروا الله ، ولما لم يفعلوا ذلك أخبر الله تعالى أنه لم يتخذهم أعواناً . والقول هو الأول ، وإنما قال : عَضُد على واحد لوفاق الفواصل .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ ؛ أي الله تعالى ، وقراءة العامة : بالياء لقوله : ﴿شُرَكَائِي﴾ وقرأ حمزة : بالنون^(٤) ، حملاً على ما تقدم في المعنى من قوله : ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ [الكهف : ٥١] فكما أن كنت للمتكلم كذلك : نقول ، والجمع والإفراد في ذلك بمعنى .

-
- (١) جامع البيان ٢٦٣/١٥ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٣٤١/١ ، والدر المنثور ٤١٢/٤ .
 (٢) انظر : تهذيب اللغة (عضد) ٢٤٧١/٣ ، ومقاييس اللغة (عضد) ٣٤٨/٤ ، والقاموس المحيط (العضد) ٢٩٩/١ ، والصحاح (عضد) ٥٠٩ .
 (٣) لم أقف عليه .
 (٤) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، وعاصم ﴿يَقُولُ﴾ بالياء ، وقرأ حمزة (نقول) بالنون . انظر : السبعة ٣٩٣ ، والحجة للقراء السبعة ١٥١/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٦ ، والتبصرة ٢٤٩ ، والنشر ٣١١/٢٠ .

قال ابن عباس : «يريد يوم القيامة»^(١) . قال المفسرون : «يقول الله - تعالى - يوم القيامة : ادعوا الذين أشركتم بي ليمنعوكم من عذابي»^(٢) . وهو قوله : ﴿نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد في الدنيا»^(٣) . ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ . قال أنس : «هو واد في جهنم من قيح ودم»^(٤) . وهو قول مجاهد ، وعبدالله بن عمر^(٥) .

وقال نوف البكالي : «هو واد بين أهل الضلال وبين أهل الإيمان»^(٦) . وقال البكالي : «هو واد يفرق به»^(٧) بين أهل لا إله إلا الله ومن سواهم»^(٨) . وهذا القول يوافق قول ابن عباس في رواية عطاء فإنه قال : «يريد حجازاً وحجازاً»^(٩) . ونحو هذا قال ابن الأعرابي في الموبق قال : «وكل حازٍ بين شيئين فهو موبق»^(١٠) . وعلى هذا القول الكناية في قوله : ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يعود إلى الفريقين من المؤمنين والكافرين ، وليس يعرف للموبق بمعنى الحاز اشتقاق . وقال ابن عباس في رواية الوالبي :

- (١) ذكره البغوي في تفسيره ١٨١/٥ بلا نسبة ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣٠٣/٢ .
- (٢) معالم التنزيل ١٨١/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢/١١ .
- (٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٠١/٣ بلا نسبة ، والسمرقندي ٣٠٣/٢ .
- (٤) جامع البيان ٢٦٥/١٥ ، والمحزر الوجيز ٣٣٥/٩ ، والنكت والعيون ٣/٣١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ١٠١٢/٣ .
- (٥) جامع البيان ٢٦٤/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٨١/٥ بمعناه من دون نسبة لابن عمر ، والمحزر الوجيز ٣٣٥/٩ ، والدر المنثور ٤١٤/٤ .
- (٦) ذكره الطبري في تفسيره ٢٦٤/١٥ ، ونسبه إلى عمرو البكالي ، وكذلك ابن كثير ١٠١/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣/١١ .
- (٧) قوله : (به) : ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .
- (٨) تفسير كتاب الله العزيز ٤٦٨/٢ ، والدر المنثور ٤١٤/٤ ، وأضواء البيان ١٢٧/٤ .
- (٩) الجامع لأحكام القرآن ٢/١١ .
- (١٠) معالم التنزيل ١٠١/٣ ، وأضواء البيان ١٢٨/٤ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٣٨٢٨/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢/١١ .

«مهلكاً»^(١). وهو قول قتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، والشَّدي^(٢) ، وجميع أهل المعاني^(٣) .

قال الفرَّاء : «يقول : جعلنا توأصلهم في الدنيا موبقاً ؛ أي مهلكاً لهم في الآخرة»^(٤) . وعلى هذا ﴿يَنْهَمُ﴾ ينتصب انتصاب المفعول به ؛ لأنه جعل البين بمعنى التوآصل ، فلا ينتصب انتصاب ، والكناية تعود على المشرِّكين فقط^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «أي جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم ؛ أي يهلكهم»^(٦) . والبين على هذا ظرف ، والموبق على القولين في مصدر ، كأنه قيل : جعلنا توأصلهم في الدنيا هلاكاً لهم في الآخرة . والتأويل : سبب هلاك . هذا تقدير قول الفرَّاء . وعلى قول أبي إسحاق كأنه قيل : جعلنا بينهم هلاكاً . يعني : عذاباً يهلكهم . ونص الضحاك على لفظ الهلاك فقال في قوله : ﴿مَوْبِقًا﴾ : هلاكاً^(٧) .

(١) جامع البيان ١٥ / ٢٦٤ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٣٣٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٣١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٩٢ .

(٢) جامع البيان ١٥ / ٢٦٤ ، وتفسير الصنعاني ١ / ٣٤١ ، ومعالم التنزيل ٣ / ١٠١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٩٥ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢ / ١٤٧ ، وتفسير المشكل من غريب القرآن ٢ / ٢٦٨ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ١٤٧ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤ / ٣٨٢٨ .

(٥) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١ / ٤٠٠ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٩٥ .

(٧) جامع البيان ١٥ / ٢٦٤ ، ومعالم التنزيل ٣ / ١٠١ ، والنكت والعيون ٣ / ٣١٦ .

قال الفرّاء في المصادر : «يقال : وَبِقَ ، يَوْبُقُ ، وَبَقَاً ، فهو وَبِقٌ ، قال : وبنو عامر^(١) يقولون : يَابِقُ ، وتميم^(٢) تقول : يَبِقُ . والمصدر واحد»^(٣) . وحكى الكسائي : «وَبِقَ ، يَبِقُ ، وَبُقَاً ، فهو وَبِقٌ ، قال : ولم أسمعها»^(٤) .
وذكر الزّجاج هذه اللغات كلها^(٥) .

وذكر في تفسير الموبق قولان آخران لا يُدرى لهما أصل :

أحدهما : ما روي عن الحسن أنه قال : «جعلنا بينهم عداوة يوم القيامة»^(٦) . فقال بعض أهل المعاني في هذا : يعني عداوة مهلكة . وهذا بعيد .

والقول الآخر : ما قاله أبو عبيدة قال في تفسير الموبق : «إنه الموعد ، واحتج بقول الشاعر^(٧) :

وَجَادَ شَرُّوْرَى وَالسَّتَارَ فَلَمْ يَدْعُ تَعَاراً لَهُ وَالْوَادِيَيْنِ بِمَوْبِقِ

(١) بنو عامر : بطن من قيس عيلان من العدنانية ، وهذه النسبة إلى ثلاثة رجال : عامر بن لؤي ، و عامر بن صعصعة ، و عامر بن عدي بن نجيب . انظر : الأنساب للسمعاني ١١٣ / ٤ ، والتعريف في الأنساب ٧٨ ، ومعجم قبائل العرب ٤٢٢ / ٣ ، والجمهرة ٢٨٠ .

(٢) تميم : قبيلة كبيرة ، قوية من العدنانية ، منازلهم في نجد والبصرة واليامة ، يمتدّون إلى الكوفة ، ويمكن حصرهم اليوم في ثلاثة بطون : بطن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم ، وبطن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، وبطن عمر بن تميم . انظر : نهاية الأرب ١٧٧ ، ومعجم قبائل العرب ١ / ١٢٥ ، واللباب في تهذيب الأنساب ١ / ٢٢٢ ، والأنساب للسمعاني ١ / ٤٧٨ .

(٣) جامع البيان ١٥ / ٢٦٥ ، ولسان العرب (وبق) ٨ / ٤٧٠٥ .

(٤) جامع البيان ١٥ / ٢٦٥ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤ / ٣٨٢٨ .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ٣ / ٢٩٥ .

(٦) جامع البيان ١٥ / ٢٦٤ ، والمحرر الوجيز ٩ / ٣٣٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٣١٦ ، والكشاف ٢ / ٣٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٠١ .

(٧) البيت لخفاف بن ندبة السلمي . شَرُّوْرَى ، والسَّتَار ، وتَعَار : أسماء أماكن وجبال لبني سليم . انظر : مجاز القرآن ١ / ٤٠٦ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤ / ٣٨٢٨ ، والأصمعيات ١٥ ، ولسان العرب (وبق) ٨ / ٤٧٥٥ .

قال : معناه بموعد^(١) . ولم يذكر أحد من أهل اللغة وَبَقَ بمعنى : وعد ، ثم - وإن صح - ، فأى معنى لقوله : وجعلنا بينهم موعداً . وهذا القول فاسد لفظاً ومعنى . وقد قال الأخفش : «موبق مثل : موعد»^(٢) . ولعله رأى هذا فظن أنه يقول : هو مثله في التفسير . وذهب عليه أنه يريد ذلك في اللفظ ؛ لأنه قال : هو مثل : موعد ، من وَبَقَ يَبِقُ . فظن أن وَبَقَ بمعنى وعد ، لما رأى مثل موعد . والله أعلم^(٣) .

٥٣ . قوله تعالى : ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد المشركين»^(٤) . وهي تتلظى حنقاً عليهم ﴿فَظَنُوا﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد : «يتقنوا»^(٥) .

وقال السدي : «استيقنوا»^(٦) .

وهو قول جميع المفسرين^(٧) . والظن هاهنا بمعنى العلم .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٤٠٦ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤/٣٨٢٨ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/٦١٩ .

(٣) الراجح - والله أعلم - هو أن «وبق» بمعنى : هلك . قال الطبري - رحمه الله - في تفسيره ١٥/٢٦٥ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومن وافقه في تأويل الموبق المهلك ، وذلك أن العرب تقول في كلامها : قد أوبقت فلاناً ، إذا أهلكته ، ومنه قوله عز وجل : ﴿أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كُتِبُوا﴾ بمعنى : يهلكهن» . انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/١٠١ ، وأضواء البيان ٤/١٢٧ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤/٣٨٢٨ .

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان ١٥/٢٦٥ من دون نسبة ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/١٨١ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/٣٠٣ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٢/٣٣٦ ، والكشاف والبيان ٣/٣٩١ ، والكشاف ٢/٤٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١١٠ ، والبحر المحيط ٦/١٣٧ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/٣٩١ ، بحر العلوم ٢/٣٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/١٨١ ، ولباب التأويل ٤/٢١٨ ، وإرشاد العقل السليم ٥/٢٢٩ .

(٧) الكشف والبيان ٣/٣٩٠ ، وبحر العلوم ٢/٣٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/١٨١ .

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ مُّوَافِعُوهَا﴾. قال ابن عباس: «أنهم واردوها»^(١). وقال الحسن: «أنهم داخلوها»^(٢). وقال مجاهد: «مقتحموها»^(٣).

ومعنى الواقعة في اللغة: ملابسة الشيء بشدة، يقال: واقعته مُوَاقَعَةً، وأَوْقَعَ به إيقاعاً، ومنه: وقائع الحروب، وتَوَقَّعَ؛ أي ترقب وقعة شيء، ومن هذا يقال للجماع: الوِقَاعُ؛ لأنه يلبسه بدفع وشدة^(٤). والمعنى: ملابسون إياها ملابسة تقع بهم وتشدد عليهم. ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾. قال ابن عباس: «يريد قد أحاطت بهم من كل جانب، فلم يقدرُوا على الهرب ولا على الرجوع عنها»^(٥). وقال أهل اللغة: «معنى المصرف: المعدل. وهو الموضع الذي يصرف إليه»^(٦).
قال أبو كبير الهذلي^(٧):

أَزْهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفٍ

- (١) ذكر نحوه بلا نسبة السمرقندي في بحر العلوم ٣٠٣/٢، والماوردي في النكت والعيون ٣١٧/٣.
- (٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٣٩٠ من دون نسبة، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٣٠٣/٢.
- (٣) الكشف والبيان ٣/٣٩٠ أ.
- (٤) انظر: تهذيب اللغة (وقع) ٤/٣٩٣٥، ومقاييس اللغة (وقع) ٦/١٣٣، والقاموس المحيط (وقع) ٨٢٦، والصحاح (وقع) ٣/١٣٠١، ولسان العرب (وقع) ٨/٤٨٩٥.
- (٥) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة. انظر: معالم التنزيل ٥/١٨١، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١١٠، ولباب التأويل ٤/٢١٨.
- (٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٥، وتهذيب اللغة (صرف) ٢/٢٠٠٧، والقاموس المحيط (صرف) ٧٧٢، والصحاح (صرف) ٤/١٣٨٥، ولسان العرب (صرف) ٨/٢٤٣٥.
- (٧) هذا صدر بيت لأبي كبير الهذلي، وعجزه:

أَمْ لَا خُلُودَ لِبَاذِلٍ مَتَكَلِّفٍ

- انظر: شرح أشعار الهذليين ٣/١٠٨٤، وجامع البيان ١٥/٢٦٦، والنكت والعيون ٣/٣١٧، والبحر المحيط ٦/١٣٨، والدر المصون ٧/٥١٠، ومجاز القرآن ٧/٤٠٧، ولسان العرب (صرف) ٨/٢٤٣٥.

والمصرف في هذه الآية : موضع ، وليس بمعنى المصدر ، ولو كان مصدراً كان مفتوح الراء .

٥٤ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ مفسر في سورة بني إسرائيل في موضعين^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد النضر بن الحارث ، وجداله في القرآن »^(٢) . وقال الكلبي : « يعني أبي بن خلف »^{(٣)(٤)} .

وقال أبو إسحاق : « معناه كان الكافر ، ويدل عليه قوله : ﴿ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ الآية [الكهف: ٥٦] . وإن قيل : هل يجادل غير الإنسان ؟ قيل : إن إبليس قد جادل ، وإن كل ما يعقل من الملائكة ، والجن يجادل ، ولكن الإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً »^{(٥)(٦)} .

(١) سورة الإسراء ، الآية ٤١ : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ . وقوله تعالى في الآية ٨٩ : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [سورة الإسراء] .

(٢) معالم التنزيل ١٨١/٥ ، والمحزر الوجيز ٣٣٧/٩ ، والبحر المحيط ١٣٩/٦ .

(٣) أبي بن خلف بن وهب الجمحي ، كان من أشد الناس وأكثرهم أذى للرسول ﷺ وللصحابه رضوان الله عليهم ، رماه النبي ﷺ يوم أحد بحربة فقتله . انظر : جوامع السير ٥٤ ، والكامل في التاريخ ١٤٨/٢ ، والأعلام ٢٢/٢ .

(٤) معالم التنزيل ١٨١/٥ ، والبحر المحيط ١٣٩/٦ ، والقرطبي ٥/١١ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢٩٦/٣ .

(٦) الأولى - والله أعلم - أن تكون عامة في المؤمن والكافر ، ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ طرده وفاطمة ليلاً ، فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يا رسول الله ، إنما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئاً ، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤] .

٥٥. قوله تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أهل مكة»^(١) .
 ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ ؛ أي الإيمان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ محمد ﷺ جاءهم من
 الله بالرشاد والبيان^(٢) . وهذا مفسر في سورة بني إسرائيل^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ عطف على أن يؤمنوا .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ قال صاحب النظم : «سُنَّةُ
 الْأَوَّلِينَ» أنهم إذا تمردوا ولم يؤمنوا أن يعذبوا ويهلكوا^(٤) .

يقول : فقدّرت على هؤلاء العذاب ؛ أي لم أقدر عليهم الإيمان ، فذلك الذي
 يمنعهم من الإيمان ؛ لأنني قد قدّرت عليهم الإهلاك وهو سُنَّةُ الأولين^(٥) . وهذه
 الآية على هذا التفسير دليل إثبات القدر .

(١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٣٣٩ / ٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٠ / ١٠ ،
 وروح المعاني ٣٠٠ / ١٥ .

(٢) معالم التنزيل ١٨٢ / ٥ ، وفتح القدير ٤٢٢ / ٣ .

(٣) عند قوله سبحانه في سورة الإسراء الآية رقم (٩٤) ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ
 قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ .

(٤) لم أقف عليه ، ويشهد لهذا عدد من الآيات التي تحققت فيها سُنَّتُهُ سبحانه في إهلاك من كفر وصد
 عن سبيله ، فعم قوم نوح الغرق ، وأهلك عاد الريح العقيم ، وأخذت ثمود الصيحة ، وقلبت
 على اللوطية ديارهم فجعل الله عاليها سافلها . قال - سبحانه - في سورة العنكبوت ، الآية ٤٠ :
 ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا
 بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

(٥) يشهد لهذا عدد من الآيات في كتاب الله ، كقوله في سورة يونس ، الآية ٩٦ و ٩٧ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ
 حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ، وقوله
 - تعالى - في سورة يونس ، الآية ١٠١ : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ
 عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

وقال أبو إسحاق : « المعنى إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين ، وسنة الأولين أنهم عاينوا العذاب فطلب المشركون ذلك ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٣٢] »^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ . قال ابن عباس والكلبي : « يريد قتل المؤمنين إياهم بيدر »^(٢) . معنى ﴿ قُبُلًا ﴾ : عياناً ؛ أي مقابلة . قرأ أهل الكوفة : قُبُلًا^(٣) ، وهو يحتمل تأويلين أحدهما : أنه بمعنى قُبُلًا ، فقد قال أبو زيد : « لقيت فلاناً قُبُلًا ومُقابلةً وقُبُلًا وقُبُلًا وقُبُلًا وقُبُلًا »^(٤) . أي صنفًا صنفًا ، كل قبيل منه غير صاحبه ، ويجوز أن يكون ضرباً واحداً ، ويجيئهم منه شيء بعد شيء . وهذا الحرف قد مضى تفسيره في سورة بني إسرائيل^(٥) ، والأنعام^(٦) .

٥٦ . وقوله تعالى : ﴿ وَيَجْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد المستهزئين ، والمقتسمين وأتباعهم »^(٧) . وجداهم بالباطل : أنهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم على ما كانوا يقترحون .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٩٦/٣ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ١٨٢/٥ بمعناه ، والمحزر الوجيز ٣٤٠/٩ ، والكشاف ٢٩٤/٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٦٩/٢ ، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦/١١ ، ونسبه إلى ابن عباس والكلبي .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر (قُبُلًا) بكسر القاف ، وقرأ عاصم ، وحمة ، والكسائي ﴿ قُبُلًا ﴾ بضم القاف . انظر : السبعة ٣٩٣ ، الحجة للقراء السبعة ١٥٢/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٦ ، والتبصرة ٢٤٩ ، والنشر ٣١١/٢ .

(٤) جامع البيان ٢٦٧/١٥ ، والحجة للقراء السبعة ١٥٣/٥ ، ولسان العرب (قبل) ٣٥٢٠/٦ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَشْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِشْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قُبُلًا ﴾ [الإسراء: ٩٢] .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْفُتُوحَ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١] .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٦/١١ .

وقوله تعالى : ﴿لِيَذْحِصُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ . قال ابن عباس : «ليطلوا به ما جاء به محمد ﷺ»^(١) . ومعنى الإذحاض : الإذهاب والإهلاك . يقال : دَحَضْتُ رجله تَدَحُّصٌ دَحَضاً ؛ أي زلت . ودَحَضْتُ حجته : إذا أبطلتها^(٢) .

ومن هذا ما روي في الحديث : «أنه كان يصلي الأولى حين تَدَحُّصُ الشمس»^(٣) ؛ أي تزول وتزلق عن بطن السماء .

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ يعني القرآن ، ﴿وَمَا أَنْذِرُوا﴾ . وإن جعلت ﴿مَا﴾ موصولاً بمعنى الذي ، كان الراجع من الصلة محذوفاً على تقدير : وما أنذروا به أي خوفوا به من النار والقيامة . وإن جعلت بمعنى المصدر لم يحتج إلى الراجع ، ويكون المعنى : واتخذوا آياتي هزواً^(٤) . والهزؤ : مصدر وصف به ، كقوله تعالى : ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا﴾ [البقرة : ٦٧] ، وقد مر .

(١) ذكره الطبري في جامع البيان ٢٦٧/١٥ من دون نسبة ، وكذلك الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٣٩٠ ب .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (دحض) ١١٥٤/٢ ، ومقاييس اللغة (دحض) ٣٣٢/٢ ، والقاموس المحيط (دحض) ٦٤٢ ، والصحاح (دحض) ١٠٧٥/٣ .

(٣) أخرج نحوه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت الظهر عند الزوال ٢٠٠/١ ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب وقت صلاة الظهر ٢٨٥/١ ، وابن ماجه في كتاب الصلاة ، باب وقت الظهر ٢٢١/١ ، والنسائي في كتاب المواقيت ، باب أول وقت الظهر ١٧٦/١ ، والإمام أحمد في مسنده ٤٢٠/٤ .

(٤) الكشف ٣٩٤/٢ ، والبحر المحيط ١٣٩/٦ ، والتفسير الكبير ١٤١/٢١ .

٥٧. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام بمعنى التقرير أي لا أحد أظلم ﴿وَمَنْ ذُكِّرَ﴾. قال ابن عباس: «وعظ»^(١). ولهذا دخلت الباء في ﴿بِأَيِّدِ رَبِّهِ﴾ يريد: العقاب والعذاب. ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾. قال: «يريد فتهاون بها»^(٢). قال قتادة في هذه الآية: «ياكم والإعراض عن ذكر الله، فإن من أعرض عن ذكر الله فقد اغتر أكبر الغرة»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾. قال قتادة: «نسي ما سلف من الذنوب الكبيرة»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ مفسر في سورة بني إسرائيل^(٥)، والأنعام^(٦). ﴿وَأِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾. قال ابن عباس: «يريد إلى الإيمان»^(٧). ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾. قال أبو إسحاق: «أخبر الله أن هؤلاء بأعيانهم أهل الطبع»^(٨).

(١) ذكره البغوي في تفسيره ١٨٢/٥ من دون نسبة، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٣٠٤/٢، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٧/١١.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١١٢/١٠ من دون نسبة، والشوكاني في فتح القدير ٤٢٣/٣.

(٣) لم أقف عليه، ويدل عليه قوله - تعالى - في سورة طه، الآية ١٢٤، و١٢٥، و١٢٦: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٦) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٧) قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتَنَسَّاهُ فَتَنَسَّاهُ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿.

(٤) جامع البيان ٢٦٨/١٥، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٣٠٤/٢ بلا نسبة.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

(٦) عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْتَعِزْ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥].

(٧) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٧/١١ بلا نسبة.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٢٩٧.

٥٨. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾. قال المفسرون: «يعني البعث والحساب»^(١). ﴿يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾. قال الأخفش، وأبو عبيد: «منجا، من وأل يثل وألاً على فعول»^(٢). وأنشد أبو عبيدة للأعشى^(٣):

وقد أخالس رب البيت غفلته
وقد يحاذر مني ثم ما يثل

وقال الفراء: «﴿مَوْيلاً﴾: منجاً وهو الملجأ»^(٤). ومعناها واحد، والعرب تقول: إنه ليوائل إلى موضعه. يريدون يذهب إلى حرزه، والمنجا والملجأ في هذا لفظ المفسرين. قال ابن عباس في رواية الوالبي: «ملجأ»^(٥). وهو قول الكلبي ومجاهد في رواية إسرائيل^(٦). وروى ورقاء عنه: «محزاً»^(٧). وقال قتادة وابن زيد: «منجاً»^(٨).

٥٩. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ﴾. قال الزجاج: «﴿وَتِلْكَ﴾ رفع بالابتداء، و﴿الْقُرَى﴾ صفة لها، و﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ خبر الابتداء. قال: وجائز أن يكون موضع ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ نصباً، ويكون ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ مفسراً للنائب، ويكون المعنى: وأهلكنا تلك القرى

(١) معالم التنزيل ١٨٣/٥، والكشاف ٣٩٤/٢، والدر المنثور ٤١٦/٤.

(٢) معاني القرآن للأخفش ٦١٩/١.

(٣) البيت للأعشى. أخالس: خلس الشيء؛ أي سرقه. ثم ما يثل: ما ينجو. انظر: ديوانه ٥٩، ومجاز القرآن ٤٠٨/١، وجامع البيان ٢٦٩/١٥، والجامع لأحكام القرآن ٨/١١، والبحر المحيط ١٣٢/٦، والدر المصون ٥١٣/٧.

(٤) معاني القرآن للفراء ١٤٨/٢.

(٥) جامع البيان ٢٦٩/١٥، والنكت والعيون ٣٢٠/٣، والقرطبي ٨/١١.

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: جامع البيان ٢٦٩/١٥، ومعالم التنزيل ١٨٣/٥، والنكت والعيون ٣٢٠/٣، والكشاف ٤٨٩/٢، والقرطبي ١١٢/١٠.

(٧) جامع البيان ٢٦٩/١٥، والنكت والعيون ٣٢٠/٣، والبحر المحيط ١٤٠/٦.

(٨) تفسير القرآن للصنعاني ٣٤١/١، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣٩٠/٣ من دون نسبة، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٣٠٤/٢.

أهلكناهم»^(١). قال الأخفش: «أراد أهلها، لذلك قال: ﴿أَهْلَكْتَهُمْ﴾
حملة على القوم والأهل»^(٢).

قال ابن عباس: «يريد ما أهلك بالشام واليمن لما ظلموا وأشركوا وكذبوا
بالأنبياء»^(٣).

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾. والمهلك هاهنا يجوز أن يكون: مصدراً، وأن يكون:
وقتاً، والمعنى: جعلنا لإهلاكهم أو لوقت إهلاكهم، وكل فعل على أفعل.

فالمصدر واسم الزمان والمكان فيه سواء، تقول: أدخلته مُدْخِلاً وهذا
مُدْخِله، أي المكان الذي يدخل منه وقت إدخاله^(٤). وقرأ عاصم في رواية أبي بكر:
(لِمَهْلِكِهِمْ) بفتح الميم واللام^(٥)، وهو مصدر هلك يهلك، والمعنى لوقت
هلاكهم يكون المهلك مصدراً مضافاً إلى الفاعل^(٦).

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٩٨/٣.

(٢) معاني القرآن للأخفش ٦١٩/١.

(٣) لم أقف عليه، وهذا الإجمال في تعيين هذه القرى وأسباب هلاكها، وأنواع الهلاك الذي وقع عليها جاء مفصلاً في آيات أخرى كثيرة، وجاء في القرآن الكريم من قصة قوم نوح، وقود هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وقوم موسى.

(٤) معاني القرآن للقرآن ١٤٨/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩٧/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٣/٢، وإملاء ما من به الرحمن ٤٠١/١.

(٥) قرأ عاصم في رواية أبي بكر (لِمَهْلِكِهِمْ) بفتح الميم واللام الثانية. انظر: السبعة ٣٩٣، والحجة للقراء السبعة ١٥٦/٥، والمبسوط في القراءات العشر ٢٣٦، والتبصرة ٢٤٩.

(٦) الدر المصون ٥١٥/٧، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٣/٢، ومشكل إعراب القرآن ٤٤٤/١، ومعاني القرآن للقرآن ١٤٨/٢.

قال أبو علي : « ويجوز على لغة تميم أن يكون مصدراً مضافاً إلى المفعول ؛ لأنهم يقولون : هلكني زيد ، كأنهم جعلوه من باب رجع ، ورجعته ، وغاض الماء وغضته ، وعلى هذا حمل بعضهم ^(١) :

ومهمه هالك من تعرجا

قال : هو بمنزلة : مُهْلِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا . فقول : ﴿لَمْهَلِكِهِمْ﴾ ، على قول مَنْ عَدَّى : هلكت مصدر مضاف إلى المفعول به ، نحو ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت : ٤٩] . وقرئ في رواية حفص ^(٢) : ﴿لَمْهَلِكِهِمْ﴾ بفتح الميم وكسر اللام ^(٣) .

قال أبو إسحاق : « هذا على أن يكون مهلك اسماً للزَّمان ، يقال : هلك يهلك ، هذا زمن مهلكه » ^(٤) .

قال أبو علي : « ويجوز أن يكون مصدراً ، وقد جاء المصدر من باب فعل يفعل بكسر العين قال : ﴿إِلَى مَرْجِعِكُمْ﴾ [آل عمران : ٥٥] ، وقال : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، والفتح في المصدر أكثر وأوسع » ^(٥) .

(١) هذا عجز بيت للعجاج وصدره :

عصراً وحضناً عيشة المعدلجا

انظر : ديوانه ٤٣/٢ ، والمحاسب ٩٢/١ ، والمقتضب ١٨٠/٤ ، والخصائص ٢١٠/٢ ، والحجة للقراء السبعة ١٥٦/٥ ، والدر المصون ٥١٥/٧ .

(٢) الحجة في القراءات السبع ١٥٦/٥ .

(٣) قرأ عاصم في رواية حفص ﴿لَمْهَلِكِهِمْ﴾ بكسر اللام فيها وفتح الميم . انظر : الغاية في القراءات ٣٠٨ ، والعنوان في القراءات ١٢٣ ، وحجة القراءات ٤٢١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٦٥/٢ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٩٧/٣ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ١٥٧/٥ .

وقوله تعالى : ﴿مَوْعِدًا﴾ قال ابن عباس : «يريد وقتاً»^(١) . وقال مجاهد : «أجلاً»^(٢) .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ الآية . روي عن أبي بن كعب من طرق كثيرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بينما موسى في ملاء من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال : هل تعلم أحداً أعلم منك ؟ فقال موسى : لا . فأوحى الله إلى موسى : بلى ، عبدنا خضر»^(٣) ، فسأل موسى السبيل إلى لقيائه ، فجعل الله له الحوت آية . [وقيل : إذا فقدت الحوت] ^(٤) فارجع فإنك ستلقاه»^(٥) .

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ٣٢١ من دون نسبة .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٧٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٦٩ .

(٣) الخضر هو صاحب موسى عليه السلام ، وقد اشتهر بهذا اللقب وسُمِّي به في القرآن والسنة ، وقد أخرج البخاري في صحيحه ٦/ ٣٠٩ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «إنما سُمِّي الخضر ؛ لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» .

قال ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية ١٥/ ٣٢٧ : «قيل إنما سُمِّي الخضر خضراً : لحسنه وإشراقه وجهه ، وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيح ؛ فإن كان ولا بد من التعليل بأحدهما فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى بل لا يلتفت إلى ما عداه» .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٧٨ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٣٤٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٤ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٣٤٧ ، ٨/ ٣٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٧ ، وتفسير النسائي ٢/ ٨ ، وأخرجته كتب الصحاح والسنن من عدة طرق ؛ فقد أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة الكهف) ٨/ ٤٠٩ ، وكتاب العلم ١/ ١٧٣ ، وكتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الخضر : ٦/ ٤٣١ ، وكتاب التوحيد ١٣/ ٤٤٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، في الفضائل ، باب : فضل الخضر عليه السلام ٤/ ١٨٥٠ ، وأخرجه الترمذي في جامعه ، في التفسير (سورة الكهف) ٨/ ٥٥٨ ، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنن ، باب في القدر ، حديث رقم ٤٧٠٥ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١١٧ .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «قام موسى خطيباً في بني إسرائيل فأبلغ في الخطبة ، وحدث في نفسه أن أحداً لم يؤت من العلم ما أوتي ، فعلم الله الذي حدث نفسه من ذلك فقال له : يا موسى ، إن من عبادي مَنْ قد آتيته من العلم ما لم أوتك ، قال : إي ربي ، من عبادك ؟ قال : نعم ، قال : فدلني على هذا الرجل الذي آتيته من العلم ما لم تؤتني حتى أتعلّم منه . قال : يدلك عليه بعض زادك . فقال لفتاه يوشع : ﴿لَا أَبْرَحُ حَقَّ أَنْبَغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ﴾ الآية ، فكان في ما تزود حوتاً مالحاً في زبيل^(١) ، ثم كان من أمرهما ما قص الله في كتابه»^(٢) .

فقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ معناه : واذكر إذ قال موسى ، لما في قصته من العبرة ، وقوله تعالى : ﴿لِفَتْنِهِ﴾ . أجمعوا أنه : يوشع بن نون . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد غلامه»^(٣) .

قال الفرّاء ، والزجاج : «وإنما سمي فتى موسى ؛ لأنه كان ملازماً له يأخذ عنه العلم ويخدمه»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ . قال جميع أهل التأويل : «معناه لا أزال»^(٥) . يقال : برحت أفعل كذا ؛ أي ما زلت ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ﴾ [طه : ٩١] ،

(١) الزبيل : الجراب ، وقيل : وعاء يحمل فيه . انظر : تهذيب اللغة (زبل) ١٥٠٩ / ٢ ، ولسان العرب (زبل) ١٥ / ٦ .

(٢) جامع البيان ٢٧٨ / ١٥ ، وتفسير القرآن للصنعاني : ٤٠٥ / ١ ، وتفسير ابن كثير ١٠٣ / ٣ ، والدر المثور ٤ / ٤٢١ ، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة الكهف) ٨ / ٤٠٩ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضل الخضر ٤ / ١٨٥٠ ، والترمذي في كتاب التفسير (سورة الكهف) ٨ / ٥٨٨ ، والنسائي في تفسيره ٨ / ٢ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة جامع البيان ٢٧١ / ١٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٢١ ، والمحضر الوجيز : ٣٤٦ / ٣ ، ٣٤٧ ، وزاد المسير ٥ / ١٦٤ ، والقرطبي ١١ / ١١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٩٩ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٥٤ .

(٥) معالم التنزيل ٥ / ١٨٥ ، والمحضر الوجيز ٩ / ٣٤٨ ، والنكت والعيون ٢ / ٣٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٩ .

أي لن نزال . وأصله من قوله : برح الرجل براحاً ، إذ أراح من موضعه ، ومنه قوله : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ ﴾ [يوسف : ٨٠] وقد مرّ بنا ، فإذا قلت : ما برح يفعل كذا ، فكأنك قلت : أقام يفعل ذلك ، ودام على حاله تلك من غير مفارقة . قال أبو إسحاق : « معني ﴿ لَا أَبْرَحُ ﴾ : لا أزال ، ولو كان معناه لا أزول كان محالاً ؛ لأنه إذا لم يزل من مكانه لا يقطع أرضاً ، وأنشد ^(١) :

وأبرح ما أدام الله قومي بحمد الله مُنتَطِقاً مُجِيداً
أي لا زال ^(٢) . وقال صاحب النظم : « قوله : ﴿ لَا أَبْرَحُ حَقّاً أَبْلَغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ﴾ مكفوف عن إتمام نظمه ؛ لأن فيه إضماراً وهو : لا أبرح أمضي ماضياً ، أي سائراً حتى أبلغ مجمع البحرين ^(٣) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : « يريد ملتقى البحرين العذب والمالح » ^(٤) .

وقال قتادة : « يعني بحر فارس و بحر الروم » ^(٥) . وكان مجمع البحرين الموضوع الذي وعد موسى للقاء الخضر عليه السلام .

(١) البيت لخداش بن زهير . منتطق : يقال جاء فلان منتطقاً فرسه إذا جنبه ولم يركبه . انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٨ ، والمقاصد النحوية ٢/ ٦٤ ، وأساس البلاغة ٢/ ٤٥٤ ، وخزانة الأدب ٩/ ٢٤٣ ، وشرح ابن عقيل ١/ ٢٦٤ ، وتهذيب اللغة (نطق) ٤/ ٣٦٠٢ ، ولسان العرب (نطق) ٧/ ٤٤٦٣ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٨ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة الكشف ٢/ ٣٩٥ ، وإملاء ما من به الرحمن ٤٠١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٤٤ ، والدر المصون ٧/ ٥١٧ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٤٥ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٧١ ، والدر المشور ٤/ ٤١٧ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٧١ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٤٠٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٥ ، والمحور الوجيز ٩/ ٣٤٩ .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ أَمْضِيَ﴾ ؛ أو أسير . ﴿حُقُبًا﴾ . قال ابن عباس في ما روى عنه الوالبي يقول : «دهراً»^(١) . وقال في رواية عطاء : «الحقب الواحد بضع وثمانون سنة ، السنة ثلاثمائة وستون يوماً ، اليوم الواحد ألف سنة»^(٢) . وقال مجاهد : «الحقب سبعون خريفاً»^(٣) .

وأما أهل اللغة ، فإنهم كلهم قالوا : «الحقب ثمانون سنة»^(٤) .

قال صاحب النظم : ﴿أَوْ﴾ بمعنى حتى ، مثل قولك : لا آتيك أو تكرمني ، فيرجع تأويل الآية : لا أبرح ماضياً إلى أن أمضي حقباً حتى أبلغ مجمع البحرين . قال : ونظير هذا في الكلام أن تقول : لا أزال إلى أن أسير سنة حتى أقضي حاجتي . ومعنى إلى أن أسير سنة : وإن احتجت إلى أن أسير سنة»^(٥) . وعلى ما ذكر ، يكون في الآية تقديم وتأخير ، ولا يجوز أن يجعل ﴿أَوْ﴾ للعطف ؛ لأنه ليس المراد حتى أبلغ مجمع البحرين وحتى أمضي حقباً ، و﴿أَوْ﴾ هاهنا الناصبة للفعل بإضمار أن

(١) جامع البيان ٢٧٢/١٥ ، والنكت والعيون ٣/٣٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/١٠٣ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ٣٨٥ ، والكشاف ٢/٤٩٠ ، والتفسير الكبير ٢١/١٤٦ ، وأنوار التنزيل ٣/٢٣٠ ، وزاد المسير ٥/١٦٥ ، ومدارك التنزيل ٢/٩٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٠ .

(٣) جامع البيان ٢٧٢/١٥ ، والنكت والعيون ٣/٣٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/١٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٩ ، ومعاني القرآن للقرآء ٢/١٥٤ ، وتفسير المشكل من غريب القرآن ١٤٤ .

(٥) ذكر نحوه بلا نسبة البحر المحيط ٦/١٤٥ ، والدر المصون ٨/٥١٧ ، وإملاء ما من به الرحمن ٤٠١ ، والتفسير الكبير ٢١/١٤٦ .

كما تقول : لألزمك أو تعطيني حقي ، التقدير : إلى أن تعطيني حقي ^(١) ، ومنه قول امرئ القيس ^(٢) :

فقلتُ له لا تبك عَيْنُكَ إِنَّمَا نحاولُ ملكاً أو نموتُ فنُعذِّرا
المعنى : إلى أن نموت .

٦١ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا ﴾ يعني : موسى وصاحبه . ﴿ جَمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد ملتقى العذب والمالح » ^(٣) . وعلى قول قتادة : « ملتقى بحر الروم وبحر فارس » ^(٤) . وهو حيث وعد لقاء الخضر .

وقوله تعالى : ﴿ نَسِيحًا حَوْثُهُمَا ﴾ إلى آخر الآية . قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « كان في ما تزودا حوتاً مالحاً في زبيل ، وكان يصيبان منه عند العشاء والغداء ، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر ، وضع فتاه المكتل ^(٥) فأصاب الحوت [ندى البحر فتحرك في] ^(٦) المكتل فقلب المكتل ، وانسرب في البحر » ^(٧) .

(١) البحر المحيط ٦/ ١٤٥ ، والدر المصون ٧/ ٥٢٠ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٤٠١ ، وروح المعاني ٣١٢/ ١٥ .

(٢) البيت لامرئ القيس . انظر : ديوانه ٦٤ ، والكتاب لسيبويه ٣/ ٤٧ ، وخزانة الأدب ٤/ ٢١٢ ، والمقتضب ٢/ ٢٨ ، واللامات ٦٨ ، وشرح المفضل ٧/ ٢٢ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٧١ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٧ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٧١ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٤٠٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٥ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٣٤٩ .

(٥) المكتل : الزنبيل يحمل فيه التمر وغيره . انظر : تهذيب اللغة (كتل) ٤/ ٣١٠٠ ، والقاموس المحيط (الكتلة) : ص ١٠٥٢ ، ولسان العرب (كتل) ٦/ ٣٨٢٢ .

(٦) في النسخ جميعها : (جرى البحر فترك المكتل) . وما أثبتته هو الصواب والموافق للسياق ، والمثبت في الوسيط للمؤلف ٣/ ١٥٧ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ٢٧٨ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٤٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٢١ .

وروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال : «لما أراد موسى أن يطلبه قيل له : تزود معك حوتاً مالحاً فحيث^(١) يفقد الحوت ثم تجد الرجل ، فانطلق هو وفتاه حتى أتيا الصخرة ، فقال لفتاه : امكث حتى آتيك ، وانطلق موسى لحاجته ، فجرى الحوت حتى وقع في البحر ، فقال فتاه : إذا جاء نبي الله حدثته ، فأنساه الشيطان»^(٢) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «نسي الفتى أن يذكر قصة الحوت لموسى»^(٣) .

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ . قال : «يريد مسيراً»^(٤) . وفي حديث أبي : «جعل لا يصيب الحوت شيئاً من الماء إلا جمد ، حتى اتخذ سبيله في البحر سرباً شبه النقب»^(٥) .

وقال قتادة : «جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً»^(٦) .

وقال الربيع بن أنس : «انجاب الماء على مسلك الحوت فصارت كوة لم تلتئم»^(٧) .

(١) في (ص) : (فحنت) ، وهو تصحيف .

(٢) سبق تخريج الحديث في أول القصة .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ ، وذكر في بحر العلوم ٢/ ٣٠٥ من دون نسبة .

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة المحرر الوجيز ٩/ ٣٥٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١١ .

(٥) سبق تخريج الحديث في أول القصة .

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٧٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٥٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١٤٥ .

(٧) ذكرته كتب التفسير ، ونسبته إلى أبي بن كعب . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٧٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٢٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٦٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٣ .

وروي أيضاً عن النبي ﷺ في حديث أبي بن كعب قال : « ما انجاب الماء مذ كان الناس غير مكان الحوت الذي دخل منه كالكوّة ، حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه »^(١) . هذا معنى قوله : ﴿ فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ .

وقال الكلبي : « كان عند تلك الصخرة التي نزلوا عندها عين ماء فتوضأ يوشع من ذلك الماء ، فانتضح على الحوت في المكمل ثم طفر في البحر »^(٢) .

والسّرْب معناه في اللغة : المحفور في الأرض لا نفاذ له ، شبه مسلك الحوت في الماء^(٣) ، والماء منجاب عنه بالسّرْب . كما قال الفرّاء : « حيي الحوت بالماء الذي أصابه من العين ، فلما وقع في الماء حمد مذهبه في البحر فكان كالسرب »^(٤) .

هذا قول المفسرين في هذه الآية . وعلى ما قالوا ، في نظم الآية تقديم وتأخير على تقدير : فلما بلغا مجمع بينهما اتخذ الحوت [سبيله في البحر سرّباً ، ونسي يوشع أن يذكر ذلك لموسى ؛ لأن النسيان لم يتقدم على ذهاب الحوت]^(٥) ، ذهب الحوت فنسي الفتى أن يذكر ذلك لموسى حتى جازا ذلك المكان ، على ما في القرآن من الآيات بعد هذه الآية .

وقوله تعالى : ﴿ نَسِيَاحُوتَهُمَا ﴾ . أجمع المفسرون أن النسيان هاهنا معناه نسيان الفتى ذكر قصة الحوت لموسى ، والناسي كان أحدهما ، وأضيف إليهما جميعاً .

(١) سبق تخريج الحديث في أول القصة . انظر : جامع البيان ٢٧٣/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٨٦/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٠٣/٣ .

(٢) معالم التنزيل ١٨٦/٥ ، وبحر العلوم ٣٠٥/٢ ، والكشاف ٣٩٥/٢ ، وروح المعاني ٣١٤/١٥ ، والتفسير الكبير ١٤٦/٢١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (سرب) ١٦٦٣/٣ ، والصحاح ١٤٦/١ ، واللسان ١٩٨١/٤ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١٥٤/٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

واختلفوا في وجه هذا فقال الفراء : «إنما نسيه يوشع فأضافه إليهما كما قال : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من الملح دون العذب»^(١) .
وعلى هذا أضيف إليهما توسعاً ، وذكر غيره العلة في جواز هذا التوسع فقال : «إنهما كانا جميعاً تزوداه لسفرهما ، فجاز إضافته إليهما كما يقال : نسي القوم زادهم ، وإنما نسيه أحدهم»^(٢) .

وقال أبو علي الفارسي : «هذا من باب حذف المضاف . المعنى : نسي أحدهما حوتهما ، فلما حذف المضاف عادت الكناية إلى الفعل ف قيل : نسيا . قال : وكذلك قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ [الرحمن: ٢٢] المعنى : من أحدهما ، وفيه حذف أيضاً من وجه آخر وهو أن التقدير : نسيا أمر حوتهما وقصته ؛ لأن يوشع نسي أن يذكر أمره لموسى على ما بينا»^(٣) .

هذا الذي ذكره مذهب المفسرين ، وجميع أهل المعاني ، وقد أغنى الزجاج عن الحذف والتقديم والتأخير الذي يلزم على مذهب هؤلاء فقال في قوله : ﴿نَسِيَا حَوْتَهُمَا﴾ : «كان النسيان من يوشع أن يقدمه ، وكان النسيان من موسى أن يأمره فيه بشيء»^(٤) .

وعلى هذا المعنى لما بلغنا مجمع بينهما نسي يوشع أن يقدم الحوت للأكل ، ونسي موسى أيضاً أن يأمره بذلك ، فلما نسياه حيا بإذن الله ، وذهب في البحر ، فصح المعنى واستغنى عن تقدير الحذف والتقديم والتأخير ، غير أن مذهب المفسرين في النسيان ما ذكرنا أولى .

(١) معاني القرآن للفراء ١٥٤/٢ .

(٢) جامع البيان ٢٧٣/١٥ ، والمحرم الوجيز ٣٥٤/٩ ، والنكت والعيون ٣/٣٢٣ ، وروح المعاني ٣١٤/١٥ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣١١/٢ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٩٩/٣ .

وذكر في انتصاب قوله: ﴿سَرَبًا﴾ وجهين؛ أحدهما: أنه مفعول ثان، كما تقول: اتخذت زيدا وكيلًا.

والثاني: أن ﴿سَرَبًا﴾ هاهنا مصدر سرب ينسرب إذا ذهب على وجهه^(١). منه قول الشاعر^(٢):

ونحنُ خلعنا قيدهُ فهو ساربٌ

وذكرنا هذا عند قوله: ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وكأنه قيل: سرب الحوت سربًا، ودل عليه قوله: ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٦٣]؛ لأنه بمعنى سرب، ولهذا نظائر كثيرة في التنزيل. وعلى هذا، قد حصل في معنى السرب قول آخر، وبنحو هذا القول أخبرني العروضي عن الأزهري قال: «أخبرني المنذري عن ابن اليزيدي عن أبي حاتم. في قوله: ﴿سَرَبًا﴾ قال: أظنه يريد ذهاباً يسرب سرباً، كقولك: يذهب ذهاباً»^(٣).

٦٢. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾؛ أي ذلك المكان الذي كانت عنده الصخرة وذهب الحوت.

قال رسول الله ﷺ: «انطلقا وأصاحبهما ما يصيب المسافر من النصب والكلال»^(٤). ولم يجد النَّصَبَ حتى جاوز حيث أمره الله تعالى ﴿قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَنَا﴾ الآية. ونحو

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٩، ومشكل إعراب القرآن ١/٤٤٥، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٣، وتهذيب اللغة (سرب) ٢/١٦٦٣.

(٢) هذا عجز بيت للأخنس بن شهاب التغلبي، وصدره:

وكلُّ أناسٍ قاربوا قيدَ فحلهم

انظر: تهذيب اللغة (سرب) ٢/١٦٦٢، ولسان العرب (سرب) ٤/١٩٨٠.

(٣) تهذيب اللغة (سرب) ٢/١٦٦٣.

(٤) سبق تخريج الحديث في أول القصة.

هذا قال ابن عباس وجميع المفسرين : «إنه لم يُنْصَب حتى جاوز الموضع الذي يريده ، فلما خرج من حد الموضع نصب فدعا بالطعام ليأكل»^(١) . والغداء : الطعام الذي يؤكل بالغداة . كالعشاء : الطعام الذي يؤكل بالعشي . والنَّصَب : التعب والوهن الذي يكون عن الكلال^(٢) .

قال الليث : «النَّصَب الإعياء من العناء ، والفعل نَصَبٌ يَنْصَبُ ، وأنْصَبَنِي هذا الأمر»^(٣) .

٦٣ . قال المفسرون : فلما قال له موسى ذلك تذكر قصة الحوت ؛ لأنه كان من عنده عذابهما ، فقال : ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ الآية .

قال صاحب النظم : «الأمر عند الناس قوله : أرأيت من رؤية البصر ، وليس كذلك ، إنما هي كلمة وضعت لتنبيه المسؤول^(٤) عنه وبعثه على التفهم والإجابة كما قال عز وجل : ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [العلق : ١١] ، والدليل على ذلك أن الفاء في قوله : ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ يدل على أنه جواب لمعنى يقتضي الفاء ، والتأويل : إن شاء الله أرأيت . أي اسمع وتفهم فإنني نسيت الحوت»^(٥) . ونحو هذا قال أبو علي الفارسي : «وأما ما جاء أرأيت فيه بمعنى انتبه فقلوه : ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ كأن المعنى : انتبه فإنني نسيت الحوت ، ولذلك دخلت الفاء كما تدخل

(١) جامع البيان ٢٧٨/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٨٦/٥ ، والكشاف ٣٩٦/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣/١١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (نصب) ٣٥٨١/٤ ، ومقاييس اللغة (نصب) ٤٣٤/٥ ، والقاموس المحيط (نصب) ١٣٨/١ .

(٣) تهذيب اللغة (نصب) ٣٥٨١/٤ .

(٤) في نسخة (ص) : (على ما يسأل عنه) .

(٥) ذكر أبو علي الفارسي نحوه في الحجة للقراء السبعة ٣٠٩/٣ .

في جواب الجزاء . ومثله : ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَنِ يَأْتِيَكُمْ﴾ [الملك : ٣٠] ، كأنه : انتبهوا فَمَنْ يَأْتِيَكُمْ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿إِذْ أَوْثِنَّا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ يعني : حين نزلنا هناك ووضع يوشع المكتل الذي فيه الحوت عند الصخرة .

وقوله تعالى : ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ . قال ابن عباس في حديث أبي بن كعب مرفوعاً : «فإني نسيت الحوت أن أحدثكه»^(٢) . وعلى هذا المعنى نسيت قصة الحوت وأمره على ما ذكرنا . ثم اعتذر فقال : ﴿وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ وذلك ؛ لأنه لو ذكر لموسى قصة الحوت عند الصخرة ما جاوزها موسى ، وما ناله النصب الذي شكاه في قوله : ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ فاعتذر فتاه من ذلك بأن أنساه الشيطان إياه . قال أهل المعاني : «معناه شغل قلبي بوسوسته حتى نسيتته ؛ لأن الشيطان لا يقدر على فعل النسيان وإنما عرضه له»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ أَذْكُرُهُ﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿أَنْ أَذْكُرُهُ﴾ بدل من الهاء لاشتغال الذكر على الهاء في المعنى ، وما أنساني أن أذكره إِلَّا الشيطان^(٤) . قال ابن عباس : «يريد أن أحدث بقصة الحوت»^(٥) . وهذه الآية تدل على صحة قول المفسرين في قوله : ﴿نَسِيََا حُوتَهُمَا﴾ .

(١) ذكر أبو علي الفارسي نحوه في الحجة للقراء السبعة ٣/ ٣٠٩ .

(٢) سبق تخريج الحديث في أول القصة .

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٢٤ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٤٧ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٠ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٧٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٥ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٢٧١ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٤ .

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ . قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: «اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً»^(١) . ونحو هذا قال قتادة ، ومجاهد ، وابن زيد^(٢) . وقد ذكرنا أن مسلك الحوت لم يلتئم فدخل موسى ذلك المسلك . ويتنصب ﴿عَجَبًا﴾ - على هذا - بوقوعه موقع الحال ، كأنه قيل : واتخذ موسى سبيل الحوت عجباً من ذلك الأمر^(٣) .

قال مجاهد : «تعجب موسى من أثر الحوت في البحر ودورانه التي غاب فيها»^(٤) .

وقال ابن زيد : «أي شيء أعجب من حوت كان دهرًا من الدهور يؤكل منه ، ثم صار حيًّا حتى مشى في البحر»^(٥) . وهذا القول اختيار الفراء فقد قال : «واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً»^(٦) . ويجوز أن ينتصب (عجباً) بأنه نعتٌ محذوف ؛ كأنه قيل : سبيلًا عجباً . ذكره ابن قتيبة^(٧) . وهذا القول الذي ذكرنا عن هؤلاء بعيد ؛ لأن اتخاذ موسى سبيل الحوت مسلوكًا كان بعد أن ارتدا على آثارهما قصصاً ، إلا أن تحمل النظم على التقديم والتأخير ، ولكن التقريب أن يجعل قوله : ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ من قول يوشع [إخباراً عن الحوت أنه فعل ذلك .

(١) جامع البيان ٢٧٥ / ١٥ .

(٢) جامع البيان ٢٧٥ / ١٥ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٧٢ / ٢ .

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٤٠٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٤٤٥ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٤ / ٢ .

(٤) جامع البيان ٢٧٦ / ١٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٤ / ٢ .

(٥) جامع البيان ٢٧٥ / ١٥ ، ومعالم التنزيل ١٨٧ / ٥ .

(٦) معاني القرآن للفراء ١٥٤ / ٢ .

(٧) تفسير غريب القرآن ٢٦٨ / ١ .

ذهب إلى هذا طائفة من المفسرين فقالوا : « هذا من قول يوشع »^(١) يقول : اتخذ الحوت سبيله في البحر سبيلاً عجباً^(٢) . وذكر الزجاج هذا القول^(٣) .

وذكر كثير من أهل العلم : « أن الكلام قد تمَّ عند قوله : ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ ﴾ ، ويحسن الوقف هاهنا ثم تقول^(٤) : ﴿ عَجَباً ﴾^(٥) . ووجه هذا ما قاله أبو إسحاق : « وهو أن يكون قال يوشع : ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ ﴾ فأجابه موسى فقال : ﴿ عَجَباً ﴾ كأنه قال : أعجب عجباً »^(٦) .

ونحو هذا حكى أبو حاتم^(٧) عن أهل التفسير فقال : « إنهم قالوا : ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ ﴾ تمام ، ثم قال : ﴿ عَجَباً ﴾ ؛ أي أعجب عجباً ، وعلى هذا يجوز أن يكون العجب راجعاً إلى يوشع أخبر عن اتخاذ الحوت سبيله في البحر ، ثم أخبر عن تعجبه من ذلك »^(٨) . والوقف على قوله : ﴿ فِي الْبَحْرِ ﴾ مذهب الحسن ، وعيسى بن عمر^(٩) ، ويعقوب^(١٠) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٢) معالم التنزيل ١٨٧/٥ ، والمحزر الوجيز ٣٥٥/٩ ، والكشاف ٣٩٦/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٠٠/٣ .

(٤) قوله : (تقول) ساقط من (ص) .

(٥) المحزر الوجيز ٣٥٥/٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١١ ، والبحر المحيط ١٤٦/٦ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٠ ، والإيضاح ٢٥٩/٢ ، والقطع والائتناف ٤٤٨ .

(٦) معالم التنزيل ١٨٧/٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٠٠/٣ .

(٧) هو السجستاني .

(٨) الكشف والبيان ٣٩١/٣ ، وبحر العلوم ٣٠٦/٢ ، والمحزر الوجيز ٣٥٥/٩ ، ولباب التأويل ٢٢٢/٤ ، والكشاف ٤٩٢/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١١ ، وإرشاد العقل السليم ٢٣٣/٥ .

(٩) في (ص) : (عيسى بن مريم) ، وهو تصحيف .

(١٠) المكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٠ ، والقطع والائتناف ٤٤٨ ، والإيضاح ٢٥٩/٢ .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «لَمَّا قَالَ هَذَا يَوْشَعَ ، ذَكَرَ مُوسَى مَا كَانَ عَهْدَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَدُلُّكَ عَلَيْهِ بَعْضُ زَادِكَ»^(١) .

٦٤ . فقال : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ . قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «أي هذه حاجتنا»^(٢) . وهذا اللفظ يحتمل معنيين أحدهما : أن المراد بحاجته التي كان يطلبها الخضر عليه السلام ، وعلى هذا ، الإشارة بقوله : ﴿ذَلِكَ﴾ إلى الخضر . هذا قول ذكره المتأخرون من أهل التفسير . والصحيح أنه أراد بقوله : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ انسراب الحوت^(٣) ؛ لأن هذا جواب لقول يوشع حين أخبره بذلك الحوت ، وعنده الخضر في ذلك المكان الذي تنسرب فيه السمكة ، فقال موسى : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ ؛ أي نطلب ونريد من العلامة ، ولو أراد الخضر بقوله : ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ لقال : ذلك مَنْ كُنَّا نَبْغِي . ولكن يوشع لم يخبره عن الخضر بشيء حتى يكون معنى قوله : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ الخضر . ودل كلام أبي إسحاق ، والفراء على هذا القول^(٤) .

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٢٤ من دون نسبة ، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور ٤١٧/٤ .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ من دون نسبة ، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٣٠٦/٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٩/ ٣٥٦ ، والكشاف ٢/ ٣٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥ ، والبحر المحيط ١٤٧/٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٠ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٥ .

وقوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾. قال المفسرون: «رجعا وعادا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاء منه»^(١). ﴿قَصَصًا﴾؛ أي يقصان آثارهما قَصَصًا. والقَصَص: اتباع الأثر^(٢)، وقد مر ذكره. وانتصابه على المصدر^(٣).

ودل قوله: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾ حتى انتهيا إلى الصخرة التي فعل عندها الحوت ما فعل، وأبصر موسى أثر الحوت فأخذ أثر الحوت يمشيان على الماء حتى انتهيا إلى جزيرة من جزائر البحر فوجدا الخضر^(٤).

٦٥. فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾؛ أي صادفا وأدركا الخضر. قال المفسرون: (اسمه بلياً بن ملكان)^(٥).

وقال مقاتل بن سليمان: (اسم المذكور في القرآن اليسع)^(٦).

قال مجاهد: «سمي الخضر؛ لأنه إذا صلى اخضر ما حوله»^(٧).

(١) معالم التنزيل ١٨٧/٥، والمحزر الوجيز ٣٥٦/٩، وتفسير القرآن العظيم ١٠٣/٣، ١٠٤، والكشاف ٣٩٦/٢.

(٢) العمدة في غريب القرآن ١٩١.

(٣) البحر المحيط ١٤٧/٦، والدر المصون ٥٢٥/٧، ومشكل إعراب القرآن ٤٤٥/١.

(٤) جامع البيان ٢٧٩/١٥، والدر المنثور ٤٢١/٤.

(٥) معالم التنزيل ١٨٨/٥، والبحر المحيط ١٤٧/٦، وروح المعاني ٣١٩/١٥.

(٦) النكت والعيون ٣٢٥/٣، والبحر المحيط ١٤٧/٦، وروح المعاني ٣١٩/١٥.

(٧) معالم التنزيل ١٨٨/٥، والنكت والعيون ٣٢٥/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١١، والدر المنثور ٤٢٤/٤.

وقد صح عند البخاري: ٣٠٩/٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما سُمِّي الخضر؛ لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٦/١٥، ومسند الإمام أحمد ٣١٢/٢.

وقوله تعالى : ﴿ءَايَّتُهُ رَحْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا﴾ . قال ابن عباس : (يريد نبوة)^(١) .

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ . قال : (أعطاه علماً من علم الغيب)^(٢) .

٦٦ . ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ وقرئت : رَشْدًا^(٣) ، ومثله كثير في العربية نحو : البُخل والبَخْل ، والعُجم والعَجَم ، والعُرب والعَرَب .

قال أبو علي الفارسي : «فَعَلَ وفَعَل قد أجرى العرب كل واحد منهما مجرى الآخر^(٤) ، ألا ترى أنهم جمعوهما جمعاً واحداً فقالوا : تاجٌ وتيجان ، وقاعٌ وقيعان ، وحوتٌ وحيتان ، ونُونٌ ونينان ، وكما جمعوا فعلاً على فعل نحو : أسدٌ وأسَد ، ووثنٌ ووُثن ، جمعوا فعلاً على فُعَل أيضاً ، كما جمعوا فعلاً وذلك قولهم : الفلك ، قال الله تعالى : ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩] أراد الواحد . وقال : ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] أراد الجمع . وقيل : أرجح الوجهين قراءة مَنْ قرأ : رَشْدًا ، لاتفاقهم على الفتح في قوله : ﴿فَأُولَٰئِكَ نَحْرَوُا رُشْدًا﴾ [الجن : ١٤] . وقد

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٣٢٥ ، والكشاف ٢/ ٣٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١١ .

قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٣٥٦ : «والخضر نبي عند الجمهور ، والآية تشهد بنبوته ؛ لأن بواطن أفعاله هل كانت إلّا بوحي الله» .

وقال القرطبي ١٦/ ١١ : «إن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلّا مَنْ فوقه ، وليس يجوز أن يكون فوق النبي مَنْ ليس بنبي» . انظر : الزهر النضر في نبأ الخضر ١١٠ ، والخضر بين الواقع والتهويل ٦٢ ، والخضر نسبه ونبوته ١٧ ، والخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة ١٨ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٧٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١١ .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وحمة ، والكسائي ﴿رُشْدًا﴾ مضمومة الراء خفيفة الشين ، وقرأ ابن عامر (رُشْدًا) مضمومة الراء والشين ، وقرأ أبو عمرو البصري (رَشْدًا) مفتوحة الراء والشين . انظر : السبعة : ٣٩٤ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٥٤ ، التبصرة ٢٥٠ ، وحجة القراءات : ٤٢٢ ، والنشر ٢/ ٣١١ .

(٤) في نسخة (ص) : (الأثري) ، وهو تصحيف .

اجتمعاً في أن كل واحد منهما فاصلة . فأماً وجه انتصابه فقوله : ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾ حال من قوله : ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ ، والراجع إلى الموصول في قوله : ﴿مِمَّا عَلَّمْتَ﴾ محذوف تقديره : مما علمته . ﴿رُشْدًا﴾ منصوب على أنه مفعول له ، كأنه قيل : أتبِعْكَ للرشد . ويجوز أن يكون مفعولاً به تقديره : هل أتبِعْكَ على أن تعلمني رُشْدًا مما علمته^(١) .

ومعنى : ﴿رُشْدًا﴾ أمراً ذا رشد ، وعلماً ذا رشد^(٢) ، وذكرنا معنى الرشد عند قوله : ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ [الأعراف: ١٤٦] وفي موضع آخر .

وهذه الآية بيان عما يوجب العلم من تعظيم صاحبه ، ألا ترى كيف دعت موسى - مع جلالة شأنه وما أتاه الله من التوراة والعلم - في اتباع مَنْ يتعلم منه فيزداد إلى علمه .

قال أبو إسحاق : «وفي ما فعل موسى - وهو من جلة الأنبياء عليهم السلام من طلب العلم والرحلة في ذلك - ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم ، وإن كان قد بلغ نهايته ، وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه ، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه»^(٣) .

وقال قتادة : «لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى موسى نبي^(٤) الله حيث قال : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾ الآية»^(٥) .

(١) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٥ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ، ٤٠٢ ، والدر المصون ٧/ ٥٢٥ .

(٢) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٥٥ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠١ .

(٤) في (س) : (نجبي) ، وهو تصحيف .

(٥) روح البيان ٥/ ٢٧٤ ، ومجمع البيان ٦/ ٤٤٦ .

٦٧. وقوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ هذا قول الخضر لموسى عليهما السلام . قال ابن عباس : «يريد لن تصبر على صنيعي ؛ لأنني علمت علم غيب ، علم ربي»^(١) .

٦٨. وقال أبو إسحاق : «ثم أعلمه العلة في ترك الصبر ، فقال : ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ؛ أي كيف تصبر على ما ظاهره منكر ، والأنبياء والصالحون لا يصبرون على ما يرونه منكراً»^(٢) .

وقال الكلبي : «يقول لا ينبغي لرجل صالح أن يصحبنى يرى مني ما ينكر لا يغيره»^(٣) . وقال ابن عباس : «يريد لم تحط بعلم الغيب»^(٤) .

وقال الزجاج : «نصب ﴿خُبْرًا﴾ على المصدر ؛ لأن معنى ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ؛ أي لم يخبره خبراً»^(٥) . ومعنى لم يخبره خبراً : لم يعلمه . والخبر : علمك بالشيء ، يقال : من أين خبرت هذا ؟ أي علمت . وليس هذا من الخبر بمعنى التجربة . وقد روي ذلك عن عطاء في هذه الآية قال : «يريد لم يخبر من علم الغيب شيئاً»^(٦) . وهو بعيد مع قوله : ﴿لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ . ولفظ الإحاطة يستعمل في معنى العلم لا في معنى التجربة ، فقوله : ﴿لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ كقولك : لم تحط به علماً .

(١) ذكر نحوه جامع البيان ٢٨٠ / ١٥ ، ومعالم التنزيل ١٧٣ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١١ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٠١ / ٣ .

(٣) ذكر السمرقندي في بحر العلوم ٣٠٦ / ٢ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي ١٦ / ١١ .

(٤) الكشف والبيان ٣ / ٣٩١ ، وذكر نحوه من دون نسبة جامع البيان ٢٨٣ / ١٥ ، والنكت والعيون ٣٢٦ / ٣ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٠٢ / ٣ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٨٣ / ١٥ ، والكشف والبيان ٣٩١ / ٣ ، والنكت والعيون ٣٢٦ / ٣ ، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور ٤٢٠ / ٤ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن مردويه .

٦٩. ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾. قال الكلبي : «يقول لا أسألك عن شيء حتى تكون أنت تحدثني»^(١) ، ﴿وَلَا أَغْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد ولا أخالفك في شيء»^(٢) .

٧٠. قال له الخضر : ﴿فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي﴾. قال ابن عباس : «وذلك أنه كان رجلاً يعمل على الغيب»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ أَتِيكَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾. قال : «يريد حتى أكون أنا الذي أفسره لك ؛ لأنه قد غاب علمه عنك»^(٤) ، هذا كلامه ، وتفسير ﴿أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أبدى بذكره لك وبيانه .

٧١. وقوله تعالى : ﴿فَانْطَلَقَا﴾. روي عن أبي بن كعب مرفوعاً أنه قال : «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت بهم سفينة وكلموهم أن يحملوهما ، فحملوهما بغير أجر ، فلما ولجوا البحر أخذ الخضر فأسأ فخرق لوحاً من السفينة ، فحشاها موسى بثوبه ، وقال له : ﴿أَخْرَقْنَاهَا﴾ الآية»^(٥) . فذلك قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ ؛ أراد ركبا البحر في السفينة ، فحذف المفعول للعلم به . والسفينة معروفة أصلها : من السفن وهو القشر ، سميت لسفنها وجه الماء كأنها تقشره ، وهي فعيلة بمعنى فاعلة . وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال : «قيل

(١) ذكر نحوه السمرقندي في بحر العلوم ٣٠٦/٢ من دون نسبة .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ١٨٩/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٠٤/٣ ، ولباب التأويل ٢٢٣/٤ .

(٣) ذكر نحوه جامع البيان ٢٨٣/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٨٩/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١١ .

(٤) الكشف والبيان ٣/٣٩١ ، والدر المنثور ٤/٤٢٠ ، وعزاه لابن عساكر .

(٥) سبق تخريج الحديث في أول القصة .

لَهَا سَفِينَةٌ ؛ لَأَنْهَا تَسْفِينُ الرَّمْلَ إِذَا قَلَّ الْمَاءُ . قَالَ : وَيَكُونُ مَأْخُذًا مِنْ السَّفْنِ ، وَهُوَ الْفَأْسُ الَّتِي يَنْجِرُ بِهَا النِّجَارُ^(١) . وَمِنْهُ قَوْلُهُ^(٢) :

كَمَا تَخَوَّفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ

فَهِيَ عَلَى هَذَا فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٌ ؛ لَأَنْهَا نُحِتَتْ مِنَ الْخَشَبِ بِالسَّفْنِ فَهِيَ مَسْفُونَةٌ ؛ أَيْ مَنجُورَةٌ مَنَحُوتَةٌ^(٣) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ خَرَقَهَا ﴾ ؛ أَيْ شَقَّهَا . جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ : «أَنَّهُ قَلَعَ لَوْحِينَ مِمَّا يَلِي الْمَاءَ»^(٤) ، فَقَالَ مُوسَى مُنْكَرًا عَلَيْهِ : ﴿ أَخَرَقْنَاهَا لِلنَّغْرَقِ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ . قَالَ مُجَاهِدٌ : «مُنْكَرًا»^(٥) . وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ ، وَالْمُفْسِّرِينَ^(٦) .

(١) تهذيب اللغة (سفن) ١٧٠٨/٢ .

(٢) هذا عجز بيت اختلّف في نسبه ، وصدره :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامَكًا صَلْبًا

تخوف : التخوف التنقص شيئاً فشيئاً . والتامك : السنام المرتفع . والنبعة : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسي . والسفن : مبرّد الحديد الذي ينحت به الخشب . انظر : جامع البيان ١١٣/١٤ ، والكشاف ٤١١/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٠/١٠ ، وتهذيب اللغة (سفن) ١٧٠٨/٢ ، ولسان العرب (سفن) ٢٠٣٢/٤ ، والصحاح (سفن) ٢١٣٦/٥ .

(٣) انظر : المواضع السابقة من تهذيب اللغة ، والصحاح ، ولسان العرب .

(٤) معالم التنزيل ١٧٣/٣ ، والمحزر الوجيز ٣٦٠/٩ ، والنكت والعيون ٣٢٧/٣ ، والكشاف ٣٩٧/٢ .

(٥) جامع البيان ٢٨٤/١٥ ، والمحزر الوجيز ٣٦١/٩ ، والنكت والعيون ٣٢٧/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/١١ .

(٦) جامع البيان ٢٨٤/١٥ ، وفتح القدير ٤٣١/٣ .

وقال أبو عبيدة : «داهية نكراً»^(١) ، وأنشد^(٢) :

قَدْ لَقِيَ الْأَقْرَانُ مَنِّي نَكْرًا دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا
وقال الكسائي : «شديداً عظيماً»^(٣) . من أمر الأمر ، إذا كبر ، أمراً بفتح الميم ،
والإمر الاسم^(٤) .

٧٢-٧٣ . فقال له الخضر محققاً ما كان قال له أولاً : ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٥) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴿ . روى ابن عباس ، وأبي بن كعب
عن النبي ﷺ قال : «كانت الأولى من أمر موسى النسيان ، والثانية
العدر ، ولو صبر موسى لقص الله علينا أكثر مما قص»^(٥) . فعلى هذا ،
معنى قوله : ﴿نَسِيتُ﴾ ؛ غفلت عن التسليم لك ، وترك الإنكار
عليك ونسيت ذلك .

وروي عن ابن عباس نفسه أنه قال : «بما تركت من عهدك»^(٦) . وهو قول
الكلبي يقول : «ما تركت من وصيتك»^(٧) . وعلى هذا القول ، النسيان بمعنى :

-
- (١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤٠٩ .
(٢) لم أهد إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة من دون نسبة . انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٢٨٤ ،
والنكت والعيون ٣/ ٣٢٧ ، والقرطبي ١١/ ١٩ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٠٩ ، والدر المصون ٧/ ٥٢٨ ،
وشواهد الكشاف ١٣٠ ، واللسان (أمر) ١/ ١٢٩ .
(٣) روح المعاني ١٥/ ٣٣٧ .
(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٨٥ ، وتفسير القرطبي ١١/ ١٩ ، وفتح القدير ٣/ ٤٣٢ ، ولسان العرب (أمر)
١/ ١٢٩ .
(٥) سبق تخريج الحديث في أول القصة . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٨٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٧ ،
وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٥ .
(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٨٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٧ ، والكشف والبيان
٣/ ٣٩١ أ .
(٧) النكت والعيون ٣/ ٣٢٨ ، وذكر في بحر العلوم ٢/ ٣٠٧ من دون نسبة ، وكذلك جامع البيان
١٥/ ٢٨٥ ، والكشاف ٢/ ٤٩٣ .

الترك ، لا بمعنى الغفلة . وروي عن أبي بن كعب نفسه أنه قال : «لم ينسها ولكنها من معاريض الكلام»^(١) . وهذا القول مروى عن أبي عمرو بن العلاء قال : «ما كان نسي»^(٢) ، ولكن هذا من معاريض الكلام»^(٣) . ومعنى هذا : أنه اعتذر بالنسيان كالعادة في الكلام ، وأن لفظ النسيان كثيراً ما يذكر معترضاً به من غير حقيقة . وقال بعضهم : «أراد أنه لم يقل له : نسيت ، فيكون كاذباً ، ولكنه قال : ﴿لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ فأوهمه النسيان تعريضاً»^(٤) . وقد حصل في قوله : ﴿بِمَا نَسِيتُ﴾ ثلاثة أوجه^(٥) .

قوله تعالى : ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «تلحقني»^(٦) . روى سلمة عن الفرّاء : «رهِقَنِي الرجل ، يَرْهِقَنِي ، رَهَقاً ؛ أَي لَحِقَنِي وَعَشِينِي ، وَأَرْهَقْتَهُ إِذَا أَرْهَقْتَهُ غَيْرَكَ»^(٧) .

(١) جامع البيان ٢٨٥ / ١٥ ، والكشف والبيان ٣ / ٣٩١ أ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٣٦٢ ، والبحر المحيط ٦ / ١٥٠ ، وروح المعاني ١٥ / ٣٣٨ .

(٢) في (ص) : (مني) ، وهو تصحيف .

(٣) لم أقف عليه عن أبي عمرو ، وذكره جامع البيان ٢٨٥ / ١٥ ، ونسبه إلى أبي بن كعب ، وكذلك الكشف والبيان ٣ / ٣٩١ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٣٦٢ ، وزاد المسير ٥ / ١٧١ ، والدر المنثور ٤ / ٤٢٨ ، وذكره أيضاً بحر العلوم ٢ / ٣٠٧ ، ونسبه إلى ابن عباس ، وكذلك معالم التنزيل ٥ / ١٩٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٢٧ ، وزاد المسير ٥ / ١٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٠ .

(٤) المحزر الوجيز ٩ / ٢٦٢ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٠٧ .

(٥) القول الأول - والله أعلم - هو الراجح ، وهو قول جمهور العلماء . قال ابن جرير الطبري ١٥ / ١٨٤ : «والصواب من القول في ذلك أن يقول : إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بها نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بها سألته عنه وهو لعده ذاكراً للصحيح عن رسول الله ﷺ بأن ذلك معناه من الخبر» . انظر : المحزر الوجيز ٩ / ٣٦٢ ، والبحر المحيط ٦ / ١٥٠ .

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣ / ٣٢٨ من دون نسبة .

(٧) تهذيب اللغة (رهق) ٢ / ١٤٧٩ .

وقال أبو إسحاق : «معنى ﴿تُرْهِقْنِي﴾ تغشيني»^(١) . ونحو ذلك قال ابن قتيبة^(٢) ، وهو قول العامة . ويغشني ويلحقني بمعنى واحد ، ومن لحق شيئاً فقد غشيه .

وقال الكلبي في قوله : «﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ : لا تكلفني»^(٣) قال أبو زيد : «أرهقته عُسراً إذا كلفته ذاك»^(٤) . وهذا قريب من الأول ، والكلام في هذا الحرف قد سبق عند قوله : «﴿وَلَا يَزْهُقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾» [يونس : ٢٦] .

ومعنى الآية : عاملني باليسر لا بالعسر ، ولا تضيق عليّ الأمر في صحبتي إياك^(٥) .

وقال الفرّاء في قوله : «﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ : «لا تعجلني»^(٦) .

قال ابن شميل : «أرهقني القوم أن أصلي ؛ أي أعجلوني»^(٧) .

وقال ابن الأعرابي : «إنه لَرَهَقٌ ؛ أي سريع إلى الشر سريع الحدة»^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠٢ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ١/٢٦٩ .

(٣) النكت والعيون ٣/٣٢٨ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/٣٠٧ من دون نسبة .

(٤) تهذيب اللغة (رهق) ٢/١٤٨٩ .

(٥) جامع البيان ١٥/١٨٥ ، ومعالم التنزيل ٥/١٩٠ ، والبحر المحيط ٦/١٥٠ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٥٥ .

(٧) تهذيب اللغة (رهق) ٢/١٤٨٩ ، وتاج العروس (رهق) ١٣/١٨٣ .

(٨) تهذيب اللغة (رهق) ٢/١٤٨٩ ، ولسان العرب (رهق) ٣/١٧٥٦ .

وقال الكسائي: «فيه رَهَقٌ ؛ أي خَفَّةٌ وَحْدَةً»^(١). والأحسن في تفسير ﴿تَرْهَقَنِي﴾ مع قوله: ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ قول ابن عباس، والكلبي. وقول الفراء بعيد في تفسير الآية، لا يحسن أن نقول: لا تعجلني من أمري عُسْرًا، والله أعلم.

٧٤. وقوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾. في حديث أبي بن كعب: «أنهما خرّجا مع الصبيان فقال به هكذا، كأنه اجتذب رأسه فقلعه. وأشار عبدالرزاق^(٢) حين روى هذا الحديث بأصابعه الثلاثة: السبابة، والوسطى، والإبهام وفتحها»^(٣).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: «أن ذلك الغلام كان من أحسن أولئك الغلمان وأصبحهم»^(٤).

(١) لسان العرب (رهق) ١٧٥٦/٣.

(٢) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحافظ أبو بكر الحميري بالولاء، من علماء اليمن، حدّث عن جماعة منهم: الأوزاعي، والثوري، ومالك بن أنس، وحدّث عنه الإمام أحمد وغيره، توفي -رحمه الله- سنة ٢١١ هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٥/٥٤٨، وميزان الاعتدال ٢/٦٠٩، وسير أعلام النبلاء ٥٦٣/٩.

(٣) سبق تخريج الحديث في أول القصة. انظر: تفسير القرآن للصنعاني ١/٣٤٠، ومعالم التنزيل ١٩٠/٥، والمححر الوجيز ٩/٣٦٤.

(٤) جامع البيان ١٥/٢٨٦، وذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٣٩١، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٢/٣٠٨.

وقال أبو العالية: «كان الخضر عبداً لا تراه الأعين، ورآه موسى، ولو رآه الناس يقتله ما تركوه»^(١).

قال موسى حين رأى ذلك: ﴿أَفَلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾. قال ابن عباس ومجاهد: «لم يبلغ الحلم»^(٢). ومعنى الزاكية: الطاهرة من الذنوب، وذلك؛ لأنه كان صغيراً لم يبلغ حد التكليف. وُقِرئ: زاكية^(٣). وهي البرئية من الذنوب. كذا قال الأعمش وغيره، وهو قول أبي إسحاق^(٤). وقال الفرّاء: «الزَاكِية والزَكِيّة مثل: القَاسِيَةِ والقَسِيّة»^(٥).

قال الليث: «الزكاة: الصلاح»^(٦). ورجل زاكٍ وزَكِي؛ أي تَقِي، ومنه قوله تعالى: ﴿حَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ [الكهف: ٨١]؛ أي صلاحاً.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١، وفتح القدير ٤٣٦/٣، قال رحمه الله: «وأقول ينبغي أن ينظر من أين له هذا؟ فإن لم يكن مستنداً إلّا قوله: ولو رآه القوم... إلخ، فليس ذلك بموجب لما ذكره، أمّا أولاً: فإن من الجائز أن يفعل ذلك من غير أن يراه أهل السفينة وأهل الغلام، لا لكونه لا تراه الأعين بل لكونه فعل ذلك من غير إطلاعهم. وأمّا ثانياً: فيمكن أن أهل السفينة وأهل الغلام قد عرفوه وعرفوا أنه لا يفعل ذلك إلّا بأمر من الله كما يفعل الأنبياء، فسلموا لأمر الله. انظر: أضواء البيان للشنقيطي ١٧٣/٤.

(٢) معالم التنزيل ١٩١/٥، والكشف والبيان ٣٩١/٣، وزاد المسير ١٧٢/٥.

(٣) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر (زاكية) بالألف، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي ﴿زَكِيَّةً﴾ بغير ألف مع التشديد. انظر: السبعة ٣٩٥، والمبسوط في القراءات ٢٣٧، والتبصرة ٢٥٠، وحجة القراءات ٤٢٤، والنشر ٣١٣/٢.

(٤) معاني القرآن ٣/٣٠٣، والكشف والبيان ٣٩١/٣ ب.

(٥) معاني القرآن للفرّاء ١٥٥/٢.

(٦) تهذيب اللغة (زكا) ١٥٤٢/٢.

قال الكسائي: «والفعل منه زَكُوْتُ، يَزْكُو، زُكُوًّا، وزكاءٌ ممدود»^(١). هذا الذي ذكرنا أنه كان صبيًّا لم يبلغ الحنث، قول أكثر المفسرين^(٢).

وقال الضحاك: «كان غلاماً يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه»^(٣).

وقال الكلبي: «كان يقطع الطريق»^(٤). وعلى هذا، معنى قوله: (زاكية) ما قاله قتادة: «الزاكية الثابتة»^(٥). يعني النامية، وكل شيء يزداد ويسمن فهو يزكو، زكاء، والمعنى: أنه كان غلاماً في مقتبل الشباب^(٦). أو تقول معنى زاكية على تفسير الضحاك والكلبي: «أنها كانت زاكية في رأي العين؛ لأنه لم يجن جناية توجب قتله بحضرة موسى»^(٧).

وقوله تعالى: ﴿يَغَيِّرْ نَفْسٍ﴾. قال ابن عباس: «يريد من غير قود»^(٨). والمعنى: بغير قتل نفس: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾؛ أي فظيعةً منكراً لا يعرف. قال قتادة: «والنكر أشد من الإمر»^(٩). وهو اختيار ابن كيسان^(١٠). والمعنى على هذا: لقد جئت شيئاً أنكر من الأول.

-
- (١) الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب، وذكر نحوه من دون نسبة تهذيب اللغة (زكا).
 - (٢) معالم التنزيل ٥/ ١٩١، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٦٤، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٨، وزاد المسير ٥/ ١٧٢.
 - (٣) معالم التنزيل ٥/ ١٩١، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١.
 - (٤) معالم التنزيل ٥/ ١٩١، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب.
 - (٥) جامع البيان ١٥/ ٢٨٦، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٩.
 - (٦) النكت والعيون ٣/ ٣٢٩، وزاد المسير ٥/ ١٧٣.
 - (٧) جامع البيان ١٥/ ٢٨٦، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب.
 - (٨) جامع البيان ١٥/ ٢٨٦ بغير نسبة.
 - (٩) جامع البيان ١٥/ ٢٨٧، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩١، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٠، والدر المنثور ٤/ ٤٢٨.
 - (١٠) الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب.

وقال أبو إسحاق : ﴿تُكْرَأُ﴾ : أقل من قوله : ﴿إِمْرًا﴾ ؛ لأن تغريق مَنْ في السفينة كان عنده أنكر من قتل نفس واحدة^(١) . وانتصاب قوله : ﴿شَيْئًا تُكْرَأُ﴾ على المفعول به ؛ لأن المعنى : أتيت شيئاً نكراً . قال الزجاج : «ويجوز أن يكون معناه جئت بشيء نكر ، فلما حذف الباء أمضى الفعل فنصب»^(٢) .

٧٦ . قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ . قال أهل المعاني : أراد إن سألتك سؤال توبيخ وإنكار ، كما قال في السفينة : ﴿أَخْرَقْنَهَا﴾ ، وفي الغلام : ﴿أَفَنَلْتَ نَفْسًا﴾ ، وذلك أن السؤال على وجوه : منه ما هو طلب الإخبار عن المعنى للفائدة ، ومنه ما هو للتقرير ، ومنه ما هو للتوبيخ . والكناية في قوله : ﴿بَعْدَهَا﴾ تعود إلى النفس المقتولة .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ قال ابن عباس : «يريد أنك قد أعذرت في ما بيني وبينك ، وقد أخبرني أنني لا أستطيع معك صبراً»^(٣) . وقال أهل المعاني : «هذا إقرار من موسى بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده ، فلا يلزمه ما أنكر»^(٤) .

وروي أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال : «استحيا نبي الله موسى عندها ، ولو صبر لرأى ألفاً من العجائب»^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠٣ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠٣ .

(٣) زاد المسير ٥/١٧٥ .

(٤) ذكر نحوه المحرر الوجيز ٩/٣٦٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٦ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير (سورة الكهف) ٨/٤٠٩ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل الخضر ٤/١٨٥١ ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٥/١٨٦ ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه ٥/٤٦٣ ، وأبو داود في سننه في كتاب الحروف والقراءات ٤/٢٨٦ ، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/٢١٩ ، والحاكم في المستدرک ٢/٥٧٤ ، وأورده السيوطي في الدر ٤/٤٢٨ .

واختلف القراء في قوله : ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾ فقراءة العامة : بتشديد النون ، وقرأ أهل المدينة : بتخفيفها^(١) .

قال أبو إسحاق : «الأجود تشديد النون ؛ لأن أصل نون لَدُنْ الإسكان ، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونا لِيَعْلَمَ سكون النون الأولى ، تقول : من لدن زيد ، فتسكن النون ثم تضيف إلى نفسك فتقول : من لَدُنِّي ، كما تقول : عن زيد ، ثم تقول : عَنِّي»^(٢) .

وقال أبو علي : «مَنْ قال : من لَدُنِّي زاد النون التي تزد مع علامة المضممر المجرور والمنصوب ، في نحو مَنِّي ، وَعَنِّي ، وَقَطْنِي ، وَضَرَبَنِي ، فأدغم الأولى الساكنة في التي تزد مع الضمير ، فصار من لَدُنِّي ، وهذا هو القياس والذي عليه الاستعمال . وَمَنْ خفف فإنه لم يلحق النون التي تلحق علامة الضمير في نحو : ضَرَبَنِي ، وقدني كما قال^(٣) :

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْحَبِيبَيْنِ قَدْنِي

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾ بتشديد النون ، وقرأ نافع (من لَدُنِّي) بضم الدال مع تخفيف النون ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (من لدني) بضم الدال شيئاً من الضم ، مع تخفيف النون . انظر : السبعة ٣٩٧ ، والحجة في القراءات السبع ١٦٠ / ٥ ، والتبصرة ٢٥٠ ، وحجة القراءات ٤٢٤ ، والنشر ٣١٣ / ٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٠٣ .

(٣) هذا صدر بيت حميد بن مالك الأرقط ، وعجزه :

ليس الإمام بالشحيح الملحد

قَدْنِي : حسبي . والخببيان : عبدالله بن الزبير وابنه ، وقيل : هما عبدالله وأخوه مصعب . انظر : الكتاب ٣٧١ / ٢ ، والخزانة ٣٨٢ / ٥ ، والحجة في القراءات السبع ١٦١ / ٥ ، والمحاسب ٢٢٣ / ٢ ، والكامل ٨٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٠٤ ، ومغني اللبيب ١ / ١٧٠ ، والإنصاف : ص ١٠٨ ، ولسان العرب (خب) ١٠٨٧ / ٢ .

لم يلحق النون ، كذلك قرأ نافع : لدي . ولا تكون النون المحذوفة نون لدن لثبوته في قولك : لدنه ، ولدنك ، ولدنًا^(١) .

وقال أبو إسحاق : «ومن قال : لدي ، لم يجوز له أن يقول : عني ، وميني ؛ لأن لدن اسم غير متمكن ، ومن ، وعن حرفان جاء المعنى ، ولدن مع ذلك أثقل من : من ، وعن ، والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم : قدي ، في معنى : حسي^(٢) ، هذا كلامه . وذكر الفرق بين لدي مخفف ، ومتى خفف لا يجوز من وجهين . أحدهما : أن لدن اسم والاسم يجوز الحذف فيه كقولهم : قدي . والآخر : أن لدن أثقل من (من) .

وقال أبو علي في ما استدرك عليه : «النون مع الياء التي للمتكلم إنما اجتلبت ليسلم سكون الحرف ، كما اجتلبت في (قد) ، كذلك ثم استجيز الحذف في لدن ، كما استجيز في (قد) : (قدي) ، فيجب أن ينظر في أي موضع يجوز الحذف في (قدي) ، فيجوز في لدن على ذلك الحد . فوجدنا الحذف في (قد) إنما وقع في الضرورة في الشعر دون الكلام ، ولم يجيء الحذف في غير الشعر ، فإذا كان كذلك فلا يستحسن على هذا الحذف في القراءة من لدي ؛ لأنه ليس بموضع ضرورة ، ولم يفصل أبو إسحاق ما يجوز في الشعر ، مما يجوز في الكلام والقرآن ، حتى صار الجائز في الضرورة يتوهم من كلامه جوازه في الكلام . فإن قيل : إن الحذف للنون في (لدي) أدنى مزية في الحسن على (قدي) لاجتماع المثليين فيه وهم يكرهون اجتماعهما ، فيكون الحذف فيه أمثل منه في (قدي) ، فيجوز في الكلام . قلنا : ليس بأمثل ؛ لأن المثليين ليسا بلازمين ، فلا يستحسن فيهما ما يستحسن في اللازمين من الحذف للتخفيف ، على أنه قد يجري غير اللازم مجرى اللازم في الإدغام نحو : علماء بنو فلان ، وكثير من الأحكام . وإجازة (لدي) في الكلام قياساً على هذا

(١) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٦١ ، والإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٦٨ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٣ .

وجيه ، والأول أعجب إلينا . وأمّا فصله بين (لدي) ، و(مني) ، بأن أحدهما اسم والآخر حرف ، فغير صحيح ؛ لأنه لو امتنع الحذف في [مَنِي وعَنِي ؛ لأنها حرفا معنى لامتنع في إني وأنني ، وَلَعَلِّي وَلَعَلَّنِي ، وكَأَنِّي وكَأَنَّنِي ، وليتني وليتي ، فلما لم يمتنع الحذف في] ^(١) النون من هذه الكلم وهي حروف ، دل أن الحذف في النون من مَنِي لم يمتنع من حيث كان حرفاً ، ولذلك لم يجر الحذف في لدي من حيث كان اسماً ، وليس في كون الكلمة اسماً ما يوجب الحذف منه أو يجوزه فيه ، بل ظاهر الأمر يوجب أن تبقى الزيادة في الاسم أولى ، إذ الاسم للزيادة أحمل ، وإنما امتنع الحذف في مني وعني ؛ لأن هذه النون [اجتلبت ليسلم به سكون الحرف كما] ^(٢) اجتلبت لتسلم به الحركة في ضربني ويضربني ، فحذفه هو خلاف ما قصدوا له وإبطاله ، والحذف في قدي إنما جاز في الشعر للضرورة ، والشاعر إذا اضطر حذف ، وردّ الكلمة إلى الأصل ، ولو اضطر فحذف في مني وعني لجاز ذلك أيضاً وكان أمثل من قدي ؛ لأنه مثلاً في قد ، وما لم تجتمع المتماثلة أو المتقاربة لم يحسن الحذف في الكلام ، وإنما يجيء في الضرورة ، ألا ترى أن ليت لما لم يجتمع المتماثلة فيه لم يحذف في الكلام ، وإنما جاء الحذف في بيت الكتاب . وأمّا قوله : «ولدن أثقل من مني ، فلذلك حذف» فليس بشيء أيضاً ، ألا ترى أنه قد حذف من قد وهو مثل : من في أنه على حرفين ، فليس الحذف في هذه الحروف معتبراً به لثقلها ولخفتها ، وإنما الإثبات في هذه الحروف لما ذكرت من أنه ليس السكون أو الحركة ، والحذف للضرورة إلا عند اجتماع الأمثال نحو : كأن ، وأن ، أو المتقاربة : كلعل ، فإن هذا يجوز في الكلام ، والأحسن في لدن ألا يحذف في الكلام ويلحق بباب قد» ^(٣) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومثبت في بقية النسخ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في الأصل .

(٣) الإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٧٢-٩٩٠ .

وروى أبو عبيدة عن الكسائي عن أبي بكر عن عاصم : (من لدن بضم اللام وتسكين الدال) ^(١) . قال ابن مجاهد : «وهو غلط» ^(٢) .

قال أبو علي : «يشبه أن يكون التخليط منه في وجه الرواية ، فأما من جهة اللغة ومقاييسها فهو صحيح ، ألا ترى أن عَضُد إذا خفف فتخفيفه على ضرين أحدهما : أن تحذف الضمة وتبقى فتحة الفاء على حالها ، فيقال : عَضُدٌ . والآخر : أن تلقى الحركة التي هي الضمة على الفاء ، وتحذف الفتحة فيقال : عَضُدٌ ^(٣) . وكذلك ^(٤) : أَرْنِي ، ولَدْنِي ، إلّا أن التخفيف في لدني مستقبح من حيث إنه امتناع بعد الحذف والنون ، وإن كسرت من أجل مجاورة الياء في نية سكون ، فكما أنه إذا سكنت النون لم يجز الإسكان في الدال ، كذلك إذا حركت وكانت في نية سكون ، ألا تراهم قالوا : لم يردد الرجل ؟ فلم يدغموا لما كان الآخر في نية سكون ، كما لم يدغموا إذا كان على لفظ السكون ، ووجه الجواز فيه ما مر من أنه قد يجري المنفصل مجرى المتصل في نحو : وَهُوَ ، وَلَهُ ، هذا الذي ذكرنا الكلام في وجوه القراءة ^(٥) . فأما حكم هذه الكلمة : فاعلم أن لدن اسم غير متمكن ، حذفت اللام منها في حال الإضافة إلى المظهر في نحو قولهم : مِنْ لَدُ الحائط . وقول الشاعر ^(٦) :

مِنْ لَدُ شَوْلٍ فَلِي إِتْلَائِهَا

- (١) السبعة ٣٩٧ ، والحجة في القراءات السبع ١٦٢ / ٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٧ .
- (٢) السبعة ٣٩٧ .
- (٣) الحجة في القراءات السبعة ١٦٢ / ٥ .
- (٤) في (ص) : (ولذلك) .
- (٥) السبعة ٣٩٧ ، والحجة في القراءات السبعة ١٦١ / ٥ ، والمبسوط ٢٣٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٦٩ / ٢ ، والنشر ٣١٣ / ٢ .
- (٦) هذا من مشطور الرجز لم أهد إلى قائله ، وقد ذكرته كتب اللغة بلا نسبة .
الشَّوْلُ : النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها ، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية ، وقيل غير ذلك . والإتلاء : مصدر أتلت الناقة إذا تلاها ولدها ؛ أي تبعها . انظر : الكتاب ١ / ١٣٤ ، وخزانة الأدب ٨٤ / ٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٦ / ٢٨٧ ، وسر صناعة الإعراب ٢ / ٥٤٦ ، والحجة في القراءات السبع ١٢٥ / ٥ ، وأوضح المسالك : ص ٤٩ ، والمقاصد النحوية ٢ / ٥١ ، ولسان العرب (لدن) ٧ / ٤٠٢٢ .

و^(١):

مِنْ لَدْ لَحِيهِ إِلَى مَنْحَوْرِهِ

وكان القياس ألا يحذف منه شيء لمشابهة الاسم للحرف في البناء ، والحروف لا تحذف إذا لم تكن مضاعفة ، وليس هنا تضعيف ، إلا أنه لما كان اسماً - وإن كان مشابهاً لحروف اللين - استجيز الحذف فيه في حال الإضافة إلى المظهر ، فألزم الرد في حال الإضافة إلى المضممر ، ليكون ذلك دلالة على أن الحذف لم يكن بقياس فيه ، فكأنه جرى مجرى الأشياء التي تحذف في اللفظ للتخفيف ، والمراد إثباتها ، فإذا اتصل بالمضممر رد إلى أصله كقولهم : أَعْطَيْتُكُمْوَهُ وَنَحْوَهُ ، كذلك قيل في هذا : من لدنه ولدنا . هذا كلام أبي علي^(٢) .

وقال ابن كيسان : «لَدْ ن حرف يَخْفِضُ ، وربما نُصِبَ بها ، وقال : وحكى البصريون : إنها تنصب غدوة خاصة من بين الكلام»^(٣) . وأنشدوا^(٤) :

ما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ لَدْ نْ غُدْوَةٌ حَتَّى دَنْتَ لَغْرُوبِ

(١) هذا عجز بيت لغيلان بن حريث يصف فيه فرساً أو بعيراً بطول العنق ، وصدره :

يَسْتَوْعِبُ الْبُوعَيْنِ مِنْ جَرِيرِهِ

للحي : العظم الأسفل من الشدق ، والمنحور والنحر : الصدر . انظر : الكتاب ٤ / ٢٣٤ ، والمخصص ١٤ / ٦٠ ، وشرح شواهد الشافية ١٦١ ، والإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني : ص ٩٦٩ ، واللسان (لدن) ٧ / ٤٠٢٢ .

(٢) الإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٦٩ - ٩٧١ .

(٣) تاج العروس (لدن) ١٨ / ٥٠٦ ، ولسان العرب (لدن) ٧ / ٤٠٢٢ .

(٤) البيت لأبي سفيان بن حرب . انظر : الحيوان ١ / ٣١٨ ، والدرر ٣ / ١٣٨ ، وجواهر الأدب ١٢٨ ، والروض الأنف ٣ / ١٦٤ ، والمقاصد النحوية ٣ / ٤٢٩ ، وتاج العروس (لدن) ١٨ / ٥٠٦ ، ولسان العرب (لدن) ٧ / ٤٠٢٢ .

وأجاز الفراء في (غُدْوَة) الرفع، والنصب، والخفض^(١). قال ابن كيسان: «مَنْ خَفَضَ بِهَا أَجْرَاهَا مَجْرَى: مَنْ، وَعَنْ، وَمَنْ رَفَعَ أَجْرَاهَا مَجْرَى مُذْ، وَمَنْ نَصَبَ جَعَلَهَا وَقْتًا، وجعل ما بعدها ترجمة عنها»^(٢). وإن شئت أضمرت كان، كما قال^(٣):

مِنْ لَدْ شَوْلًا فَلِإِإِتْلَائِهَا

أراد: مِنْ لَدْ كَانَتْ شَوْلًا. وحكى أبو عمرو عن أحمد بن يحيى، والمبرد أنها قالوا: «العرب تقول لَدُنْ غُدْوَةٌ، وَغُدْوَةٌ، وَغُدْوَةٌ، فَمَنْ رَفَعَ أَرَادَ: لَدُنْ كَانَتْ غُدْوَةٌ، وَمَنْ نَصَبَ أَرَادَ: لَدُنْ كَانَ الْوَقْتُ غُدْوَةٌ، وَمَنْ خَفَضَ أَرَادَ: مَنْ عِنْدَ غُدْوَةٍ»^(٤).

وقال أبو الفتح الموصلي: «إنهم شبهوا النون في لَدُنْ بالتنوين في ضارب فنصبوا غدوة، نحو: هذا ضارب زيداً، ووجهه الشبه بينهما اختلاف حركة الدال قبل النون، وذلك لأنه يقال: لَدُنْ، وَلَدُنْ بفتح الدال وضمها، فلما اختلفت الحركات قبل النون شابهت النون التنوين، وشابهت الحركتان قبلها باختلافهما حركات الإعراب في نحو: ضَارِبٌ، وضارباً، فلما أشبهت النون التنوين من حيث ذكرنا انتصب غدوة تشبيهاً بالمفعول، وكذلك شبه بعضهم غدوةً بالفاعل، فرفعها فقال: لَدُنْ غُدْوَةٌ، كما تقول: أقائم زيد؟ ومنهم مَنْ يلزم القياس فيها، فيجر بها فيقول: لَدُنْ غُدْوَةٌ»^(٥).

(١) سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٤٣، ولسان العرب (لدن) ٧/ ٤٠٢٢.

(٢) تاج العروس (لدن) ١٨/ ٥٠٦، ولسان العرب (لدن) ٧/ ٤٠٢٢.

(٣) سبق عزو البيت وتوثيقه.

(٤) تهذيب اللغة (لدن) ٤/ ٣٢٥٦، وتاج العروس (لدن) ١٨/ ٥٠٦، ولسان العرب (لدن) ٧/ ٤٠٢٢.

(٥) سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٤٢.

قال سيبويه : «ولا تنصب مع لدن غير غُدوة ، فلا تقول : لدن بكراً ؛ لأنها لم تكثر في كلامهم كثرة غُدوة»^(١) .

قال أبو الفتح : «ويزيد عندك في شبه نون لدن بتنوين اسم الفاعل ، أن العرب قد حذفتهما في بعض المواضع تخفيفاً ، فقالت : من لَدُ الحائط ، ولَدُ الصلاة ، وقد حذفوها أيضاً ولا ساكن بعدها . أنشد سيبويه^(٢) :

مِنْ لَدُ شَوْلًا فإِلَى إِتْلَائِهَا

فلما حذفت النون تارة ، وثبتت أخرى ، قوي شبه النون بالتنوين الذي حذف تارة وثبت أخرى»^(٣) .

وقال القاضي أبو سعيد السيرافي في^(٤) حكم لدن : «أن يخفض بها على الإضافة ؛ لأن النون من أصل الكلمة بمنزلة الدال من عند ، كما قال الله تعالى : ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل : ٦٠] ، ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود : ١] غير أن من العرب مَنْ ينصب بها ، وإنما يفعل ذلك ؛ لأنه ينزع النون عنها فيقال : لَدُ ، فشبهت الأصلية بالزائدة حين ثبتت في حال وسقطت في حال ، كما ثبتت الزائدة في حال وسقطت في حال»^(٥) .

وكنت قد وعدت في أول هذه السورة ، عند قوله : ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾ [الكهف : ٢] بسط الكلام في هذا الحرف ، وقد ذكرت ذلك على حد الإيجاز ، والله المستعان .

(١) الكتاب لسيبويه ١/ ٢١٠ ، ٣/ ١١٩ .

(٢) سبق عزو البيت وتوثيقه .

(٣) سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٤٦ .

(٤) قوله : (في) : ساقط من نسخة (ص) .

(٥) ذكر نحوه بلا نسبة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٤٦ ، والإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٦٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٣ .

٧٧. قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية^(١) في قول ابن عباس^(٢)، والأيلة في قول ابن سيرين^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَابْتَوَا أَن يَضَيِّقُوهُمَا﴾. روى أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «كانوا أهل القرية لثاماً»^(٤). والتضييق والإضافة فيه بمعنى واحد، يقال: ضافه وتضيّفه إذا نزل به وصار له ضعيفاً، وأضافه وتضيّفه إذا أنزله وقراه، وأصل هذا في اللغة: من الميل والإمالة، يقال: ضاف يضيف إذا مال، وأضافه إذا أماله، يقال: هذا مضاف إلى كذا؛ أي ممال إليه، ومنه قيل للدّعي: مضاف؛ لأنه مستند إلى قوم ليس منهم^(٥).

(١) أنطاكية (بافتتح ثم السكون): قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة، والحسن، وطيب الهواء، وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه، وسعة الخير، قيل: إن أول من بناها وسكنها أنطاكية بنت الروم بن اليقن بن سّام بن نوح عليه السلام، وقيل: إن أول من بناها أنطيوخونيا في السنة السادسة من موت الإسكندر ولم يتمها، فأتمها بعد سلوقوس، وقيل غير ذلك، وفتحها أبو عبيدة بن الجراح سار إليها من حلب، وألزم أهلها بالجزية. انظر: معجم البلدان ٢٦٦/١.

(٢) معالم التنزيل ١٩٢/٥، وذكر في المحرر الوجيز ٢٧٠/٩ من دون نسبة، وزاد المسير ١٧٥/٥.

(٣) جامع البيان ٢٨٨/١٥، ومعالم التنزيل ١٩٢/٥، والمحرر الوجيز ٢٧٠/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٤/١١.

(٤) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (ضاف) ٢٠٨٠/٣، والقاموس المحيط (الضيف) ٨٣٠، ومقاييس اللغة (ضيف) ٣/٣٨٠، والصحاح (ضيف) ٤/١٣٩٢.

ومنه قوله ﷺ في النهي عن الصلاة : «إذا أضعفت الشمس للغروب»^(١) . أي مالت .

قال أبو عبيد : «ومنه سمي الضَّيْف ضيفاً ، يقال : ضِيفْتُ فلاناً إذا ملت إليه ، وأضعفته : إذا أَمَلْتَهُ إِلَيْكَ»^(٢) . ومن الناس مَنْ فرق بين التضييف والإضافة ، قال شمر : «سمعت رجاء بن أبي سلمة^(٣) يقول : التَّضْيِيفُ الإطعام ، تقول : ضَيَّفْتَهُ إذا أَطْعَمْتَهُ ، وأضافه إذا لم يُطْعِمَهُ . وقال في هذه الآية معناه : فأبوا أن يطعموهما»^(٤) .

وقال أبو الهيثم : «هما عندنا بمعنى واحد»^(٥) . وقال الفرَّاء في هذه الآية : «لو قُرِئَتْ يُضَيِّفُوهُمَا كان صواباً»^(٦) .

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ، باب الدفن عند طلوع الشمس وعند غروبها ٣/ ٥٣١ ، والترمذي في كتاب الجنائز ، باب كراهية الصلاة على الجنازة عند طلوع الشمس وعند غروبها ٣/ ٣٤٨ ، وقال : «حديث حسن صحيح» ، والنسائي في كتاب الجنائز ، باب : الساعات التي تُجْهِى عن إقبار الموتى فيهن ٤/ ٦٢ ، وابن ماجه في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الأوقات التي لا يصلح فيها على الميت ولا يدفن ١/ ٤٨٦ ، والإمام أحمد ٤/ ١٥٢ ، وأورده الألباني في إرواء الغليل ٢/ ٢٣٦٨ ، وقال : صحيح .

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٢ ، وتهذيب اللغة (ضاف) ٣/ ٢٠٨٠ .

(٣) رجاء بن أبي سلمة مهران أبو المقدم الفلسطيني ، نزل البصرة ثم تحول إلى الشام ، روى عن عمر بن عبد العزيز ، وعمر بن شعيب ، والزهرى ، وغيرهم ، وروى عنه ابن عون ، وابن عتبة ، وبشر بن المفضل وغيرهم ، وثقه العلماء ، وكان من أفاضل أهل زمانه ، توفي - رحمه الله - سنة ١٦١هـ ، وله من العمر سبعون سنة . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٥٠٣ ، والكشاف ١/ ٣٠٨ ، وحلية الأولياء ٦/ ٩٢ ، وتهذيب الكمال ٩/ ١٦١ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٣١ .

(٤) تهذيب اللغة (ضاف) ٣/ ٢٠٨١ ، ولسان العرب (ضيف) ٥/ ٢٦٢٥ .

(٥) تهذيب اللغة (ضاف) ٣/ ٢٠٨١ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٥ .

وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ هو الجَدْرُ، والجِدَارُ، ومنه الحديث: «حتى يبلغ الماء الجَدْرَ»^(١). ومكان جَدِير ومجدور: قد بني حواليه جدار، وأصله من الرفع، ومنه: أجدرت الشجرة إذا أخرجت في الربيع وأطلعت، ومنه: الجدري^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ الإرادة في صفة الجدار مجاز عند جميع أهل المعاني، ومعناه: قرب أن ينقض، وذلك على التشبيه بحال مَنْ يريد أن يفعل^(٣).

قال الفرّاء: «وذلك من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط»^(٤). ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]، يريد: أن إضافة السكوت إلى الغضب، والعزم إلى الأمر، كإضافة الإرادة إلى الجدار.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه ١٧١/٣، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه ﷺ ١٨٢٩/٤، وأبو داود في سننه في كتاب الأقضية، أبواب: من القضاء ٥١/٤، والترمذي في جامعه في كتاب الأحكام، باب ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء ٦٤٤/٣، والنسائي في سننه في كتاب آداب القضاة، باب الرخصة للحاكم الأمين أن يحكم وهو غضبان ١٧٣/٨، والإمام أحمد في مسنده ٥/٤.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (جدر) ٥٥٧/١، ومقاييس اللغة (جدر) ٤٣١/١، والقاموس المحيط (الجدار) ٣٦٢، والصحاح (جدر) ٦٠٩/٢.

(٣) النكت والعيون ١٧٥/٣، والمحرم الوجيز ٣٧١/٩، والكشاف ٣٩٨/٢، والبحر المحيط ١٥١/٦. ذهب قوم إلى منع المجاز في القرآن؛ إذ قال الشنقيطي في أضواء البيان ١٧٩/٤: «وزعم مَنْ لا علم عنده: أن هذه الأمور لا حقيقة لها، وإنها هي ضرب أمثال زعم باطل، لأن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلّا بدليل يجب الرجوع إليه، وبذلك تعلم أنه لا مانع من إبقاء إرادة الجدار على حقيقتها، لإمكان أن يكون الله علم منه إرادة الانقضاض وإن لم يعلم خلقه تلك الإرادة، مع أنه من الأساليب العربية إطلاق الإرادة على المقاربة والميل إلى الشيء».

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١٥٦/٢.

وقال الكسائي : «قوله للجدار : ﴿يُرِيدُ﴾ من أفصح كلام العرب ، وإنما إرادة الجدار ميله»^(١) .

قال أبو عبيد : «وهذا كقوله ﷺ : «لا تتراءى ناراهما»^(٢) . وإنما هو أن تكون ناران كل واحدة من صاحبتها بالموضع الذي لو قام فيه إنسان رأى الأخرى في القرب»^(٣) .

وقال ابن قتيبة : «الجدار إذا أشرف على الانهيار يقال فيه : جدار يهم أن ينقض ، أو يكاد ، أو يقارب ، وأياً ما يقال فقد جعل فاعلاً ، ولا يوصل إلى هذا المعنى إلا بمثل هذه الألفاظ . قال : والعرب تقول بأرض بني فلان شجر قد صاح ، إذا طال وتبين للناظر بطوله جعلوه كأنه صائح ، لأن الصائح يدل على نفسه بصوته»^(٤) . ويقال : شجر واعد إذا نور ؛ كأنه لما نور وعد أن يثمر ، وكل هذا مجاز كلام العرب واستعارتهم ، وأنشد أبو عبيدة في مثل هذه الآية^(٥) :

يريدُ الرمحُ صدرَ أبي براءٍ ويرغبُ عن دماءِ بني عُقَيْلٍ

(١) ذكر نحوه بلا نسبة الكشف ٣٩٨/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥/١١ ، والبحر المحيط ١٥١/٦ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد ، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود ١٠٤/٣ ،

والترمذي في جامعه ، كتاب السير ، باب ما جاء كراهية المقام بين أظهر المشركين ١٣٢/٤ ، والنسائي

في كتاب القسامة ، باب القود بغير حديدة ٢٦/٨ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٠٩/١ ، والحاكم

في المستدرک ١٤١/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأحمد في مسنده ٣٦٥/٤ ، والطبري في جامعه

٢٩٠/١٥ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٣٢/١٠ ، وقال عنه الألباني في إرواء الغليل ٢٩/٥ :

صحيح .

(٣) جامع البيان ٢٩٠/١٥ .

(٤) تأويل مشكل القرآن ١٣٢ .

(٥) البيت للحارثي .

انظر : مجاز القرآن ٤١٠/١ ، وجامع البيان ٢٨٩/١٥ ، والنكت والعيون ٣٣١/٣ ، والكشاف

٣٩٨/٢ ، والقرطبي ١٦٨/١ ، ولسان العرب (رود) ١٧٧٢/٣ .

وأنشد الفرّاء^(١) :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجَمَلٍ لَزِمَانُ يَهْمٌ بِالْإِحْسَانِ
وأنشد أبو عبيد لذي الرمة ، يذكر حوضاً دارساً قد كان^(٢) :

... قَدْ هَمَّ بِالْبُيُودِ

(١) البيت ينسب إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه .

الشَّمْلُ : الاجتماع ، يقال : جمع الله شملك ، وجمع الله شملهم ؛ أي ما تشئت من أمرهم . والجُمْلُ : جماعة الشيء ، وأجل الشيء : جمعه عن تفرقه . انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٥٦/٢ ، وجامع البيان ٢٨٩/١٥ ، والكشف والبيان ٣/٣٩١ ب ، والكشاف ٢/٣٩٨ ، وزاد المسير ٥/١٢٣ ، وروح المعاني ٦/١٦ ، وتهذيب اللغة (دهر) ٢/١٢٤٠ ، ولسان العرب (دهر) ٣/١٤٣٩ .

(٢) هذا شطر من بيت لذي الرمة يقول فيه :

مَنْ عَطِنَ قَدْ هَمَّ بِالْبُيُودِ طَلَاوَةٌ مِنْ جَائِلٍ مَطْرُودِ
بيد : باد الشيء بييداً : إذا انقطع وذهب ، وباد يبيد إذا هلك . انظر : ديوان شعر ذي الرمة ١٦٠ ، وجامع البيان ١٥/٢٩٠ .

ومثل هذا كثير مستفيض في كلامهم . وقال أبو إسحاق : «الجدار لا يريد إرادة حقيقية ، إلا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت ، كما تظهر أفعال المرادين القاصدين ، فوصف بالإرادة إذا كانت الصورتان واحدة»^(١) . وأنشد الراعي يصف إبلاً^(٢) :

في مهمةٍ فلقْتُ بهِ هامأُها فلقَ الفؤوسِ إذا أردنَ نُصولاً

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يَنْقُضَ﴾ . معنى الانقضاخ : السقوط بسرعة . يقال : انقض الحائط إذا وقع ، وانقض الطائر إذا هوى من طيرانه ليسقط على شيء . وقال الليث : «يقال : قضضنا عليهم الخيل فانقضت عليهم ؛ أي أوقعنا عليهم فوقع ، وأنشد»^(٣) :

قَضُوا غَضاباً عَلَيْكَ الْخَيْلَ مِنْ كَثْبِ

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٦ . قال الطبري ١٥/ ١٨٧ : «والذي نقول به في ذلك : أن الله - عز

ذكره - بلطفه جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائرهم مما لا تحسه أبصارهم ، وقد علمت أن معناه قد قارب من أن يقع أو يسقط ، وإنما خاطب - جَل ثناؤه - بالقرآن مَنْ أنزل الوحي بلسانه وقد عقلوا ما عني به ، وإن استعجم عن فهمه ذو البلادة والعمى ، وضل فيه ذو الجهالة والغيا» .

(٢) البيت لعبيد بن حصين النميري الراعي . انظر : ديوانه ١٢٨ ، وجامع البيان ١٥/ ٢٩٠ ، والكشاف ٢/ ٣٩٨ ، والقرطبي ١١/ ٢٦ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٥٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٦ ، ووضح البرهان في مشكلات القرآن ٢/ ٣٩ ، ولسان العرب (رود) ٣/ ١٧٧٢ .

(٣) لم أهتم إلى قائله ، وقد ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (قض) ٣/ ٢٩٨٢ ، ولسان العرب (قضض) ٦/ ٣١٦١ .

وهذا قول مجاهد في هذه الآية : «يريد أن يسقط»^(١) .

وقال آخرون : «معنى ﴿يَنْقُضْ﴾ ينكسر ، يقال : قضضت الشيء ، إذا كسرتة ودققته ، ومنه قيل للحصى الصغار : قضض»^(٢) . وكلا اللفظين ذكرهما المفسرون في تفسير ﴿يَنْقُضْ﴾ فقالوا : «ينكسر ويسقط» ، وذكرهما ابن قتيبة^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَأَقَامَهُ﴾ . روى ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : «انتهى إلى جدار مائل فدفعه بيده فقام»^(٤) .

وقال مجاهد : «مسحه بكفه حتى استوى»^(٥) .

ومعنى أقامه : سواه ، وذلك أن قوله : ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ معناه : مال ، كأنه قال : فوجدا جداراً قد مال فأقامه . فقال موسى : ﴿لَوْ شِئْتُ لَنَخَذْتُ عَلَيْهِ﴾ ؛ أي على إقامته وإصلاحه ﴿أَجْراً﴾ . قال الفرّاء : «لو شئت لم تقمه حتى يقرونا فهو الأجر»^(٦) .

وقال أبو إسحاق : «وذلك أنها لما نزلت القرية لم يضيفها أهلها ، فقال موسى : لو شئت لأخذت أجره إقامتك هذا الحائط»^(٧) .

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٩٠ / ١٥ ، وبحر العلوم ٣٠٨ / ٢ ، والمحرو الوجيز ٣٧٤ / ٩ ، ومعالم التنزيل ١٩٣ / ٥ ، والكشاف ٤٩٤ / ٢ ، وزاد المسير ١٧٦ / ٥ .

(٢) تهذيب اللغة (قض) ٢٩٨٢ / ٣ ، والقاموس المحيط (قضض) ٦٥٢ ، والصاحح (قض) ١١٠٢ / ٣ .

(٣) تفسير غريب القرآن : ص ٢٦٩ ، والنكت والعيون ١٧٥ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥ / ١١ .

(٤) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة .

(٥) ذكر نحوه البغوي ١٩٣ / ٥ ، ونسبه إلى سعيد بن جبير ، وكذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧٤ / ٩ ،

والقرطبي ٢٧ / ١١ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤٢٩ / ٤ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ١٥٦ / ٢ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣٠٦ / ٣ .

وروى هارون بن عنترة^(١) عن أبيه عن ابن عباس في هذه الآية قال : «كان قول موسى في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا ، وكان قوله في السفينة وفي الغلام لله»^(٢) .

وقراءة العامة : ﴿لَتُخَذَّتْ﴾ ، افتعلت من الأخذ . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : لَتُخِذَتْ^(٣) . وهي قراءة مجاهد ، واختار أبي زيد الأنصاري قال : «وكذلك هو مكتوب في الإمام ، ومن قرأ : لاتخذت ، فإنه يخالف الكتابة»^(٤) .

قال الليث : «يقال : اتَّخَذَ فلان يَتَّخِذُ اتِّخَاذًا ، ويقال : تَخَذَ يتخذ تَخَذًا ، وتَخَذْتُ ما لا كسبته ، ألزمت التاء الحرف كأنها أصلية»^(٥) . قال الفرّاء : «وأصلها اتَّخَذَ افْتَعَلَ»^(٦) .

(١) هارون بن عنترة بن عبد الرحمن الشيباني ، أبو عبد الرحمن بن أبي وكيع الكوفي ، تابعي ثقة ، روى عن أبيه ، وعن عبد الرحمن بن الأسود ، وسعيد بن جبير ، ومحارب بن دثار ، وروى عنه ابنه عبد الملك ، وعمر بن مرة ، وسفيان الثوري وغيرهم ، وثقه أكثر العلماء ، توفي - رحمه الله - سنة ١٤٢ هـ . انظر : الثقات لابن حبان ٥٨٢ / ٧ ، والكاشف ٢١٤ / ٣ ، والجرح والتعديل ٩٢ / ٩ ، وتهذيب التهذيب ١٠ / ١١ ، وميزان الاعتدال ٢٨٤ / ٤ .

(٢) زاد المسير ١٧٨ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٣ / ١١ ، والبحر المحيط ١٥٣ / ٦ ، وروح المعاني ٨ / ١٦ .

(٣) قرأ نافع ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي ، وعاصم (لَتُخَذَّتْ) ، وكلهم أدغم إلا ما روى حفص من عاصم ؛ فإنه لم يدغم ، وقرأ أبو عمرو ، وابن كثير (لَتُخِذَتْ) بكسر الخاء ، وكان أبو عمرو يدغم الذال ، وابن كثير يظهرها . انظر : السبعة ٣٩٦ ، والحجة في القراءات السبع ١٦٣ / ٥ ، والتبصرة ٢٥٠ ، والعنوان في القراءات ٢٤ ، والنشر ٣١٤ / ٢ .

(٤) تهذيب اللغة (أخذ) ١٣٠ / ١ ، ولسان العرب (أخذ) ٣٧ / ١ .

(٥) تهذيب اللغة (أخذ) ١٣٠ / ١ ، ولسان العرب (أخذ) ٣٧ / ١ ، وتاج العروس (أخذ) ٣٤٥ / ٥ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ١٥٦ / ٢ .

وحكى^(١) النضر : «اسْتَخَذْتُ عَلَيْهِمْ يداً ؛ أَيِ اتَّخَذْتُ»^(٢) . ومثل هذا حكى
سيبويه : «استخذ فلان أرضاً»^(٣) .

قال أبو علي الفارسي : «وتأويله على أمرين ؛ أحدهما : أنه اتخذ ، فأبدل السين
من التاء الأولى . والآخر : أنه استفعل من (تخذ) فحذف التاء التي هي فاء من
(تخذت)^(٤) . وكلهم أنشدوا^(٥) :

وقَدْ تَخَذْتُ رَجُلِي إِلَى جَنْبِ غَرْزِهَا نَسِيفاً كَأُفْحُوصِ الْقِطَاةِ الْمَطَرَقِ

فحصل من هذا أن تَحْذُ لغة بمعنى اتخذ ، وأصله : اتخذ ، على ما قال الفراء ،
كأنهم لما رأوا التاء في (اتخذ) ظنوها أصلية ، فقالوا في الثلاثي : اتخذ ، كما قالوا :
اتقى من (يتقي)^(٦) .

قال أبو إسحاق : «وأصل تَحْذُ : أَخَذْتُ»^(٧) . وأنكر عليه أبو علي ، وقال :
«تَحْذُ فعلت وأَخَذْتُ فعلت ، وإبدال الحرف من الكلمة ليس يوجب تغيير

(١) في (ص) : (حلي) ، وهو تصحيف .

(٢) تاج العروس (أخذ) ٥ / ٣٤٥ ، ولسان العرب (أخذ) ١ / ٣٧ .

(٣) الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٨٣ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥ / ١٦٣ .

(٥) البيت للممقز العبدى ، واسمه شأس بن نهار .

غرزها : الغرز للناقة مثل الخزام للفرس ، والنسيف : أثر ركض الرجل بجني البعير . والأفحوص :
المبيض . والمطرَق : وصف للقطاة إذا حان خروج بيضها . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥ / ١٦٣ ،
والخصائص ٢ / ٢٨٧ ، والأصمعيات ٦٥ ، والحيوان ٢ / ٢٩٨ ، ومجالس العلماء للزجاجي ٣٣٣ ،
والإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٩٣ ، وتهذيب اللغة (نسف) ٤ / ٣٥٦٢ ، ولسان العرب
(فحص) ٦ / ٣٣٥٦ .

(٦) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٣ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ١٩٨ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٠٧ .

بنائها عما كان عليه قبل البدل ، لكن ينبغي أن يحافظ على البناء الأول ، ليكون أدل على أنه قد أبدل منه شيء ، ولا يظن أنه بناء آخر وصياغة أخرى»^(١) .

وقال ابن الأنباري : «العرب تجعل تَحَذَّ وَتَحَذَّ مستغنياً عما سقط منه ، قائماً بنفسه ، جارياً مجرى طعم أطعم ، وعلمت أعلم ، وبنوا يقنت على أيقنت ، واتقى على يتقى ، فلم يغيروا شيئاً من ماضيه ولا مستقبله ليجرى مجرى ما الساقط مظهر معه ، وهو بالأفعال ، وهذا لافتنائهم وإسباغ مبانيهم في لغاتهم»^(٢) .

وقال أبو العباس : «الاختيار لا تخذت ؛ لأنه هو أصل الحرف يعرى من الحذف واللبس ، قال : والقراءة الأخرى من لغة معروفة»^(٣) .

٧٨ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ معناه : هذا الذي عليه فراق بيني وبينك ، هذا الكلام ، والإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا^(٤) . وذلك أن موسى قد كان قال له : ﴿ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ الآية . وقيل معناه : «هذا وقت فراق بيني وبينك»^(٥) .

وقال الزجاج : «المعنى هذا فراق بيننا ؛ أي هذا فراق اتصالنا ، وكرر «بين» تأكيداً ، ومثل هذا من الكلام : أخزى الله الكاذب مني ومنك»^(٦) . قال ابن الأنباري : «ويجوز أن يكون «بين» هاهنا ظرفاً وموضعاً»^(٧) . فلما قال

(١) الإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٩٢ .

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٢ .

(٣) ذكر نحوه تهذيب اللغة (أخذ) ١/ ١٣٠ ، ولسان العرب (أخذ) ١/ ٣٧ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٩٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣١ ، والكشاف ٢/ ٣٩٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٧ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٩٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣١ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٤ .

(٧) ذكر نحوه التفسير الكبير ٢١/ ١٥٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٢ ، وروح المعاني ١٦/ ٨ .

الخضر هذا أخذ موسى بطرف ثوبه فقال : حدثني . فقال الخضر : ﴿ سَأُنَبِّئُكَ ﴾ الآية^(١) .

٧٩ . ثم فسر له فقال : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ . هذه الآية دلالة على أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين ؛ لأن الله - تعالى - أخبر أنهم كانوا مساكين مع أنهم كانوا يملكون سفينة وهي تساوى جملة من الدنانير^(٢) ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ الآية [التوبة : ٦٠] ، ويجوز أن تكون المسكنة هاهنا لم يعن بها الفقر وقلة ذات اليد ، لكن أريد بها عدم الناظر وانقطاع الحيلة ، كما يقال للذي يظلمه عدوه : مسكين فلان . يراد بالمسكين المستضعف المهتضم ، وإن كان كثير المال واسع الملك .

ومن هذا الباب ما روي في الحديث : «مسكين من لا زوجة له»^(٣) . يعني في العجز عن الصبر في بعض الأحوال وضعف الحيلة ، وإن كان له مال كثير^(٤) .

(١) معالم التنزيل ١٩٣/٥ ، وروح المعاني ٨/١٦ .

(٢) معالم التنزيل ١٩٤/٥ ، والمحزر الوجيز ٣٧٦/٩ ، والنكت والعيون ٣/٣٣٢ .

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب النكاح ، باب الحث على النكاح ٢٥٢/٤ ، وقال : «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات إلا أن أبا نجیح لا صحبة له» ، وأورده أيضاً ابن الأثير في جامع الأصول في كتاب النكاح ، باب في الحث على النكاح والترغيب فيه ٤٢٩/١١ ، والترغيب والترهيب للمنزري ٦٧/٣ ، وقال : «ذكره رزين ولم أره في شيء من أصوله» ، وذكره الماوردی في النكت والعيون ٣/٣٣٢ ، ومنتخب الكنز بحاشية مسند الإمام أحمد ٦/٣٩٠ .

(٤) المحزر الوجيز ٣٧٧/٩ ، والنكت والعيون ٣/٣٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٤/١١ ، وروح المعاني ٩/١٦ . قال ابن عطية في تفسيره ٣٧٧/٩ : «وتحریر هذا عندي أنها لفظان يدلان على ضعف الحال جداً ، ومع المسكنة انكشاف وذل وسؤال ، ولذلك جعلها الله صنفين في قسم الصدقات» .

وقوله تعالى : ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ . قال مجاهد : «أخرقها»^(١) . وعَابَ في اللغة يكون على معانٍ ثلاثة ؛ يقال : عَابَ فلان فلاناً يعيبه عَيْباً ، ورجل عَيْيَاب ، وعاب الحائط ، والشئ إذا صار ذا عيب^{(٢)(٣)} .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ . أكثر أهل العلم من المفسرين وأصحاب المعاني قالوا : ﴿وِرَاءَهُمْ﴾ هاهنا معناها أمامهم^(٤) . وكذا كان ابن عباس يقرأ : «وكان أمامهم ملك»^(٥) . ووراء بمعنى : أمام ، ورد كثيراً في التنزيل والشعر ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِنْ وِرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم : ١٧] ، ﴿وَمِنْ وِرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] ، وقول لبيد^(٦) :

أليس ورائي إن تراخت منيتي

-
- (١) جامع البيان ١/١٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٠ .
- (٢) في (س) قال : «وعبته أنا» ، وقال أبو الهيثم : «ومنه قوله تعالى : ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ؛ أي أجعلها ذات عيب» .
- (٣) انظر : تهذيب اللغة (عاب) ٣/ ٢٢٦٣ ، ومقاييس اللغة (عيب) ٤/ ١٨٩ ، والصحاح (عيب) ١٩٠ / ١ .
- (٤) جامع البيان ١/١٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٢ ، والكشاف ٢/ ٣٩٩ .
- (٥) جامع البيان ١/١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٤ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٣٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٤/ ١١ .
- (٦) هذا صدر بيت للبيد بن ربيعة ، وعجزه :
لزوئ العصا تُحنى عليها الأصابع
انظر : ديوانه ٨٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٣٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٥ ، وتهذيب اللغة (ورى) ٤/ ٣٨٧٨ ، ولسان العرب (ورى) ٨/ ٤٨٢٣ .

وهذا قول أبي حاتم ، وأبي عبيد ، وابن السكيت ، وأبي عبيدة ، والفرّاء ،
والزّجاج^(١) ، وذكرنا هذا في سورة إبراهيم^(٢) .

وأشدد أبو عبيدة لسوار بن المضرب السعدي^(٣) :

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تيمم والقلاة ورائيا
أي أمامي^(٤) . قال : ووراء الرجل خلفه ، ووراءه قدامه ، وأشدد أيضاً^(٥) :

أليس ورائي أن أدب على العصا فيأمن أعدائي ويسأمني أهلي

ولا خلاف بين أهل اللغة أن وراء يجوز أن تكون بمعنى قدام ، واختلفوا في
معنى ذلك ، فقال الفرّاء : « لا يجوز أن يقال لرجل بين يديك : هو وراءك ، إنما
يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والليالي والدهر ، تقول : وراءك برد شديد ، وبين
يديك برد شديد ، جاز الوجهان ؛ لأن البرد إذا لحقك صار من ورائك ، وكأنك
إذا بلغته كان بين يديك »^(٦) .

(١) مجاز القرآن ١/ ٤١٢ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٥٧ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٣/ ٣٠٥ ، وإعراب

القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٤ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ . وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ
وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٧] .

(٣) البيت لسوار بن المضرب السعدي . انظر : مجاز القرآن ١/ ٤١٢ ، وجامع البيان ١٦/ ١ ، والنكت
والعيون ٣/ ٣٣٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٣٧ ، والكامل ٢٨٩ ، وجهرة اللغة
١/ ٢٣٦ ، ولسان العرب (وري) ٨/ ٤٨٢٣ .

(٤) مجاز القرآن ١/ ٤١٢ .

(٥) البيت لعروة بن الورد . انظر : ديوانه ١١٤ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٩ ص ، والبحر المحيط
٦/ ١٥٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٣٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٩ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٥٧ .

وقال غيره : «يجوز استعمال وراء بمعنى أمام على الاتساع ؛ لأنها جهة مقابلة لجهة ، فكأن كل واحد من الجهتين وراء الآخر ، إذا لم يرد معنى المواجهة ، ويجوز ذلك في الأجسام التي لا وجه لها مثل : حجرين متقابلين كل واحد منها وراء الآخر»^(١) .

وأكثر أهل اللغة على أن وراء من الأضداد .

قال أبو علي : «وقد حكى متقدمو أهل اللغة وقوع الاسم على الشيء وعلى ضده ، وصنفوا فيه الكتب ؛ كقطرب ، والتوّزي^(٢) ، ويعقوب وغيرهم ، وربما أنكر ذلك بتعسف وتأويلات غير سهلة ، وليس ينكر أن اللفظ الواحد يقع على الشيء وعلى خلافه ، فلذلك لا ينبغي أن ينكر وقوعه على الشيء وضده ؛ لأن الضد ضرب من الخلاف ، فإن زعموا أن ذلك يلبس [فهو في الخلاف أيضاً يلبس]»^{(٣)(٤)} .

(١) البحر المحيط ٦/ ١٥٤ ، ونسبه إلى أبي علي ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٦ ، وروح المعاني ١٠/ ١٦ .

(٢) عبدالله بن ثابت بن يعقوب بن قيس بن إبراهيم ، أبو محمد العباسي النحوي التوزي نسبةً إلى تَوْزَ مدينة في فارس عند بحر الهند ، سكن بغداد ، وروى عن أبيه عن هذيل بن حبيب تفسير مقاتل بن سليمان ، وروى عن عمر بن شبة النميري ، وروى عنه أبو عمر بن السكّ ، وُلد سنة ٢٢٣هـ ، وتوفي - رحمه الله - سنة ٣٣٠هـ ، ودُفن بالرملة . انظر : إنباه الرواة ٢/ ١١٢ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ٢/ ٢٦ ، وطبقات القراء ١/ ٤١١ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٩٩ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٧ .

وروى الأزهري بإسناده عن ابن السكيت قال : « وراء ، وأمام ، وقدام يؤنثن ويُدَكَّرن ، ويصغر أمام فيقال : أُمِّم ذلك وأُمِّمَة ، وقُدِّدِم ذلك وقديديمه ، وهو ورِيء ذلك ^(١) الحائط ، وورِيئة الحائط » ^(٢) .

قال أبو علي : « اللام من هذه الكلمة همزة ، والقول في تحقيرها : وُرِيَّةٌ مثل : ودِيعَة ، حكى ذلك أبو عثمان وغيره ، ولو كان من باب الوري والتواري لكان تحقيره : وريَّةً ، قال : ومن نادر ما جاء في هذه الكلمة دخول الهاء في تحقيرها مع أنها على أربعة أحرف ، وكذلك دخلت في قُدِّدِمة تحقير قُدَّام ، وأنشد ^(٣) :

قُدِّدِمةُ التجريبِ والحِلْمِ إنني أرى غَفَلاتِ العيشِ قبلَ التجاربِ

وما كان على أربعة أحرف لا تدخله هاء التأنيث ^(٤) ، كما تدخل عامة ما كان على ثلاثة أحرف ، وذلك أن الحرف الأصلي قام مقام الزائد ، كما قام مقامه في قولهم : لم يَغْزُ ، ولم يَزَمْ ، ولم يَخْشَ ، ألا ترى أن هذه اللامات حذفت كما تحذف الحركات للجزم ، فأما دخولها على قُدِّدِمة ، وُورِيَّةٍ فمن الأشياء التي شذت فتد إلى الأصل المرفوض نحو : استحوذ ، والقصوى ، والقود ^(٥) . وهذا الذي ذكره أبو علي خلاف ما ذكره ابن السكيت ؛ لأنه لم يجعل الهمز أصلاً ^(٦) .

(١) قوله : (ذلك) : ساقط من (ص) .

(٢) تهذيب اللغة (ورى) ٣٨٧٨ / ٤ .

(٣) البيت للقطامي . انظر : ديوانه ٤٤ ، وخزانة الأدب ٨٦ / ٧ ، والمقتضب ٢٧٣ / ٢ ، وشرح المفصل ١٢٨ / ٥ ، واللمع في العربية ٣٠٣ ، ولسان العرب (قدم) ٣٥٢ / ٦ .

(٤) في نسخة (ص) : (في التحقير) .

(٥) الحجة للقراء السبعة ١٨٨ / ٥ .

(٦) تهذيب اللغة (ورى) ٣٨٧٨ / ٤ .

قال أبو علي : «وراء معرفة لا يصرف للتأنيث والتعريف»^(١) . والآية تدل على أن معنى وراء أمام ؛ لأنه لو كان بمعنى خلف كانوا قد جاوزوه فلا يأخذ سفيتهم . واختار الزجاج أن يكون وراء بمعنى : خلفهم قال : هذا أجود الوجهين ، وعلى هذا قال : يجوز أن يكون : كان رجوعهم في طريقهم عليه ، ولم يكونوا عالمين بخبره ، فأعلم الله الخضر خبره حتى عاب السفينة لتسلم من الغصب»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ . قال أهل المعاني : «أراد كل سفينة صالحة»^(٣) . وكذا كان يقرأ ابن عباس ، وأبي ، وحذفت في قراءة الناس للعلم بها»^(٤) .

وروي في حديث أبي عن النبي ﷺ في هذه القصة : «أن الخضر قال»^(٥) : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ، فإذا مرت عليه فرآها منخرقة تركها ، ورقعها أهلها بقطعة خشب فانتفعوا بها»^(٦) .

٨٠ . قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ الآية . روى ابن عباس عن أبي بن كعب قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : في قوله : ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ قال : كان (طبع يوم طبع) كافراً ، وكان قد

(١) الحجة للقراء السبعة ١٩٠ / ٥ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٠٥ / ٣ .

(٣) بحر العلوم ٣٠٩ / ٢ ، وزاد المسير ١٧٩ / ٥ ، وروح المعاني ١٠ / ١٦ ، وفتح القدير ٤٣٧ / ٣ .

(٤) جامع البيان ٣ / ١٦ ، والكشف والبيان ٣ / ٣٩١ ب ، وبحر العلوم ٣٠٩ / ٢ ، وزاد المسير ١٧٩ / ٥ ، والبحر المحيط ١٥٤ / ٦ ، والدر المنثور ٤٣٠ / ٤ .

(٥) قوله : (قال) : مكرر في نسخة (ص) .

(٦) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة .

ألقي عليه محبة من أبويه»^(١). «لأرهمقهما طُغْيَاناً وَكُفْرًا» وكذا كان يقرأ ابن عباس ، وأبي : «وَأَمَّا الْغُلَامُ كَانَ كَافِرًا ، وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ»^(٢).

وقوله تعالى : ﴿فَخَشِينَا﴾ ؛ قال الفرّاء «فعلمنا»^(٣). وهو قول ابن عباس في رواية عطاء^(٤). وهي قراءة أبي : (فخاف ربك)^(٥) على معنى : علم ربك ، وذكرنا الخوف بمعنى : العلم عند قوله : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ﴾ الآية [البقرة : ١٨٢]. وقال قطرب والأخفش : «معناه فكرهنا»^(٦).

قال أبو إسحاق : «الخشية من الله معناها الكراهة ، ومعناها من الأدميين الخوف»^(٧). قال ابن الأنباري : «الخشية صلحت خبراً عن الله بمعنى الكراهية ، فإذا وصف المخلوق بها أفادت هلعاً وفرعاً ، وإذا أخبر بها عن الخالق دلت على تأويل الكراهة ، كما كان الاستهزاء من المخلوق سفهاً ، ومن الخالق استدراجاً»^(٨).

٨١. ﴿فَارْذَنَّا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ .

وقال قوم : «هذا من كلام الخضر ، ولا يجوز أن يكون فخشيننا عن الله بل الخضر - عليه السلام - خشي أن يرهق الغلام أبويه طغياناً وكُفْرًا ؛ فلذلك قتله ،

-
- (١) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة .
 (٢) جامع البيان ٣ / ١٦ ذكره عن قتادة عن أبي ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٩٤ ، والمحرق الوجيز ٩ / ٣٨١ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٣٤ ، والدر المنثور ٤ / ٤٣٠ .
 (٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٥٧ .
 (٤) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥ / ١٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٦ ، وزاد المسير ٥ / ١٧٩ .
 (٥) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٦ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٥٧ ، والبحر المحيط ٦ / ١٥٥ .
 (٦) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٢٠ .
 (٧) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٠٥ .
 (٨) ذكر نحوه مختصراً المحرق الوجيز ٩ / ٣٨١ ، وزاد المسير ٥ / ١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٦ ، والبحر المحيط ٦ / ١٥٥ .

قالوا : والدليل على أن هذا من كلام الخضر قوله تعالى : ﴿فَارْزُقْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رُحْمًا﴾ ولو كان من كلام الله لقال : فأرقدنا أن نبدهما خيراً منه ، ولم يعد ذكر الرب^(١) . والظاهر يعضد هذا ، غير أن أبا إسحاق قال : «هذا جائز أن يكون عن الله بمعنى فكرهنا ، وقوله : ﴿فَارْزُقْنَا﴾ بمعنى فأراد الله ، ولفظ الإخبار عن الله كذا أكثر من أن يحصى»^(٢) ، هذا كلامه . وقول مَنْ قال : إنه من كلام الخضر ظاهر جلي .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ؛ أي يغشيها ويكلفهما . وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف : ٧٣] .

قال المفسرون : «خشينا أن يحملها حبه على أن يتبعاه ويديننا بدينه»^(٣) . وقال ابن عباس في رواية عطاء : «كان الغلام يؤذي الجيران ، ويفعل القبيح ، وكان أبواه يحلفان عنه بالكذب طغياناً وكفراً»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فَارْزُقْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾ وُقرئ : بالتخفيف^(٥) . وبدل وأبدل متقاربان في المعنى ، كما أن نزل وأنزل كذلك . وفرق قوم بينهما ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ الآية [النساء : ٥٦] .

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٣٨١ ، والكشاف ٢/ ٤٠٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٦ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٥ .

(٣) معالم التنزيل ١٥/ ١٩٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٠ .

(٤) ذكر نحوه المارودي في تفسيره ٣/ ٣٣٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٧٩ ، والألوسي في روح المعاني ١١/ ١٦ .

(٥) قرأ نافع ، وأبو عمرو البصري (أن يبدهما) بالتشديد ، وقرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وحزمة ، والكسائي ، وعاصم ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾ بالتخفيف . انظر : السبعة ٣٩٦ ، والحجة ٥/ ١٦٤ ، والتبصرة ٢٥١ ، والنشر ٢/ ٣١٤ .

قوله : ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ . قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «خيراً منه ديناً»^(١) . وهو قول قتادة^(٢) . ومعنى هذا ما قاله الكلبي ، والفراء : «خيراً منه صلاحاً»^(٣) . والزكاة الصلاح ، والزكي الصالح ، ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف : ٧٤] ، وفسر الصلاح بالدين ؛ لأن الصلاح يكون من الدين . وكذلك تفسير ابن جريج الزكاة في هذه الآية : بالإسلام^(٤) . فيكون كتفسير ابن عباس بالدين .

وقوله تعالى : ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ والرُّحْمُ ، والرُّحْمُ ، والرَّحْمُ : العطف والرحمة^(٥) . قاله أبو عبيدة ، والزجاج^(٦) . وأنشد أبو عبيدة للعجاج^(٧) :

وَلَمْ تُعَوِّجْ رُحْمٌ مِّنْ تَعَوَّجَا

وأنشد غيره لرؤبة^(٨) :

يَا مُنْزِلَ الرُّحْمِ عَلَى إِدْرِيسَ وَمُنْزِلَ اللَّغْنِ عَلَى إِبْلِيسَ

-
- (١) زاد المسير ٥ / ١٨٠ ، والقرطبي ٣٧ / ١١ من دون نسبة ، وروح المعاني ١١ / ١٦ .
(٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٧ / ١١ من دون نسبة .
(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٥٧ ، والكشف والبيان ٣ / ٣٩١ ب .
(٤) جامع البيان ٤ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٩٥ ، والمحزر الوجيز ٩ / ١٩٣ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٣٤ ، والدر المنثور ٤ / ٤٣١ .
(٥) تفسير غريب القرآن ١ / ٢٧٠ ، والعمدة في غريب القرآن ١٩٢ ، ولسان العرب (رحم) ٣ / ١٦١٣ .
(٦) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٠٥ ، ومجاز القرآن ١ / ٤١٢ .
(٧) البيت للعجاج . انظر : ديوانه ٢ / ٦٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٤١٣ ، وجامع البيان ٤ / ١٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ١٦٦ ، ولسان العرب (رحم) ٣ / ١٦١٣ .
(٨) البيت لرؤبة . انظر : ديوانه ١٧٥ ، والمحزر الوجيز ٩ / ١٩٣ ، والبحر المحيط ٦ / ١٥٥ ، والدر المصون ٧ / ٥٣٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ١٦٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٩٠ ، والشطر الأول منه في لسان العرب (رحم) ٣ / ١٦١٣ .

ويستعمل الرحم بمعنى القرابة لا بمعنى الشفقة . ويقال : فلان أشفق منك رحماً ، وفلان أمّس رحماً من فلان ؛ أي قرابة . وأمّا الذي في الآية فقال قتادة : «أبرّ بوالديه»^(١) . وهو قول ابن عباس قال : «أوصل للرحم ، وأبر بوالديه»^(٢) . وروى عنه سعيد بن جبیر : «وأقرب مودة»^(٣) . وهذا قول أكثر المفسرين جعلوا البذل : أبر بالوالدين .

ومنهم من جعل الوالدين أبر بالبذل ، وهو قول ابن جريج ، والفراء . قال ابن جريج : «أرحم به منهما بالذي قتل الخضر»^(٤) . يعني رحمة الوالدين عليه أكثر .

وقال الفراء : «أقرب أن يرحماه»^(٥) . فعلى هذا ، الرحم من جهة الوالدين ، وعلى القول الأول ، الرحم من جهة الولد ، وكلهم على أن معنى الرحم هاهنا : الرحمة والشفقة والعطف ، غير أن الزجاج قال في هذه الآية : «أقرب عطفاً ، وأمّس بالقرابة»^(٦) . وهَمَّ ؛ لأن الأولاد لصلب الوالدين سواء في القرابة ، ولا يكون بعضهم أمس بالقرابة من بعض .

قال النبي ﷺ في حديث أبي بن كعب : «فوقع أبوه على أمه فنقلت : فولدت خيراً منه زكاةً وأقرب رحماً»^(٧) .

(١) جامع البيان ٤ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٩٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٣٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٠ / ٣ .

(٢) زاد المسير ٥ / ١٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧ / ١١ .

(٣) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٢ / ٢٩٠ من دون نسبة .

(٤) جامع البيان ٤ / ١٦ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٥٧ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٠٥ .

(٧) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «ولدت جارية فولدت نبياً»^(١) .
وروى عكرمة عنه في قوله : ﴿ خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ وَأَقْرَبُ رَحْمًا ﴾ قال : «ولداً كان في بطن أمه»^(٢) . وقال مجاهد : «كان ذلك الولد جارية»^(٣) . وهو قول جميع المفسرين إلا ابن جريج ، فإنه قال : «أبدلها الله غلاماً مسلماً ، وكان المقتول كافراً»^(٤) . وقال ابن عباس في رواية عطاء : «أبدلها الله به جارية ولدت سبعين نبياً»^(٥) . وهذا قول الباقر^(٦) .

والجمع بين هذا وبين قوله في رواية سعيد : «ولدت نبياً» ، أن السبعين كانوا من نسلها ولم تلد لبطنها إلا نبياً . قال مطرف^(٧) في هذه الآية : «أيم الله لقد كان أبوه فرحاً بمولده ، وحزيناً بمقتله ، ولو عاش كان في بقائه هلكتهما ، فقضاء الله

(١) جامع البيان ٤ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٣٥ ، وزاد المسير ٥ / ١٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧ / ١١ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٤ / ١٦ ، ولباب التأويل ٤ / ٢٢٧ ، والكشاف ٢ / ٤٩٦ ، وزاد المسير ٥ / ١٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١١٠ ، والتفسير الكبير ٢١ / ١٦١ ، والبحر المحيط ٦ / ١٥٥ .

(٣) النكت والعيون ٣ / ٣٣٥ من دون نسبة ، وذكر نحوه الثعلبي عن الكلبي ٣ / ٣٩١ ب ، وبحر العلوم ٢ / ٣٠٩ .

(٤) جامع البيان ٤ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٣٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١١٠ ، وزاد المسير ٥ / ١٨١ .

(٥) معالم التنزيل ٥ / ١٩٥ ، والمحرم الوجيز ٩ / ٣٨٣ ، وزاد المسير ٥ / ١٨١ ، والبحر المحيط ٦ / ١٥٥ .
(٦) الكشف والبيان ٣ / ٣٩١ ب ، وروح المعاني ١٦ / ١٢ .

(٧) مطرف بن عبدالله بن الشخير الحرشي العامري ، أبو عبدالله البصري ، من كبار التابعين ، وُلد في حياة النبي ﷺ ، وكان من عباد أهل السمرة وزُهادهم ، روى عن أبيه ، وعثمان ، وعلي ، وعمار بن يسار وغيرهم ، وروى عنه عبدالله بن هاني ، والحسن البصري ، وسعيد الجريري ، وكان من أهل البصرة ، وثقه العلماء ، توفي - رحمه الله - في أول ولاية الحجاج ، وقيل سنة ٩٥ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٨ / ٣١٢ ، والكشاف ٣ / ١٥٠ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٦٤ ، وتهذيب التهذيب ١٠ / ١٥٧ .

جامع البيان ٤ / ١٦ ذكره عن قتادة ، ومعالم التنزيل ٣ / ١٧٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٨ ، والدر المنثور ٤ / ٤٣٠ .

خير من قضائك لنفسك ، وما يقضيه الله لك بما تكرهه خير من قضائك لنفسك بما تحب يا بني ، فاستخر الله وارض^(١) .

٨٢. قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني القرية التي ذكرها في قوله : ﴿حَتَّى إِذَا أَنَّى أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: ٧٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ . روى أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : «كان ذهباً وفضة»^(٢) . وهذا قول عكرمة وقتادة^(٣) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب : عجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجباً لمن أيقن بالنار ثم يضحك ، عجباً للمؤمن كيف يفرح ، عجباً لمن يوقن بالرزق كيف يتعب ، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي . وفي الشق الآخر : أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن خلقت له للخير وأجريته على يديه ، والويل لمن خلقت له للشر وأجريته على يديه»^(٤) .

(١) جامع البيان ٤/١٦ ذكره عن قتادة ، ومعالم التنزيل ٣/١٧٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٣٨ ، والدر المنثور ٤/٤٣٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير (سورة الكهف) ٥/٣١٣ ، وقال : «هذا حديث غريب» ، وأخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب التفسير ٢/٣٦٩ وقال : «حديث صحيح» . وعلق عليه الذهبي بقوله : «قلت : بل يزيد بن يوسف متروك» . وقال الحافظ بن حجر في الكافي الشاف : ص ١٠٤ ، حديث رقم ٣٢٤ : وفيه يزيد بن يوسف الصنعاني وهو ضعيف ، وأورده البغوي في معالم التنزيل ٥/١٩٥ .

(٣) جامع البيان ٦/١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/١٩٥ ، والمحزر الوجيز ٩/٣٨٤ ، والنكت والعيون ٣/٣٣٦ ، وزاد المسير ٥/١٨١ . قال الطبري في تفسيره ٦/١٦ : «وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة ؛ لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال ، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم الكنز فإن التأويل موصوف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك لعلل» . انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/١١٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٠٧ .

(٤) جامع البيان ٥/١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/١٩٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٣٦ ، وزاد المسير ٥/١٨١ ، =

وهذا قول الحسن^(١)، وأكثر أهل التفسير^(٢).

وقال في رواية سعيد بن جبير، وكريب: «كان صحفاً وعلماً»^(٣). وهو قول مجاهد: «كان صحفاً للغلامين فيها علم»^(٤).

قال أبو إسحاق: «المعروف في اللغة أن الكنز إذا أفرد فمعناه: المال المدفون والمدخر، فإذا لم يكن المال قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكنز هاهنا بالمال أشبه. قال: وجائز أن يكون الكنز كان مالا مكتوب فيه علم على ما روي، فهو مال وعلم عظيم من توحيد الله وإعلام أن محمداً ﷺ مبعوث»^(٥). وعلى ما ذكره أبو إسحاق، قول من قال: إنه كان صحفاً فيها علم بعيد.

قال ابن الأنباري: «من قال: إن الكنز كان علماً سمي العلم كنزاً؛ لأنه يتعجل من نفعه أفضل مما ينال من ناحية الأموال»^(٦). فمعنى قوله: ﴿كَنْزٌ لَّهُمَا﴾ مثل الكنز، كما يقال: هو الأسد شدة، والقمر حسناً معناه: مثل الأسد،

وأخرجه البيهقي في الشعب ١/ ٦٤، والبزار، كما في كشف الأستار ٣/ ٥٧. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٥٣: «رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي ولم أعرفهما». قال الحافظ بن حجر في الكافي الشاف ١٠٥: «رواه الواحدي من رواية محمد بن مروان السُّدِّي الصغير عن أبان عن أنس مرفوعاً، وأبان والسُّدِّي الصغير متروكان».

(١) جامع البيان ١٦/ ٦، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٦، وزاد المسير ٥/ ١٨١ منسوب إلى ابن عباس، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١١.

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٩٦، والقرطبي ١١/ ٣٨، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٢.

(٣) جامع البيان ١٦/ ٥، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٦، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٦٦، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/ ٣٦٩، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.

(٤) جامع البيان ١٦/ ٥، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٦، وزاد المسير ٥/ ١٨١.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٧.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٨١، وذكر بلا نسبة في النكت والعيون ٣/ ٣٣٦، والمحرم الوجيز ٩/ ٣٨٤، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٨.

ومثل القمر . وعلى قول مَنْ قال : إنه مال ، لم يكن الكنز حراماً على أهل ذلك الزمان .

قال قتادة : « كانت الكنوز حلالاً لَمَنْ كان قبلنا ، وكانت الغنائم محرمة عليهم ، فأحل الله لنا الغنائم ، وحرم علينا الكنوز »^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ . قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « حفظا بصلاح أبيهما ، ولم يذكر منهما صلاحاً »^(٢) .

قال جعفر بن محمد : « كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء »^(٣)^(٤) .

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ يا موسى ، ﴿ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ ؛ قال ابن عباس : « أن يكبرا ويعقلا »^(٥) ﴿ وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ﴾ . ومضى الكلام في بلوغ الغلامين الأشد . ولما أراد الله - تعالى - أن يبقي ذلك إلى بلوغ الغلامين حتى يستخرجاه أمر الخضر حتى أقام الجدار ؛ لأن لا ينهدم .

وقوله تعالى : ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ منصوب على ضربين ؛ أحدهما : على معنى أراد ذلك للرحمة ، كما تقول : أنقذتك من الهلكة رحمة لك ، والثاني : أن يكون

(١) جامع البيان ٦/١٦ ، والكشاف ٤٠٠/٢ ، والدر المنثور ٤/٤٣١ .

(٢) جامع البيان ٦/١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/١٩٦ ، وبحر العلوم ٣/٣١٠ ، وزاد المسير ٥/١٨٢ .

(٣) جامع البيان ٥/١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/١٩٦ ، والمحزر الوجيز ٩/٣٨٤ ، والكشاف ٢/٤٠٠ ، وزاد المسير ٥/١٢٧ .

(٤) قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٣/١١٢ عند قوله : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ : « وفيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته ، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ، ورفع درجاتهم إلى أعلى الدرجات في الجنة لتقر عينه بهم ، كما جاء في القرآن ووردت به السنة » .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/٣١٠ ، ومعالم التنزيل ٥/١٩٦ ، وزاد المسير ٥/١٨٢ .

منصوباً على المصدر ؛ لأن ما تقدم من الكلام معناه : رحمهما الله بذلك . وهذا معنى قول أبي إسحاق^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ . قال ابن عباس : « يريد انكشف لي من الله علم فعلت به ﴾ ذَلِكَ تَأْوِيلُ ﴾ . قال : يريد هذا تفسير ﴿ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾^(٢) . وتسطع بمعنى تستطيع ، ويذكر الكلام فيه عند قوله : ﴿ فَمَا أَصْطَلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ إن شاء الله .

٨٣ . قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ الآية . قد ذكرنا أن اليهود سألت النبي ﷺ عن الروح ، وقصة أصحاب الكهف ، وعن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها ، فكان من جوابه في الروح وقصة أصحاب الكهف ما تقدم^(٣) .

واختلفوا في ذي القرنين ، فقال مجاهد : « كان نبياً »^(٤) . وهو قول عبدالله بن عمرو^(٥) . وقال علي رضي الله عنه : « كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله ، وناصره الله فنصحه الله »^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٧ .

(٢) مجمع البيان ٦/ ٧٥٤ ، وذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٢٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٢ ، والكشاف ٢/ ٤٩٦ .

(٣) سبق توثيقه عند قوله تعالى : ﴿ أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٩] .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٩٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٧ ، وفتح القدير ٣/ ٤٣٨ ، ذكروه من دون نسبة .

(٥) بحر العلوم ٢/ ٣١٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٤ ، وفتح القدير ٣/ ٤٤٣ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٧ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٥ .

وروى عقبة بن عامر^(١) أن النبي ﷺ قال : «إن أول أمره أنه كان غلاماً من الروم أعطي ملكاً»^(٢) . فهو ملك على هذا القول .

وروى خالد بن معدان^(٣) : «أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع رجلاً يقول : يا ذا القرنين . فقال : اللهم غفرأ ، أما رضيتم أن تتسموا بالأنبياء حتى تسميتهم بالملائكة»^(٤) . والله أعلم أي ذلك كان .

(١) عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدي بن عمرو الجهني ، أبو حماد ، ويقال أبو عمرو ، روى عن عمر بن الخطاب ، وروى عنه أبو أمامة ، وابن عباس ، وقيس بن أبي حازم وغيرهم ، ولي إمرة مصر من معاوية رضي الله عنه سنة ٥٨ هـ ، وكان من القراء ، عالماً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان ، يجيد الشعر والكتابة ، شهد أحداً ، وتوفي في آخر خلافة معاوية رضي الله عنهما . انظر : أسد الغابة ٣/ ٥٥٠ ، والإصابة ٤/ ٢٥٠ ، والجرح والتعديل ٦/ ٣١٣ ، وتهذيب التهذيب ٧/ ٢١٦ .

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٨/ ١٦ بسنده عن عقبة بن عامر ، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٣٨٨ ، قال : «وهو حديث واهي السند» ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ١١٢ ، قال : «وفيه طول ونكارة ورفعه لا يصح وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل ، والعجب أن أبا زرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه ، وفيه من النكارة أنه من الروم ، وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني وهو ابن قليس المقدوني الذي تورخ به الروم ، وأما الأول فقد ذكر الأزرقسي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل - عليه السلام - أول ما بناه وآمن به واتبعه» ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٣٦ ، وعزاه لابن الحكم في فتح مصر ، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل عن عقبة بن عامر .

(٣) خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي ، أبو عبدالله ، الشامي الحمصي ، روى عن ثوبان وابن عمر وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ ، وروى عنه عدد من التابعين ، توفي - رحمه الله - سنة ١٠٤ هـ . انظر :

تاريخ الثقات ١٤٢ ، والكشاف ١/ ٢٠٨ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ١١٨ .

(٤) معالم التنزيل ٣/ ١٩٨ ، والكشاف ٢/ ٤٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٤٦ .

واختلفوا أيضاً في تسميته بذوي القرنين ، فقال علي رضي الله عنه : «دعا قومه إلى الله فضربوا على قرنه^(١) الأيمن فمات ، فأحياه الله ، ثم دعا قومه إلى الله فضربوا على قرنه الأيسر فمات ، فأحياه الله ، فسمي (ذو القرنين)^(٢) .

قال أبو إسحاق : «ويجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون سمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ قطري الأرض ؛ مشرق الأرض ومغربها»^(٣) . وهذا قول الزهري قال : «إنما سمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها»^(٤) .

وقال محمد بن إسحاق عن وهب : «إنما سمي [ذا القرنين ؛ لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس»^(٥) . ويقال : «إنما سمي»^(٦) ؛ لأنه كانت له صغيرتان»^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ؛ أي خبراً يتضمن ذكره .

٨٤ . قوله تعالى : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ . قال علي رضي الله عنه : «سخر الله له السحاب فحمله عليها ، ومد له في الأسباب ، وبسط له النور ، وكان الليل والنهار^(٨) عليه سواء»^(٩) . وهذا معنى تمكينه في الأرض ،

-
- (١) في (ص) و (س) : (قرية) ، وهو تصحيف .
 - (٢) جامع البيان ٨ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ١٩٨ / ٥ ، والمحزر الوجيز ٣٩٠ / ٩ ، والنكت والعيون ٣٣٧ / ٣ ، والدر المنثور ٤٣٥ / ٤ .
 - (٣) معاني القرآن للزجاج ٣٠٨ / ٣ .
 - (٤) معالم التنزيل ١٩٨ / ٥ ، والنكت والعيون ٣٣٧ / ٣ ، وتهذيب اللغة (قرن) ٢٩٤٧ / ٣ .
 - (٥) جامع البيان ٩ / ١٦ ، والمحزر الوجيز ٤٤٢ / ١٠ ، وزاد المسير ١٨٣ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٢ / ٣ .
 - (٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
 - (٧) معالم التنزيل ١٩٨ / ٥ ، والمحزر الوجيز ٣٨٩ / ٩ ، والنكت والعيون ٣٣٧ / ٣ ، وزاد المسير ١٨٤ / ٥ .
 - (٨) قوله : (والنهار) : ساقط من نسخة (س) .
 - (٩) معالم التنزيل ١٩٨ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٣ / ٣ ، وروح المعاني ٣٠ / ١٦ .

وهو : أنه سهل عليه المسير فيها ، وذلل له طرقها ، وحزومها حتى
تمكن منها أنى شاء^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَيِّنُّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِّاً﴾ . قال علي ، عن أبي طلحة ، عن
ابن عباس : «علماً»^(٢) . وهو قول قتادة ، وابن زيد ، والضحاك ، وابن جريج
قالوا : «علماً يتسبب به إلى ما يريد»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «أي آتيناها من كل شيء يبلغ به في التمكن أقطار
الأرض»^(٤) . ﴿سَبِّاً﴾ ؛ أي علماً يوصله إلى حيث يريد . قال المبرد : «وكل ما
وصل شيئاً بشيء فهو سبب»^(٥) . وهذا مما تقدم فيه القول ، وقال بعض المتأولين :
«المعنى : وآتيناها من كل شيء بالخلق إليه ﴿سَبِّاً﴾ ؛ أي علماً ومعونة»^(٦) .

٨٥ . وقوله تعالى : ﴿فَأَنْبَغُ سَبِّاً﴾ . قال مجاهد : «طريقاً بين المشرق
والمغرب»^(٧) . وهو قول قتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، والكلبي
وجميعهم^(٨) . قال أبو عبيدة : «اتبع طريقاً وأثراً»^(٩) . والمعنى على

(١) في (ص) : (أين شاء) .

(٢) جامع البيان ٨/١٦ ، وزاد المسير ١٨٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٨/١١ ، وتفسير القرآن
العظيم ١٠٤/٣ .

(٣) جامع البيان ٨/١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٣/٣ ، والدر المنثور ٤٤٥/٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٣ .

(٥) ذكره بلا نسبة الأزهري في تهذيب اللغة (سب) ١٦٠٥/٣ ، ولسان العرب (سبب) ١٩٠٩/٤ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه . انظر : بحر العلوم ٣١٠/٢ ، ومعالم التنزيل ١٩٨/٥ ، ولباب التأويل
٢٢٩/٤ ، والقرطبي ٤٨/١١ ، والتفسير الكبير ١٦٥/٢١ .

(٧) جامع البيان ١٠/١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٣/٣ ، والدر المنثور ٤٤٥/٤ .

(٨) جامع البيان ١٠/١٦ ، وبحر العلوم ٣١٠/٢ ، وزاد المسير ١٨٥/٥ .

(٩) مجاز القرآن ٤١٣/١ .

هذا : أنه اتبع طريقاً يؤديه إلى مغرب الشمس . وعلى هذا السبب الثاني غير الأول ؛ لأن معناه : الطريق ، والأول بمعنى : العلم .

وقال أبو إسحاق : «فأتبع سبباً من الأسباب التي أوتي»^(١) . وذلك أنه أوتي من كل شيء سبباً فأتبع من تلك الأسباب التي أوتي سبباً في المسير إلى المغرب . وعلى هذا القول هما سواء . والقراءة الجيدة : (فَاتَّبَعَ) ، وقُري : فأتبع بقطع الألف^(٢) . قال الأصمعي : «ومعناه : لحق ، يقال : أتبعْتُ القوم لحقتهم ، وَاتَّبَعَ إنما هو أن يتتبع آثارهم وإن لم يلحقهم»^(٣) . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ١٧٥] .

٨٦ . وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ؛ أي ذات حمأة وهي : الطين الأسود المتين^(٤) . قال ابن السكيت : «أحمأت الركيّة ألقيت فيها الحمأة ، وحمأتها إذا نرعت حمأتها»^(٥) . ونحو هذا روى أبو عبيد عن أبي زيد^(٦) .

وقال الأصمعي في الأجناس : «على القلب من هذا»^(٧) . قال الأزهري : «وليس ذلك بمحفوظ ، والصواب ما قاله ابن السكيت»^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠٨ .

(٢) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو البصري (فاتبع) بالوصل والتشديد ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحزة ، والكسائي ﴿فَاتَّبَعَ﴾ بالقطع والتخفيف . انظر : السبعة ٣٩٨ ، والحجة للقراء السبعة ١٦٦/٥ ، والتبصرة ٢٥١ ، والنشر ٢/٣١٤ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٠ ، ولسان العرب (تبع) ١/٤١٦ .

(٤) جامع البيان ١٦/١١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٤٩ ، وفتح القدير ٣/٤٤٤ .

(٥) تهذيب اللغة (حما) ١/٩٠٩ .

(٦) تهذيب اللغة (حما) ١/٩٠٩ ، ولسان العرب (حمم) ٢/١٠٠٦ .

(٧) تهذيب اللغة (حما) ١/٩٠٩ ، ولسان العرب (حمم) ٢/١٠٠٦ .

(٨) تهذيب اللغة (حما) ١/٩٠٩ .

ويقال : حمئت البئر تحماً حمأً إذا صارت ذات حمأة فهي حمئة ، وهذه قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، وفسراها : «حمأة سوداء ، وطينة سوداء»^(١) . ولما اختلف ابن عباس ومعاوية في حمئة وحامية ، أرسلوا إلى أبي بن كعب : «أين تجد الشمس تغرب ؟ فقال : في طينة سوداء . فوافق ابن عباس»^(٢) .

وقرأ ابن الزبير ، وابن مسعود : (حامية) ، من غير همز^(٣) . وهي فاعلة من حميت تحمى فهي حامية ؛ أي حارة ، ويدل على صحة هذه القراءة ما روي : أن النبي ﷺ نظر إلى الشمس حين غابت فقال : «في نار الله الحامية ، في نار الله الحامية»^(٤) . وقال ابن عباس في رواية الوالبي والحسن في قوله : (في عين حامية)

-
- (١) جامع البيان ١١/١٦ ، وبحر العلوم ٣١١/٢ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٣/٣ .
 (٢) جامع البيان ١١/١٦ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٤١١/١ ، ومعالم التنزيل ١٩٩/٥ ، والمحزر الوجيز ٣٩٣/٩ ، والدر المنثور ٤٤٥/٤ .
 (٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم ﴿حَمَئَةً﴾ مهموزة بغير ألف ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي (حامية) بألف من غير همز . انظر : السبعة ٣٩٨ ، والحجة للقراءة السبعة ١٦٩/٥ ، والعنوان في القراءات ١٢٤ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٧ .
 (٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٠٧/٢ . انظر : المطالب العالية ٣/٣٥٠ ، والكافي الشاف لابن حجر ١٠٤ ، والطبري في جامع البيان ١٢/١٦ ، وابن عطية في تفسيره ٣٩٣/٩ ، وابن كثير في تفسيره ١١٣/٣ ، وقال : «رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون» ، وفي صحة رفع هذا الحديث نظر ، ولعله من كلام عبدالله بن عمرو من زاملتيه اللتين وجدتهما يوم اليرموك ، والله أعلم ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٤٧/٤ ، وزاد في نسبه إلى أبي يعلى ، وابن منيع ، وابن مردويه .

«عين حارة»^(١). وتترجح هذه القراءة ؛ لأنها تجمع المعنيين^(٢). وهو ما ذكره أبو إسحاق فقال : «وقد تكون حارة ذات حمأة»^(٣).

وقال أبو علي : «يجوز أن تكون حامية فاعلة من الحمأة ، فخفف الهمزة بأن قلبت ياء محضة ، على قياس قول أبي الحسن ، وعلى قول الخليل كانت بين بين»^(٤).

وقوله تعالى : ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ ؛ أي عند العين . ﴿قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ . قال ابن الأنباري : «مَنْ قال : إن ذا القرنين كان نبياً ، فإن الله قال له كما يقول للأنبياء إِمَّا بِتَكْلَمٍ ، أو بوحى ، وَمَنْ قال : لم يكن نبياً قال : معنى ﴿قُلْنَا﴾ هاهنا : أَلْهَمْنَا»^(٥). ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ ؛ قال ابن عباس : «يريد إِمَّا أَنْ [تقتل] ﴿وَلِمَّا أَنْ نُنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ؛ قال : وَلِمَّا أَنْ تَسْبِيهِمْ»^(٦).

(١) جامع البيان ١٢/١٦ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٤١٠/١ ، وزاد المسير ١٨٥٠/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٤/٣ .

(٢) قال الطبري -رحمه الله- في تفسيره ١٢/١٦ : «والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال :إنها قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ولكل واحدة منها وجه صحيح ومعنى مفهوم غير مفسد أحدهما صاحبه ، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين ، فيكون القارئ : (في عين حامية) واصفها بصفته التي هي لها وهي الحرارة ، ويكون القارئ : (في عين حمئة) واصفها بصفته التي هي بها وهي أنها ذات حمأ وطين ، وقد روي بكلا صفتيهما اللتين قلت :إنهما من صفتها- أخبار» . قال ابن كثير في تفسيره ١٠٥/٣ : «ولا منافاة بين معنييهما ؛ إذ قد تكون حارة لمجاورتها الشمس عند غروبها وملاقاتها الشعاع بلا حائل ، وحمئة في ماء وطين أسود ، كما قال كعب الأحرار» .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٣ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ١٦٩/٥ .

(٥) ذكرته كتب التفسير . انظر : معالم التنزيل ١٩٩/٥ ، والمححر الوجيز ٣٩٥/٩ ، وزاد المسير ١٨٥٠/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٢/١١ .

(٦) ذكرت كتب تفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١١/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٠٠/٥ ، والمححر الوجيز ٣٩٥/٩ ، ولباب التأويل ٢٢٩/٤ ، وأنوار التنزيل ٢٣٥/٣ .

قال المفسرون : « يريد إمّا أن^(١) تقتلهم إن أبوا ما تدعوهم إليه ، وإمّا أن تأسرهم فتعلمهم وتبصرهم الرشاد^(٢) » . وعلى هذا المراد بالتعذيب : القتل ، وباتخاذ الحسن فيهم أن لا يقتلهم ، بل يأسرهم فيسلموا عنده .

وقال الكلبي في قوله : ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَخَذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ : « يريد تعفو أو تنعم^(٣) » . وعلى هذا المراد باتخاذ الحسن فيهم : عفوهم وتركهم . والأول القول ؛ لأنه^(٤) لو أمر بتركهم والعفو عنهم لم يكن في الدعوة فائدة . قال أبو إسحاق : « أباح له الله - عز وجل - هذين الحكمين - يعني : القتل والأسر - كما أباح لمحمد الحكم بين أهل الكتاب أو الإعراض^(٥) » . يعني قوله : ﴿ فَأَحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٢] .

قال ابن الأنباري : « موضع ﴿ أَنْ ﴾ نصب ؛ لأن المعنى : اختر التعذيب أو اتخذ الحسن عندهم ، فأفادت ﴿ إمّا ﴾ التخيير ، قال : ويجوز أن يكون رفعا بتأويل : إمّا هو التعذيب ، وإمّا هو اتخاذ^(٦) » . قال قتادة : « ففضى فيهم بقضاء الله ، وكان عالما بالسياسة^(٧) » .

-
- (١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
 (٢) جامع البيان ١٢/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٠٠/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٤/٣ ، وبحر العلوم ٣١١/٢ .
 (٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٢٠٠/٥ ، والنكت والعيون ٣/٣٣٩ ، ولباب التأويل ٢٣٠/٤ ، والتفسير الكبير ١٦٧/٢١ .
 (٤) جامع البيان ١١/١٦ ، تفسير القرآن للصنعاني ٤١١/١ ، معالم التنزيل ١٩٩/٥ ، المحرر الوجيز ٣٩٣/٩ ، والدر المنثور ٤٤٥/٤ .
 (٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠٩ .
 (٦) ذكر بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩١ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٤ ، والبحر المحيط ١٦٠/٦ ، والدر المصون ٥٤٢/٧ .
 (٧) لم أقف عليه ، وذكره المؤلف في تفسيره الوسيط ٣/١٦٥ .

٨٧. فقال : ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أشرك»^(١) ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ ؛ نقتله إذا لم يرجع عن الشرك . ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ بعد قتلي إياه ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ ؛ يعني في النار ، وعذاب الله إياه بالنار أنكر من عذاب القتل . قاله الزجاج^(٢) .

٨٨. ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ . يكون هذا الجزاء من الله تعالى ، والحسنى هاهنا على معنيين ؛ أحدهما : الجنة ، وأضيف الجزاء إليها وهي الجزاء ، كما قال : ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة : ٩٥] ، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف : ١٠٩ ، والنحل : ٣٠] ، و﴿دِينُ الْقِيمَةِ﴾ [البينة : ٥] ، وهذا قول الفراء^(٣) . والثاني : أن تكون الحسنى حسناته ، ويكون المعنى : له جزاء الخلال الحسنة التي آتاها وعملها . وهذا القول ذكره الفراء أيضاً ، واختاره أبو علي وحرره^(٤) . ويجوز أن يكون هذا الجزاء المذكور من ذي القرنين ، وهو قول ابن عباس ؛ كأنه قال : أتفضل عليه وأعطيه . وعلى هذا لا يكون معنى الحسنى : الجنة ؛ لأن الجزاء بها لا يجزيه إلا الله عز ذكره . ومضى الكلام في الحسنى عند قوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ الآية [يونس : ٢٦] .

(١) جمع البيان ٧٥٧/٦ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : زاد المسير ١٨٦/٥ ، والكشاف

٤٩٧/٢ ، وأنوار التنزيل ٢٣٥/٣ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٤/٣ ، وروح المعاني ٣٤/١٦ ،

وإرشاد العقل السليم ٢٤٣/٥ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٠٩/٣ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٥٩/٢ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١٥٩/٢ ، والحجة للقراء السبعة ١٧٠/٥ .

وقرأ أهل الكوفة : ﴿فَلَهُ جَزَاءٌ﴾ نصباً منوناً^(١) . قال الفرّاء : «أي فله الحسنى جزاء ، نصبت ﴿جَزَاءً﴾ على التفسير»^(٢) .

وقال الزّجاج : «﴿جَزَاءً﴾ مصدر منصوب في موضع الحال ، المعنى : فله الحسنى مجزياً بها جزاء»^(٣) . ونحو هذا قال أبو علي : «هو مصدر واقع موقع الحال ، المعنى : فله الحسنى مجزية»^(٤) .

قال الأخفش : «وهذا لا يكاد العرب تكلم به مقدماً إلا في شعر»^(٥) . وذكر ابن الأنباري في انتصاب ﴿جَزَاءً﴾ وجهين ؛ أحدهما : «المصدر على معنى : فيجزى الحسنى جزاء ، كما يقال : هو لك هبة . والآخر : أن ينتصب على التفسير بمعنى : فله الحسنى من جزاء ، كما قالوا : لك أسمنها كبشاً ؛ أي من كبش»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ . قال الكلبي : «أي خيراً»^(٧) . وقال مجاهد : «معروفاً»^(٨) . وقال أبو إسحاق : «أو نقول له قولاً جميلاً»^(٩) .

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم في رواية أبي بكر ﴿جَزَاءَ الْحُسْنَى﴾ منوناً منصوباً . انظر : السبعة ٣٩٨ ، والحجة للقراء السبعة ١٧٠ / ٥ ، والغاية في القراءات ٣١٢ ، والتبصرة ٢٥١ ، والنشر ٣١٥ / ٢ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١٥٩ / ٢ .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٣٠٩ / ٣ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ١٧٠ / ٥ .

(٥) ذكره الفارسي في الحجة للقراء السبعة ١٧٠ / ٥ .

(٦) ذكر بلا نسبة في إملأ ما من به الرحمن ٤٠٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٩٢ / ٢ ، والمحذر الوجيز ٣٩٥ / ٩ ، والدر المصون ٥٤٣ / ٧ .

(٧) ورد نحوه بلا نسبة في جامع البيان ١٣ / ١٦ ، والكشاف ٤٠١ / ٢ ، وبحر العلوم ٣١١ / ٢ .

(٨) جامع البيان ١٣ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٠٠ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٤ / ٣ ، والدر المنثور ٤٤٨ / ٤ .

(٩) معاني القرآن للزّجاج ٣٠٩ / ٣ .

وقال عباس : «يريد كما يحیی المؤمنون بعضهم بعضاً ، مثل قول النبي ﷺ :
يكن لك ما لنا ، وعليك ما علينا»^(١) . فجعل القول باليسر هاهنا السلم والمشاركة
معه في الخير والشر .

٨٩ . وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْبِئْ سَبَّأً﴾ إخبار عن ذي القرنين أنه سلك طريقاً
آخر مما يوصله إلى المشرق .

٩٠ . قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم
مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ . قال قتادة : «لم يكن بينهم وبين الشمس ستر ، وذلك
أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء»^(٢) .

ونحو هذا قال الحسن^(٣) . وقال الكلبي بإسناده عن لقيهم : «كان أحدهم
يفرش أذنه ويلبس الأخرى ، وقال : كانوا عراة حفاة»^(٤) . وعلى هذا القول لا
ستر بينهم وبين الشمس مما يلبسون . وعلى القول الأول من البناء . وجمع بينهما
أبو إسحاق فقال : «لم يكن لهم شيء يظلمهم من سقف ولا لباس»^(٥) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) جامع البيان ١٦ / ١٤ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١ / ٣٤٧ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٠٠ ، وزاد المسير
١٨٨ / ٥ .

(٣) جامع البيان ١٦ / ١٤ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٠٠ ، والمحور الوجيز ٩ / ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، والجامع لأحكام
القرآن ١١ / ٥٤ .

(٤) معالم التنزيل ٥ / ٢٠١ ، والكشاف ٢ / ٤٠١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٥٤ ، وتفسير القرآن
العظيم ٣ / ١٥ ، ولعل هذه من الروايات الإسرائيلية .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٠٩ . قال ابن عطية في تفسيره ٩ / ٣٩٨ : «والظاهر من اللفظ أنها عبارة
بليغة عن قرب الشمس منهم وفعلها لقدرة الله - تعالى - فيهم ، ونيلها منهم ، ولو كان لهم أسراب
تغني لكان سترًا كثيفاً ، وإنما هم في قبضة القدرة سواء كان لهم أسراب أو دور أو لم يكن ، ألا ترى أن
الستر عندنا نحن إنما هو من السحاب والغمام ويرد الهوى ، ولو سلط الله علينا الشمس لأحرقتنا ،
فسبحان المنفرد بالقدرة التامة !» .

٩١. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾. اختلفوا في المشبه به، والمشار إليه فقال الزجّاج: «يجوز أن يكون التقدير: وجدها تطلع على قوم، كذلك القبيل الذي كانوا عند مغرب الشمس وأن حكمهم حكم أولئك»^(١). وقال غيره: «المعنى كما بلغ مغرب الشمس فكذلك بلغ مطلعها»^(٢). وقيل: «أتبع سبباً، كما أتبع سبباً»^(٣). والقول ما قاله أبو إسحاق؛ لأن التشبيه بالكاف يجب أن يرجع إلى أقرب المذكور إليه، والأقرب وجود القوم لا البلوغ والإتباع.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾؛ قال مقاتل: «وقد أحطنا بما قبله علماً»^(٤). أي علمنا ما كان عنده من الجيوش والعُدّة. وهذا معنى قول ابن عباس؛ لأنه يقول: «يقول الله سبحانه: مكتته»^(٥) وملكته»^(٦). يعني أنا أعطيته ما كان عنده، وإذا كان عطاؤه كان معلومه.

٩٢. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ثالثاً، مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض.

٩٣. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ قُرئ: بالفتح، والضم^(٧). قال أبو عبيدة: «السّد مضموم إذا كان مخلوقاً من فعل الله تعالى، فإن

(١) معاني القرآن للزجّاج ٣/٣٠٩.

(٢) معالم التنزيل ٥/٢٠١، وبحر العلوم ٢/٣١١، وزاد المسير ٥/١٨٨.

(٣) جامع البيان ١٦/١٤، وزاد المسير ٥/١٨٨، ١٨٩، والبحر المحيط ٦/١٦١.

(٤) بحر العلوم ٢/٣١١.

(٥) في (ص): (مكية)، وهو تصحيف.

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ١٦/١٥، وبحر العلوم ٢/٣١٢،

والنكت والعيون ٣/٣٤٢، والمحزر الوجيز ٩/٣٩٩، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٩.

(٧) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾. بفتح السين، وقرأ ابن عامر، ونافع،

وحمة، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر (بين السَّدَّيْنِ) بضم السين. انظر: السبعة ٣٩٩،

والحجة للقراء السبعة ٥/١٧١، والمبسوط في القراءات ٢٣٧، والتبصرة ٢٥١.

كان من فعل الآدميين فهو سَدُّ مفتوح^(١). وهذا قول عكرمة^(٢)،
والأخفش^(٣). وقال الكسائي: «ضم السين وفتحها سواء»^(٤).

وقال ابن الأعرابي: «كل ما قابلك فسَدَّ ما وراءه فهو سَدٌّ وسُدٌّ، وهذا نحو:
الضَّعْف والضُّعْف، والفَقْر والفُقْر»^(٥). وقال أبو علي الفارسي: «يجوز أن يكون
السَّد مصدرًا، والسُد المسدود كالأشياء التي يفصل فيها من المصادر والأسماء،
نحو: السَّقِي والسُّقِي، والطَّحْن والطُّحْن، والشَّرْب والشُّرْب، والقَبْض
والقُبْض، وإذا كان كذلك فالأشبه بين السدين؛ لأنه المسدود، وأما مَنْ فتح
السين جعله اسمًا للمسدود نحو: نَسَجَ اليمن، وضَرَبُ الأمير»^(٦).

وقال الأخفش: «المفتوحة أكثر اللغتين»^(٧).

قال ابن عباس: «هما جبلان، سَدَّ ذو القرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج
ومأجوج وَمَنْ سواهم»^(٨).

-
- (١) مجاز القرآن ١/ ٤١٤، وتهذيب اللغة (سد) ٢/ ١٦٥٥.
 - (٢) جامع البيان ١٦/ ١٥، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠١، وزاد المسير ٥/ ١٨٩، ١٩٠.
 - (٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (سد) ٢/ ١٦٥٥.
 - (٤) تهذيب اللغة (سد) ٢/ ١٦٥٥، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٣.
 - (٥) زاد المسير ٥/ ١٨٩، وتهذيب اللغة (سد) ٢/ ١٦٥٥، والحجة ٥/ ١٧١.
 - (٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧١.
 - (٧) ذكره الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧١.
 - (٨) جامع البيان ١٦/ ١٦، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠١، وبحر العلوم ٢/ ٣١٢.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ؛ أي يعلمونه فلا يستنبطون من فحواه شيئاً ، وُقِرئ: (يُفْقَهُونَ) بضم الياء^(١) . والمعنى : لا يكادون يفقهون أحداً قولاً ، فحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله : ﴿يُنْذِرَ بَأْسًا﴾ [الكهف: ٢] وهذا الحذف غير ضيق . قال ابن عباس : «يريد لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم»^(٢) .

٩٤ . قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْذِرُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ . إن قيل : كيف خاطبوا ذا القرنين وقد وصفهم الله - تعالى - بأنهم لا يفهمون ولا يفهمون ؟

والجواب عن هذا أن يقال : كلم عنهم قوم آخرون مترجمة عن لغتهم ، فنسب القول إليهم ، لما كان بأمرهم وإرادتهم ، وهذا على قول من يجعل يكادون صلة كقوله : ﴿لَمْ يَكْذِبْنَاهَا﴾ [النور: ٤٠]^(٣) .

ومن لم يجعل صلة قال : هم يفقهون ويفقهون ، وإذا قلت : لا يكاد فلان يفعل كذا ، كان المعنى أنه يقارب أن لا يفعل ولكن يفعل^(٤) . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] .

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر ﴿يُفْقَهُونَ﴾ بفتح الياء والقاف ، وقرأ حمزة ، والكسائي (يُفْقَهُونَ) بضم الياء وكسر القاف . انظر : السبعة ٣٩٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ١٧٢ ، والمبسوط ٢٣٩ ، والتبصرة ٢٥٢ .

(٢) معالم التنزيل ٥ / ٢٠١ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢ / ٣١٢ من دون نسبة .

(٣) معالم التنزيل ٥ / ٢٠١ ، ٢٠٢ ، وزاد المسير ٥ / ١٩٠ ، وفتح القدير ٣ / ٤٤٥ .

(٤) زاد المسير ٥ / ١٩٠ ، وروح المعاني ١٦ / ٣٨ ، ومفاتيح الغيب ٢١ / ١٧٠ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾. أكثر أهل العلم على أن هذين اسمان أعجميان مثل: طالوت وجالوت، وهاروت وماروت، لا ينصرفان للتعريف والعجمة^(١). والقراءة فيها: بترك الهمز، وقرأ عاصم بالهمز^(٢). قال الليث: «والهمز لغة رديئة»^(٣).

وذكر الأخفش، والزجاج، وأبو علي وجه جواز كون الاسمين عربيين فقالوا: «مَنْ همز يأجوج يجوز أن يكون عربياً، ويكون على وزن يفعول مثل: يربوع، من أَجَّة النار والحر، وَمَنْ لم يهمز أمكن أن يكون خفف الهمزة فقلبها ألفاً مثل راس، وأَمَّا يَأْجُوج فيمَنْ همز: فمفعول^(٤) من أَجَّ، والكلمتان من أصل واحد في الاشتقاق، وَمَنْ لم يهمز فيجوز أن يكون خفف الهمزة كما ذكرنا، ويجوز أن يكون فاعول من مَجَّ، والكلمتان على هذا من أصلين، وليستا من أصل واحد، ويكون ترك الصرف فيهما للتأنيث والتعريف؛ كأنه اسم للقبيلة كمجوس. وهذه التمثيلات لا يصح فيها إن جعلتها من العجمي؛ لأن العجمي لا يشتق^(٥) من العربية»^(٦).

-
- (١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٠، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٣.
- (٢) قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي (ياجوج وماجوج) بغير همز، وقرأ عاصم ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ بالهمز. انظر: السبعة ٣٩٩، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٢، والغاية في القراءات ٣١٢، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٧.
- (٣) لم أقف عليه، وهو قول ضعيف لا يصح؛ لأنه مخالف لقراءة سبعة ثابتة متواترة عن النبي ﷺ، والقراءة الصحيحة حجة على اللغة.
- (٤) قوله: (فمفعول) ساقط من نسخة (ص).
- (٥) في (ص): (لا يسبق)، وهو تصحيف.
- (٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٠، ومعاني القرآن للأخفش ٦٢١، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٣.

قال ابن الأنباري : «وجه همزه على هذا القول أنه لا يعرف له أصل ، كما أن العرب همزت حروفاً لا تعرف للهمزة فيها أصل ، كقولهم : لبأت^(١) ، ورثأت^(٢) ، واستنشأت^(٣) الريح ، وإذا كان هذا معروفاً في أبنية العرب كان معروفاً في الألفاظ التي أصلها للعجم»^(٤) . هذا هو الكلام في أصل الكلمتين من العربية .

وأما المسمون بهذين الاسمين ، فقال وهب : «هم من ولد يافث بن نوح ، أب الترك»^(٥) . وهذا قول مقاتل بن سليمان^(٦) .

وقال الضحاك : «هم جيل من الترك»^(٧) . وقال السُّدي : «الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تعبر ، فجاء ذو القرنين فبنى السد على إحدى وعشرين قبيلة ، وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك»^(٨) .

(١) لبأت : اللبأ هو أول اللبن في التاج ، تقول : لبأت الناقة إذا حلبت لباء . انظر : تهذيب اللغة (لب) ٤ / ٣٢٢٤ ، والصحاح (لبأ) ١ / ٧٠ .

(٢) رثأت : الرثئة الحامض يجلب عليه فيخثر . انظر : تهذيب اللغة (رث) ٢ / ١٣٥٨ ، ولسان العرب (رثأ) ٣ / ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ .

(٣) استنشأت : من نَشَيْت الريح بلا همز ؛ أي شممتها . والاستنشاء يهمز ولا يهمز ، وقيل : هو من الإنشاء : الابتداء . انظر : تهذيب اللغة (نشأ) ٤ / ٣٥٦٦ ، ولسان العرب (نشأ) ٧ / ٤٤١٨ .

(٤) ذكر في فتح القدير ٣ / ٣١٢ ، وورد معناه بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٩٤ ، وإملاء ما من به الرحمن ٤٠٤ ، والبحر المحيط ٦ / ١٦٣ ، والدر المصون ٧ / ٥٤٥ .

(٥) معالم التنزيل ٥ / ٢٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١١٦ ، وروح المعاني ١٦ / ٣٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٥٦ ، وفتح القدير ٣ / ٤٤٥ .

(٧) معالم التنزيل ٥ / ٢٠٢ ، وزاد المسير ٥ / ١٩٠ ، وروح المعاني ١٦ / ٣٨ .

(٨) معالم التنزيل ٥ / ٢٠٢ ، وزاد المسير ٥ / ١٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٥٨ ، والبحر المحيط ٦ / ١٦٣ .

وقال كعب : «هم نادرة في ولد آدم ، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم ، وامتزجت نطفته بالتراب ، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج ، فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم»^(١) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «هم عشرة أجزاء ، وولد آدم كلهم جزء»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ . قال قتادة «هما : حيّان حيّا سوء ، كانا أهل بغي وظلم على من جاورهما»^(٣) .

وقال الكلبي : «كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكّوهم إلى ذي القرنين أيام الربيع ، فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ وقرئ : خَرَجًا^(٥) .

(١) معالم التنزيل ٢٠٣/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٦/١١ ، وذكره ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ١١٦/٣ ، وقال : «وهذا قول غريب جداً ، لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة ، والله أعلم» ، وقال القرطبي ٥٦/١١ : «وهذا فيه نظر ، لأن الأنبياء صلوات الله عليهم لا يحتلمون» . انظر : روح المعاني ٣٨/١٦ .

(٢) معالم التنزيل ٢٠٢/٥ ، وزاد المسير ١٣٣/٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥٩/١١ من دون نسبة ، والبحر المحيط ١٦٤/٦ .

(٤) معالم التنزيل ٢٠٤/٥ ، والكشاف ٤٠٢/٢ .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألف ، وقرأ حمزة ، والكسائي (خراجاً) بألف . انظر : السبعة ٤٠٠ ، والحجة في القراءات السبع ١٧٤/٥ ، والمبسوط ٢٣٩ ، والتبصرة ٢٥٢ .

قال ابن عباس : «يريد : جعلاً»^(١) .

قال الليث : «الخَرْجُ والخَرَّاجُ شيء واحد ، وهو شيء يُخرجهُ القوم من مالهـم بقدر معلوم»^(٢) . والمعنى على هذا : هل نخرج إليك من أموالنا [شيئاً كالجعل لك عطية نخرجهُ إليك من أموالنا]^(٣) ، وكل ما استخرج من ضريبة وجزية وغلة فهو خَرَج وخَرْج ، ومنه الحديث : «الخَرَّاج بالضمان»^(٤) . يعني الغلَّة ، سمي خراجاً وخَرْجاً ؛ لأن المؤدي يُخرجهُ ، والآخذ يستخرجهُ .

وفصل قوم بين الخَرْج والخَرَج فقالوا : «الخرج المصدر لما يخرج من المال كالضرب والقطع ، والخراج الاسم لما يخرج من الأرض ونحوه كالنبات والحصاد ، فالخرج والخراج بمنزلة الحصد والحصاد» . وهذا معنى قول الفراء والزجاج^(٥) .

وقال ابن الأعرابي ونحو هذا قال ثعلب : «الخرج أخص ، والخراج أعم . يقال : أدَّى خرج رأسه ، وأخذ الإمام خراج البلد»^(٦) .

(١) جامع البيان ٢٢/١٦ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٠٣ ، وزاد المسير ٥/١٩١ ، والبحر المحيط ٦/١٦٤ ، والدر المنثور ٤/٤٥١ .

(٢) زاد المسير ٥/١٩١ ، والبحر المحيط ٦/١٦٤ ، وتهذيب اللغة (خرج) ١/١٠٠٣ .

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في (ص) .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب البيوع ، باب ما جاء في من يشتري العبد ويستعمله ثم يجد به عيباً ٣/٥٨١ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، والنسائي في كتاب البيوع ، باب الخراج بالضمان ٧/١٨٢ ، وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب الخراج بالضمان ٢/٧٥٣ ، وأبو داود في كتاب البيوع ، باب في من اشترى عبداً فاستعمله ثم وجد به عيباً ٣/٧٧٧ ، والحاكم ٢/١٥ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣١٠ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/١٥٩ .

(٦) البحر المحيط ٦/١٦٤ ، وروح المعاني ١٦/٣٩ .

وقد حكى أبو عبيدة : «العبد يؤدي إليك خرجه ؛ أي غلته ، والرعية تؤدي إلى الأمير الخرج»^(١) . فحكى الخرجة في الضريبة التي على الأرضين فدل أن كلامهما بمعنى . وقال العجاج^(٢) :

يَوْمَ خَرَجٍ يُخْرِجُ السَّمَرَجَا

وهذا ليس على الضرائب التي ألزمت الأرضين ؛ لأن ذلك لا يكاد يضاف إلى وقت من يوم وغيره ، وإنما هو شيء مؤبد لا يتغير عما عليه^(٣) . وقال أبو الحسن : «لا أدري أيهما أكثر في بلاد العرب»^(٤) .

٩٥ . ويدل على أن المراد بالخرَج والخرَاج هاهنا : العطية منهم له قوله تعالى في جوابه لهم : ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ، والمعنى : ما مكني فيه من الاتساع في الدنيا ، خير من خرجكم الذي تبذلونه لي . ومكَّن منقول من مكن يقال : مكَّن مكانةً ، وهو مكِّن عند السلطان من قوم مكَّاء ، ومكَّن غيره إذا جعله ذا تمكن . وقراءة العامة : ما ﴿مَا مَكَّنِّي﴾ بنون واحدة مشددة^(٥) . أدغموا النون في النون لاجتماع النونين كقوله :

(١) تهذيب اللغة (خرج) ١/ ١٠٠٣ .

(٢) هذا عجز بيت العجاج ، وصدره :

عَكَّفَ النَبِيْطَ يَلْعَبُوْنَ الْفَنَزَجَا

الفنزجا : يعني به رقص المجوس إذا أخذ بعضهم يد بعض وهم يرقصون . والسمرجا : يوم للعجم يستخرجون فيه الخراج في ثلاث مرات ، وعَرَبَهُ رُؤْيَةً بأن جعل الشين سيناً . انظر : ديوانه ، ٢٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٤ ، وتهذيب اللغة (سمرج) ٢/ ١٧٥٣ ، ولسان العرب (شمرج) ٤/ ٢٣٢٣ .

(٣) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٧٤ .

(٤) ذكر نحوه الأزهري في تهذيب اللغة (خرج) ١/ ١٠٠٣ .

(٥) قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي ، وعاصم ﴿مَا مَكَّنِّي﴾ بنون واحدة مشددة ، وقرأ ابن كثير (ما مكنتني) بنونين . انظر : السبعة ٤٠٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٩ ، والنشر : ص ٣١٥٢ .

﴿لَا تَأْتُمْنَا عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١]، وقرأ ابن كثير: بنونين؛ لأنهما من كلمتين والثانية غير لازمة؛ لأنك تقول: مكتك ومكتته فلم تدغم^(١).

قال ابن عباس: «يريد ما أعطاني وملكني أفضل من عطيتكم»^(٢).
وقوله تعالى: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾؛ قال: «يريد بقوة الأبدان»^(٣).
وقال الزجاج: «بعمل يعملونه»^(٤).

معنى: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾؛ سدًّا وحاجزاً.

قال ابن عباس: «وهو أشد الحجاب»^(٥).

ومعنى الرَّدْم في اللغة: سدُّك باباً كله أو ثلماً أو مدخلاً، يقال: ردَّمه يردِّمه ردماً^(٦).

قال أبو إسحاق: «والرَّدْم في اللغة أكثر من السد؛ لأن الردم ما جعل بعضه على بعض، يقال: ثوب مردم إذا كان قد رُقِع رقعة فوق رقعة»^(٧).

(١) الحجة للقراء السبعة ١٧٧/٥، والكشف عن وجوه القراءات ٧٨/٢.

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ٢٣/١٦، وبحر العلوم ٣١٢/٢، والمحزر الوجيز ٤٠٣/٩، والنكت والعيون ٣٤٢/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٩/١١، والتفسير الكبير ١٧١/٢١، وأنوار التنزيل ٢٣٦/٣.

(٣) المحزر الوجيز ٤٠٣/٩، ومعالم التنزيل ٢٠٤/٥، والجامع لأحكام القرآن ٦٠/١١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣١١/٣.

(٥) جامع البيان ٢٣/١٦، والدر المنثور ٤٥٢/٤، وروح المعاني ٤٠/١٦، وفتح القدير ٤٤٦/٣.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (ردم) ١٣٩٥/٢، والقاموس المحيط (ردم) ١١١٢، والمعجم الوسيط (ردم) ٣٣٩/١، ومختار الصحاح (ردم) ١٠١.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣١١/٣.

٩٦. قوله تعالى : ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ . لم يرد فأتوني استدعاء تملك عين ، ولكن تملك المناولة بالأنفس ؛ لأنه كلفهم المعونة على عمل السد بقوله : ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ ، ولم يقل : الخرج الذي بذلوه ، فلا يسألهم الحديد أيضاً^(١) . وهذا معنى قول ابن عباس : «يريدا احملا إلى زبر الحديد»^(٢) . ألا ترى أنه فسر به بالحمل إليه لا بمعنى التملك ؟ .

قال الفرّاء : «معناه : آتوني»^(٣) . يريد : فلما ألقيت الباء زيدت ألف ، كما تقول : قد أتيتك زيدا ، تريد : أتيتك بزيد ، ويقوي هذا المعنى الذي ذكرناه قراءة مَنْ قرأ : آتوني^(٤) . موصولاً من الإتيان على معنى جيؤني ، وهو هاهنا حسن لاختصاصه بالمعونة فقط دون أن يكون سؤال عينه . وعلى هذه القراءة انتصب زبر الحديد بحذف الحرف اتساعاً ، فيصل الفعل إلى المفعول الثاني على حد : أمرتك الخير ، والتقدير : آتوني بزبر الحديد^(٥) .

وزبر الحديد : قطعه في قول الجميع . قال الليث : «زبرة الحديد : قطعة ضخمة منه»^(٦) . وأصلها الاجتماع ومنه : زبرى الأسد ، وهي : ما اجتمع من الشعر على كاهله ، وزبرّت الكتاب : إذا كتبه ؛ لأنك جمعت حروفه ، وزبرة الحديد : جملة مجتمعة منه^(٧) .

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٤٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٤ .

(٢) زاد المسير ٥/ ١٩٢ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٦٠ .

(٤) قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي ، وابن كثير ، وحفص عن عاصم ﴿رَدْمًا ءَاتُونِي﴾ بالمد ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (ردماً آتوني) بالقصر وكسر التنوين ووصل الألف . انظر : السبعة ٤٠٠ ، والحجة ٥/ ١٧٥ ، والتبصرة ٢٥٢ ، والمبسوط ٢٤٠ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٥ ، وحجة القراءات ٤٣٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٩ .

(٦) تهذيب اللغة (زبر) ٢/ ١٥٠٦ ، ولسان العرب (زبر) ٣/ ١٨٠٤ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (زبر) ٢/ ١٥٠٦ ، ومقاييس اللغة (زبر) ٣/ ٤٤ ، والصاح (زبر) ٢/ ٦٦٦ ، ولسان العرب (زبر) ٣/ ١٨٠٤ .

قال ابن عباس في تفسير ﴿زُبْرُ الْحَدِيدِ﴾: «هي على قدر الحجارة التي يبنى بها قدر ما يحمل الرجل»^(١). ومعنى الآية: أنه يأمرهم أن ينقلوا إليه زبر الحديد ليعمل بها الردم في وجوه يأجوج ومأجوج، فأتوه بها فبناه ﴿حَقَّ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ قال الفراء: «ساوى وسوى بينهما: واحد»^(٢). والمعنى: أنه جمع زبر الحديد ووضع بعضها على بعض بين الصدفين حتى سوى بينهما بالحديد. والصدفان: الجبلان في قول جميع المفسرين^(٣). قال أبو عبيدة: «الصدفان جانباً الجبل»^(٤). ونحوه قال الزجاج^(٥).

وقال الأزهرى: «الصَّدف والصُّدْفَة الجانب والناحية، يقال لجانبي الجبل إذا تحاذيا صدفان لتصادفهما؛ أي تلاقيهما، ومن هذا يقال: صادفت فلاناً أي؛ لاقيته»^(٦). ويقال للبناء العظيم المرتفع: صَدَف. شبه بجانب الجبل، ومنه الحديث: «إذا مر بصدف مائل أسرع المشي»^(٧). وفيه ثلاثة أوجه من القراءة: (الصدفين) بضم الصاد والبدال، و(الصدفين) بفتحهما، و(الصدفين) بضم الصاد وتسكين الدال^(٨)، وكلها لغات في هذه الكلمة فاشية.

(١) ذكر نحوه الطبري في جامع البيان ٢٤/١٦، والسمرقندي في بحر العلوم ٣١٣/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٦٠/٢.

(٣) جامع البيان ٢٤/١٦، والمحرر الوجيز ٤٠٧/٩، ومعالم التنزيل ٢٠٥/٥، والجامع لأحكام القرآن ٦١/١١.

(٤) مجاز القرآن ٤١٤/١.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣١١/٣.

(٦) تهذيب اللغة (صدف) ١٩٨٩/٢.

(٧) أخرجه الإمام أحمد ٣٥٦/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأورده القرطبي ٦١/١١، وأورده الأزهرى في تهذيب اللغة (صدف) ١٤٦/١٢.

(٨) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: (الصدفين) بضم الصاد والبدال، وقرأ نافع، وحمة، والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿الصَّدَفَيْنِ﴾ بفتح الصاد والبدال، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (الصدفين) بضم الصاد وتسكين الدال. انظر: السبعة ٤٠١، والحجة للقراء السبعة ١٧٧/٥، والعنوان في القراءات ١٢٥، والتبصرة ٢٥٢، والنشر ٣١٦/٢.

وقوله تعالى : ﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾ . قال ابن عباس : «يريد انفخوا على زبر الحديد الكبير»^(١) . قال الزجاج : «جعل بينهما الحطب والفحم ، ووضع عليها المنافيخ حتى إذا صارت كالنار ، وهو قوله تعالى : ﴿حَقَّقَ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ . والحديد إذا أُحْمِيَ بالفحم والمنفاخ صار كالنار»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ . قال ابن عباس : «أذاب النحاس ، ثم أفرغه على زبر الحديد فاختلط ولصق بعضه ببعض ، حتى صار جبلاً صلباً من حديد ونحاس»^(٣) . قال قتادة : «وهو كالبرد المحبَّر طريقة سوداء ، وطريقة حمراء»^(٤) .

والقطر : النحاس الذائب ، وأصله من القطر ؛ وذلك أنه إذا أذيب قطر كما يقطر الماء^(٥) .

ومضى الكلام في الإفراغ . وقُري : ايتوني^(٦) ، موصولاً من الإتيان على معنى : جيئوني به . واللفظ على اتصال الفعل إلى المفعول الثاني بالحرف ، إلا أنه أعمل الفعل الثاني وهو الإفراغ ، ولو أعمل الأول لكان أفرغه عليه ، وقد

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٣١٣/٢ ، والقرطبي ٦٢/١١ ، وروح المعاني ٤١/١٦ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣١١/٣ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٣١٣/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٠٥/٥ ، والكشاف ٤٠٢/٢ ، وزاد المسير ١٩٣/٥ ، والقرطبي ٦٢/١١ .

(٤) معالم التنزيل ٢٠٥/٥ ، وزاد المسير ١٩٣/٥ ، والقرطبي ٦٢/١١ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٦/٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (قطر) ٢٩٩٠/٣ ، ومقاييس اللغة ١٠٥/٥ ، والقاموس المحيط ٤٦٣ ، والصاحح ٧٩٦/٢ ، والمعجم الوسيط ٧٤٤/٢ .

(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿ءَاتُونِي﴾ بمدوداً ، وقرأ حمزة ، وعاصم في رواية أبي بكر (آتوني) قصراً . انظر : السبعة ٤٠١ ، والحجة للقراء السبعة ١٧٨/٥ ، والغاية في القراءات ٣١٣ ، والتبصرة ٢٥٣ .

وصل الفعل الأول هاهنا إلى المفعول الثاني بلا حرف ، كما ذكرنا في قراءة مَنْ قرأ (إيتوني بزبر الحديد) ، ومن قرأ آتوني أفرغ عليه فمعناه : ناولوني . كما ذكرنا في أول الآية^(١) .

قال ابن الأنباري : «يجوز أن يكون ﴿قَطْرًا﴾ معمول ﴿ءَاتُونِي﴾ وأضمر لأفرغ مفعول على تقدير : أفرغه ، وحذف للدلالة ﴿قَطْرًا﴾ عليه . ويجوز أن يكون معمول أفرغ وأضمر لآتوني مفعول على تقدير : آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً ، فحذف الأول للدلالة الثاني عليه»^(٢) .

٩٧ . قوله تعالى : ﴿فَمَا أَصْطَنَعُوا﴾ أصله استطاعوا ، فلما اجتمعت متقاربتان ، وهما التاء والطاء ، أحبوا التخفيف بالإدغام ، كما أحبوا ذلك في المثليين ، فلما لم يسمع التخفيف بالإدغام لتحريك ما لم يتحرك في موضع ، وذلك أنه كان يلزم تحريك السين لثلاثا يجتمع ساكنان ، ولم تحرك سين استفعل في موضع ، فلما لم يسمع هذا عدل عن الإدغام إلى الحذف ، كما أنه لما اجتمع المثلاثان في قولهم : على الماء بنو فلان ، حذفوا أحد المثليين ، فقالوا : عَلَمَاء ، ولم يسمع الإدغام ، وإن كانت تتحرك لام المعرفة في الماء ، فحذفوا الأول من المثليين حيث لم يتجه الإدغام . والحذف في اسطاع أولى ، لأن هذه السين لم تتحرك في موضع شيء من الحركات ، وقد تحرك لام المعرفة نحو قولهم : اَلْحَمَرُ في الأحمر ، فلما حذفوا في : عَلَمَاء أحد المثليين ، ولم يدغموا مع جواز تحريك لام المعرفة فلا يؤدي إلى الجمع بين ساكنين كان الحذف في اسطاع أولى . وقد أجروا المتقاربين في مجرى المثليين فقالوا : بلغني لما كانت النون

(١) الحجة للقراء السبعة ١٧٨/٥ ، وحجة القراءات ٤٣٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٧٩/٢ .

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٥ ، وإملاء ما مَنْ به الرحمن ٤٠٥ ، والكشاف ٣٩٨/٢ ، والدر المصون ٥٤٩/٧ .

مقاربة للام وكانت تدغم فيها نحو : مَنْ لَكَ ، أريد إدغام في هذا
الموضع أيضاً ، فلما لم يسمع ذلك عندهم خففوا بالحذف كما خففوا
به في المثلين .

وفي (استطاع) لغة ثالثة ، وهو قولهم : يستطيع في يستطيع ، وهذا يحتمل
أمرين ؛ أحدهما : [أنه أبدل من الطاء التي هي فاء التاء لقرها من الحرف الذي
قبلها ، فأبدل التاء لتوافق السين في الهمس ، كما أبدل الدال]^(١) من التاء في نحو :
ازدان ليوافق ما قبله في الجهر . والآخر : أن يكون حذف الطاء لما يستقيم إدغام ما
قبلها من المتقارب فيها ، كما حذف المثل والمقارب من : علما بنو فلان ، وبلعنبر ،
ويكون هذا في أنه حذف من الكلمة الأصل للتخفيف ، بمنزلة قولهم : تقيت ، ألا
ترى أنه في الأصل اتقى فحذف الفاء التي هي في الأصل واو ، فلما حذفها سقطت
همزة الوصل المجتلبة لسكون الفاء فبقي : تَقَيْتُ على فعلت^(٢) .

فأما قولهم : أسطاع بقطع الألف ، يُستطيع بضم الياء ، فقال أبو علي
الفارسي : «قولهم : أسطاع أَفْعَلَ ، وإنما ألحقت السين لنقل الحركة إلى الفاء وتهيئة
الكلمة بنقل الحركة فيها للحذف ، ألا ترى أنها هيأت الكلمة للحذف منها في
نحو : لم يَسْطُعْ ؟ ومثل السين في ذلك الهاء ، ففي قول مَنْ قال : أَهْرَاقْ يَهْرِيقْ ،
فالهاء في أنها عوض مثل السين في اسطاع ، وليس هذا العوض بلازم ، ألا ترى أن
ما كان نحوه لم يلزم هذا العوض»^(٣) ، هذا كلامه .

وشرحه أبو الفتح الموصلي فقال : «قولهم : أسطاع يستطيع ، ذهب سيبويه
فيه إلى أن أصله : أطاع يُطِيع ، وأن السين زيدت عوضاً من حركة عين الفعل ،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٢) الحجة للقراء السبعة ١٨١/٥ ، وسر صناعة الإعراب ١٩٩/١ ، والكتاب لسيبويه ٢٨٥/٤ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ١٧٩/٥ .

وذلك أن أطاع أصله : أَطَوَعَ ، فنقلت فتحة الواو إلى الطاء ، فانقلبت الواو ألفاً لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن»^(١) .

وتعقب أبو العباس هذا القول فقال : «إنما يعوض من الشيء إذا فقد وذهب ، فأما إذا كان موجوداً في اللفظ فلا وجه للتعويض منه ، وحركة العين التي كانت في الواو قد نقلت إلى الطاء التي هي الفاء ، ولم تعدم ، وإنما نقلت^(٢) فلا وجه للتعويض من شيء موجود غير مفقود»^(٣) .

«والذي يدل على صحة قول سيبويه في هذا وأن السين عوض من حركة عين الفعل ، هو أن الحركة التي هي الفتحة ، وإن كانت كما قال أبو العباس موجودة منقولة إلى الفاء لما فقدتها العين ، فسكنت توهنت بالسكون ، وبالتهيؤ للحذف عند سكون اللام وذلك قولك : لا تُطع ، وأطع ، ولم يُطع ، ففي كل هذا قد حذفت العين لالتقاء الساكنين ، ولو كانت العين بحالها متحركة لما حذفت ؛ لأنه لم يكن هناك التقاء ساكنين ، ألا ترى أنك لو قلت : أَطَوَعَ ، يُطَوَع^(٤) ، ولم يُطَوَع ، وَأَطَوُعُ زيداً ، لصحت العين ولم تحذف ؟ فلما نقلت عنها الحركة وسكنت ، سقطت لاجتماع الساكنين ، فكان هذا توهيناً وضعفاً للعين ، فجعلت السين عوضاً عن سكون العين الموهن لها المسبب لقلبها ، وحركة الفاء بعد سكونها لا تدفع عن العين ما لحقها من الضعف في السكون والتهيؤ للحذف عند سكون اللام .

ويؤكد ما قال سيبويه من أن السين عوض من ذهاب العين ، أنهم قد عوضوا من ذهاب حركة هذه العين حرفاً آخر غير السين ، وهو الهاء في قول من قال :

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٩ ، والكتاب لسبويه ٤/ ٢٨٥ ، ٤٨٣ .

(٢) في (ص) : (وإنما نقلت الطاء التي هي الفاء) .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٩ ، والمتع ٢٢٤ ، وشرح المفصل ١٠/ ٦ .

(٤) في نسخة (ص) : (تطوع) .

أَهْرَقَتْ فسكن الهاء ، وجمع بينها وبين الهمزة ، فالهاء هاهنا عوض من ذهاب فتحة العين ؛ لأن الأصل : أَرْوَقَتْ ، فجعلوا الهاء عوضاً من نقل فتحة العين عنها إلى الفاء ، وأنشد^(١) :

فأصبحتُ كالمهريقِ فضلةً مائه لضاحي سرابٍ بالملا يترقرقُ
انتهى كلامه^(٢) .

أخبرني العروضي عن الأزهري عن المنذري عن الحراني^(٣) عن ابن السكيت قال : « يقال ما أستطيع ، وما أسطيع ، وما أستيع ، وما أسطيع أربع لغات »^(٤) ، وقد ذكرنا وجوهها .

وقرأ حمزة : (فما اسطاعوا) مشدداً الطاء ، كأنه أدغم بالافتعال في الطاء^(٥) .

(١) ينسب هذا البيت إلى كثير .

الضاحي : البارز . والملا : الصحراء . وترقرق : يلمع . انظر : ديوانه ٢٣٧ ، وسر صناعة الإعراب ٢٠٢ / ١ ، والأغاني ١٢ / ٩ ، ورصف المباني ٤٠١ ، ولسان العرب (هـ) ٤٦٥٥ / ٨ .

(٢) سر صناعة الإعراب ٢٠٢ / ١ ، والكتاب لسيبويه ٢٨٥ / ٤ ، ٤٨٣ .

(٣) عبدالله بن الحسن بن أحمد الأموي ، أبو شعيب الحراني ، إمام ثقة ، محدث صدوق ، لازم ابن السكيت وأخذ عنه ، توفي - رحمه الله - في بغداد سنة ٢٩٥ هـ . انظر : تاريخ بغداد ٤٣٥ / ٩ ، وإنباه الرواة ١١٥ / ٢ ، وسير أعلام النبلاء ٥٣٦ / ١٣ ، ولسان الميزان ٢٧١ / ٣ .

(٤) تهذيب اللغة (طاع) ٢١٥٢ / ٣ .

(٥) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، وعاصم ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بتخفيف الطاء ، وقرأ حمزة (فما اسطاعوا) مشددة الطاء . انظر : السبعة ٤٠١ ، والحجة للقراء السبعة ١٧٨ / ٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٠ ، والتبصرة ٢٥٣ .

قال أبو إسحاق : «مَنْ قرأ بهذه القراءة فهو لاحن مخطئ ، زعم ذلك الخليل ، ويونس ، وسيبويه وجميع مَنْ يقول بقولهم ، وحجتهم في ذلك : أن السين ساكنة وإذا أدغمت التاء في الطاء صارت طاء ساكنة ، ولا يجمع بين ساكنين»^(١) .

قال أبو علي : «وقد قرأت القراء غير حرف من هذا كقوله : ﴿لَا تَعْدُوا فِي﴾ [النساء: ١٥٤] في قراءة مَنْ شدد الدال فأدغم فيها تاء افتعل^(٢) ، وكذلك قراءة مَنْ قرأ : ﴿لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى﴾ [يونس: ٣٥]^(٣) ، ﴿يَخْصِمُونَ﴾ [يس: ٤٩]^(٤) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٢ . إن طعنهم في قراءة حمزة - رحمه الله - مردود ؛ فهي قراءة متواترة ، والجمع بين الساكنين في هذا سائع جازئ مسموع في مثله ، فقد ذكر ابن الجزري في النشر ٢/ ٣١٦ عن أبي عمرو قوله : «ومما يقوي ذلك ويسوغه أن الساكن الثاني لما كان اللسان عنده يرتفع عنه وعن المدغم ارتفاعاً واحدة صار بمنزلة حرف متحرك ، فكأن الساكن الأول قد ولى متحركاً» . وذكر في غيث النفع ١٥٠ : «أن منع الجمع بين الساكنين أصل مختلف فيه عند أهل العربية ، والقراءة لا تتبع العربية ، بل العربية تتبع القراءة ، لأنها مسموعة من أفصح العرب وهو النبي ﷺ وأصحابه من بعده» . وقال ابن الحاجب : «إذا اختلف النحويون والقراء كان المصير إلى القراء أولى ، لأنهم ناقلون عن من ثبتت عصمته من الغلط ، ولأن القراءة ثبتت تواتراً وما نقله النحويون آحاداً» . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٤٠٨ ، والنشر ٢/ ٣١٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٩٥ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٨٠ .

(٢) قرأ نافع (لا تعدوا) بتسكين العين وتشديد الدال ، وروى عنه ورش (لا تعدوا) بفتح العين وتشديد الدال ، وقرأ بقية القراء ﴿لَا تَعْدُوا﴾ بتخفيف الدال وإسكان العين . انظر : السبعة ٢٤٠ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٩٠ ، والتبصرة ١٨٥ ، والنشر ٢/ ٢٥٣ .

(٣) قرأ أبو بكر عن عاصم (أمن لا يهدي) بكسر الياء والهاء وتشديد الدال ، وقرأ حفص عن عاصم (أمن لا يهدي) بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ، وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وورش عن نافع (أمن لا يهدي) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال ، وقرأ حمزة ، والكسائي (أمن لا يهدي) بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال ، وقرأ أبو عمرو ، وقالون عن نافع (أمن لا يهدي) بفتح الياء وتشديد الدال . انظر : السبعة ٣٢٦ ، والتبصرة ٢٢٠ ، والمبسوط في القراءات ٢٠٠ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٤٩ ، والنشر ٢/ ٢٨٣ .

(٤) قرأ حمزة (يخصمون) بإسكان الخاء وتخفيف الصاد ، وقرأ أبو عمرو ، وقالون عن نافع : (يخصمون) بإسكان الخاء وتشديد الصاد ، وقرأ ورش عن نافع ، وابن كثير (يخصمون) بفتح الخاء وتشديد الصاد ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، والكسائي ﴿يَخْصِمُونَ﴾ بكسر الخاء وتشديد الصاد . انظر : السبعة ٥٤١ ، والتبصرة ٣٠٦ ، والمبسوط في القراءات ٣١٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢١٧ .

وقدمنا وجه ذكر هذا النحو»^(١).

وقال ابن الأنباري: «عظم تشنيع البصريين على حمزة في هذا الحرف، وتلحينهم إياه، وقولهم: جمع بين ساكنين لا ينبسط اللسان عليهما، وفي هذا تعدد منهم عليه؛ إذ جرى إلى مثله جماعة من القراء، فلم ينسبوا إلى الذي نسب إليه، فقد قرأ الحسن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥] بالإدغام^(٢)، فإنه يقرؤه، ويقرأ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ [يوسف: ٣]، ﴿وَالْحَرْثُ ذَلَّكَ﴾ [آل عمران: ١٤]، ومعلوم أن الإدغام إذا وقع هاهنا اجتمع ساكنان، وقرأ: ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ [الحج: ٣١]^(٣) بالإدغام، ﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠]^(٤) في نظائر يطول ذكرها، ولا وجه للتشنيع على الأئمة والرؤساء في الخير بما يعرف له مساع و طريق إلى الصواب»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾؛ قال ابن عباس وغيره: «أن يصعدوه ويعلوه»^(٦). يقال: ظهرت السطح إذا صرت فوقه، ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُظْهَرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفِرُوا﴾ [التوبة: ٣٣] معناه: ليعلنه.

(١) الحجة في القراءات السبع ١٨١/٥.

(٢) قرأ أبو عمرو البصري، والحسن (شهر رمضان) بإدغام راء (شهر) في راء (رمضان). انظر: إتحاف فضلاء البشر ١٥٤/١، والقراءات الشاذة ٤٦.

(٣) قرأ الحسن (فتخطفه الطير) بكسر الخاء والطاء وتشديدها. انظر: إتحاف فضلاء البشر ٣١٥، والقراءات الشاذة ٦٨٥.

(٤) قرأ الحسن (يخطف) بكسر الياء والخاء والطاء المشددة. انظر: إتحاف فضلاء البشر ١٢٨، والقراءات الشاذة ٢٨.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ذكره ابن عطية في تفسيره ٤٠٨/٥ من دون نسبة، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٣١٣/٢.

وقوله تعالى : ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ . يقال : نقبت الحائط : إذا خرقت فيه خرقاً يخلص إلى ما وراءه^(١) . قال أبو إسحاق : «أي ما قدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه وإملاسه ، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لشدة وصلابته»^(٢) .

٩٨ . قوله تعالى : ﴿قَالَ هَذَا﴾ . قال ذو القرنين لما فرغ من بنائه هذا . قال أبو إسحاق : «أي التمكين الذي أدركت به السد ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّي﴾»^(٣) . وهذا معنى قول ابن عباس : «يريد معونة من ربي حيث ألهمني وقواني»^(٤) .

وقال ابن الأنباري : «يجوز أن تكون الإشارة بهذا إلى السد ؛ أي هذا السد رحمة من ربي»^(٥) . ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ ؛ يعني القيامة ، في قول ابن عباس^(٦) .

وقال الكلبي : «يقول : أجل ربي أن يخرجوا منه»^(٧) .

(١) تهذيب اللغة (نقب) ٤/ ٣٦٣٩ ، ومقاييس اللغة (نقب) ٥/ ٤٦٥ ، والقاموس المحيط (النقب) ١٣٩ ، والصحاح (نقب) ١/ ٢٢٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٢ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣١٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٥ . قال ابن سعدي في تفسيره ٥/ ٩٣ : ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ ؛ أي من فضله وإحسانه عليّ .

(٥) ورد بلا نسبة في الكشف ٢/ ٤٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٥ .

(٦) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٠٥ من دون نسبة ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٥ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٢٧ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٥ .

﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ ؛ أي دَكَّه دَكًّا ، ويجوز أن يكون المعنى : جعله ذا دك . وَمَنْ قرأ : ﴿دَكَّاءَ﴾ ممدودة^(١) ، كان التقدير : جعله مثل دَكَّاء ، وهي : الناقة التي لا سنام لها^(٢) ، فحذف المضاف ولا بد من تقدير الحذف ؛ لأن السد مذكر ولا يوصف بدكاء ؛ لأنه من وصف المؤنث . ومضى الكلام في هذا في سورة الأعراف^(٣) .

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ يعني : بالثواب والعقاب في القيامة ، في قول ابن عباس^(٤) .

وقال الكلبي : «وكان أجل ربي بخروجهم حقًا كائنًا»^(٥) .

٩٩ . قوله تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ . يقال : مَاجَ الماءُ يُمُوجُ ، إذا اضطرب ، وماجَ الناس ، إذا دخل بعضهم في بعض حيارى كموج الماء^(٦) . قال كثير من المفسرين : «تركنا الجن والإنس يدخل بعضهم

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر (دَكَّا) منون غير مهموز ولا ممدود ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم ﴿دَكَّاءَ﴾ ممدود مهموز بلا تنوين . انظر : السبعة ٤٠٢ ، والحجة للقراء ١٨٢ / ٥ ، والميسوط في القراءات ٢٤٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ٨١ / ٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (دك) ١٢١٢ / ٢ ، والقاموس المحيط (دك) ٩٣٩ ، والصحاح (دك) ١٥٤٨ / ٤ ، والمعجم الوسيط (دكك) ٢٩١ / ١ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنُظِّرَ إِلَى الْجِبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَلَغَ رُبُّهُ لِّلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣ / ٣٤٥ ، ومعالم التنزيل ٢٠٥ / ٥٣ ، وزاد المسير ١٩٥ / ٥ ، والكشاف ٤٩٨ / ٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٦٣ ، والتفسير الكبير ١٧٢ / ٢١ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ٢٨ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٤٥ ، ومعالم التنزيل ٢٠٥ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١١٧ / ٣ ، وروح المعاني ١٦ / ٤٢ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (ماج) ٣٣٢٢ / ٤ ، والقاموس المحيط (الموج) ٢٠٦ ، والصحاح (موج) ٣٤٢ / ١ ، ولسان العرب (موج) ٤٢٩٧ / ٧ .

في بعض يوم القيامة»^(١). والصحيح أن قوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾ الكناية فيه عن يأجوج ومأجوج. يقول: تركناهم يوم انقضاء السد يمجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم^(٢). ثم ذكر نفخ الصور بعد هذا فقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لأن: خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾ حشرنا الخلق كلهم.

١٠٠. قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ الآية. قال الفرّاء: «أبرزناها حتى نظر إليها الكفار»^(٣).

وقال أبو إسحاق: «تأويل ﴿عَرَضْنَا﴾ أظهرنا لهم جهنم حتى شاهدها ورأوها»^(٤)، ومضى الكلام في العرض^(٥).

١٠١. قوله تعالى: ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾. الغطاء ما تغطيت به أو غطيت به، والجمع الأغطية، يقال: غطى الشيء، وغطى عليه إذا ستره^(٦). ومعنى قوله: ﴿أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَنْصَرِهِمْ غَشَوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

(١) جامع البيان ٢٨/١٦، ومعالم التنزيل ٢٠٩/٥، والكشاف ٤٠٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ٦٥/١١، والدر المنثور ٤٥٤/٤.

(٢) جامع البيان ٢٨/١٦، ومعالم التنزيل ٢٠٩/٥، والنكت والعيون ٣٤٥/٣، والجامع لأحكام القرآن ٦٥/١١.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١٦٠/٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣١٣/٣.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

(٦) تهذيب اللغة (غطى) ٢٦٧٨/٣، ومقاييس اللغة (غطو) ٤٢٩/٤، ولسان العرب (غطى) ٣٢٧٣/٦، والمصباح المنير (غطو) ١٧١.

قال ابن عباس في قوله : ﴿عَنْ ذِكْرِ﴾ : «يريد عما جاء به محمد ﷺ من
البيانات والهدى»^(١) . وصف الله - تعالى - هؤلاء الكفار بأنهم عمي عن آيات
الله ، وأدلة توحيده لما سبق لهم من الشقاء ، وإذا لم يبصروا أدلة توحيده ، وعجائب
قدرته لم يتذكروا بقلوبهم ؛ لأن العين رائد القلب ، ألا ترى أن الشاعر يقول^(٢) :

ألا إنما العينان للقلب رائدٌ فما تألف العينان فالقلب يألفُ

وهذا أبلغ في وصف غفلتهم من أن لو قيل^(٣) : في غطاء عن الذكر ؛ لأن
وصفهم بالعمى عن الأدلة يوجب غفلة قلوبهم ، ووصفهم بعمى القلوب لا
يوجب عمى أبصارهم^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَكَاؤُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ . قال ابن عباس^(٥) : «يريد لا
يسمعون القرآن ولا يحبونه»^(٦) . وقال أبو إسحاق : «كانوا لعدواتهم النبي ﷺ لا
يقدر أن يسمعوا ما يتلو عليهم ، كما تقول للكاره لقولك : ما يقدر أن يسمع
كلامي»^(٧) . قال ابن الأنباري : «كان يثقل عليهم السمع وهم له مستطيعون ،
كما تقول : ما أستطيع البصر إليك . معناه : لما ثقل علي كنت كأني غير مستطيعه .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٣١ / ١٦ ، وبحر العلوم ٣١٤ / ٢ ،

ومعالم التنزيل ٢٠٩ / ٥ ، والكشاف ٥٠٠ / ٢ ، ولباب التأويل ٢٣٥ / ٤ ، وفتح القدير ٤٥٠ / ٣ .

(٢) لم أهد إلى قائله .

(٣) في (ص) : (أن لو قيل قلوبهم) .

(٤) التفسير الكبير ١٧٣ / ٢١ ، وفتح القدير ٤٥٠ / ٣ .

(٥) قوله : (عباس) : ساقط من نسخة (ص) .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٣١٤ / ٢ ، ومعالم التنزيل ٢٠٩ / ٥ ،

ولباب التأويل ٢٣٥ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٥ / ١١ ، ومدارك التنزيل ٩٦٧ / ٢ ، وإرشاد

العقل السليم ٣٤٧ / ٥ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣١٣ / ٣ .

قال : ويجوز أن يكون الله منعه الاستطاعة ؛ لأن يسمع الهدى ، وجعل على بصره غطاء عقاباً من الله له على عناده الحق^(١) .

١٠٢ . قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ ﴾ .
يقول : أظنوا أنهم يتخذونهم أرباباً من دوني ؟ وعنى بالعباد هاهنا :
المسيح ، والملائكة^(٢) .

وقال ابن عباس : «يعني الشياطين ، تولوهم وأطاعوهم من دون الله»^(٣) .
وقال مقاتل : «يعني الأصنام سماها عبداً»^(٤) ، كما قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤] . وجواب هذا الاستفهام محذوف .

قال ابن عباس : «يريد أني لا أغضب لنفسي ، ولا أعاقبهم»^(٥) . ويدل على هذا المحذوف قوله : ﴿ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ ، لأن هذا يدل على أنه يريد عقوبتهم .

وقال قوم : «هذا لا يقتضي جواباً ؛ لأنه أراد بالأولياء هاهنا الأنصار ، والمعنى : أفحسبوا أنهم اتخذوهم أنصاراً يمنعونهم من عذابي ويدفعون

- (١) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشف ٢/ ٤٠٣ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٥ .
- (٢) جامع البيان ١٦/ ٣١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٦ .
- (٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٦ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٤ .
- (٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٦ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٤ . قال الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيره ٤/ ١٩٠ : «والأظهر المتبادر من الإضافة في قوله : ﴿ عِبَادِي ﴾ أن المراد بهم نحو الملائكة ، وعيسى ، وعزير ، لا الشياطين ونحوه ؛ لأن مثل هذه الإضافة للتشريف غالباً ، وقد بين - تعالى - أنهم لا يكونون أولياء لهم في قوله : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴾ ٥٠ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ الآية .
- (٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٦ .

عنهم؟»^(١). وهذا معنى قول الزجاج في هذه الآية قال : «تأويله : أفحسبوا أن ينفعهم اتخاذهم عبادي أولياء؟»^(٢).

وقوله تعالى : ﴿نُزُلًا﴾ . قال أبو إسحاق : «هو بمعنى : منزلاً»^(٣). وهو معنى قول ابن عباس : «يريد هي مثواهم ومصيرهم»^(٤). والنُّزْل على هذا التفسير المنزل .

وقال آخرون : النُّزْل ما يقام للضيف إذا نَزَلَ ، والنزالة الضيافة ، ومنه قوله^(٥) :

فجاءت يَبِشْنَ للنزالةِ أرشما

والمعنى : أن جهنم معدة لهم عندنا ، كما يهيؤ النُّزْل للضيف النازل^(٦) .

١٠٣ . وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ؛ أي بالقوم الذين هم أخسر الخلق في ما عملوا . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد كفار أهل الكتاب»^(٧) .

(١) زاد المسير ١٩٦/٥ ، والبحر المحيط ١٦٦/٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣١٤ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٣١٤ .

(٤) معالم التنزيل ٥/٢١٠ .

(٥) هذا عجز بيت للبعيث يهجو جريراً ، وصدره :

لَقِيَ حَمَلَتُهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ

أَرَشَمًا : الأرشم الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه . انظر : تهذيب اللغة (نزل) ٤/٣٥٥٥ ، ولسان

العرب (رشم) ٣/١٦٥٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٩/٤١٣ ، ومعالم التنزيل ٥/٢١٠ ، والكشاف ٢/٤٠٣ ، وزاد المسير ٥/١٩٧ ،

والبحر المحيط ٦/١٦٦ .

(٧) معالم التنزيل ٥/٢١٠ .

وهو قول الكلبي: «اليهود والنصارى»^(١). وروي عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : «هم الرهبان أصحاب الصوامع»^(٢) .
وعنه أيضاً ، أنه قال : «هم أهل حَرَوْرَاء»^{(٣)(٤)} .

١٠٤ . وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ﴾ . يجوز في ﴿الَّذِينَ﴾ الخفض بالنعته للأخسرين . ويجوز الرفع على الاستئناف على معنى : هم الذين ضل سعيهم ؛ بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا ، ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ يظنون أنهم بفعلهم محسنون . والصنع : مصدر صَنَعَ إليه معروفاً يصنع صنعاً ، وأكثر ما يستعمل الصنع في الأعمال الحسنة^(٥) .

- (١) معالم التنزيل ٥ / ٢١٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٤٧ ، ونسبه إلى سعد بن أبي وقاص ، وكذلك زاد المسير ٥ / ١٩٧ .
- (٢) جامع البيان ١٦ / ٣٢ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٤٧ ، وزاد المسير ٥ / ١٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٦ / ١١ .
- (٣) حَرَوْرَاء (بفتحين ، وسكون الواو ، وراء أخرى ، وألف ممدودة) : قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها ، نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فنسبوا إليها . انظر : معجم البلدان ٢ / ٢٤٥ .
- (٤) جامع البيان ١٦ / ٣٤ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١ / ٣٤٨ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٤١٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢١٠ . قال ابن كثير في تفسيره ٣ / ١١٩ : «إن هذه الآية تشمل الحرورية ، كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم ، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ، ولا هؤلاء ، بل هي أهم من هذا ، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى ، وقبل وجود الخوارج بالكلية ، وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود ، كما قاله تعالى : ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَنْشَعٌ﴾ ٢١ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٢٢﴾ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية ٢-٤] .
- (٥) تهذيب اللغة (صنع) ٢ / ٢٠٦٤ ، والصحاح (صنع) ٣ / ١٢٤٥ ، والمعجم الوسيط (الصنع) ١١ / ٢٣٦ ، ومختار الصحاح (صنع) ١٥٥ .

١٠٥. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾؛ أي الأخسرين أعمالاً هم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
بَيَّاتٍ رَبِّهِمْ؛ جحدوا دلائل توحيدهِ وقدرته ﴿وَلِقَائِهِ﴾؛ وكفروا
بالبعث، والثواب، والعقاب.

﴿فَحِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾. قال ابن عباس: «بطل اجتهداهم»^(١).

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. روى المفسرون في تفسير هذا حديث أبي هريرة أن
النبي ﷺ قال: «ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل الشروب الأكل فلا يزن عند
الله جناح بعوضة»، ثم يقول: «اقرأوا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية»^(٢).

وقال كعب بن عجرة^(٣): «يؤتى برجل يوم القيامة فيوزن بحبة فلا
يزنها، فيوزن بجناح بعوضة فلا يزنها، ثم قرأ هذه الآية»^(٤). ونحو هذا قال
عبيد بن عمير^(٥).

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: معالم التنزيل ٢١٠/٥، والمحزر الوجيز ٩/٤١٥، وزاد
المسير ١٩٧/٥، ولباب التأويل ٢٣٦/٤.

(٢) جامع البيان ٣٥/١٦، والمحزر الوجيز ٩/٤١٦، ومعالم التنزيل ٥/٢١١، وتفسير القرآن العظيم
٣/١١٩، والدر المنثور ٤/٤٥٦، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/٤٦٦، وأورده الحافظ بن حجر
في فتح الباري ٨/٤٢٦، ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٣/٢١٤٧.

(٣) كعب بن عجرة القضاعي، حليف الأنصار، صحب النبي ﷺ، وعاش في المدينة، وشهد الحديبية،
ثم سكن الكوفة، وتوفي - رضي الله عنه - في المدينة سنة ٥٢ هـ. انظر: الاستيعاب ٣/١٣٢١،
والإصابة ٥/٦٠٠.

(٤) جامع البيان ٣٥/١٦، والنكت والعيون ٣/٣٤٧، وتفسير القرآن العظيم ٣/١١٩، والدر المنثور
٤/٤٥٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/٦٦، والدر المنثور ٤/٤٥٧.

وروى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية قال : «يريد أن ليس لهم وزن يوم القيامة ، إنما يوزن من له عمل صالح ، وكان على التوحيد»^(١) . وهذه الأقوال في الظاهر تدل على أن أعيان الرجال يوزنون ، وليس كذلك ؛ لأن الأعمال توزن يوم القيامة . والصحيح في هذا ما قاله أهل المعاني ، روى أبو العباس عن ابن الأعرابي في هذه الآية قال : «العرب تقول : ما لفلان عندنا وزن ؛ أي قدر ، لخسسته ، ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له ، لخفته بسرعة طيشه ، وقلة تثبته في ما ينبغي أن يتثبت فيه»^(٢) .

فالمعنى على هذا أنهم لا يعتد بهم ، ولا يكون لهم عند الله قدر ومنزلة^(٣) . وحديث أبي هريرة محمول أيضاً على هذا ، وهو أن العظيم الأكل الشروب لا قدر له ولا وزن عند الله ، إذا لم يكن من أهل التوحيد .

وقال بعضهم : «معنى هذا خفة موازينهم من الحسنات ، وذلك أن الموازين إنما ترجح بالطاعات ، وتنقص بالمعاصي ، فيوضع الكافر في الميزان يوم القيامة فلا يزن شيئاً لخلوه مما يثقل الميزان به من توحيد الله»^(٤) .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٣٥ / ١٦ ، والمحزر الوجيز ٤١٦ / ٩ ، والكشاف ٥٠٠ / ٢ ، وزاد المسير ١٩٨ / ٥ ، ولباب التأويل ٢٣٦ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٧ / ١١ ، والتفسير الكبير ١٧٤ / ٢١ ، وروح المعاني ٤٩ / ١٦ .

(٢) زاد المسير ١٩٨ / ٥ ، وتهذيب اللغة (وزن) ٣٨٨٦ / ٤ .

(٣) المحزر الوجيز ٤١٦ / ٩ ، ومعالم التنزيل ٢١٠ / ٥ ، ٢١١ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٤٧ ، وزاد المسير ١٩٨ / ٥ .

(٤) جامع البيان ٣٥ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٤٧ ، والكشاف ٤٠٣ / ٢ ، وزاد المسير ١٩٨ / ٥ .

وذكر ابن الأنباري وجه ما ذكره المفسرون فقال : «إن الله - عز وجل - يأمر بوزن أهل الكفر تحقيراً لهم ، وتصغيراً لأمرهم ، حتى يتبين الخلق أنهم لا يزنون في ذلك المشهد وزن ذرة ولا جناح بعوضة»^(١) .

يدل على صحة هذا ما روى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلون إلى سجن في جهنم يقال له : بولس ، يعلوهم فيه نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال من عصارة أهل النار»^(٢) .

قال أبو بكر : «وإنما يجعلون أمثال الذر تصغيراً لهم عند أنفسهم ، ومن يحضر القيامة»^(٣) . وذكر من عنده في الآية وجهان : الكافر يقدم على سيئات لا حسنة معها ، والموازين القسط يوزن فيها حسنات العبد وسيئاته ، فإذا خلا الكافر من الحسنات ، وحصل على السيئات استحق النار بغير وزن ، ولا إقامة ميزان ، وما فعل الكافر في الدنيا من نصرة مظلوم ، وإطعام جائع ، وعمل بر يكافؤ عليه في الدنيا بتوسعة له في الرزق ، ويقدم على الله صفة من كل خير . الثاني : لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً ؛ لأن الوزن عليهم لا لهم ؛ لأنه لا عمل لهم من أعمال الخير يوزن . الوجه الثالث : هو ما ذكره أبو العباس عن ابن الأعرابي ، وقد حكيناه^(٤) .

(١) ذكر نحوه بلا نسبة في النكت والعيون ٣/٣٤٧ ، والكشاف ٢/٤٠٣ ، وزاد المسير ٥/١٩٨ ، والتفسير الكبير ٢١/١٧٤ ، والبحر المحيط ٦/١٦٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شدة الوعيد للمتكررين ٤/٥٦٥ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/١٧٩ ، وابن الأثير في جامع الأصول في كتاب في الكبر والعجب (النوع الثالث) ١٠/٦١٦ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ، كتاب الآداب وغيره ، باب الترغيب في التواضع والترهيب من الكبر ٣/٥٤١ .

(٣) ورد نحوه بلا نسبة في النكت والعيون ٣/٣٤٧ ، وزاد المسير ٥/١٩٨ ، والتفسير الكبير ٢١/١٧٤ .

(٤) انظر : النكت والعيون ٣/٣٤٨ ، وزاد المسير ٥/١٩٨ ، والتفسير الكبير ٢١/١٧٤ ، وفتح القدير ٣/٤٥١ .

١٠٦. قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرت من حبوط أعمالهم ، وخسة قدرهم .
ثم ابتداء فقال : ﴿ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ . قال ابن الأنباري : « ويجوز أن يكون
﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في موضع نصب ، بمعنى : فعل الله ذلك الاحتقار بكفرهم ،
وجزائهم جهنم ، فأضمرت واو الحال مع الجملة »^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ بِمَا كَفَرُوا ﴾ ؛ أي بكفرهم واتخاذهم آياتي ، يعني : القرآن .
﴿ وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴾ قال ابن عباس : « يريد الذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ »^(٢) .
وإنما قال : ﴿ وَرُسُلِي ﴾ والمراد محمد ﷺ ؛ لأن من استهزأ به فقد استهزأ بجميع
الرسل ؛ لأن الإيمان واجب بهم ، فالكفر بواحد كفر بالجميع . ونحو هذا قال
الكلبي : « ورسلي : محمد ﷺ »^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ هُزُؤًا ﴾ مصدر ، والمراد المفعول به .

١٠٧. قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ ﴾ .
قال رسول الله ﷺ : « الفردوس ربوة الجنة ، وأوسطها ، وأفضلها ،
وأحسنها ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتهم
الله الجنة فاسألوه الفردوس »^(٤) .

(١) ذكر نحوه بلا نسبة في إملاء ما من به الرحمن ٤٠٥ ، والبحر المحيط ١٦٧/٦ ، وروح المعاني ١٦/٤٩ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٣١٥/٢ ، ومعالم التنزيل ٥/٢١١ ،
والمحرق الوجيز ٩/٤١٦ .

(٣) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٣١٥/٢ من دون نسبة .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٧/١٦ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والبغوي في معالم التنزيل
٥/٢١١ ، وابن كثير في تفسيره ٣/١٢٠ ، وأخرج نحوه البخاري في كتاب الجهاد ، باب درجات
المجاهدين ٦/١١ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين ١/١٦٣ ، والترمذي في كتاب
صفة الجنة ، باب ما جاء في صفة درجات الجنة ٤/٦٧٣ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في ما أنكرت
الجهمية ١/٦٦ ، والإمام أحمد في مسنده ٢/٣٣٥ .

وقال كعب : «هو البستان الذي فيه الأعناب»^(١) . وهو قول الليث قال :
«الفردوس جنة ذات كرم ، يقال : كَرَمَ مُفَرَّدَس ؛ أي مُعَرَّش»^(٢) .

وقال الضحاك : «هي الجنة الملتفة الأشجار»^(٣) . وهو اختيار المبرّد قال :
«الفردوس في ما سمعت من كلام العرب : الشجر الملتف ، والأغلب عليه
العنب ، وجمعه الفراديس . قال : ولهذا سمي باب الفراديس بالشام»^(٤) . وأنشد
لجرير^(٥) :

فقلتُ للركبِ إذ جدَّ الرحيلُ بنا ما بعدَ يبرينَ منْ بابِ الفراديسِ
وقال مجاهد : «هو البستان بالرومية»^(٦) . واختاره الزّجاج فقال : «هو
بالرومية منقول إلى لفظ العربية ، وأنشد لحسان»^(٧) :

وإنَّ ثوابَ اللهِ كلَّ موحدٍ جنانُ مَنْ الفردوسِ فيها يُخلدُ
قال : وحقيقته : أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين»^(٨) .

(١) جامع البيان ٣٦/١٦ ، والمحزر الوجيز ٤١٧/٩ ، ومعالم التنزيل ٢١١/٥ ، وزاد المسير ١٩٩/٥ .

(٢) زاد المسير ١٩٩/٥ ، وتهذيب اللغة (فردوس) ٢٧٦٢/٣ .

(٣) معالم التنزيل ٢١١/٥ ، وزاد المسير ١٩٩/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٢٠/٣ .

(٤) ذكره الأزهري بلا نسبة في تهذيب اللغة (فردوس) ٢٧٦٢/٣ .

(٥) البيت لجرير من قصيدة قالها يهجو التيم .

يبرين : مكان في بلاد بني سعد ، والفراديس : مكان بدمشق . انظر : ديوان جرير ، ٢٥٠ .

(٦) جامع البيان ٣٦/١٦ ، والمحزر الوجيز ٤١٨/٩ ، ومعالم التنزيل ٢١١/٥ ، والنكت والعيون
٣/٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ١١١/٣ .

(٧) البيت لحسان بن ثابت - رضي الله عنه - من قصيدة قالها يمدح فيها النبي ﷺ . انظر : ديوان حسان
٩٢ ، والمحزر الوجيز ٤١٨/٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣١٥/٣ ، وسيرة ابن هشام ٤/٣٥٠ ،
ولسان العرب (فردوس) ٣٣٧٥/٦ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣١٥/٣ .

ومعنى ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾. قال ابن الأنباري: «في علم الله قبل أن يخلقوا»^(١).

وقوله: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي منزلاً. قال أبو علي: «ويجوز أن يكون ﴿نُزُلًا﴾ يراد به القوت الذي يقام للنازل أو الضيف، فيكون النزل القوت، وهذا الوجه يحتاج فيه إلى تقدير المضاف على معنى: كانت له ثمار جنات الفردوس، أو نعيمها. قال: ويجوز أن يكون النُّزْل جمع نازل، ويكون حالاً والعامل فيه معنى الفعل في ﴿لَهُمْ﴾»^(٢).

١٠٨. ويدل على هذا الوجه قوله تعالى: ﴿خَلْدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾. قال الليث: «الحَوْلُ مجرى مجرى التَّحوِيل، تقول: حَوَّلُوا عَنْهَا تَحْوِيلاً وَحِوَلًا»^(٣).

قال الأزهرى: «فالتحويل مصدر حقيقي من حَوَّلْتُ، والحول اسم يقوم مقام المصدر»^(٤). ونحو هذا قال ابن قتيبة في تفسير ﴿حِوَلًا﴾: (تَحْوِيلاً)^(٥). ورواه أيضاً أبو العباس عن ابن الأعرابي^(٦).

وقال أبو عبيدة ﴿حِوَلًا﴾: (تَحْوِيلاً)^(٧).

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٩٩/٥.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٢٦٤/٦.

(٣) تهذيب اللغة (حال) ٧٠٩/١.

(٤) تهذيب اللغة (حال) ٧٠٩/٥١.

(٥) تفسير غريب القرآن ٢٧١/١.

(٦) تهذيب اللغة (حال) ٧٠٩/١.

(٧) مجاز القرآن ٤١٦/١.

[قال الفرّاء : «وهو مصدر تحولت ، ذكر على أصله»] ^(١) ^(٢) . يعني بحذف الزوائد ، كالصغر والعوج . ونحو هذا قال الزّجاج : «أي لا يريدون عنها تحويلاً» ^(٣) .

قال ابن عباس : «لا يريدون أن يتحولوا عنها ، كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى ، والجنة ليست هكذا» ^(٤) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿حَوْلًا﴾ (متحولاً) ^(٥) . يعني بالتحول المصدر . وذكر الزّجاج وجهين آخرين في الحول ، أحدهما : قال : «يقال : قد حال من مكانه حَوْلًا ، كما قالوا في المصادر : صَغُرَ صَغَرًا ، وَعَظُمَ عِظْمًا ، وعادني حبيها عَوْدًا ، فعلى هذا ، الحَوْل الحِيلَةُ ، فيكون المعنى على هذا : لا يحتالون منزلاً غيرها» ^(٦) .

١٠٩ . قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ الآية . روى عكرمة عن ابن عباس ، قال : «قالت قريش لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل . فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء : ٨٥] ، فقالوا : أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، فأُنزل الله : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ الآية» ^(٧) .

(١) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (ص) .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١٦١ / ٢ .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٣١٥ / ٣ .

(٤) معالم التنزيل ٢١٢ / ٥ .

(٥) جامع البيان ٣٨ / ١٦ ، والمحور الوجيز ٤١٨ / ٩ ، والدر المشور ٤٥٨ / ٤ ، وفتح القدير ٤٥٢ / ٣ .

(٦) معاني القرآن للزّجاج ٣١٥ / ٣ .

(٧) المحور الوجيز ٤١٩ / ٩ ، ومعالم التنزيل ٢١٢ / ٥ ، وزاد المسير ٢٠١ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٩ / ١١ ، وأسباب النزول للواحي : ص ٣٠٨ .

ومعنى المداد في اللغة : المجيء شيئاً بعد شيء على اتصال ، ومنه يقال للزيت الذي يوقد به السراج : مداد^(١) .

قال الأخطل^(٢) :

رأوا بارقاتٍ بالأكفِّ كأنها مصابيحُ سُرُجٌ أوقدتُ بمدادٍ
أي بزيت يمدّها . قال ابن الأنباري : «سمي المداد مداداً لإمداده الكاتب»^(٣) .
وأصل هذا من الزيادة والكثرة ، من قوله : مد النهر ، إذا كثر ماؤه ومدّه نهر آخر ،
ومنه قوله : ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧] ، قال مجاهد : «لو
كان البحر مداداً للقلم ، والقلم يكتب ، لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي»^(٤) .

(١) تهذيب اللغة (مد) ٤ / ٣٣٦١ ، والقاموس المحيط (المد) ١ / ٣١٨ ، والصحاح (مدد) ٢ / ٥٣٧ ،
ولسان العرب (مدد) ٧ / ٤١٥٨ .

(٢) البيت للأخطل غياث بن غوث بن الصلت التغلبي .
سرج : السراج الزاهر الذي يزهر بالليل ، والمرجة التي توضع فيها الفتيلة . انظر : لسان العرب
(مدد) ٧ / ٤١٥٦ .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥ / ٢٠١ ، والطبري في مجمع البيان ٦ / ٧٧٠ ، والشوكاني في فتح
القدير ٣ / ٤٥٤ ، وذكر نحوه الأزهري في تهذيب اللغة (مد) ٤ / ٣٣٦١ .

(٤) جامع البيان ١٦ / ٣٩ ، ومعالم التنزيل ١٥ / ٢١٢ ، وزاد المسير ٥ / ٢٠١ .

قال ابن عباس : « يريد أن كلماته أعظم من أن يكون لها أمد »^(١) . والكلام القديم صفة من صفات ذاته^(٢) ، فلا يجوز أن يكون لكلامه غاية ومنتهى ، كما ليس له غاية وحد ، فأوصاف ذاته غير محدودة أيضاً . وهذا رد على اليهود حين ادعوا أنهم أوتوا العلم الكثير ، وكأنه قيل لهم : أي شيء الذي أوتيتم في علم الله ؟ فكلماته التي لا تنفذ ولا تنهاى ، كما لو كتبت بقاء البحار وأضعاف ذلك . وقال ابن عباس في تفسير (كَلِمَاتُ رَبِّي) : « يريد مواعظ الشكر »^(٣) مني ، أو مواعيد ربي وعلمه في خلقه »^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ ﴾ ؛ أي بمثل البحر في كثرة مائه مداداً زيادة له .

وأراد لو جئنا بمثله مداداً له ، والمدد : كل شيء زاد في شيء . يقال : أمددناهم بمدد ؛ أي يقوم يزيدون في عددهم . قال الزجاج : ﴿ مَدَدًا ﴾ منصوب على التمييز ، يقول : ملؤ هذا ، ومثل هذا ذهباً ؛ أي من الذهب »^(٥) . كقوله : ﴿ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة: ٩٥] قال ابن الأنباري : « ويجوز أن يكون ﴿ مَدَدًا ﴾

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٣٩ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ٢١٢ / ١٥ ، والمحزر الوجيز ٤٢٠ / ٩ ، ولباب التأويل ٢٣٧ / ٤ ، وتفسير القرآن العظيم ١٢٠ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٩ / ١١ .

(٢) « الكلام صفة من صفات الله عز وجل ، ثبتها كما أثبتنا لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ، وهو صفة ذاتية باعتبار أصله ؛ لأن الله - تعالى - لم يزل - ولا يزال - متكلماً ، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية ؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم متى شاء بما شاء . وقد تقدم التعليق مراراً على الأقوال التي يوردها الواحد والمتعلقة بالأسماء والصفات . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١٧٢ / ١ ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی للشيخ محمد بن عثيمين ٣٣ ، والعقيدة الواسطية ٤٣ .

(٣) في (ص) : (الشك) ، وهو تصحيف .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦٩ / ١١ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣١٦ / ٣ .

منصوب على المصدر لجئنا بتقدير : لمدد البحر بمثله مدداً ، كما تقول : جاء فلان ركضاً . قال : ويجوز أن يكون نائباً عن الحال بتقدير : لو جئنا بمثله مادين»^(١) .

١١٠ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ . قال ابن عباس : « علم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه »^(٢) . وهذا أمر من الله لرسوله بأن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره ، إلا أنه أكرم بالوحي ، وهو قوله : ﴿ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْهُكُمُ إِلَهٌُ وَحِيدٌ ﴾ لا شريك له . ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية : « أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : إني لأصلي ، وأتصدق ، وأحب مع ذلك أن يطلع عليه الناس ، فأنزل الله هذه الآية »^(٣) . والإشارة في ذكر توحيدة هاهنا إلى مَنْ رآى بعمله^(٤) ، فكأنه أشرك فيه غير الله ، والمعبود واحد لا يقبل الشراكة .

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ ؛ لقاء البعث والمصير إلى الله . والرجاء يذكر بمعنى الخوف ؛ لأنه يتضمن الخوف ، ومنه قول الهذلي^(٥) :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها

(١) ذكر نحوه بلا نسبة في المحتسب ٣٥ / ٢ ، وإملاء ما من به الرحمن ٤٠٥ ، والبحر المحيط ١٦٩ / ٦ ، والدر المصون ٥٥٨ / ٧ .

(٢) معالم التنزيل ٢١٣ / ٥ ، وزاد المسير ٣٠٢ / ٥ ، ومجمع البيان ٧٧٠ / ٥ .

(٣) جامع البيان ٤٠ / ١٦ ، والمحزر الوجيز ٤٢١ / ٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٩ / ١١ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب التفسير ٣٢٩ / ٤ ، وأسباب النزول للواحدي ٣٠٨ ، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٥ .

(٤) في (ص) : (بعلمه) .

(٥) هو صدر بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وعجزه :

وخالفها في بيت نوب عواسل

اللسع : لما ضرب بمؤخرة ، واللسع لذوات الإبر من العقارب والزناير ونحوها . والنوب : النحل وهو جمع نائب ؛ لأنها ترعى وتنوب إلى مكانها . انظر : شرح أشعار الهذليين ١ / ١٤٤ ، ومعاني القرآن للفرأء ١ / ٢٨٦ ، وتفسير غريب القرآن ١ / ٢٧١ ، وتهذيب اللغة (ناب) ٤ / ٣٤٧٦ ، واللسان (نوب) ٨ / ٤٥٦٩ .

أي لم يخف . وهذا قول الكلبي ، ومقاتل^(١) . وهو باطل عند الفراء ؛ لأن الرجاء لا تذهب به العرب مذهب الخوف إلا مع الجحد^(٢) . كقوله : ﴿ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ [الجاثية : ١٤] ، و﴿ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح : ١٣] .

قال ابن الأنباري : «من» حرف شرط ، والشرط يقع على ما لم يتحصل ، فجرى الشرط في هذا مجرى الجحد^(٣) . وقال سعيد بن جبير : «من كان يأمل ثواب الله»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ؛ أي خالصاً لا يرئى به . والمفسرون والصحابة على أن هذه الآية نزلت في النهي عن الرياء ، وذكروا في تفسير هذه الآية : ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : «قال الله : أنا خير الشركاء ، من عمل لي عملاً وأشرك فيه غيري ، فأنا منه بري ، وهو للذي أشرك»^(٥) .

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره ٩/ ٤٢٠ من دون نسبة ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٩ ، وأضواء البيان ٤/ ٢٠٠ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٧١ ، وتفسير المشكل لمكي ١٤٥ . قال الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٤/ ٢٠٠ : «الرجاء يستعمل في رجاء الخير ، ويستعمل في الخوف أيضاً ، واعلم أنهما متلازمان فمن كان يرجو ما عند الله من الخير فهو يخاف ما لديه من الشر كالعكس» .

(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٨٦ .

(٣) ذكر نحوه في زاد المسير ٥/ ٢٠٣ ، ومجمع البيان ٦/ ٧٧٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٥٣ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٣٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٠ .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزهد ، باب من أشرك في عمله غير الله ٣/ ٢٢٨٩ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد ، باب الرياء والسمة ٢/ ١٤٠٥ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٦٠ ، وعزاه لأحمد ، ومسلم ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

وهذا قول عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس ^{(١)(٢)} .

وقال كثير بن زياد ^(٣) : « قلت للحسن : قول الله : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ الآية ، قال : في المؤمن نزلت . قلت : مشركاً بالله ؟ قال : لا ، ولكن أشرك في عمله ، يريد الله به والناس ، فذلك الذي يرد عليه » ^(٤) .

وقال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدٌ ﴾ : « ولا يرائي » ^(٥) . ونحو هذا قال مجاهد ، وموسى بن عقبة ^{(٦)(٧)} .

(١) شداد بن أوس بن ثابت المنذر بن حرام ، أبو علي ، الأنصاري ، النجاري الخزرجي ، ابن أخي حسان بن ثابت ، وهو من فضلاء الصحابة وعلمائهم ، توفي رضي الله عنه سنة ٦٤ هـ . انظر : حلية الأولياء ١/ ٢٦٤ ، والجرح والتعديل ٤/ ٣٢٨ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣١٥ ، وشذرات الذهب ١/ ٦٤ ، وطبقات ابن سعد ٧/ ٤٠١ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٢٥ ، والحاكم في المستدرک ٣/ ٥٠٦ وصحَّحه ، والطبري في تفسيره ١٦/ ٤٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٦٠ ، وعزاه لأحمد ، وابن أبي الدنيا ، وابن مردويه ، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢١ .

(٣) كثير بن زياد ، أبو سهل البرساني الأزدي ، العتكي ، البصري ، سكن بلخ ، وكان ثقة ، وهو من أكابر أصحاب الحسن ، روى عن الحسن ، وعمر بن عثمان ، وأبي سمية ، وأبي العالية ، وروى عنه حماد بن زيد ، وجعفر بن سلمان ، وعمرو بن الرماح البلخي وغيرهم ، وثقه العلماء وأثنوا عليه . انظر : الثقات لابن حبان ٧/ ٣٥٣ ، والكشاف ٣/ ٤ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٤ ، وتهذيب الكمال ٢٤/ ١١٢ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣٧٠ .

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٥٩ ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٤٠ ، والمحرم الوجيز ٩/ ٤٢١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٩ .

(٦) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي ، مولى آل الزبير ، تابعي جليل ، روى عن أم خالد بنت سعيد بن العاص ، والأعرج ، وعكرمة ، وعروة بن الزبير وغيرهم ، وروى عنه بكير بن الأشج ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، وابن جريج وغيرهم ، وكان ثقة ، كثير الحديث ، اشتهر بالصلاح والتقوى ، توفي سنة ١٤١ هـ بالمدينة . انظر : الجرح والتعديل ٨/ ١٥٤ ، والكشاف ٣/ ١٨٦ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٢١٤ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٢١ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٤٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٧ .

هذا الذي ذكرنا قول الجمهور ، وروى الوالبي عن ابن عباس : «أن هذه الآية أنزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، وليست في المؤمنين»^(١) .

والصحيح الذي عليه الناس ، وقد بين ذلك ابن عباس في ما روى عنه عطاء ، وهو أنه قال : «قال الله : ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ ، ولم يقل : ولا يشرك بربه ؛ لأنه أراد بالعمل الذي يعمل الله ، ويجب أن يحمد عليه ، قال : وكذلك يستحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها ، كيلا يعظمه ويوقره من يصله بها»^(٢) .

قال الكلبي ، ومقاتل : «نزلت هذه الآية في رجل يقال له : جندب بن زهير»^(٣) ، قال : يا رسول الله ، أعمل العمل ألتمس به ثواب الله ، وأحب أن يشني عليّ به ، فأنزل الله فيه هذه الآية»^(٤) . ونحو هذا قال مجاهد^(٥) ، وطاوس^(٦) .

(١) الدر المنثور ٤/٤٥٨ ، وروح المعاني ١٦/٥٥ ، وفتح القدير ٣/٤٥٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٩٧/٢ .

(٢) روح البيان ٥/٣٠٩ ، ومجمع البيان ٥/٧٧٠ .

(٣) جندب بن زهير الأزدي ، الغامدي ، أحد أصحاب النبي ﷺ ، عالم ، زاهد ، تقي ، ورع ، روى عنه عدد من التابعين منهم : أبو عثمان الهندي ، والحسن البصري ، وتميم بن الحارث ، قُتل - رضي الله عنه - في موقعة صفين ، وكان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه أميراً على الرجالة . انظر : أسد الغابة ١/٣٠٣ ، والإصابة ١/٢٤٩ ، والاستيعاب ١/٢١٩ ، والكاشف ١/١٣٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/١١٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣/١٧٤ .

(٤) النكت والعيون ٣/٣٥٠ ، وزاد المسير ٥/٢٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٧٠ ، وتفسير مقاتل ٢٣١ ، وأسباب نزول القرآن للواحدي ٣٠٧ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٥ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١١ ، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف ٤/١٠٥ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/٧٢ ، وزاد المسير ٥/٢٠٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١١٢ ، والدر المنثور ٤/٤٥٩ ، وأسباب نزول القرآن للواحدي ٣٠٧ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٥ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١١ .

(٦) جامع البيان ١٦/٤٠ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/٣٤٨ ، وزاد المسير ٥/٢٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٦٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٢٠ ، والدر المنثور ٤/٤٥٩ ، وأسباب نزول القرآن للواحدي ٣٠٧ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٥ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١١ .

تفسير

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿كَهَيْعَصَ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: «كاف: كاف، ها: هاد، عين: عالم، صاد: صادق، والياء: يد من الله على خلقه»^(١). وهذا قول الكلبي، وزاده بياناً فقال: «معناه كاف لخلق، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده»^(٢). وعلى هذا، كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله.

وذكر أبو الهيثم قال: «روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في «كهيعص»: هو كاف، هاد، يمين، عزيز، صادق»^(٣).

-
- (١) انظر: جامع البيان ٤١/١٦، وبحر العلوم ٣١٧/٢، والجامع لأحكام القرآن ٧٤/١١.
- (٢) تفسير القرآن للصنعاني ٥/٢، وجامع البيان ٤٢/١٦، ومعالم التنزيل ٢١٨/٥، والجامع لأحكام القرآن ٧٤/١١.
- (٣) تفسير القرآن للصنعاني ٥/٢، وجامع البيان ٤١/١٦، ومعالم التنزيل ٢١٨/٥، والدر المنثور ٤٦٥/٤.

قال أبو الهيثم : «جعل الياء من يمين من قولك : يمن الله الإنسان يمينه ، يمناً ، ويُمنناً فهو ميمون ، قال : فَالْيَمِينُ وَالْيَامِنُ يكونان بمعنى واحد كالقدير والقادر»^(١) .

وقال أبو إسحاق : «قال أكثر أهل اللغة : إنها حروف التَهَجِّي تدل على الابتداء بالسورة»^{(٢)(٣)} .

وَقُرئ : ها ، يا ، بالتفخيم والإمالة^(٤) . قال أبو علي : «إمالة هذه الحروف لا يمتنع ؛ لأنها ليست بحروف معنى ، وإنما هي أسماء لهذه الأصوات»^(٥) .

(١) تهذيب اللغة (يمن) ٤ / ٣٩٨٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣١٧ .

(٣) قال الطبري في تفسيره ١ / ٩٣ : «والصواب من القول عندي في تأويل مفاتيح السور التي هي حروف المعجم : أن الله - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - جعلها حروف مقطعة ، ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف ؛ لأنه عن ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معاني كثيرة لا على معنى واحد» . وقال ابن كثير في تفسيره ١ / ٤٠ : «إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها» . وقال الشوكاني في تفسيره ٣ / ٣٦٤ : «وكما وقع الخلاف في هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين من بعدهم ، ولم يصح مرفوعاً في ذلك شيء ، ومن روي عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روي عن غيره ما يخالفه ، وقد يروى عن الصحابي نفسه التفاسير المتخالفة المتناقضة في هذه الفواتح فلا يقوم شيء من ذلك حجة ، بل الحق الوقف ورد العلم في مثيلها إلى الله سبحانه» . انظر : المحرر الوجيز ١ / ١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١ / ١٥٤ ، والتفسير الكبير ٢ / ٥ ، والتحرير والتنوير ١ / ٩٤ ، وأضواء البيان ٤ / ٣٩٩ ، ومشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩٩ .

(٤) قرأ أبو بكر عن عاصم ، والكسائي (كهيعص) بإمالة الهاء والياء ، وقرأ أبو عمرو البصري (كهيعص) بإمالة الهاء وفتح الياء ، وقرأ ابن عمر ، وحمة (كهيعص) بإمالة الياء وفتح الهاء ، وقرأ نافع المدني (كهيعص) بين اللفظين فيها ، وذكر عنه الفتح ، وقرأ ابن كثير المكي ، وحفص عن عاصم (كهيعص) بفتحها وتبيين الدال . انظر : السبعة ٦ / ٤٠٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ١٨٤ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٢ ، وحجة القراءات ٤٣٧ ، والتبصرة ٢٥٥ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥ / ١٨٥ .

قال سيبويه : « قالوا : يا ، تا ؛ لأنها أسماء ما يتهجى به »^(١) . « فلما كانت أسماء غير حروف [جازت فيها الإمالة كما جازت في الأسماء ، ويدلك على أنها أسماء غير حروف] »^(٢) أنها إذا أخبرت عنها أعربت بها ، كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربت بها ، فكما أن أسماء العدد قبل أن تعربها أسماء ، فكذلك هذه الحروف ، وإذا كانت أسماء شاعت فيها الإمالة »^(٣) .

وروى حفص عن عاصم : عين صاد بين النون^(٤) .

قال أبو عثمان : « بيان النون مع حروف الفم »^(٥) لحن ؛ إلا أن هذه تجري على الوقف عليها والقطع لها مما بعدها ، فحكمها البيان وأن لا تُخفى »^(٦) . « وقول عاصم هو القياس فيها ، وكذلك أسماء العدد حكمها على الوقف وعلى أنها منفصلة مما بعدها ، ومما يبين أنها على الوقف أنهم قالوا : ثلاثة اربعة ، فألقوا حركة الهمزة على الهاء لسكونها ولم يقلبوها تاء وإن كانت موصولة لما كانت النية بها الوقف ، فكذلك النون ينبغي أن تين ؛ لأنها في نية الوقف والانفصال مما بعدها . ولمن لم يبين أن يستدل بتركهم قطع الهمزة في قولهم : ﴿ اَلَمْ ۙ اَللّٰهُ ﴾ [آل عمران : ١ ، ٢] ألا ترى أن الهمزة لم تقطع ، وإن كانت في تقدير الانفصال مما قبلها ، وكما لم تقطع الهمزة في ﴿ اَلَمْ ۙ اَللّٰهُ ﴾ وفي قولهم : واحد اثنان ، كذلك لم تين النون ؛ لأنها جعلت في حكم الاتصال كما كان الهمزة في ما ذكرنا »^(٧) . كذلك قال أبو

(١) الكتاب لسيبويه ٢/ ٢٦٧ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (س) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٥ .

(٤) انظر : السبعة ٤٠٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٥ .

(٥) في (ص) : (الفهم) ، وهو تصحيف .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٥ .

(٧) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٦ .

الحسن : «تبين النون أجود في العربية ؛ لأن حروف العدد والهجاء منفصل بعضه من بعض ، وعامة القراء على خلاف التبيين»^(١) .

٢ . وقوله تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾ . قال أبو إسحاق : «﴿ذِكْرُ﴾ مرتفع بالمضمر المعنى : هذا الذي نتلو عليك ذكر»^(٢) . قال الأخفش : «كأنه قال : ومما نقص عليك ذكر رحمة ربك»^(٣) .

وذكر الفراء وجهاً آخر فقال : «الذكر مرفوع بـ ﴿كَهَيْعَصَ﴾»^(٤) . وأنكره الزجاج فقال : «هذا محال ؛ لأن ﴿كَهَيْعَصَ﴾ ليس مما أنبأ الله به عن زكريا ، ولم يجئ في شيء من التفسير أن ﴿كَهَيْعَصَ﴾ هو قصة زكريا»^(٥) .

وقول الفراء صحيح على قول من يقول : ﴿كَهَيْعَصَ﴾ اسم لهذه السورة ، وهو قول الحسن^(٦) . ويصير المعنى كأنه قيل هذه السورة ذكر رحمة ربك ، وقد تضمنت هذه السورة قصة زكريا .

وذكر صاحب النظم هذا القول فقال : «هذه الحروف كأنها اسم لهذه السورة ، فصارت مبتدأ وصار خبرها في قوله : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾»^{(٧)(٨)} .

(١) معاني القرآن للأخفش ١/ ١٧٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٦ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٨ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٤ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٦١ . قال أبو البقاء في إملأ ما منَّ به الرحمن ١/ ١١٠ : «وفيه بُعد ؛ لأن الخبر هو المبتدأ في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ، ولا في ذكر الرحمة معناها» .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٨ .

(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٥٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٦ .

(٧) في (ص) : (ثم حذف المضاف) زائد على الأصل .

(٨) ذكر نحوه بلا نسبة في المحرر الوجيز ٩/ ٤٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٧٢ .

وقال ابن الأنباري مصححاً قول الفرّاء منكرأ على الزجّاج : «تلخيص قول الفرّاء ﴿كَهَيْعَصَ﴾ ابتداء ذكر رحمة ربك ، وتقدمه ذكر رحمة ربك ثم حذف المضاف ، وافتتاح الشيء داخل فيه ومحسوب من جملة»^(١) . والمراد بالرحمة هاهنا : إجابة الله - تعالى - زكريا حين دعاه وسأله الولد^(٢) . وانتصب قوله : ﴿عَبْدَهُ﴾ بالذكر ، ومعنى الآية على التقديم والتأخير تقديرها : ذكر ربك عبده بالرحمة ، هذا قول الفرّاء ، والزجّاج ، وصاحب النظم^(٣) .

وقال الأخفش : «انتصب العبد بالرحمة كما نقول : هذا ذكر ضرب زيد عمراً»^(٤) . وهذا هو الوجه ؛ لأن الله - تعالى - ذكر في هذه السورة رحمته زكريا بإجابة دعائه ، وليس يحتاج في هذا القول تقدير التقديم والتأخير .

٣. قوله تعالى : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ بمعنى : الخافي ، يقال : خفي الشيء يخفي ، خفاءً ، فهو خافٍ ، وخفيٌّ كما يقال : سامع وسميع^(٥) . قال ابن عباس : «يريد يخفي ذلك في نفسه»^(٦) . قال ابن جريج : «لا يريد رياء»^(٧) .

-
- (١) ذكر بلا نسبة في المحتسب ٣٧/٢ ، والمحزر الوجيز ٤٢٥/٩ ، والبحر المحيط ١٧٢/٦ ، والدر المصون ٥٦١/٧ .
- (٢) النكت والعيون ٣/٣٥٤ ، والتفسير الكبير ١١/١٧٩ ، وفتح القدير ٣/٤٥٨ .
- (٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٦١ ، ومعاني القرآن للزجّاج ٣/٣١٨ .
- (٤) معاني القرآن للأخفش ٢/٦٢٤ .
- (٥) انظر : تهذيب اللغة (خفي) ١/١٠٧٠ ، والمعجم الوسيط (خفي) ١/٢٤٧ .
- (٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/٣٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٧٦ ، والتفسير الكبير ٢١/١٨٠ ، وروح المعاني ١٦/٥٩ .
- (٧) جامع البيان ١٦/٤٥ ، والنكت والعيون ٣/٣٥٤ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٢٦ ، وزاد المسير ٥/٢٠٦ ، والدر المنثور ٤/٤٦٦ .

وهذا يدل على أن المستحب في الدعاء الإخفاء . قال الحسن : «وقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت إن كان إلّا همساً بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله - عز وجل - يقول^(١) : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف : ٥٥]»^(٢) . وذكر الله عبداً صالحاً ورضي قوله فقال : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ ، وقال الكلبي : «أخفاه وأسرّه عن قومه لئلا يسمعه»^(٣) . وهذا يقرب من قول مَنْ قال : «إنما أخفى ؛ لأنه خاف أن يلام على مسألته الولد عند كبر سنه ، فدعا الله خفياً من قومه» . وهذا القول حكاه ابن الأنباري عن الكلبي ، ومقاتل بن سليمان قالاً : «إنما أخفى نداءه استحياء من أن يرى الناس شيخاً كبيراً يتمنى الولد ويجب أن يرزقه»^(٤) .

٤ . قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ . وهن : ضعف ، يهن وهناً ، وَهْنًا ، فهو واهن ، وأوهنه يُوهِنُهُ^(٥) . ﴿وَأَسْتَعَلَّ الرَّأْسُ﴾ أي انتشر فيه الشيب كما ينتشر شعاع النار في الحطب ، وهذا من أحسن الاستعارة إذ شبه بياض الشيب وانتشاره في الرأس بشعاع النار وانتشارها^(٦) .

(١) قوله : (يقول) : ساقط من (ص) .

(٢) ذكر نحوه مختصراً الهواري في تفسيره ٦/٣ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٣١٨/٢ ، وزاد المسير ٢٠٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٦/١١ ، والتفسير الكبير ١٨٠/١١ ، والبحر المحيط ١٧٣/٦ ، وأنوار التنزيل ٢/٤ .

(٤) النكت والعيون ٣/٣٥٤ ، وزاد المسير ٢٠٦/٥ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٢٠٤/٤ بعد ذكر هذه الأقوال : «كل ذلك ليس بالأظهر ، والأظهر أن السر في إخفائه هو ما ذكرنا من كون الإخفاء أفضل من الإعلان في الدعاء» .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (وهن) ٣٩٦٦/٤ ، ومقاييس اللغة (وهن) ١٤٩/٦ ، والقاموس المحيط (وهن) ١٢٣٩ ، ولسان العرب (وهن) ٤٩٣٥/٨ .

(٦) انظر : النكت والعيون ٣/٣٥٥ ، والمحرم الوجيز ٤٢٦/٩ ، والكشاف ٤٠٥/٢ ، والإيضاح في علوم البلاغة ٣٠٢ ، والبرهان في علوم القرآن ٤٣٥/٣ .

وأصل هذا الحرف من الاشتعال يقال : غارة مُشْعِلَةٌ ، وقد أَشْعَلَتْ إذا تفرقت .

قال ابن السكيت : « جاء جيش كالجراد المشعل ، وهو الذي يخرج في كل وجه ، وَكَتَبْتُ مُشْعَلَةً : إذا انتشرت »^(١) . قال جرير^(٢) :

عَايَنْتُ مُشْعِلَةَ الرَّعَالِ كَأَنَّهَا طَيْرٌ تُغَاوِلُ فِي شَمَامٍ وَكُورَا

ويقال أيضاً : أَشْعَلْتُ جَمْعَهُمْ ؛ أي فرقتهم ، ومنه يقال : أَشْعَلْتُ النار في الحطب ؛ أي فرقتها فيه فَاشْتَعَلَتْ . قال الزَّجَّاج : « يقال للشيب إذا كثر جداً : قد اشتعل رأس فلان »^(٣) . قال لبيد^(٤) :

إِنْ تَرَى رَأْسِي أَمْسَى وَاضِحاً سُلْطَ الشَّيْبُ عَلَيْهِ فَاشْتَعَلَ

أي انتشر وكثر ، والاشتعال للشيب إلا أنه نقل الفعل إلى الرأس فخرج الشيب مفسراً ؛ ولذلك نصب كما يقال : ألم رأسه ، ووجع بطنه^(٥) .

وقال بعضهم : انتصب قوله : ﴿ شَيْبًا ﴾ على المصدر كأنه قال : شاب رأسي شيباً^(٦) .

(١) تهذيب اللغة (شعل) ١٨٩١ / ٢ .

(٢) البيت لجرير في قصيدة يهجو بها الأخطل . المُشْعَلَةُ : المتفرقة . والرَّعَالُ : قطع الخيل . وتُغَاوِلُ : تبادر سرعة . وشَمَامٌ : جبل . انظر : ديوان جرير ٢٢٤ ، وتهذيب اللغة (غال) ٢٦٢٤ / ٣ ، ولسان العرب (غول) ٣٣١٩ / ٦ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣١٩ / ٣ .

(٤) البيت للبيد من قصيدة يتحدث فيها عن مآثره ومواقفه ، ويأسى لفقد أخيه أربد . انظر : ديوان لبيد بن ربيعة ١٤٠ .

(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ١ / ١١٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٠١ / ٢ .

(٦) معاني القرآن للأخفش ٦٢٤ / ٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٠١ / ٢ .

قال ابن الأنباري : « المعنى واشتعل شيب الرأس ، فنقل الفعل عن الشيب إلى الرأس وانتصب الشيب بتحول الفعل عنه وخروجه من الوصف ، يعني من أن يوصف بأنه فاعل ، كما يقال : مررت برجل حسن وجهاً ، نقلوا الحسن إلى الرجل ، فلما انعدل الحسن عن الوجه انتصب بخروجه عن الوصف . قال : ويجوز أن يكون الشيب نائباً عن المصدر ، والتأويل واشتعل الرأس اشتعالاً ، فسد الشيب مسد الاشتعال ، كما تقول : جاء فلان ركضاً ، والتأويل ركض ركضاً أو جاء مجيئاً^(١) .

ومعنى الشيب : مخالطة الشعر الأبيض الأسود ، وهو موافق لمعنى الشايب الذي يخلط الشيء بغيره^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ ﴾ ؛ أي بدعائي إياك ، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول ﴿ رَبِّ شَفِئًا ﴾ . قال ابن عباس : « لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك »^(٣) .

[وقال مجاهد : « كنت تعرفني الإجابة إذا دعوتك »]^(٤)^(٥) . وهذا قول الجميع . ويقال : شقي فلان بكذا^(٦) إذا أتعب بسببه ولم يحصل له طائل ، يقول : لم أكن أتعب بالدعاء ثم أخيب .

(١) ذكر نحوه بلا نسبة في إملاء ما من به الرحمن ٤٠٦ ، والمحذر الوجيز ٤٢٦/٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٧/١١ ، والدر المصون ٥٦٥/٧ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (شاب) ١٧٩٩/٢ ، ومقاييس اللغة (شيب) ٢٣٢/٣ ، والقاموس المحيط (شيب) ٩٩ ، والمعجم الوسيط (شيب) ٥٠٢/١ .

(٣) ذكرته بعض كتب التفاسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٤٦/١٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٥٥ ، ومعالم التنزيل ٢١٨/٥ ، وتنوير المقباس ٢٥٤ .

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٤٦/١٦ من دون نسبة ، وكذلك الماوردي في تفسيره ٣/٣٥٥ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٦) قوله : (بكذا) : ساقط من (س) .

٥. وقوله تعالى : ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ . أراد بالموالي : الورثة ، وهم العصبه ، والكلالة . قاله ابن عباس في رواية الضحاك ، وهو قول مجاهد ، وجميع أهل التفسير^(١) .

قال الزجاج : «ومعنى ﴿الْمَوَالِيَ﴾ : هم الذين يلونه في النسب ، كما أن معنى القرابة : الذين يقربون منه بالنسب»^(٢) .

وقال الفراء : «﴿الْمَوَالِيَ﴾ هم بنو العم ، وورثته ، والولي والمولى في كلام العرب واحد»^(٣) .

ويقول تعالى : ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ ؛ أي من بعد موتي ، واختلفوا في معنى خوفه ، فقال بعضهم : «خاف أن يرثه غير الولد»^(٤) .

وقيل : «خاف أن تذهب النبوة من نسبه إلى بني الأعمام»^(٥) . وهذا ليس بشيء ؛ لأنه لا يكون خوفاً من الموالى ، والصحيح في معنى خوفه ما ذكره أبو علي فقال : «الخوف لا يكون من الأعيان في الحقيقة ، إنما يكون من معانٍ فيها ، فإذا قال القائل : خفت الله ، وخفت الوالى ، وخفت الناس ، فالمعنى : خفت عقاب الله ومؤاخذته ، وخفت عقوبة الوالى ، وملامة الناس ، وكذلك أي : ﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ ، أي خفت تضييع بني عمي ، فحذف المضاف ،

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٣/٢ ، وجامع البيان ٤٦/١٦ ، ٤٧ ، والنكت والعيون ٣/٣٥٥ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٢٧ ، ومعالم التنزيل ٥/٢١٨ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٢١٩ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/١٦١ .

(٤) المحزر الوجيز ٩/٤٢٧ ، والكشاف ٢/٤٠٥ ، وزاد المسير ٥/٢٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٨/١١ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه . انظر : جامع البيان ٤٦/١٦ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٣/٢ ، والكشاف والبيان ٣/٢٠٩ ، ومعالم التنزيل ٥/٢١٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٢٤ ، وزاد المسير ٥/٢٠٩ .

والمعنى تضييعهم للدين ، ونبذهم إياه وإطراحهم له ، فسأل ربه ولياً يرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين ، وكأن الذي حمله على مسألة ذلك ما شاهدتهم عليه من تبديلهم للدين ، وتوثيبهم على الأنبياء ، وقتلهم إياهم^(١) .

ويؤكد هذا ما روى عطاء عن ابن عباس قال : «يريد بالموالي بني إسرائيل»^(٢) . وبنيو إسرائيل كانوا يبدلون ويقتلون الأنبياء^(٣) ، وعلى هذا سَمَّى بني إسرائيل موالي ؛ لأنهم كانوا بني أعمامه .

وقوله تعالى : ﴿وَكَاَنَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ ؛ أي عقيماً لا تلد ، وهذا الذي قاله زكريا إخبار عن خوفه في ما مضى حين كانت امرأته لا تلد ، وكان هو آيساً من الولد لذلك ذكره بلفظ الماضي في ﴿خَفْتُ﴾ ﴿وَكَاَنَتِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ أي ابناً صالحاً يتولاه ، قال أبو إسحاق : «قوله : ﴿وَلِيًّا﴾ يدل على أنه سأل ولداً دِيناً ؛ لأن غير الدِّين لا يكون ولياً لنبي»^(٤) .

٦ . قوله تعالى : ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ﴾ . قرئ : بالرفع ، والجزم^(٥) . فالرفع على صفة الولي ، كأنه سأل ولياً وارثاً علمه ونبوته ، والجزم على جواب

(١) الحجة للقراء السبعة ١٨٩/٥ .

(٢) ذكر في كتب التفاسير من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/٣٥٥ ، والكشاف ٢/٤٠٥ ، وروح المعاني ١٦/٦١ ، والدر المصون ٧/٥٦٦ .

(٣) إلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله - تعالى - في سورة البقرة ، الآية ٥٩ : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ الآية . وقال - تعالى - في الآية ٦١ : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَحْيِيهِمُ اللَّهُ وَيَتَوَلَّوْنَ الْكَافِرِينَ يَكُونُوا عَصَاً وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢٠ .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ﴾ برفعهما ، وقرأ أبو عمرو والبصري ، والكسائي (يرثي ويرث) بالجزم فيها . انظر : السبعة ٤٠٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/١٩١ ، والعنوان في القراءات ١٢٦ ، والنشر ٢/٣١٧ .

الأمر ، والرفع أصح القراءتين ، إذ ليس المعنى على الجزاء وذلك ؛ لأنه ليس كل ولي يرث ، وإذا كان كذلك لم يسهل الجزاء من حيث لم يصح إن وهبته ورث ؛ لأنه قد يهب له ولياً لا يرث بأن يموت قبله ، أو لا يصلح لخلافة النبوة ، وإذا كان كذلك كان الوجه الرفع ، ووجه الجزم أنه أراد بالولي ولياً وارثاً ، فيصح الشرط بأن تقول : إن وهبت ورث إذا كان المسؤول ولياً وارثاً^(١) .

واختلفوا فيم يرثه هذا الولي ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : «يرث النبوة»^(٢) . وهو قول أبي صالح : «يكون نبياً كما كانت آبائهم أنبياء»^(٣) . وقال مجاهد والسُّدِّي : «يرث العلم والنبوة»^(٤) .

وقال الكلبي : «يرث مكاني وحبورتي»^(٥) .

وقال قتادة : «نبوتي وعلمي»^(٦) .

وقال ابن قتيبة : «يرثني الحبورة ، وكان زكريا حبراً ، ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ الملك ، قال : وكذلك قيل في التفسير»^(٧) .

(١) الحجة للقراء السبعة ١٩١ / ٥ . قُرئ بالرفع والجزم كما مرَّ آنفاً ، وثبتت القراءة بهما وصَحَّت عن النبي ﷺ ؛ فلا وجه لتضعيف قراءة الجزم .

(٢) التفسير الكبير ١١ / ١٨٤ ، وذكره من دون نسبة ابن الجوزي في تفسيره ٥ / ٢٠٩ ، وكذلك القرطبي في تفسيره ١٦ / ٨١ .

(٣) جامع البيان ١٦ / ٤٧ ، والدر المنثور ٤ / ٤٦٧ .

(٤) جامع البيان ١٦ / ٤٨ ، والوسيط ٣ / ١٧٦ .

(٥) روح المعاني ١٦ / ٦٢ ، وذكره من دون نسبة البغوي في تفسيره ٥ / ٢١٩ ، والزنجشري في كشفه ٤٠٥ / ٢ .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢ / ٥ ، وجامع البيان ١٦ / ٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٢٤ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٢ / ٢ .

وقال قوم : أراد وراثة المال . وهو قول ابن عباس في رواية عكرمة قال : «يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة» . وهو قول الحسن وسفيان^(١) .
والصحيح القول الأول^(٢) .

قال أبو إسحاق : «لا يجوز أن يخاف زكريا أن يورث المال ؛ لأن أمر الأنبياء والصالحين أنهم لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعله الله لهم»^(٣) . وكان يحيى بن يعمر^(٤) يقول : «لئن كان إنما قال يرثني مالي إن كان إذا لجشعاً»^(٥) .

قال أبو علي : «لا يخلو هذا من أن يكون أراد يرث مالي ، وعلمي ، ونبوتي ، وفي ما أثر عن رسول الله ﷺ من أنه قال : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة»^(٦) . دلالة على أن الذي سأل أن يرثه وليه ليس المال ، فإذا بطل

(١) النكت والعيون ٣/٣٥٦ ، ومعالم التنزيل ٥/٢١٩ ، وزاد المسير ٥/٢٠٩ ، والدر المثور ٤/٤٦٧ .

(٢) هو قول جمهور المفسرين ، وتشهد له الأحاديث الصحيحة . قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٣/١٢٤ : «إن النبي أعظم منزلة وأجل قدراً من أن يشفق على حاله إلى ما هذا حده ، وأن يأنف من وراثة عصابته له ، ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه .

والثاني : أنه لم يذكر أنه كان ذا مال ، بل كان نجاراً يأكل من كسب يديه ، ومثل هذا لا يجمع ولا سيما أن الأنبياء كانوا أزهدي شيء في الدنيا .

والثالث : أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال : «لا نورث ، ما تركناه صدقة» . وعلى هذا فيتعين أن المراد ميراث النبوة» . انظر : زاد المسير ٥/٢٠٩ ، وأضواء البيان ٤/٢٠٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢٠ .

(٤) يحيى بن يعمر العدواني ، أبو سليمان البصري ، قاضي مرو ، إمام تابعي ثقة ، فقيه مقرر ، نحوي أديب ، عالم باللغة ، يقال : إنه أول من نقط المصحف ، مات - رحمه الله - قبل المائة وقبل بعدها . انظر : سير أعلام النبلاء ٤/٤٤١ ، وغاية النهاية ٢/٣٨١ ، وتهذيب التهذيب ١١/٣٠٥ ، ومعجم البلدان ٢٠/٤٢ .

(٥) لم أقف عليه ، وهو قول بعيد ؛ لأنه لا يصح أن يقال ذلك في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ فهو وصف لا يليق بمكانة نبي الله زكريا عليه السلام ، وحاشاه أن يوصف بالجشع وهو صفة ذم ، والأنبياء - عليهم السلام - لهم صفات المدح والثناء ؛ فقد اصطفاهم الله واختصهم بالنبوة وشرّفهم بها .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبه فاطمة عليها السلام ٣/١٣٦٠ ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي ﷺ : «لا نورث ، ما تركناه =

هذا ثبت الوجه الآخر ، على أنه لا يجوز على نبي الله أن يقول : أخاف أن يرثني بنو عمي وعصيتي على ما فرضته لهم ، ويدل على صحة هذا قراءة عثمان رضي الله عنه : «وإني خَفَتِ الموالي»^(١) ؛ أي أنهم قَلُّوا وَقَلَّ مَنْ كان منهم يقوم بالدين فسأل ولياً يقوم به»^(٢) .

وبين عبد الله بن مسلم هذا فقال : «زكريا لم يرد يرثني مالاً ، وأي مال كان لزكريا فيضن به عن عصيته حتى يسأل الله أن يهب له ولداً يرثه ، لقد جَلَّ هذا المال إذاً وعَظُمَ عنده ، ونافس عليه منافسة أبناء الدنيا الذين لها يعملون وللمال يكدحون ، وإنما كان زكريا بن آذر نجاراً وكان حبراً» . كذلك قال وهب بن منبه^(٣) .

وكلا هذين الأمرين يدل على أنه لا مال له ، والذين قالوا : يرثني مالي روي عن رسول الله ﷺ : أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال : «رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته»^(٤) . وهذا لا يدل على أنه فسر الآية بوارث الوالي وإنما أراد ﷺ : وما

صدقة ١٣٧٩ / ٣ ، والترمذي في جامعهم في كتاب السير ، باب ما جاء في تركه رسول الله ﷺ ١٣٥ / ٤ ، وقال : «حديث صحيح» ، وأخرجه النسائي ، كتاب قسم الفيء ٩٥ / ٧ ، والإمام أحمد في مسنده ٤ / ١ .

(١) الحجة للقراء السبعة ١٨٩ / ٥ ، ومختصر ابن خالويه ٨٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥ / ٣ ، والمحاسب ٣٧ / ٢ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ١٨٩ / ٥ .

(٣) لم أقف على هذا القول ، ولكن له شواهد ؛ فقد صحَّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «كان زكريا نجاراً» . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل زكريا عليه السلام ١٨٤٧ / ٤ ، وابن ماجه ، كتاب التجارات ، باب الصناعات ٧٢٧ / ٢ ، وأحمد ٢٩٦ / ٢ ، وابن كثير في تفسيره ١١٤ / ٣ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٣٧ / ١٦ بسنده عن قتادة ، وعبدالرزاق في تفسيره ٣ / ٢ ، والشعبي في الكشف والبيان ١ / ٣ ، والماوردي في النكت ٣٥٦ / ٣ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٣ / ١١ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤ / ٤٦٧ ، وعزه لعبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأورده ابن كثير في تفسيره ١٢٤ / ٣ ، وقال : «وهذه مراسلات لا تعارض الصحاح ، والله أعلم» .

كان عليه من وراثة النبوة والعلم ، كأنه يقول : لو لم يسأل الله ولداً يرثه علمه ونبوته ما كان الله ليضيع دينه ، وكان يرث ما كان يقوم به من أمر الدين غير ولده .
وقوله تعالى : ﴿مَنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ . أكثر الناس على أن هذا يعقوب بن إسحاق ، وكان زكريا من سبط يهوذا بن يعقوب^(١) .

وقال الكلبي : «هو يعقوب بن ماتان ، رؤوس بني إسرائيل وبنو ملوكهم ، وكان آل يعقوب أحوال ولده ؛ لأن امرأة زكريا حنة أخت مريم بنت عمران بن ماتان»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ . الرضي بمعنى المرضي ، قال ابن عباس : «يريد يكون عبداً مرضياً في الصلاح والعفاف والنبوة»^(٣) .

٧ . وقوله تعالى : ﴿يَزَكِّرِيَا﴾ . فيه إضمار والمعنى : استجاب الله دعاءه فقال : ﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ . وذكرنا في سورة آل عمران هذه القصة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿لَمْ نجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ . قال ابن عباس في رواية عكرمة : «لم يُسمَّ أحد قبله يحيى»^(٥) . وهذا قول قتادة ، والكلبي ، وابن جريج ، والسُّدي ،

(١) الكشف ٢/ ٤٠٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٢/ ١١ .

(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٥٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٢ ، وروح المعاني ٦٢/ ١٦ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٢ ، والمححر الوجيز ٩/ ٤٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٨٥ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

(٥) زاد المسير ٥/ ٢١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٦٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٨ ، وتفسير ابن عباس ٢/ ٥٩٩ .

وابن زيد ، واختيار القتيبي^(١) . وعلى هذا ، فالفضيلة تثبت ليحيى من حيث إن الله - تعالى - تولى تسميته باسم لم يسبق به ، ولم يكل تسميته إلى الأبوين فكان ذلك تفضيلاً له من هذا الوجه . قال الزجاج : « قيل : سمي يحيى ؛ لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيها »^(٢) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ يريد : « لم يكن له في سابق علمي نظير ولا شبه »^(٣) .

وقال في رواية الوالبي : « لم تلد العواقر مثله ولداً »^(٤) . وهذا قول سعيد بن جبير : ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ قال : « عدلاً »^(٥) . وقال مجاهد : « مثلاً »^(٦) .

وعلى هذا القول ، فالمراد بالسمي : المثل والنظير كقوله : ﴿ هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ؛ أي مثلاً وعدلاً ، ولم يكن ليحيى مثل من البشر من حيث إنه لم يعص ولم يهيم بمعصية قط .

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٦/٢ ، وجامع البيان ٥٠/١٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٥٧ ، ومعالم التنزيل ٢١٩/٥ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢٠ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٤٩/١٦ ، والكشف والبيان ٢/٣ ، والنكت والعيون ٣/٣٥٧ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٠ ، وزاد المسير ٥/٢١١ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٢٤ .

(٤) جامع البيان ٤٩/١٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٥٧ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٠ .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٤٦٨ ، وقال : « شبيهاً » ، والكشف والبيان ٣/٣ .

(٦) جامع البيان ٤٩/١٦ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٣١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٢٤ ، وزاد المسير ٥/٢١١ .

٨. وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ﴾. مضى الكلام في معنى هذا الاستفهام في سورة آل عمران^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾. قال كثير من الناس: «كَانَتْ» هاهنا زيادة^(٢)، والمعنى: وامرأتي عاقراً، كما قال في موضع آخر: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأُمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠]. قال ابن الأنباري: «كَانَتْ» هاهنا ماضٍ، معناه الحال كأنه قال: وكانت امرأتي في الحال، فصلح وضع الماضي في وضع الدائم؛ لأن المعنى مفهوم غير ملتبس، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، و﴿كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]. المعنى: وكان الله غفوراً أبداً. قال: وفي المسألة جواب ثالث: وهو أنه لما بشر بالولد وقع في نفسه أنه يكون بزوال العقر عن زوجته فقال بعد وقوع هذا المعنى في نفسه ﴿وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾؛ أي إلى هذا الوقت الذي لا أدري أزال العقر عنها أم لا؟ قال: وهذا جواب جيد صحيح^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾. قال أبو عبيد: «يقال للشيخ إذا ولى وكبر: عَتَا، يَعْتُو، عِتِيًّا»^(٤).

وقال أبو عبيدة: «كل مبالغ في شيء أو كفر فقد عَتَا، عِتِيًّا، فهو عَاتٍ»^(٥).

(١) عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ﴾ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأُمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

(٢) التعبير بلفظ الزيادة، لا يصح القول به في القرآن الكريم؛ فإن كل حرف منه ورد ليدل على معنى من المعاني، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والمنزل الحكيم - سبحانه - لا ينزل الشيء إلا لفائدة.

(٣) ذكر نحوه في المحرر الوجيز ٩/ ٤٣٢، وزاد المسير ٥/ ٢١١، والتفسير الكبير ٢١/ ١٨٤.

(٤) تهذيب اللغة (عتا) ٣/ ٢٣١٣، ولسان العرب (عتا) ٥/ ٢٨٠٤.

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٢.

وقال أبو إسحاق : « كل شيء انتهى فقد عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا وَعِيتِيًّا »^(١) .

وقال الفرّاء : « يقال للشيخ إذا كبر عَتَا وَعِيتِيًّا »^(٢) .

قال أهل المعاني : « يقال للذي غيره الزمان إلى حال اليبس والجفاف : هو عَاتٍ وَعَاسٍ »^(٣) .

وهذا المعنى فسره مجاهد فقال : « هو نحول العظم »^(٤) . وهو قول قتادة^(٥) .

وقال ابن قتيبة : « ﴿عِيتِيًّا﴾ ؛ أي يبساً ، ومنه يقال : ملك عَاتٍ ، إذا كان قاسي القلب غير لين »^(٦) .

وقال ابن عباس في معنى قوله : « ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ » : « لا أقدر على مجامعة النساء »^(٧) . وهذا راجع إلى ما ذكرنا من معنى اليبوسة .

وروى عمرو بن ميمون : « أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فقال : أخبرني عن قول الله عز وجل : « ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ » ما العتي ؟ قال : اليبوس من الكبر »^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٠ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٦٢ .

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٥٧ ، ولسان العرب (عتا) ٥/ ٢٨٠٤ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٥١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢١١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٧ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٦/ ٦ ، وجامع البيان ١٦/ ٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٠ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٢٧٢ .

(٧) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٦/ ٧٨٠ ، وورد بلا نسبة في جامع البيان ١٦/ ٥٠ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٣ أ .

(٨) ذكر بلا نسبة في بحر العلوم ٢/ ٣١٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٧ ، والكشف والبيان ٣/ ٣ أ .

وقرأ القراء: (عُتِيًّا) بالضم، و(عِتِيًّا) بالكسر^(١). وكذلك: (صليًّا) [مريم: ٧٠]، (بكيًّا) [مريم: ٥٨]، (جثيًّا) [مريم: ٦٨]، والأصل في هذا أن ما كان من فُعُول جمعاً من المعتل اللام، فاللام إذا كانت واولاً لزمه القلب على الاطراد إلى الياء، ثم تقلب واو فُعُول إلى الياء لإدغامها في الياء، وتكسر عين الفعل كما كسرت في مرمي ونحوه، وذلك نحو: حَقُّوْ وَحَقِّيْ، وَذَلُّوْ وَدُلِّيْ، وَعَصَاْ وَعُصِيْ، وَصَفَاْ وَصَفِيْ، وكسر الفاء مطرد في هذا نحو: دِلِّيْ، وَحَقِّيْ، وَعِصِيْ، وجاز ذلك؛ لأنها غيرت تغييرين وهما: أن الواو التي هي لام قلبت، والواو التي كانت قبلها قلبت أيضاً، فلما غيرت تغييرين قويا على هذا التغيير من كسر الفاء هذا في الجمع، فأما ما كان من ذلك مصدراً فالقياس فيه أن يصح نحو: العُتُوْ والْقُلُوْ؛ لأن واوه لم يلزمها الانقلاب كما لزمها في الجمع، ولكن لما كانوا قد قلبوا الواو من هذا النحو وإن كان مفرداً نحو: مَرْمِيْ وقلبوا ما كان قبل الآخر بحرف كما قلبوا الآخر نحو: صَيِّم، وكان هذا على وزنه غير أيضاً تغييرين كما غيروا في الجمع ثم أجرى المصدر مجرى الجمع في كسر الفاء منه، ويروى أن في حرف عبدالله: (ظلماً وعلياً) [النمل: ١٤] في علو^(٢). وقال الله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا﴾ [الفرقان: ٢١] وقال في موضع آخر: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩] يعني هاهنا كالذي في هذه الآية. وقد ذكرنا في هذا النحو في قوله تعالى: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨].

(١) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر (عُتِيًّا) بالضم، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿عِتِيًّا﴾ بالكسر. انظر: السبعة ٤٠٧، والحجة للقراء السبعة ١٩٢/٥، والمبسوط في القراءات ٢٤٢، والتبصرة ٢٥٥.

(٢) الحجة للقراء السبعة ١٩٣/٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣٠٥/٢، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١١١/١، والدر المصون ٥٦٩/٧.

٩. قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ ﴾ . قال الزجاج : «أي الأمر كما قيل لك»^(١) .
وقال مقاتل بن سليمان : «﴿ كَذَلِكَ ﴾ بمعنى : هكذا»^(٢) .

قال ابن الأنباري : «وعلى هذا القول ، ﴿ كَذَلِكَ ﴾ بجملته في موضع نصب ، ولا يقضي على الكاف بانفراد مما بعدها»^(٣) .

﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ﴾ . قال الفراء : «أي خلقه عليَّ هين»^(٤) .

قال ابن عباس : «يريد : أردَّ عليك قوتك حتى تقوى على الجماع ، وأفتق رحم امرأتك بالولد»^(٥) .

﴿ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ ﴾ يحيى . قرئ : خلقتك^(٦) ، لكثرة ما جاء من^(٧)
لفظ الخلق مضاف إلى لفظ الجمع كقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ [الحجر : ٢٦] ، في
مواضع . وقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْتَنِيكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] ، ولغة الجمع قد جاء بعد
لفظ الإفراد كقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى ﴾ [الإسراء : ١] ، ثم قال : ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ ﴾ [الإسراء : ٢] . واختار أبو عبيد التاء^(٨) ؛ لأنها تشاكل الياء في : ﴿ عَلَى
هَيْنٍ ﴾ .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢١ .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٢٣٢ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشف ٢/ ٤٠٦ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٤٠٧ ، والبحر المحيط ٦/ ١٧٥ ،
والدر المصون ٧/ ٥٧١ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٢ .

(٥) مجمع البيان ٥/ ٧٨٠ ، وروح البيان ٥/ ٣١٧ .

(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ﴿ خَلَقْتَنِي ﴾ بالتاء من غير ألف ، وقرأ
همزة ، والكسائي (خلقتك) بالنون والألف . انظر : السبعة ٤٠٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٥ ،
والتبصرة ٢٥٥ ، والنشر ٢/ ٣١٧ .

(٧) قوله : (من لفظ الخلق مضاف إلى) : ساقط من نسخة (س) .

(٨) ذكره بلا نسبة الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٥ .

وقال أحمد بن يحيى^(١) : «الاختيار النون والألف ؛ لأن فيه زيادة حرف وبكل حرف عشر حسنات»^(٢) . والقراءة غير مخالفة خط المصحف ؛ لأنهم يسقطون الألف من الهجاء في مثل هذا البناء ؛ ولأن فيه الفخامة والتعظيم لاسم الله عز وجل ، وله المثل الأعلى .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ . يريد أنه كان عدماً فأوجده بقدرته ، وفي هذا رد على القدرية في تسميتهم المعدوم شيئاً^(٣) . والله - تعالى - يقول لذكر يا حين كان معدوماً : ﴿وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ . قال الزجاج : «أي فخلق الولد لك كخلقك»^(٤) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ قال قتادة : «سأل نبي الله آية على حمل امرأته بعدما شافهته الملائكة بالبشارة مشافهة»^(٥) .

قال ابن الأنباري : «وفي سؤاله الآية وجوه :

أحدها : أن التماسه الآية كان على معنى المزيد من الله ، والتكرمة من الله بإعطائه الآية ، ليتم نعمة إلى نعمة ، وكلتاها يد من الله - عز وجل - عنده .

(١) هو ثعلب ، تقدمت ترجمته .

(٢) لم أقف عليه ، ويشهد له ما صح من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ : أَلَمْ حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» .

(٣) قال القاضي علي بن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ١ / ١١٧ : «أهل السنة عندهم أن الله على كل شيء قدير ، وكل ممكن فهو مندرج في هذا ، وهذا الأصل هو الإيذان بربوبيته العامة التامة ، وأن المعدوم ليس بشيء في الخارج ، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ، ويكتبه ، وقد يذكره ويخبر به فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب لا في الخارج ، قال تعالى : ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ ؛ أي لم تكن شيئاً في الخارج ، وإن كان شيئاً في علمه تعالى» . وانظر : أضواء البيان ٤ / ٢١٧ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٢١ .

(٥) جامع البيان ١٦ / ٥٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٧ / ٣ .

والثاني: [أنه لما بشر بالولد كان على يقين منه ، غير أنه تاق إلى سرعة الأمر فسأل الله آية يستدل بها على قرب ما مَنَّ به عليه^(١) .

والثالث: أنه لما بشر بالولد غلب عليه طبع البشرية ، فسأل الآية ليزداد بها يقيناً وإيماناً ، فعاقبه الله بأن حبس لسانه ثلاث ليال حين احتاج إلى مشافهة الملائكة بالبشارة إلى علامة تدل على صحة ما وعده به^(٢) . وإلى هذا ذهب الكلبي ، ومقاتل^(٣) ، وقتادة ، قال^(٤) قتادة : «قوله : ﴿ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ حبس لسانه عقوبة لما سأل الله الآية بعد ما شافهته الملائكة بالبشارة ، وكان لا يفيض بكلمة إنما يومئ إيباء^(٥) . ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ ؛ أي قال الله : علامتك على خلق الولد لذلك ﴿إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ ، أي تمنع الكلام فلا تقدر عليه ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ صحيحاً من غير ما بأس ولا خرس . قال مجاهد : «أي لا يمنعك مرض»^(٦) . و﴿سَوِيًّا﴾ منصوب على الحال . قال ابن الأنباري : «ويجوز أن يكون ﴿سَوِيًّا﴾ نعت مصدر محذوف على معنى أن لا يكلم الناس تكليماً سويّاً ، يصحح هذا أنه كان يشير في الليالي الثلاث ، ولا يتكلم تكليماً صحيحاً»^(٧) .

١١ . قوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ . قال ابن زيد : «من مصلاه»^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ٥٢ / ١٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٧ / ٣ ، ومعالم التنزيل ١٨٩ / ٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٢٣٢ .

(٤) قوله : (قال) : ساقط من نسخة (س) .

(٥) جامع البيان ٥٢ / ١٦ ، وذكره الهواري في تفسيره ٧ / ٣ من دون نسبة ، والدر المنثور ١٩٢ / ٢ .

(٦) جامع البيان ٥٢ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٢٠ / ٥ ، والدر المنثور ٤٦٩ / ٤ .

(٧) ذكر نحوه بلا نسبة في التفسير الكبير ١٩٠ / ٢١ ، والبحر المحيط ١٧٦ / ٦ ، والدر المصون ٥٧٣ / ٧ .

(٨) جامع البيان ٥٣ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣٥٨ / ٣ ، والدر المنثور ٤٦٩ / ٤ .

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾. قال ابن عباس: «يريد أشار إليهم»^(١)، وهو قول القرظي^(٢)، وقال قتادة: «أوما إليهم»^(٣)، وقال مجاهد: «كتب إليهم في الأرض»^(٤). وهو قول الحكم، وإبراهيم^(٥). ويدل على صحة الإشارة قوله: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ [آل عمران: ٤١]. ﴿أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ومعنى أمره إياهم بالصلاة ما ذكره سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «كان يأمرهم بالصلاة بكرة وعشيًا»^(٦). والمعنى أنه كان يخرج على قومه بكرة وعشيًا فيأمرهم بالصلاة. فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام خرج عليهم فأمرهم بالصلاة.

١٢. وقوله تعالى: ﴿يَنْحَيِّ﴾. قال أبو إسحاق: «المعنى فوهبنا له وقلنا: ﴿يَنْحَيِّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾»^(٧). قال ابن عباس: «التوراة بقوة»^(٨). قال مجاهد: «بجد»^(٩). وقال ابن عباس: «بقوة منك أعطيتكها وقويتك على حفظها والعمل بما فيها»^(١٠).

-
- (١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ٥٣/١٦، والمحرم الوجيز ١٦/١٠، والنكت والعيون ٣/٣٥٨، ومعالم التنزيل ٥/٢٢١، والجامع لأحكام القرآن ٥٨/١١.
- (٢) روح المعاني ٧١/١٦، وفتح القدير ٣/٢٦٤.
- (٣) تفسير القرآن للصنعاني ٦/٢، وجامع البيان ٥٤/١٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٢٦، وروح المعاني ٧١/١٦.
- (٤) جامع البيان ٥٤/١٦، ومعالم التنزيل ٥/٢٢١، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٨٥/١١.
- (٥) جامع البيان ٥٤/١٦، والدر المنثور ٤/٤٦٩.
- (٦) روح المعاني ٧١/١٦، والدر المنثور ٤/٤٦٩، وتنوير المقباس ٢٥٤.
- (٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢١.
- (٨) النكت والعيون ٣/٣٥٩، وتنوير المقباس ٢٥٤.
- (٩) جامع البيان ٥٥/١٦، والنكت والعيون ٣/٣٥٩، والجامع لأحكام القرآن ٨٦/١١، والدر المنثور ٤/٤٧٠.
- (١٠) ذكرت كتب التفسير نحوه. انظر: المحرم الوجيز ٩/٤٣٦، والنكت والعيون ٣/٣٦٠، والجامع لأحكام القرآن ٨٦/١١، والتفسير الكبير ٢١/١٩١.

﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ . قال : «يريد النبوة في صباه وهو ابن ثلاث سنين»^(١) .

وقال مجاهد : «الحكم والفهم هو أنه أعطي فهماً لكتاب الله حتى حصل له عظيم الفائدة»^(٢) .

وقال معمر : «هو أن الصبيان قالوا له : اذهب بنا نلعب . فقال ما للعب خلقت»^(٣) .

وقال الحسن : ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ : اللب^(٤) . والحكم عند العرب : ما يمنع من الجهل والخطأ ويصرف عنها^(٥) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ . الحنان معناه في اللغة : العطف والرحمة . يقال : حنانك وحنانيك يذكره الرحمة والبر ، ومنه قول الشاعر^(٦) :

حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(١) زاد المسير ٢١٣/٥ ، وروح المعاني ٧٢/١٦ ، والدر المنثور ٤/٤٧٠ ، ونسبه إلى قتادة .

(٢) زاد المسير ٢١٣/٥ ، والدر المنثور ٤/٤٧٠ ، وفتح القدير ٣/٤٦٦ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٦/٢ ، وجامع البيان ١٦/٥٥ ، والنكت والعيون ٣/٣٦٠ ، والمحزر الوجيز ٤٣٦/٩ .

(٤) زاد المسير ٢١٣/٥ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (حكم) ١/٨٨٥ ، ومقاييس اللغة (حكم) ٢/٩١ ، والصحاح (حكم) ٥/١٩٠١ ، ولسان العرب (حكم) ٢/٩٥١ .

(٦) هذا عجز بيت لطرفة بن العبد ، وصدده :

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقي بعضنا

انظر : ديوانه ٦٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢ ، والكتاب لسبويه ١/٣٤٨ ، وجمع الهوامع ١/١٩٠ ، والدر المصون ٧/٥٧٥ ، ولسان العرب (حنن) ٢/١٠٣٠ ، وجمهرة أشعار العرب ٣/٤٤٩ .

ويقال : حَنَّ عليه ؛ أي عطف عليه ، وَحَنَّ إليه ؛ أي نزع إليه ^(١) ، ونحو هذا قال المفسرون في معنى الحَنَان ، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ يقول : «رحمة من عندنا» ^(٢) . وهو قول عكرمة ، وقتادة ، والربيع ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَزَكَاةً ﴾ . قال ابن عباس : «يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص» ^(٤) .

وقال قتادة : «هي العمل الصالح» ^(٥) . وهو قول الضحاك وابن جريج ^(٦) . ومعنى الآية : وآتيناه رحمة من عندنا وتحنناً على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم وعملاً صالحاً في إخلاص ، فعلى هذا الموصوف بالحنان والزكاة يحبى ؛ لأن الله آتاه إياهما .

وقال ابن عباس في رواية عكرمة : «لا أدري ما الحنان ؟ غير أني أظنه يعطف الله على عبده» ^(٧) . ونحو هذا قال مجاهد في تفسير : ﴿ وَحَنَانًا ﴾ : «تعطفاً من ربه على يحبى» ^(٨) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (حن) ٩٤٥ / ١ ، والقاموس المحيط (الحنين) ١١٨٨ ، والصحاح (حنن) ٢١٠٤ / ٥ .

(٢) جامع البيان ٥٥ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٦٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٢٦ ، وزاد المسير ٢١٤ / ٥ ، والدر المنثور ٤ / ٤٧١ .

(٣) جامع البيان ٥٥ / ١٦ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٧ / ٢ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٦٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٢٦ .

(٤) معالم التنزيل ٥ / ٢٢٢ ، وزاد المسير ٥ / ٢١٤ .

(٥) جامع البيان ٥٧ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٢٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٢٦ ، وزاد المسير ٢١٤ / ٥ .

(٦) جامع البيان ٥٨ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٦٠ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٢٢ .

(٧) جامع البيان ٥٦ / ١٦ ، والمحرم الوجيز ٩ / ٤٣٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٢٦ ، والدر المنثور ٤ / ٤٧١ .

(٨) جامع البيان ٥٦ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٦٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٢٦ ، وزاد المسير ٢١٤ / ٥ .

وقال أبو إسحاق في تفسير ﴿وَزَكَّوْهُ﴾ : «الزكاة التطهير»^(١) . وعلى هذا ، معنى الآية : وآتيناه يحيى تعظفاً منا عليه ، وتطهيراً إياه من عندنا ، والموصوف بالحنان والزكاة هو الله تعالى ، على هذا القول ؛ لأنه ذو الرحمة على يحيى والمطهر له .

وقال قوم : الحنان والزكاة يعودان إلى زكريا ، وهو قول الكلبي والفرّاء . قال الفرّاء : «وفعلنا ذلك رحمة لأبويك»^(٢) . وقال الكلبي في قوله : ﴿وَزَكَّوْهُ﴾ : «يعني : صدقة تصدق الله بها على أبويه»^(٣) . وعلى هذا ، القول يحتاج إلى إضمار كما ذكره الفرّاء ويكون التقدير : وفعلنا ذلك - يعني هبة الولد واستجابة الدعاء - حناناً من لنا ؛ أي رحمة منا على زكريا ، وزكاة ، وصدقة منا عليه^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «جعلته يتقيني ولا يعدل بي غيري»^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٢ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٦٣ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ .

(٤) قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٢٩ : «والتحقيق فيه - إن شاء الله - هو أن المعنى : وأعطيناه زكاة ؛ أي طهارة من الذنوب والمعاصي بتوفيقنا إياه للعمل بما يرضي الله تعالى» . وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٨ .

(٥) زاد المسير ٥/ ٢١٤ .

قال المفسرون : «وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها»^(١) .
كما قال رسول الله ﷺ : «ما من الناس عبد إلا قد هم بخطيئة أو عملها غير يحيى بن زكريا»^(٢) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ . البرُّ بمعنى البار ، كالصب والطب ، فعل بمعنى فاعل ، والمعنى لطيفاً بهما محسناً إليهما^(٣) . ﴿وَلَوْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ . قال الكلبي : «هو الذي يقتل على الغضب ويضرب على الغضب»^(٤) . ﴿عَصِيًّا﴾ ؛ عاصياً . قال ابن عباس : «يريد لا يرتكب لي معصية»^(٥) .

١٥ . قوله تعالى : ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ الآية . قال أبو إسحاق : «سلام مما يبتدأ به في النكح ؛ لأنه اسم يكثر استعماله تقول : سلام عليك ، والسلام عليك ، وأسماء الأجناس يبدأ بها ؛ لأن فائدة نكحتها قريب

(١) جامع البيان ٥٨/١٦ ، والمحزر الوجيز ٤٣٨/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٢٢/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٨/١١ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٨/١٦ ، والصنعاني في تفسيره ٧/٢ ، والإمام أحمد في مسنده ٢١٥/١ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١٢٦/٣ بروايات مختلفة وضعفها جميعاً . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٢٢٦/٤ : «والظاهر أنه لم يثبت شيء من ذلك مرفوعاً : إمّا بانقطاع ، وإمّا بعننة مدلس ، وإمّا بضعف راو كما أشار له ابن كثير وغيره» . وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً على عبدالله بن عمرو بن العاص : ١١/٥٦١ ، والحاكم في مستدركه ٣٧٣/٢ ، وقال : «صحيح على شرط مسلم» ، ووافقه الذهبي والسيوطي في الدر المنثور ٤/٤٧١ ، وعزاه إلى أحمد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (بر) ٣٠٨/١ ، ومقاييس اللغة (بر) ١٧٧/١ ، والقاموس المحيط (البر) ٣٤٨/١ ، والصحاح (بر) ٥٨٨/٢ ، ولسان العرب (بر) ٢٥٢/١ . انظر : معالم التنزيل ٢٢٢/٥ ، وبحر العلوم ٣٢٠/٢ ، وزاد المسير ٢١٥/٥ ، وأضواء البيان ٢٢٩/٤ .

(٤) الكشف والبيان ٣/٣ ب ، وذكره البغوي في تفسيره ١٢٢/٥ من دون نسبة .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٢/٣ ب ، والمحزر الوجيز ٤٤٠/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٢٢/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٢٦/٣ ، ولباب التأويل ٢٤٠/٤ ، وروح المعاني ٧٣/١٦ .

من فائدة معرفتها تقول : لبيك وخير بين يديك ، وإن شئت قلت :
والخير بين يديك»^(١) .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد سلام عليه مني في هذه الأيام»^(٢) .

وقال الكلبي : «سلامة له منا»^(٣) . وقال سفيان بن عيينه : «أوحش ما يكون
الخلق في ثلاثة مواطن : يوم ولد فيرى نفسه خارجاً مما كان ، ويوم يموت فيرى
قوماً لم يكن عاينهم وأحكاماً ليس له بها عهد ، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر
لم يره ، فخص الله فيها بالكرامة يحيى بن زكريا فسلم عليه بالمواطن الثلاثة»^(٤) .
فقال : ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ﴾ الآية .

قال ابن الأنباري : «لم يقصد باليوم قصد يوم واحد ؛ لأنه يجوز أن يموت
بالليل ، وأن لا يولد نهاراً ، ولكن اليوم يقع على الزمان الذي يشتمل على
الساعات والليالي»^(٥) .

وتلخيص معنى الآية : ويسلم عليه في زمان مولده ، وكذلك ما بعده . وقد
قال الكلبي عن ابن عباس : «وسلم عليه حين ولد»^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٩ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٥٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٤٠ ،
وزاد المسير ٥/ ٢١٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٩ ، ولباب
التأويل ٤/ ٢٤٠ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٣ ب .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٥٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٧ ، وزاد المسير
٥/ ٢١٥ .

(٥) ذكر نحوه الأزهري في تهذيب اللغة (يوم) ٤/ ٣٩٩٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢١٥ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٣ ب .

١٦. قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾. قال ابن عباس: «يعني واذكر يا محمد، من أمر مريم لأهل مكة»^(١). ﴿إِذْ أَنْتَبَذْتَ﴾؛ قال الكلبي والزجاج: «تَنَحَّتْ»^(٢). وأصله من النبذ، وهو طرحك الشيء ورميك به. يقال: نبذته ناحية فانتبذ، وجلس فلان نبذةً ونُبْذَةً؛ أي ناحية، وانتبذ فلان ناحية؛ أي تنحى ناحية^(٣).

وقال قتادة: «انفردت»^(٤). وقال ابن قتيبة: «اعتزلت»^(٥). والقولان معنى، وليس بتفسير، وتفسير ﴿أَنْتَبَذْتَ﴾: تَنَحَّتْ.

﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾: يعني ممن كانوا معها في الدار. ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾؛ إلى مكان في جانب الشرق. وقال ابن السكيت: «الشرق: الشمس، والشرق بسكون الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس»^(٦).

قال ابن عباس في رواية عطاء: «إن مريم آذاها القمل»^(٧) في رأسها فتمنت أن تجد خلوة فتفلي رأسها، فخرجت في يوم شديد البرد فجلست في مشرق الشمس»^(٨).

-
- (١) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة. انظر: جامع البيان ٥٩/١٦، وبحر العلوم ٣٢٠/٢، وتفسير كتاب الله العزيز ٨/٣، والمحضر الوجيز ٤٤١/٩، والجامع لأحكام القرآن ٩٠/١١. والأولى العموم؛ فالذكر لأهل مكة ولغيرهم من أمة محمد ﷺ.
- (٢) الكشف والبيان ٤/٣ أ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٢/٣.
- (٣) انظر: تهذيب اللغة (نبذ) ٣٤٩٤/٤، والصحاح (نبذ) ٥٧١/٢، والمعجم الوسيط (نبذ) ٨٩٧/٢، والمفردات في غريب القرآن (نبذ) ٤٨٠، ولسان العرب (نبذ) ٤٣٢٢/٧.
- (٤) جامع البيان ٥٩/١٦، والنكت والعيون ٣٦١/٣، والكشف والبيان ٤/٣ أ.
- (٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣/٢.
- (٦) تهذيب اللغة (شرق) ١٨٦٥/٢.
- (٧) القمل: دواب صغار من جنس القردان إلا أنها أصغر منها، واحدها قملة. انظر: تهذيب اللغة (قمل) ١٨٦/٩، والصحاح (قمل) ١٨٠٥/٥، ولسان العرب (قمل) ٤٧٤٣/٦.
- (٨) زاد المسير ٢١٥/٥، والكشاف ٤٠٧/٢، والبحر المحيط ١٨٠/٦ من دون نسبة.

وقال عكرمة : «إنها كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها ، ثم إنها أرادت الغسل من الحيض فتحولت إلى مشرقة دارهم للغسل»^(١) .
فذلك قوله : ﴿إِذْ أَنْبَدْتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ . ونحو هذا قال الكلبي^(٢) .

١٧ . قوله : ﴿فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ﴾ ؛ أي من دون أهلها لئلا يروها ﴿حِجَابًا﴾ ؛ سترًا حاجزاً . قال ابن عباس : «يريد جعلت الجبل بينها وبين الناس»^(٣) . والحجاب : الجبل كقوله : ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] ، وهذا قول مقاتل^(٤) . وقال السُّدِّي : «حجاباً من الجدران»^(٥) .
﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ . قال المفسرون : «بينما هي تغتسل من الحيض إذ عرض لها جبريل - عليه السلام - في صورة شاب أمر دوضيء الوجه»^(٦) .

فذلك قوله : ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ فتصور وتشبه ﴿لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ معتدلاً تاماً .

١٨ . قال ابن عباس : «فلما رأت جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد»^(٧) بقوله : ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ؛ أي مخلصاً مطيعاً .

-
- (١) معالم التنزيل ٢٢٣/٥ ، والكشف والبيان ٤/٣ أ .
(٢) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٤/٣ أ ، ومعالم التنزيل ٢٢٣/٥ ، والكشاف ٣/٥٠٥ ، وأنوار التنزيل ٤/٤ ، وروح المعاني ١٦/٧٥ ، ومجمع البيان ٥/٧٨٤ ، وروح البيان ٥/٣٢١ .
(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٤/٣ أ ، ومعالم التنزيل ٢٢٣/٥ ، والكشاف ٢/٥٠٦ ، ولباب التأويل ٤/١٤١ ، والتفسير الكبير ٢١/١٩٦ ، والبحر المحيط ٦/١٨٠ .
(٤) معالم التنزيل ٢٢٣/٥ ، وتفسير مقاتل ٢٣٢ ، والكشف والبيان ٤/٣ أ .
(٥) جامع البيان ١٦/٦٠ ، والنكت والعيون ٣/٣٦١ ، والمحرق الوجيز ٩/٤٤٢ ، وزاد المسير ٥/٢١٥ .
(٦) معالم التنزيل ٢٢٣/٥ ، والكشاف ٢/٤٠٧ ، وزاد المسير ٥/٢١٧ ، والكشف والبيان ٤/٣ أ .
(٧) ذكره البغوي في تفسيره ٥/٢٢٣ من دون نسبة .

قال أبو إسحاق : «تأويله إني أعوذ بالله منك ، فإن كنت تقياً فستعظ بتعوذي بالله منك»^(١) .

١٩ . قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ هذا جواب جبريل - عليه السلام - لمريم ﴿لَا هَبَ لَكِ﴾ . اللام متعلقة بمعنى قوله : ﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾ ؛ أي أرسلني ليهب لك . ومن قرأ : ﴿لَا هَبَ﴾^(٢) ، استند إلى المتكلم وهو جبريل والهبة لله سبحانه ، والرسول والوكيل قد يسندون هذا النحو إلى أنفسهم ، وإن كان الفعل للموكل والمرسل للعلم به ، وإن الرسول مترجم عنه^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿عَلَّمََا زَكَاةً﴾ . قال ابن عباس : «يريد نبياً»^(٤) . وقال الكلبي : «يعني صالحاً»^(٥) . وهو قول الضحاك^(٦) .

وقيل : «طاهراً من الذنوب»^(٧) . وقيل : «نامياً على الخير»^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢٣ .

(٢) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي ، وقالون عن نافع ﴿لَا هَبَ﴾ بالهمز ، وقرأ أبو عمرو البصري ، وورش عن نافع (ليهب) بغير همز . انظر : السبعة ٤٠٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/١٩٥ ، والتبصرة ٢٥٦ ، والنشر ٢/٣١٧ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/١٩٥ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : مجمع البيان ٥/٧٨٤ ، والتفسير الكبير ٢١/١٩٩ ، وروح المعاني ١٦/٧٧ ، وفتح القدير ٣/٤٦٨ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/٢٢٣ ، وبحر العلوم ٢/٣٢٠ ، ولباب التأويل ٤/٢٤١ ، وروح المعاني ١٦/٧٧ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : تفسير كتاب الله العزيز ٣/٩ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٣ ، وبحر العلوم ٢/٣٢٠ .

(٧) جامع البيان ١٦/٦١ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٣ ، وزاد المسير ٥/٢١٧ ، وفتح القدير ٣/٤٦٨ .

(٨) زاد المسير ٥/٢١٨ ، والتفسير الكبير ١١/٢١٩ ، وروح المعاني ١٦/٧٧ .

٢٠. ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ ؛ لم يقربني زوج ، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ؛ فاجرة زانية .

وقال ابن عباس : « تريد ليس لي زوج ، ولست بزانية ، وليس يكون الولد إلا من زوج أو من الزنا »^(١) .

ويقال : بَغَت المرأة تبغي بَغِيًّا إذا فجرت ، وأصله : من البَغْي والذي هو الطلب وذلك أنهم يبغيون بالفجور ، والعرب تسمي الإماء البَغَايا والواحدة منها : بَغِيٌّ ، ذكره ابن السكيت^(٢) . وذلك أن العرب كانوا يأمر ونهن بالمباغة تكسباً بهن ، فكن يبغيين الأجور ، فجرى هذا الاسم على الإماء . وبغِيٌّ فعيل بمعنى ، فاعل ويكون منقولاً غير مبني على الفعل فلذلك لم تدخله الهاء ، وقد ذكرنا تمام هذا الفصل عند قوله : ﴿وَالنَّطِيعَةُ﴾^(٣) .

وقال ابن الأنباري : « إن بَغِيَّ النساء أغلب عليه ، قَلَّ ما تقول العرب : رجل بَغِيٌّ ، إنما يغلب عليهم امرأة بَغِيٌّ ، ورجل عاهر فاجر ، فلما انفردت المرأة بالوصف استغنى عن إلحاق علامات التأنيث ، وجرى مجرى حائض وطالق »^(٤) .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ٦٢ ، والمحرم الوجيز ٩ / ٤٤٤ ، ومعالم التنزيل ٣ / ١٩١ ، وزاد المسير ٥ / ٢١٨ ، ولباب التأويل ٤ / ٢٤١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (بغِي) ١ / ٣٦٧ ، ومقاييس اللغة (بغِي) ١ / ٢٧٢ ، والمفردات في غريب القرآن (بغِي) ٥٥ ، ولسان العرب (بغا) ١ / ٣٢١ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَانَ الْأَيمَةِ وَالْأَيمَةُ وَالَّذِينَ يَخْنَزِرُونَ مَا أَهْلٌ لَّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَّةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيعَةُ﴾ [المائدة : ٣] .

(٤) الكشف ٢ / ٤٠٧ ، وزاد المسير ٥ / ٢١٨ ، وإملاء ما من به الرحمن ٨ / ٤٠٨ ، والدر المصون ٧ / ٥٧٨ .

وقال المازني : «بغِيَّ»^(١) ليس بفعيل إنما هو فعول ، الأصل بغوي ، فلما التقت واو وياء وسبق أحدهما بالسكون أدغمت الواو في الياء فقليل : بغي ، كما تقول : امرأة صبور بغير هاء ؛ لأنها بمعنى صابرة»^(٢) .

٢١ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ ﴾ مفسر في هذه السورة^(٣) . ومعنى الهين : المتأني من غير مشقة ، والهين من باب الصيب والميت^(٤) .

قال ابن عباس : «يريد يسير أن أهب لك غلاماً من غير فحل»^(٥) . ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ . قال : «يريد عجيبة للناس»^(٦) . كونه غلاماً ليس له أب . ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ ؛ لمن تبعه وصدق به .

وقوله تعالى : [﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً﴾ عطف جملة على جملة ، واللام متعلق بمحذوف تقديره]^(٧) : ولنجعل آية للناس ، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ خلقناه . وقال ابن الأنباري : «هو معطوف على مضمّر محذوف التقدير : هو عليّ هين لننفعك

(١) في (س) : (يعني) ، وهو تصحيف .

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة الكشاف ٢/ ٤٠٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٤٤ ، وإملاء ما من به الرحمن ٤٠٨ ، والممتع ١/ ٥٤٩ ، والدر المصون ٧/ ٥٧٨ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَقَدْ خَلَقْتَهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم : ٩] .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (هَيْنَ) ٤/ ٣٦٩٨ ، والقاموس المحيط (هَيْنَ) ١٢٤٠ ، والمفردات في غريب القرآن (هَيْنَ) ٥٤٧ .

(٥) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٦٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢١ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٨ ، ومجمع البيان ٥/ ٧٨٩ ، ومدارك التنزيل ٢/ ٩٧٥ ، وروح البيان ٥/ ٣٢٣ .

(٦) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥/ ٢١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩١ ، وروح المعاني ١٦/ ٧٨ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

به ولنجعله ، فحذف الكلام الأول اختصاراً ودل الثاني عليه^(١) . ﴿وَكَاثَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ ؛ أي كان خلقه أمراً محكوماً به مفروغاً منه سابقاً في علم الله أن يقع .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ مختصر ، والمعنى : فنفخ فيها جبريل فحملته . وحذف ذلك ؛ لأن النفخ قد بين في غير هذا الموضع ، والقرآن كله كتاب واحد^(٢) . قال ابن عباس : «دنا منها جبريل ، فأخذ رذن قميصها ، فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها بعيسى ، ووجدت حس الحمل»^(٣) . فذلك قوله : ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿فَأَنْبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ؛ أي تَنَحَّتْ بالحمل إلى مكان بعيد . قال ابن عباس : «يريد أقصى الوادي»^(٤) . وهو وادي بيت لحم^{(٥)(٦)} . وهذا الانتباز إنما كان عند وضعها ، فراراً من زكريا ومن قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج .

-
- (١) ذكر نحوه بلا نسبة في الجامع لأحكام القرآن ٩١/١١ ، والتفسير الكبير ٢١/٢٠٠ ، والبحر المحيط ١٨١/٦ ، والدر المصون ٧/٥٧٩ .
- (٢) عند قوله تعالى : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١] .
- (٣) جامع البيان ١٦/٦٢ ، والكشاف ٢/٤٠٨ ، وزاد المسير ٥/٢١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٩١/١١ ، والدر المنثور ٤/٤٧٨ .
- (٤) معالم التنزيل ٥/٢٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٩٢ .
- (٥) بيت لحم (بالفتح ، وسكون الحاء) : قرية قرب بيت المقدس ، عامرة حافلة ، وهي مهد عيسى عليه السلام ، ومن قرى فلسطين . انظر : معجم البلدان ١/٥٢١ .
- (٦) المحرر الوجيز ٩/٤٤٥ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٩٢ ، وأضواء البيان ٤/٢٤٠ .

قال ابن عباس : « ما هو إلا أن حملت فوضعت »^(١) . وعلى هذا دل ظاهر قوله : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَأَنْبَذَتْ ﴾ ، ذكر الانتباز عقب الحمل ، والانتباز إنما كان عند الوضع^(٢) . والقَصِيُّ فَعِيلٌ بمعنى فَاعِلٍ من قَصَى يَقْصُو إذا بعد^(٣) ، قال الراجز^(٤) :

لَيَقْعُدَنَّ مَقْعَدَ الْقَصِي مَنِّي ذِي الْقَادُورَةِ الْمَقْلِي

٢٣ . قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ ؛ أي ألجأها واضطرها ، يقال : جاء بها وأجاءها بمعنى . هذا قول جميع أهل اللغة^(٥) ، وأنشدوا الزهير^(٦) :

أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ

- (١) بحر العلوم ٢/ ٣٢١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٤ ، والكشاف ٢/ ٤٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٩ ، قال : « وهذا غريب » ، والدر المنثور ٤/ ٤٧٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٨ .
- (٢) هذا خلاف قول الجمهور . قال ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٩ : « فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر . . . والفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه » . وقال ابن عطية في تفسيره ٩/ ٤٤٥ : « وظاهر قوله : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ يقتضي أنها كانت على عرف النساء ، وتظاهرت الروايات على ذلك » . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٢٤٤ : « وأظهر الأقوال أنه حمل كعادة حمل النساء وإن كان منشؤه خارقاً للعادة » .
- (٣) انظر : تهذيب اللغة (قصا) ٣/ ٢٩٦٩ ، ومقاييس اللغة (قصوى) ٥/ ٩٤ ، ولسان العرب (قصا) ٦/ ٣٦٥٧ ، والمفردات في غريب القرآن (قصى) ٤٠٥ .
- (٤) ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٦٣ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ٧٠ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣٣٤ ، ولسان العرب (ذا) ٣/ ١٤٧٢ .
- (٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٤ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٦٤ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٢ ، والمحاسب ٢/ ٣٩ ، وغريب القرآن لابن الملقن ٢٣٩ .
- (٦) هذا عجز بيت لزهير ، وصدره :

وَجَارٍ سَارَ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ

انظر : ديوانه ١٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٤ ، والمحرم الوجيز ٩/ ٤٤٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٨٢ ، والدر المصون ٧/ ٥٨١ ، ولسان العرب (جيا) ٢/ ٧٣٦ .

قالوا : والعرب تقول في أمثالها : شر ما أَلْجَأَكَ إلى مُخَّةِ عُرْقُوبٍ ^(١) . يريدون اضطرك وألجأك إليها . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسُّدِّي في تفسير أجراءها : «أَلْجَأَهَا» ^(٢) . والمخاض : وجع الولادة وهو الطلق ، ومَخَضَتِ المرأة تَمَخَضُ مَخَضاً ، وناقة مَخِضٌ وشاة مَخِضٌ إذا دنا ولادتها ^(٣) ، ويقال أيضاً دجاجة مَخِضٌ إذا قربت أن تبيض ، ومنه قول الراجز ^(٤) :

تُنْقِضُ انْقِضَاضَ الدَّجَاجِ المَخِضِ

والمخاض من الإبل : الحوامل ، سميت مخاضاً تَفَاوُلاً بأنها تَمَخِضُ بالولد إذا أنجبت ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي جَذَعُ النَّخْلَةَ﴾ . الجذع : ساق النخل ، قال ابن عباس : «نظرت مريم إلى أكمة» ^(٦) فصعدت مسرعة ، فإذا على الأكمة جذع نحو جذع نخلة فأسرعت المشيء حتى سارت إلى الجذع» ^(٧) . فذلك قوله : ﴿فَأَجَّاهَا الْمَخَاضُ إِنِّي

(١) المعنى أن العرقوب لا مخ له ، وإنما يلجأ إليه من لا يقدر على شيء . انظر : جامع البيان ١٦ / ٦٣ ،

ومعاني القرآن للقرآء ٢ / ١٦٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٢٤ ، ولسان العرب (مخ) ٧ / ٤١٥٥ .

(٢) جامع البيان ١٦ / ٦٤ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٦٣ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٢٥ ، والدر المنثور ٤ / ٤٨١ .

(٣) في (ص) : (ولادها) .

(٤) هذا عجز البيت ، وصدره :

وَمَسِدٍ فَوْقَ مَحَالٍ تُغِيضُ

ذكر البيت الأزهري في تهذيب اللغة (مخض) ٤ / ٣٣٥٨ من دون نسبة ، وكذلك لسان العرب (مخض) ٧ / ٤١٥٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (مخض) ٤ / ٣٣٥٨ ، ومقاييس اللغة (مخض) ٥ / ٣٠٤ ، والقاموس المحيط

(مخض) ٢ / ٦٥٣ ، ولسان العرب (مخض) ٧ / ٤١٥٣ .

(٦) الأكمة : الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله ، وهو دون الجبال ، ومثل الروابي . انظر : تهذيب

اللغة (أكم) ١ / ١٧٧ ، والصحاح (أكم) ٥ / ١٨٦٢ ، ولسان العرب (أكم) ١ / ١٠٣ .

(٧) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف ٢ / ٥٠٦ ، وزاد المسير ٥ / ٢٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٩٠ ، ومجمع البيان ٥ / ٥٩٠ ، وروح المعاني ١٦ / ٨١ ، ولباب التأويل ٤ / ٢٤٢ .

جَذَعَ النَّخْلَةَ ﴿١﴾ قال المفسرون : «وكان جذع نخلة يابسة ليس لها سعف» ^(١) . ولهذا قال الله تعالى : ﴿إِلَى جَذَعِ النَّخْلَةِ﴾ ، ولم يقل إلى النخلة ؛ لأنها لم يبق منها إلا الجذع .

وقوله تعالى : ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ . قال الشُّدِّي : «قالت في حال الطلق : يا ليتني مت قبل هذا ، استحياء من الناس» ^(٢) . وقيل : ^(٣) «إنما قالت ذلك بطبع البشرية خوف الفضيحة» ^(٤) . وقيل : «إنما جاز أن تتمنى الموت قبل تلك الحال التي قد علمت أنها من قضاء الله ، لكرهتها أن يعصي الله بسببها إذ كان الناس يتسرعون إلى القول في ذلك بما يسخط الله جل وعز» ^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «معناه لو خيرت قبل هذه الحال بين الموت أو الدفع إلى هذه الحال لاختارت الموت» ^(٦) . ومعنى قوله : ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ ؛ أي قبل هذا اليوم ، أو هذا الوقت ، أو هذا الأمر ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ . قال أبو إسحاق : «النسي في كلام العرب الشيء المطروح لا يؤبه له» ^(٨) .

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٢١ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٤٤٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٢ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٦٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢١ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) المحزر الوجيز ٩/ ٤٤٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٥ ، والكشاف ٢/ ١٠٨ ، وروح المعاني ١٦/ ٨٢ .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، والكشاف ٢/ ٤٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٢ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٤ .

(٧) زاد المسير ٥/ ٢٢٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٨٢ ، وفتح القدير ٣/ ٤٦٩ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٤ .

قال الشنفرى^(١)(٢) :

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًّا تَقْصُّهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُكَلِّمَكَ تَبَلَّتْ
يصف امرأة بالخفي^(٣) . وقال الأخفش ، وأبو عبيدة : «النسي ما أغفل من
شيء حقير ، ونسي»^(٤) .

وقال يونس : «العرب تقول إذا ارتحلوا من المنزل : انظروا أنساكم ؛ أي الشيء
اليسير نحو : العصا ، والقدح ، والشُّطَّاط»^(٥) . هذا معنى النسي في اللغة .
فأما التفسير ، فقال ابن عباس : «نسياً : متروكاً لا يذكر»^(٦) .
وهو قول قتادة^(٨) .

-
- (١) الشنفرى بن مالك الأزدي ، والشنفرى اسمه ، وقيل لقب له لأنه غليظ الشفة ، واختلف في اسمه ،
وهو شاعر جاهلي فحل ، له أشعار في الفخر والحماة وأشهرها لاميته ، وهو من عدائي العرب .
انظر : نزهة الألباء ١/ ٤٠٨ ، والأعلام ٥/ ٨٥ ، والخزانة ٣/ ٣٤٣ .
- (٢) البيت للشنفرى يصف امرأة كأنها من شدة حياؤها إذا مشت تطلب شيئاً ضاع منها . تبلت : انقطعت
في كلامها فلا تطيله . انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٥ ، وشرح المفصلية ٢٠١ ، ومجاز القرآن
لأبي عبيدة ٢/ ٤ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٦ ، ووضع البرهان في مشكلات القرآن ٢/ ٤٦ ،
والمخصص ١٢/ ٢٧ ، ولسان العرب (نسا) ٧/ ٤٤١٧ .
- (٣) في (ص) : (بالخفر) .
- (٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤ ، وتهذيب اللغة (نسي) ٤/ ٣٥٦٥ .
- (٥) الشُّطَّاط : خُشِيَّةٌ عَقْفَاءٌ محددة الطرف توضع في الجوالق أو بين الأونين يشد بها الوعاء . انظر : تهذيب
اللغة (شط) ٢/ ١٨٧٩ ، ولسان العرب (شطظ) ٢/ ١٨٧٩ ، ومختار الصحاح (شطظ) ٣٣٨ .
- (٦) الكشف ٢/ ٤٠٨ ، وتهذيب اللغة (نسي) ٤/ ٣٥٦٥ .
- (٧) ذكر نحوه في جامع البيان ١٦/ ٦٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٩ ،
وزاد المسير ٥/ ٢٢١ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨١ .
- (٨) جامع البيان ١٦/ ٦٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٥ ،
وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٩ .

وقال عكرمة ، والضحاك ، ومجاهد : «حيضة ملقاة»^(١) .

والمنسي : المفعول ؛ من نسيت الشيء ضد ذكرته ، ويجوز أن يكون مفعولاً من نسيت بمعنى : تركت ، وهو هاهنا من صفة الشيء ، ومعناه المبالغة ؛ لأن النسي ، وإن كان حقيراً ، فقد يطلب ويذكر ، فهي تقول : يا ليتني^(٢) كنت ذلك الشيء الذي لا يذكر ولا يطلب .

وقال السُّدِّي : «وَكُنْتُ نَسِيًا مَّنْسِيًا» ؛ أي نسي ذكري ، ومنسياً ؛ أي نسي أثري فلا يرى لي أثر ولا عين»^(٣) .

وقُريء : «نَسِيًا» بالفتح^(٤) . قال الفرَّاء : «هما لغتان مثل : الجَسْر والجِسْر ، والحَجَر والحِجْر ، والوَثْر والوِثْر . والنسي : ما تلقىه المرأة من خرق اعتلاها وهو اللقي»^(٥) .

وقال أهل اللغة : «الكسر أعلى اللغتين»^(٦) . ويجوز في غير هذا أن يكون النسي مصدرًا كالنسيان كما يقال : العصي والعصيان ، والآتي والإتيان ، أنشد الفرَّاء^(٧) :

مِنْ طَاعَةِ الرَّبِّ وَعَصِي الشَّيْطَانِ

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢١ ، والدر المنثور ٤/ ٤٨١ .

(٢) في (س) : (بالشيء) ، وهو تصحيف .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٦٦ .

(٤) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، ونافع ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر (نسياً) بكسر النون ، وقرأ حمزة ، وعاصم في رواية حفص «نَسِيًا» بفتح النون . انظر : السبعة ٤٠٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٣ ، والنشر ٢/ ٣١٨ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٤ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٦ ، والدر المصون ٧/ ٥٨٢ .

(٧) ذكره الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ١٦٥ بلا نسبة ، وكذلك الطبري في جامع البيان ١٦/ ٦٦ .

وأنشد^(١)(٢):

أَتَيْتُ الْفَوَاحِشَ فِيهِمْ مَعْرُوفَةٌ وَيَرُونَ فِعْلَ الْمَكْرُمَاتِ حَرَامًا

٢٤. قوله تعالى: ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾. قال ابن عباس: «سمع جبريل كلامها، وعرف جزعها، فنادها من تحتها أسفل منها تحت الأكمة»^(٣): ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾. وهذا قول الضحاك، والسُّدِّي، وقتادة: «أن المنادي كان جبريل، نادها من سفح الجبل»^(٤). وقال مجاهد، والحسن: «الذي نادها عيسى»^(٥). وهو قول وهب، وسعيد بن جبیر، وابن زيد^(٦).

قال أبو إسحاق: «ويكون المعنى في مناداة عيسى لها أن يبين الله لها الآية في عيسى»^(٧).

(١) في (ص): (وأنشد أيضاً).

(٢) معاني القرآن للفراء ١٦٥/٢.

(٣) ذكر نحوه في جامع البيان ١٦/٦٧، والنكت والعيون ٣/٣٦٤، والمحزر الوجيز ٩/٤٥٠، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣٠.

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/٧، وجامع البيان ١٦/٦٧، والنكت والعيون ٣/٣٦٤، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣١.

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/٦، وجامع البيان ١٦/٦٨، وبحر العلوم ٢/٣٢١، والنكت والعيون ٣/٣٦٤، والمحزر الوجيز ٩/٤٥٠.

(٦) جامع البيان ١٦/٦٨، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣١، والدر المنثور ٤/٤٨٢، وهذا ما رجَّحه الطبري في تفسيره ١٦/٦٨. قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/٢٤٦: «أظهر القولين عندي أن الذي نادها هو ابنها عيسى، وتدل على ذلك قرينتان؛ الأولى: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور. والقرينة الثانية: أنها لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا، لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه، وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته».

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢٥.

وقال أبو علي : «وأن يكون المنادي لها عيسى أشبه وأشد إزالة لما خامرها من الوحشة والاعتنام لما يوجد به طعن عليها»^(١) . ولهذا كان الاختيار قراءة مَنْ قرأ : (مَنْ تَحْتَهَا) بفتح الميم^(٢) ، يعني به عيسى . وهو من وضع اللفظة العامة موضع الخاصة كما تقول : رأيت مَنْ عندك ، وأنت تعني أحداً بعينه^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَدَجَّلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «يريد السري الجدول ، وكان ساقية للماء قبل ذلك ، ثم انقطع الماء منه ، فأرسل الله الماء فيه لمريم»^(٤) .

وهذا قول عامة المفسرين^(٥) .

-
- (١) الحجة للقراء السبعة ١٩٧/٥ .
- (٢) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر (مَنْ تَحْتَهَا) بفتح الميم والتاء ، وقرأ نافع ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿مِنْ تَحْنِهَا﴾ بكسر الميم والتاء . انظر : السبعة ٤٠٨ ، والحجة للقراء السبعة ١٩٧/٥ ، والنشر ٣١٨/٢ .
- (٣) في (س) : (يعني) .
- (٤) ذكر نحوه في جامع البيان ٦٩/١٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٦٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٤/١١ .
- (٥) تفسير القرآن للصنعاني ٧/٢ ، وجامع البيان ٦٩/١٦ ، ٧٠ ، والنكت والعيون ٣/٣٦٥ ، والمحزر الوجيز ٢٣/١١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٢١ . وجهور المفسرين على ذلك ، وهو ما رجّحه ابن جرير الطبري في تفسيره : ٧١/١٦ ، وابن كثير ٣/١٢١ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/٢٤٨ : «أظهر القولين عندي أن السري في الآية النهر الصغير ، والدليل على ذلك أمران أحدهما : القرينة من القرآن فقوله : ﴿فَكُلِّي وَأَشْرِي﴾ قرينة على أن ذلك المأكول والمشروب هو ما تقدم الامتنان به . الأمر الثاني : حديث جاء بذلك عن النبي ﷺ يقول فيه : «إن السري الذي قال الله لمريم : ﴿فَدَجَّلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا﴾ نهر أخرجه الله لها لتشرب منه» . فهذا الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ ، وإن كانت طرقه لا يخلو شيء منها من ضعف ، أقرب إلى الصواب من دعوى أن السري عيسى بغير دليل يجب الرجوع إليه» .

قال أبو إسحاق : «وروي عن الحسن أنه قال : «يعني عيسى عليه السلام ، كان والله سرياً من الرجال»^(١) . فعرف الحسن أن من العرب مَنْ يسمي النهر سرياً^(٢) . فرجع إلى هذا القول . ولا خلاف بين أهل اللغة أن السري : النهر بمنزلة الجدول»^(٣) . وأنشد للبيد^(٤) :

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا
مَسْجُورَةً مُتَجَاوِزاً قَلَامُهَا

ومعنى قوله : ﴿تَخَنَّكَ﴾ قال الكلبي : «بحيال قدميك»^(٥) . فجعل تحت هاهنا اسماً للجهة المحاذية للمتمكن ، وهذا يوافق قول مَنْ قال : «إن جبريل ضرب الأرض من تحت قدمها»^(٦) . ويقال : «إن عيسى ضرب برجله فظهر عين ماء عذب وجرى»^(٧) .

وقيل : «معنى قوله : ﴿تَخَنَّكَ سَرِيّاً﴾ : لم يكن الجدول محاذياً لهذه الجهة ، ولكن المعنى جعله دونك ، وقد يقال : فلان تحتنا أي دوننا في المواضع» . قال ذلك أبو الحسن^(٨) .

وقال بعض المفسرين : «معنى قوله : ﴿تَخَنَّكَ﴾ أن الله - تعالى - جعل النهر تحت أمرها ، إن أمرته أن يجري جرى ، وإن أمرته بالإمساك أمسك لقوله - تعالى

(١) جامع البيان ١٦ / ٧٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٦٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣١ ، وزاد المسير ٥ / ٢٢٢ .

(٢) السَّرِيُّ : الجدول ، وهو قول أهل اللغة جميعاً . انظر : تهذيب اللغة (سري) ٢ / ١٦٨٠ ، ولسان العرب (سرا) ٤ / ٢٠٠٢ ، والمفردات في غريب القرآن (سري) ٢٣١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٢٥ .

(٤) البيت للبيد ، وقد ورد في معلقته . عُرْضُ : الناحية . وَمَسْجُورَةٌ : عين مملوءة . والقَلَامُ : نبت ينبت على الأنهار ، وقيل هو نوع من الحمض . انظر : ديوانه ١٧٠ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٧٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٢٥ ، والدر المصون ٧ / ٥٨٤ .

(٥) النكت والعيون ٣ / ٣٦٤ .

(٦) معالم التنزيل ٥ / ٢٢٦ ، والكشف والبيان ٣ / ٤ أ ، والتفسير الكبير ١١ / ٢٠٥ .

(٧) معالم التنزيل ٥ / ٢٢٦ ، وروح المعاني ١٦ / ٨٣ .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥ / ١٩٧ .

- في ما أخبر عن فرعون : ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾^(١) ؛ أي من تحت أمري^(٢) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ﴾ . اهز معناه التحريك^(٣) ، يقال : هَزَزْتَهُ فاهْتَزَّ ، ومعنى ﴿إِلَيْكَ﴾ اجتذبه إليك ؛ أي حركه بأن تجذبيه إليك .

وقوله تعالى : ﴿يَجْذَعُ النَّخْلَةَ﴾ . قال الأخفش : «الباء زائدة»^(٤) . وهي تزداد كثيراً في الكلام يقال : خذ بالزمام ، وتناول بالخطام ، ومد بالجل ، وأعطني بيدك ، وأنشد :

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّتَّ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّيْبَهَانِ^(٥)
ونحو هذا قال الفراء ، قال : «والعرب تقول : هَزَّ بِهِ وَهَزَّهُ ، وقوله تعالى : ﴿فَلْيَمْدُدْ سَبَبٌ﴾ [الحج : ١٥] معناه فَلْيَمْدُدْ سَبَباً»^(٦) .

(١) سورة الزخرف ، الآية ٥١ .

(٢) معالم التنزيل ٢٢٦/٥ ، والكشف والبيان ٤/٣ أ ، والتفسير الكبير ١١/٢٠٥ ، وروح المعاني ٨٣/١٦ .

(٣) انظر : مقاييس اللغة (هز) ٩/٦ ، والقاموس المحيط (هز) ٥٢٩ ، والصحاح (هز) ٩٠١/٣ ، والمفردات في غريب القرآن (هز) ٥٤٢ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٦٢٦/٢ . قال أبو السعود في تفسيره ٥٧٩/٣ : «الباء صلة للتوكيد» ، وقوله هذا أولى من القول بالزيادة ، وذلك أدباً مع القرآن الكريم ؛ فإن كل حرف ورد فيه يقصد به معنى من المعاني ، ولذلك قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسيره ٧٣/١٦ : «تدخل الباء في الأفعال وتخرج ، فيكون دخولها وخروجها بمعنى ، فمعنى الكلام : وهزي إليك جذع النخلة» .

(٥) ورد البيت في عدد من الكتب ، ونسب إلى رجل من عبد القيس ، وقيل : إنه ليعلى الأحول .
الشَّت : الكثير من الشيء ، وهو ضرب من الشجر ، طيب الريح ، مَرُّ الطعم . والشبهان : ضرب من الرياحين . انظر : مجاز القرآن ٤٨/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ٦٢٦/٢ ، والحجة للقراء السبعة ٢٠٠/٥ ، وأدب الكاتب ٤١٦ ، والجمهرة ٤٥/١ ، والدر المنون ٥٨٥/٧ ، ولسان العرب (شبه) ٢١٩١ .

(٦) معاني القرآن للفراء ١٦٥/٢ .

ويقال : ألقى بيده ، أي ألقى يده ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

قال أبو علي : «ويحتمل أن يكون معنى ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ؛ أي بهز جذع النخلة رطباً ، فحذف المضاف»^(١) .

والمعنى : إذا هزرت الجذع هزرت بهزه رطباً ، فإذا هزرت الرطب سقط . وهذا على قول مَنْ ينصب الرطب بالهز ، وهو قول المبرد ، حكى عنه الزجاج قال : «والمعنى هزي إليك بجذع النخلة رطباً تساقط عليك»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿تَسْقُطُ عَلَيْكَ﴾ ؛ أي تتساقط فأدغمت التاء في السين ، وتساقط هاهنا بمعنى : تسقط ، وتفاعل مطاوع فاعل كما أن تفعل مطاوع فَعَّلَ ، وكما عُدِّي تفعل في : تجرعه ، وغليته ، وتمززته ، كذلك عُدِّي تفاعل ، فمما جاء من ذلك قول الشاعر :

تَطَالِعْنَا خَيَالَاتٍ لِسَلَمَى كَمَا يَتَطَالَعُ الدَّيْنُ الْغَرِيمُ^(٣)

ويكون المعنى : تسقط عليك النخلة رطباً جنيّاً ، وانتصب ﴿رُطْبًا﴾ على أنه مفعول به^(٤) . وقرأ حمزة : تَسَاقُطُ ، مخففاً^(٥) . حذف التاء التي أدغمها غيره ،

(١) الحجة للقراء السبعة ١٩٨/٥ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢٥ .

(٣) البيت لسلمة بن الخرشب الأنباري ، ويريد به أن خيال صاحبه يكثر معاودته ، كما يلح الدائن على المدين بكثرة ترداده عليه . انظر : الحجة للقراء السبعة ١٩٩/٥ ، والمحاسب ٣٥٨/٢ ، والمفضليات ٣٩ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ١٩٨/٥ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/١١٣ ، والدر المصون ٥٨٨/٧ .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي (تَسَاقُطُ) بفتح التاء وتشديد السين ، وقرأ حمزة (تَسَاقُطُ) بفتح التاء وتخفيف السين . انظر : السبعة ٤٠٩ ، والحجة للقراء السبعة ١٩٨/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٣ ، وحجة القراءات ٤٤٢ .

ويجوز أن يكون المعنى : (تساقط) عليك ثمرة النخلة رطباً ، فيكون انتصاب رطباً على الحال ، وجاز أن يضمّر الثمرة وإن لم يجز لها ذكر ؛ لأن ذكر النخلة يدل عليها ، وعلى هذا الوجه ، تساقط مطاوع^(١) ، وعلى قول الفرّاء ، والزجاج^(٢) انتصب ﴿رُطْبًا﴾ على التمييز والتفسير ؛ لأن الفعل نقل من الرطب إلى النخلة ، فلمّا حول الفعل إليها خرج الرطب مفسراً كقولهم : تصبب عرقاً ، كذلك تساقطت النخلة رطباً^(٣) .

وروى حفص عن عاصم : ﴿تُسَقِّطُ﴾ على وزن تفاعل^(٤) ، وساقط بمعنى : أسقط ، قال يصف الثور والكلاب^(٥) :

يُسَاقِطُ عَنْهُ رَوْقُهُ ضَارِيَاتَهَا سِقَاطَ حَدِيدِ الْقَيْنِ أَخُولَ أَخُولَا
وقوله تعالى : ﴿رُطْبًا﴾ الرُّطْبُ : الناضج من البسر^(٦) ، وقد أَرَطَبَتِ النخلة ، وَأَرَطَبَ القوم إذا أَرَطَبَ نخلهم ، وَرَطَّطَتِ القوم ؛ أطعمتهم رُطْبًا . والجَنَى بمعنى المَجْنَى يقال : جَنَيْتُ الثمر ، وَأَجْنَيْتُهُ ، وَجَنَّا الشجرة ما جَنَى منها^(٧) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٠ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٦٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٥ .

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ١/ ١١٣ ، والدر المصون ٧/ ٥٨٨ .

(٤) قرأ حفص عن عاصم ﴿تُسَقِّطُ﴾ بضم التاء وكسر القاف مخففة السين ، وقرأ أبو بكر عن عاصم (تَسَاقِط) بفتح التاء وتشديد السين . انظر : السبعة ٩/ ٤٠٩ ، والحجة للقراء السبعة ١٩٨ ، والعنوان في القراءات ١٢٦ ، والتبصرة ٢٥٦ .

(٥) البيت لضابئ البرجمي ، يصف الثور والكلاب . الروق : القرن ، أَخُولَ أَخُولَا : متفرقاً . انظر : المحتسب ٢/ ٤١ ، والخصائص ٢/ ١٣٠ ، وتهذيب اللغة (خال) ١/ ٩٦٩ ، ولسان العرب (خول) ٣/ ١٢٩٤ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (رطب) ٢/ ١٤٢١ ، والصحاح (رطب) ١/ ١٣٦ ، ولسان العرب (رطب) ٣/ ١٦٦٤ ، والمفردات في غريب القرآن (رطب) ١٩٧ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (جنى) ١/ ٦٧٤ ، ومقاييس اللغة (جنى) ١/ ٤٨٢ ، والمفردات في غريب القرآن (جنى) ١٠١ ، ولسان العرب (جنى) ٢/ ٧٠٧ .

قال ابن عباس : «فعجبت مريم من قول جبريل حين قال لها : ﴿وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِجُنْعٍ
الْتَخَلَّةِ﴾ وذلك أنه كان جذعاً نخراً ليس له سعف ، فلما هزته نظرت إلى أعلى
الجذع فإذا السعف قد طلع ، ثم نظرت إلى الطلع ، ثم خرج من بين السعف ، ثم
نظرت إلى الطلع قد اخضر فصار بلحاً ، ثم نظرت إلى البلح قد احمر فصار زهواً ،
ثم نظرت إلى البسر الأحمر قد صار رطباً ، كل ذلك طرفة عين قبل أن يرتد إليها
طرفها ، فجعل الرطب يقع بين يديها في أقماعه ، ولا يتشدخ منها شيء ، فطابت
نفسها»^(١).

٢٦. قوله تعالى : ﴿فَكُلِّي﴾ ؛ قال ابن عباس : «من الرطب ، ﴿وَأَشْرِي﴾ من
السري ، ﴿وَقَرِي عَيْنًا﴾ ؛ يريد بعيسى»^(٢). قال الكسائي : «قَرَرْتُ به
عيناً أَقَرُّ ، قُرَّةً ، وقُرُوراً»^(٣).

وبعضهم يقول : قَرَرْتُ ، أَقَرُّ ، القُرَّةُ المصدر ، والقُرَّةُ كل شيء قَرَّتْ به
عينك ، وأَقَرَّ الله عينه فَقَرَّتْ^(٤). قال الأصمعي : «أَقَرَّ مأخوذ من القُرُّ والقِرَّةُ ،
وهما البرد ، ومعنى أَقَرَّ الله عينه أبرد الله دمه ؛ لأن دمة السرور باردة ، ودمة
الحزن حارة»^(٥).

قال المنذري : «وعرض هذا القول على أحمد بن يحيى فأنكره ، وقال : الدمع
كله حار في فرح كان أو حزن»^(٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩٥ / ١١ ، وروح المعاني ٨٥ / ١٦ ، والبحر المحيط ١٨٤ / ٦ .

(٢) ذكر نحوه في معالم التنزيل ٢٢٧ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٦ / ١١ ، وتنوير المقباس ٢٥٥ .

(٣) تهذيب اللغة (قر) ٢٩٢٤ / ٣ .

(٤) تهذيب اللغة (قر) ٢٩٢٤ / ٣ ، ولسان العرب (قرر) ٣٥٨١ / ٦ .

(٥) النكت والعيون ٣ / ٣٦٧ ، وزاد المسير ٢٢٤ / ٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣١١ ، وتهذيب اللغة

(قر) ٢٩٢٤ / ٣ ، ولسان العرب (قرر) ٣٥٨١ / ٦ .

(٦) تهذيب اللغة (قر) ٢٩٢٤ / ٣ .

وحكي عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا : « أَقَرَّ الله عينك ؛ سكن الله عينك بالنظر إلى ما تحب ؛ أي صادفت ما يرضيك فَتَقَرَّ عينك من النظر إلى غيره . والعرب تقول للذي يدرك ثاره : وقعت بِقُرِّكَ ؛ أي صادف فؤادك ما كان متطلعاً إليه فَقَرَّ »^(١) .

وقولهم : فلان قُرَّة عيني معناه : رضى نفسي ؛ أي ترضى نفسي وتقر وتسكن بقربه مني ونظري إليه^(٢) .

قال أبو عمرو الشيباني : « أقر الله عينه ؛ أنام الله عينه ، والمعنى صادف سروراً يذهب سهره فينام »^(٣) ، وأنشد^(٤) :

أَقَرَّ بِهِ مَوَالِيكَ الْعُيُونَا

أي نامت عيونهم لما ظفروا بما أرادوا . وقال الفرَّاء : « ﴿ وَقَرَّى عَيْنَا ﴾ : جاء في التفسير : طيبي نفساً ، وإنما نصبت العين ؛ لأن الفعل كان لها ، فصيرته للمرأة ، فمعناه لتقر عينك ، فإذا حول الفعل عن صاحبه إلى ما قبله نُصِبَ صاحب الفعل على التفسير ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ [النساء : ٤] ، معناه : فإن طابت أنفسهن ، ومثله : ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾^(٥) ، وسؤت به ظناً^(٦) .

(١) زاد المسير ٥/ ٢٢٤ ، وتهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ولسان العرب (قر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ومقاييس اللغة (قر) ٥/ ٧ ، والصحاح (قر) ٢/ ٧٨٨ ، والمفردات في غريب القرآن (قر) ٣٩٧ ، ولسان العرب (قر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١١ ، وتهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ولسان العرب (قر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٤) هذا عجز بيت ينسب إلى عمرو بن كلثوم ، وصدره :

يوم كريمة ضرباً وطعناً

انظر : تهذيب اللغة (قر) ٣/ ٢٩٢٤ ، ولسان العرب (قر) ٦/ ٣٥٨١ .

(٥) سورة هود ، الآية ٧٧ ، وسورة العنكبوت ، الآية ٣٣ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٦ .

وقوله تعالى : ﴿فَإِمَّا تَرَيْنَ﴾ . ترين كان في الأصل ترأين فحذفت الهمزة كما حذفت من يرى وترى ، ونقلت فتحتها إلى الراء ، فصار ترين فلما تحركت الياء الأولى وانفتح ما قبلها صارت ألفاً ، فاجتمع ساكنان أحدهما الألف المنقلبة في الياء والأخرى ياء التأنيث ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، فصار (تَرَيْنَ) ، ثم حذفت النون علامة للجزم ؛ لأن قوله : إمّا حرف شرط فبقي تري ، ثم دخلته نون التأكيد وهي منقلة فكسرت الياء - أعني ياء التأنيث - لالتقاء الساكنين ؛ إذ النون المثقلة بمنزلة نونين الأولى منها ساكنة فصار تنوين ^(١) .

قال الزجاج : «وكذلك تقول للمرأة : اخشينّ زيداً» ^(٢) . يعني أن ياء التأنيث تكسر لأجل نون التأكيد ، وكذلك تقول : ألم تَرِي القوم ، ولم تخشي الرجل ، فتحرك بالكسر مع لام المعرفة ، وسائر السواكن كذلك حركتها مع النون الشديدة بالكسر ، ولم ترد اللام التي حذفتها لالتقاء الساكنين لما حركت الساكن الذي كنت حذفت اللام لالتقاءها معه ؛ لأن حركة التقاء الساكن غير لازمة ، وهي في تقدير السكون كما لم ترد في قولك : رَمَتِ ابْنك ونحوه ، وإذا قلت للواحدة : تَرَيْنَ كان إضافته على ضمير التأنيث وليست لام الفعل ؛ لأن لام الفعل قد حذفت لالتقاء الساكنين كما ذكرنا ، فإن خاطبت جماعة نساء قلت : كيف تَرَيْنَ ؟ فالياء لام الفعل ، وليست التي للضمير كما كانت ^(٣) في خطاب الواحدة ، ألا ترى أن قولك : أَنتنَّ تَذْهَبْنَ ، تلي فيه الباء التي هي لام الفعل علامة الضمير للتأنيث وهي النون ، فقياس المعتل في هذا قياس الصحيح ، ولذلك لو قلت للواحدة : كيف تَرَيْنَك ؟ كانت النون علامة للرفع ، والياء علامة للضمير ، ولو قلت لجماعة نساء : كيف تَرَيْنَكُنَّ ؟ كانت النون علامة للضمير والياء لام الفعل ، فإذا ألحق الجازم والناصب ترين ، وتأتين حذفت النون للجزم والنصب ، ولو لحق فعل

(١) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١١٣/١ ، والدر المصون ٥٩١/٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٢٧/٣ .

(٣) من قوله : (فأرسل الله الماء فيه لمريم . . .) إلى هنا ساقط من نسخة (س) .

الجميع لم تحذف النون كما لم تحذف في : لم تَضْرِبَنَّ . ذكر هذا كله أبو علي الفارسي في المسائل الحلبية^(١) .

قوله تعالى : ﴿فَقُولِي﴾ فيه اختصار ؛ لأن المعنى : فإمّا ترين من البشر أحداً فسألك عن ولدك فقولي : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ ؛ قال ابن عباس : «صمتاً»^(٢) . ومعنى الصوم في اللغة : الإمساك عن الأكل وعن الكلام^(٣) . والمعنى أوجبت على نفسي لله - تعالى - أن لا أتكلم .

وقال قتادة : «صامت من الكلام ، والطعام ، والشراب»^(٤) .

وعلى هذا معنى قوله : ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ هو الصوم المعروف الذي هو عبادة . قال الشَّذِّي ، وابن زيد : «كان في بني إسرائيل مَنْ أراد أن يجتهد صام عن الكلام ، كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي»^(٥) . ويدل على صحة هذا القول قوله : ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ؛ أي إني صائم فلا أكلم اليوم أحداً . ولو أريد بالصوم هاهنا الصمت فقط لم يحتج إلى قوله ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ﴾ . وأيضاً فإنه قال : ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ ، والصوم الذي هو لله إنما هو^(٦) ترك الطعام لا ترك الكلام .

(١) المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي ٨٧ .

(٢) جامع البيان ١٦ / ٧٤ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٢٢ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٦٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣١ ، وزاد المسير ٥ / ٢٢٥ ، والدر المنثور ٤ / ٤٨٥ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (صام) ٢ / ١٩٦٤ ، ومقاييس اللغة (صوم) ٣ / ٣٢٣ ، والقاموس المحيط (صام) ١١٣١ ، والمفردات في غريب القرآن (صوم) ٢٩١ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٨ / ٢ ، وجامع البيان ١٦ / ٧٤ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٦٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٣١ .

(٥) جامع البيان ١٦ / ٧٤ ، والمحرم الوجيز ٩ / ٤٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٢٧ ، وزاد المسير ٥ / ٢٢٥ ، والدر المنثور ٤ / ٤٨٥ .

(٦) قوله : (هو) : ساقط من نسخة (س) .

قال المفسرون : «كان قد أذن لها أن تقول : ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر]»^(١).

وقال قوم : «كانت تقول هذا القدر إشارة بحيث يعرف أنها ممسكة عن الكلام»^(٢). وأمّا سبب أمرها [بترك الكلام فقال ابن مسعود ، وابن زيد ، ووهب : «أمرت بالصمت ؛ لأنها لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة في شأن ولدها ، فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها بما يرى به ساحتها»^(٤) . وقيل في قوله : ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ : خصت الإنس ؛ لأنها كانت تكلم الملائكة^(٥) .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ . قال ابن عباس في رواية : «خرجت مريم من عندهم ضحى تتشرق للشمس»^(٦) ليس بها^(٧) قَلْبَةً^(٨) ، فجاءت عند الظهر ومعها صبي تحمله ، فكان الحمل

(١) النكت والعيون ٣/٣٦٨ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٩٨ . وهذا قول جمهور المفسرين . قال أبو حيان في تفسيره ٦/١٩٥ : «إن المعنى : فلن أكلم اليوم إنسياً بعد قولي هذا ، وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليه المعنى ؛ أي فإمّا ترين من البشر أحداً وسألك أو حاورك الكلام فقولي» . انظر : أضواء البيان ٤/٢٥٤ .

(٢) بحر العلوم ٢/٣٢٢ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣١ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) جامع البيان ١٦/٧٥ ، والنكت والعيون ٣/٣٦٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٩٨ .

(٥) معالم التنزيل ٥/٢٢٨ ، والكشاف ٢/٤٠٩ ، وزاد المسير ٥/٢٢٥ ، والدر المنثور ٤/٤٨٥ .

(٦) قوله : (للشمس) : ساقط من نسخة (س) .

(٧) في (ص) : (فيها) .

(٨) قَلْبَةً : أي ما بها علّة يُحْسَى عليها منها ، وقيل : معناه ما بها شيء يقلقلها . انظر : تهذيب اللغة (قلب) ٣/٣٠٢٦ ، والصحاح (قلب) ١/٢٠٥ ، والمعجم الوسيط (قلب) ٢/٧٥٣ ، ولسان العرب (قلب) ٦/٣٧١٣ .

والولادة في ثلاث ساعات من النهار»^(١). وقال الكلبي: «أتت به قومها تحمله بعد أربعين يوماً ، وذلك أنها ولدت حيث لم يشعر بها قومها ، ومكثت أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها ، ثم حملت عيسى إلى قومها ، فلما دخلت عليهم ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين»^(٢). فقالوا: ﴿يَمْرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾. قال أبو عبيدة: «كل فائق من عجب أو عمل فهو فري ، وهو هاهنا: عجب»^(٣). وقال الفراء [والزجاج وجميع أهل اللغة: «الفري الأمر العظيم ، يقال فلان يفري الفري»^(٤)] إذا كان يعمل عملاً يفضل فيه الناس»^(٥). ومنه قول سيدنا محمد - عليه السلام - في صفة عمر: «فلم أرَ عبقرياً يفري فرية»^(٦). قال ابن عباس: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ؛ أي عظيماً منكرًا لا يعرف منك ولا من أهل بيتك»^(٧). وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والسدي قالوا «الفري: العظيم من الأمر»^(٨).

٢٨. قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَّتَ هَارُونَ﴾. اختلفوا في هارون ، من هو ؟ فقال ابن عباس في رواية عطاء: «إن مريم كانت عابدة ، وكان في بني

-
- (١) الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١١ ، وزاد المسير ٢٢٦/٥ .
 - (٢) معالم التنزيل ٢٢٨/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٩/١١ ، والكشف والبيان ٣/٥/أ .
 - (٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧/٢ .
 - (٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
 - (٥) تهذيب اللغة (فرا) ٣/٢٧٥٦ ، ولسان العرب (فرا) ٦/٣٤٠٨ .
 - (٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» ٣/١٣٤٥ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عمر رضي الله عنه ٤/١٨٦٠ ، والترمذي في جامعه ، كتاب الرؤيا ، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ ٤/٤٦٨ ، والإمام أحمد في مسنده ٢/٢٨ ، والثعلبي في تفسيره ٣/٥٥ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/٢٠٢٨ .
 - (٧) زاد المسير ٢٢٦/٥ ، وتنوير المقباس ٢٥٥ .
 - (٨) جامع البيان ١٦/٧٧ ، والنكت والعيون ٣/٣٦٨ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٥٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣٢ ، والدر المنثور ٤/٤٨٦ .

إسرائيل رجل عابد يقال له هارون ، تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم اسمه هارون»^(١) .

وهذا قول قتادة ، وكعب ، وابن زيد قالوا : «هارون رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه مَنْ عرف بالصلاح»^(٢) . والمعنى : يا شبيهته في العفة . ونحو هذا روى المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ^(٣) . وقال السُّدِّي : «عنوا هارون أخا موسى ، ونسبت مريم إلى أنها أخته ؛ لأنها من ولده ، كما يقال للتميمي : يا أخا تميم»^(٤) . وقال الكلبي : «كان هارون أخا مريم من أبيها ليس من أمها ، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل»^(٥) . وقيل : «إن هارون هذا كان فاسقاً معلناً بالفسق فشبهت به»^(٦) .

- (١) جامع البيان ١٦/٧٧ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٠٠ .
- (٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/٩ ، وجامع البيان ١٦/٧٧ ، والنكت والعيون ٣/٣٦٨ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٥٩ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٨ .
- (٣) الحديث رواه المغيرة بن شعبة ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران ، فقالوا : ألسنتم تقرؤون ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ﴾ وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى ؟ فلم أدري ما أجيبهم ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» . أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء ٢/١٦٨٥ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير (سورة مريم) ٢/١٤٤ ، والنسائي في تفسيره ٢/٢٩٢ ، والإمام أحمد في مسنده ٤/٢٥٢ ، وأخرجه الطبري في جامع البيان ١٦/٧٨ ، والمأوردي في النكت والعيون ٣/٣٦٨ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/٢٢٨ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/٣٢٣ ، وابن عطية في المحزر الوجيز ٩/٤٥٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/٤٨٦ ، وزاد في نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، والطبراني ، وابن مردويه ، والبيهقي .
- (٤) جامع البيان ١٦/٧٨ ، والنكت والعيون ٣/٣٦٩ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٦٠ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣٢ .
- (٥) بحر العلوم ٢/٣٢٣ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٠٠ ، وروح المعاني ١٦/٨٨ .
- (٦) جامع البيان ١٦/٧٨ ، وبحر العلوم ٢/٣٢٣ ، والنكت والعيون ٣/٣٦٩ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٦١ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣٢ . هذا القول بعيد ، =

وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد زانياً»^(١) .

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ يريد زانية . وذكرنا الكلام في البغي في هذه السورة^(٢) . والمعنى في نفي الزنا عن أبويها تعريض بزناها ، كأنهم قالوا : لم يكونا زانين ، فمن أين لك هذا الولد ؟ قال الفراء : «أي أهل بيتك أخوك وأبوك صالحون ، وقد أتيت أمراً عظيماً»^(٣) .

٢٩ . قوله تعالى : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ . قال ابن عباس : «تريد أن كلموه وهو يرضع ، فنظر بعضهم إلى بعض تعجباً منها حين أشارت إليه»^(٤) . ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ﴾ الآية . وقال أبو إسحاق : «أشارت إليه بأن يجعلوا الكلام معه ، ودل على أنها أشارت إليه في الكلام ، قوله : ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾»^(٥) . قال ابن عباس : «يريد في الحجر رضيعاً»^(٦) .

والراجع - والله أعلم - من هذه الأقوال ما ثبت في الصحيح من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - الذي مرّ آنفاً . انظر : جامع البيان ٧٨ / ١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٢ / ٣ ، وفتح القدير ٤٧٣ / ٣ ، وأضواء البيان ٢٧١ / ٤ .

- (١) معالم التنزيل ٢٢٩ / ٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٦٩ ، وتنوير المقباس ٢٥٥ .
- (٢) عند قوله تعالى : ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم : ٢٠] .
- (٣) معاني القرآن للفراء ١٦٧ / ٢ .
- (٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠٢ / ١١ .
- (٥) معاني القرآن للزجاج ٣٢٨ / ٣ .
- (٦) ذكر في المحرر الوجيز ٩ / ٢٦٢ من دون نسبة ، والنكت والعيون ٣ / ٣٧٠ ، ونسبه إلى قتادة ، وزاد المسير ٥ / ٢٢٦ .

والمَهْدُ: الموضع الذي يُهَيَّأُ لينام فيه الصبي^(١). فيجوز أن يكون الحجر كما ذكره ابن عباس، وقتادة، والكلبي^(٢).

ويجوز أن يكون: سريراً كالمَهْد المعروف للصبيان^(٣). واختلفوا في ﴿كَانَ﴾ هاهنا فقال أبو عبيدة: «﴿كَانَ﴾ هاهنا حشو زائد»^(٤)، والمعنى: كيف نكلم صبيّاً في المهد^(٥). وهذا اختيار ابن قتيبة، وكثير من أهل التفسير ذكروه^(٦)، واحتجوا بقول الفرزدق^(٧):

فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ دِيَارَ قَوْمٍ وَجِرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامٍ
وقال قوم: «﴿كَانَ﴾ في معنى وقع وحدث»^(٨). والمعنى: كيف نكلم صبيّاً قد حدث في المهد؟ وقال الزجاج: «وأجود الأقوال أن يكون في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى: مَنْ يكن في المهد صبيّاً، فكيف نكلمه؟ كما تقول: مَنْ كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه؟»^(٩). قال ابن الأنباري: «لا يجوز أن يكون

(١) انظر: تهذيب اللغة (مهد) ٤/ ٣٤٦١، والصحاح (مهد) ٢/ ٥٤١، والمفردات في غريب القرآن (مهد) ٤٧٦، والمصباح المنير (المهد) ٥٨٢.

(٢) جامع البيان ١٦/ ٧٩، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٠، وزاد المسير ٥/ ٢٢٦.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٦٩، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٩، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٢.

(٤) هذا القول بعيد، ولا يليق أن يوصف كلام الله بالحشو الزائد، وكتاب الله هو الحكم في اللغة. قال القرطبي ١١/ ١٠٢: «لا يجوز أن يقال زائدة وقد نصبت (صبيّاً)». انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٨، والبيان في غريب القرآن ٢/ ١٢٤، والبحر المحيط ٦/ ١٨٧.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٧، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٨، والبحر المحيط ٦/ ١٨٧.

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٩، وزاد المسير ٥/ ٢٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٢.

(٧) البيت للفرزدق قاله في قصيدة يمدح فيها هشام بن عبد الملك. انظر: ديوانه ٥٩٧، وخزانة الأدب ٩/ ٢١٧، والكتاب ٢/ ١٥٣، والمقتضب ٤/ ١١٦، والدر المصون ٧/ ٥٩٥، ولسان العرب (كون) ٣٩٦١/٧.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٨.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٨.

الكون مُلغىً ، وهو عامل في الصبي النصب ، وقول مَنْ قال : إن ﴿كَانَ﴾ بمعنى حدث قبيح أيضاً ؛ لأن الصبي لما انتصب بالكون لم يكن الكون بمعنى الحدث ؛ لأنه إذا كان بمعنى الوقوع والحدوث استغنى عن خبره ، كما تقول : كان البرد وكان الحر ، تريد وقع وحدث . ثم اختار قول الزجاج ، قال : والذي نذهب إليه أن يكون ﴿مَنْ﴾ في معنى الجزاء و﴿كَانَ﴾ بمعنى يكون ، والتقدير : مَنْ يكن في المهدي صبيّاً ، فكيف نكلمه ؟ كما تقول : كيف أعظم مَنْ كان لا يقبل عظمي ؟ معناه : مَنْ يكن لا يقبل . والماضي يكون بمعنى المستقبل في باب الجزاء ، كقوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ [الفرقان : ١٠] معناه : إِنْ شَاءَ يجعل^(١) .

قال السُّدِّي : «لما أشارت إليه غضبوا وقالوا : لسخريتها بنا حيث تأمرنا أن نسأل هذا الصبي أعظم علينا مما صنعت»^(٢) .

٣٠ . وكان عيسى يرضع ، فلما سمع كلامهم لم يزد على أن ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وأشار بسبابته فقال : ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «أقر بالعبودية على نفسه ، وبربوبية الله أول ما تكلم»^(٣) . ﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ؛ أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوة في ما قضى وسبق ، وهذا إخبار عما سبق له مما هو كائن في ما بعد . وقال قوم : «أخبر عما حصل له ؛ لأن الله - تعالى - علمه وهو في بطن أمه التوارة والحكمة والخط ، وجعله نبياً ينبئ عن الله ، وكان كلامه في حال الرضاع معجزته ، وذلك أن الله - تعالى - كمل عقله في ذلك الوقت» .

(١) ذكر في زاد المسير ٢٢٨/٥ ، والبحر المحيط ١٨٧/٦ ، والدر المصون ٥٩٤/٧ .

(٢) المحرر الوجيز ٤٦٢/٩ ، والكشاف ٤١٠/٢ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٣/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٢/١١ .

(٣) ذكر نحوه في معالم التنزيل ٢٣٠/٥ ، وابن كثير ١٣٣/٣ ، والقرطبي ١٠٢/١١ ، وفتح القدير ٣٣٢/٣ .

والأول قول عكرمة وجماعة^(١). والثاني معنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(٢).

٣١. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾. قال ابن عباس: «لأن أدعو إلى الله وإلى توحيدهِ وعبادته»^(٣).

وقال مجاهد: «جعلني معلماً للخير نفاعاً»^(٤). وقال غيره: «بركته»^(٥): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٦).

﴿وَأَوْصَنِي﴾؛ أمرني، وتقدم إليَّ ﴿بِالصَّلَاةِ﴾؛ بإقامتها ﴿وَالزَّكَاةِ﴾؛ أي زكاة الأموال^(٧). وقيل: معنى الزكاة هاهنا: «طهارة الجسد من الذنوب، واجتناب المعاصي»^(٨).

٣٢. ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾؛ مطيعاً لها لطيفاً بها، وهو عطف على ﴿مُبَارَكًا﴾^(٩). قال ابن عباس: «لما قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾ ولم يقل: بوالدي علموا أنه

(١) جامع البيان ٨٠/١٦، والمحزر الوجيز ٤٦٤/٩، ومعالم التنزيل ٢٣٠/٥، وابن كثير ١٣٣/٣، والدر المنثور ٤٨٧/٤.

(٢) بحر العلوم ٣٢٣/٢، وابن كثير ١٣٣/٣، وزاد المسير ٢٢٩/٥. والقول الأول أولى، وقد ضعّف القول الثاني عدد من المفسرين. قال ابن عطية في تفسيره ٢٩/١١: «وهذا في غاية الضعف».

(٣) معالم التنزيل ١٩٥/٣. جامع البيان ٨١/١٦، والمحزر الوجيز ٤٦٤/٩، ومعالم التنزيل ٢٣٠/٥، وتفسير القرآن العظيم ١٣٣/٣، وزاد المسير ٢٢٩/٥.

(٤) في (س): (تركته)، وهو تصحيف.

(٥) انظر: المصادر السابقة.

(٦) انظر: المصادر السابقة.

(٧) جامع البيان ٨١/١٦، والمحزر الوجيز ٤٦٣/٩.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣٢٩/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣١٣/٢، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١١٤/١.

شيء من الله»^(١). ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ ؛ متعظماً يقتل ويضرب على الغضب^(٢). ﴿شَقِيًّا﴾ ؛ عاصياً لربه^(٣).

٣٣. قوله تعالى : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ . قال أبو إسحاق : «لما جرى ذكر السلام قبل هذا بغير ألف ولام كان الأحسن أن يذكر ثانية بالألف واللام ، ومعنى السلام هاهنا : عموم العافية ؛ لأنه مصدر سَلَّمْتُ سلاماً»^(٤).

قال المفسرون : «السلامة عليّ من الله - تعالى - يوم ولدت حتى لم يضرنى شيطان»^(٥). وهذا معنى ما روي أن النبي ﷺ قال : «ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان في جنبه وذلك حين يستهل صارخاً ، إلا عيسى ابن مريم ، فإنه ذهب يطعن فطعن في الحجاب»^(٦). والآية مفسرة في قصة يحيى في هذه السورة^(٧). قال ابن عباس والمفسرون : «كلمهم عيسى بهذا ثم سكت فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان»^(٨).

٣٤. قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ذلك الذي قال ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ الآيات ، هو عيسى ابن مريم ، لا ما يقول النصارى

-
- (١) زاد المسير ٢٣٠ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٣ / ١١ .
 (٢) تفسير القرآن العظيم ١٢٤ / ٣ ، والقرطبي ١٠٣ / ١١ .
 (٣) جامع البيان ٨٢ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣٧١ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٢٣٠ / ٥ ، وزاد المسير ٢٣٠ / ٥ ، والدر المنثور ٤٨٨ / ٤ .
 (٤) معاني القرآن للزجاج ٣٢٩ / ٣ ، وتفسير القرآن العظيم ١٢٤ / ٣ .
 (٥) الطبري ٨٢ / ١٦ ، والماوردي ٣٧١ / ٣ ، والبغوي ٢٣٠ / ٥ ، والقرطبي ١٠٤ / ١١ .
 (٦) أخرج نحوه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ١٢٦٥ / ٣ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضل عيسى عليه السلام ١٨٣٨ / ٤ ، والإمام أحمد ٥٥٣ / ٢ ، والماوردي في النكت والعيون ٣٧١ / ٣ .
 (٧) عند قوله تعالى : ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم : ١٥] .
 (٨) بحر العلوم ٣٢٣ / ٢ ، والمحرم الوجيز ٤٦٦ / ٩ ، ومعالم التنزيل ٢٣٠ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٤ / ١١ ، والدر المنثور ٤٨٨ / ٤ .

من أنه ابن الله وأنه إله»^(١). ﴿قَوْلَكَ الْحَقِّ﴾ ﴿الْحَقِّ﴾ هاهنا يجوز أن يراد به الله تعالى ، وهو قول مجاهد^(٢) . ويرتفع (قَوْل) على أنه نعت لعيسى^(٣) ؛ أي ذلك عيسى ابن مريم قول الله ؛ أي كلمته . والكلمة قول ، ويجوز أن يضاف القول إلى الحق^(٤) ، ومعناه : القول الحق ، كما قيل : ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة : ٩٥ ، الحاقة : ٥١] ، و﴿وَعَدَ الصِّدِّيقِ﴾ [الأحقاف : ١٦] ، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف : ١٠٩] ، وعلى هذا يجوز أن يرتفع (قَوْلُ الْحَقِّ) على النعت لعيسى كما ذكرنا ، ويجوز أن يرتفع على أنه خبر ابتداء مضمرة^(٥) ، دل عليه قوله : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ . والمعنى : هذا الكلام قول الحق ؛ أي هذا الذي ذكرنا من صفته ، وأنه ابن مريم قول الحق ، ومن قرأ : ﴿قَوْلَكَ الْحَقِّ﴾ ، بالنصب فهو نصب على المصدر^(٦) ؛ أي قال قول الحق .

[وقال أبو علي : «أما النصب فهو أن قوله : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ يدل على : أَحَقُّ قَوْلَ الْحَقِّ»^(٧) . وتقول : هذا زيدُ الحق لا الباطل ؛ لأن قول : هذا زيد ، بمنزلة أحق ، كأنك قلت : أحقُّ الحق ، وأحقُّ قول الحق»^(٨) .

-
- (١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٩ .
 - (٢) جامع البيان ١٦/ ٨٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٢ ، وذكر في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٥ من دون نسبة .
 - (٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٦٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٣ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١٤٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٩٨ .
 - (٤) جامع البيان ١٦/ ٨٣ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٦٨ .
 - (٥) جامع البيان ١٦/ ٨٣ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٤ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠١ ، والدر المصون ٧/ ٥٩٨ .
 - (٦) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وحمة ، والكسائي (قول الحق) رفعا ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ﴿قَوْلَكَ الْحَقِّ﴾ نصبا . انظر : السبعة ٤٠٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠١ ، والتبصرة ٢٥٦ .
 - (٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
 - (٨) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٢ .

ويكون على هذا التقدير اعتراضاً بين الصفة والموصوف ؛ لأن التقدير : ذلك عيسى ابن مريم الذي فيه . وقال الفرّاء : « وإن نصبت القول وهو في النية من نعت عيسى كان صواباً ، كأنك قلت : هذا عبد الله الأسد عادياً ، كما تقول : أسداً عادياً »^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي ﴾ هو من نعت عيسى . ﴿ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ ؛ أي يشكون فيختلفون ، فيقول قائل : هو ابن الله ، ويقول آخر : هو الله^(٢) . ثم نفى عن نفسه اتخاذ الولد .

٣٥ . فقال : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ﴾ . أن مع الفعل بمنزلة المصدر أي ما كان له اتخاذ الولد ، على معنى أن ذلك ليس من صفته ، ولا مما يليق به ؛ لأن الولد مجانس للوالد ، وكذلك من اتخذ ولداً إنما يتخذه من جنسه ، والله - تعالى - ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يكون له ولد ، ولا أن يتخذ ولداً ، وذكر ابن الأنباري في هذا وجهين :

أحدهما : « أن هذه من المقلوب على معنى ما كان للولد أن يتخذه الله ، فدخلت اللام في غير موضعها على مذهب العرب في الاتساع وقد تقدم لهذا نظائر .

والثاني : أن المعنى ما كان ينبغي لله أن يتخذ من ولد ، فنابت اللام عن الفعل الذي هو ينبغي ، وتأويل لا ينبغي : لا يصلح ولا يستقيم »^(٣) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٦٨/٢ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٨/٢ ، وجامع البيان ٨٣/١٦ ، ٨٤ ، والنكت والعيون ٣/٣٧٢ ، ومعالم التنزيل ٢٣١/٥ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في المحرر الوجيز ٩/٤٦٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٠٧ .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ وَلَدٍ﴾ : ﴿مِنْ﴾ زائدة مؤكدة لاستغراق الجنس ، فلا يجوز أن يتخذ ولداً واحداً ولا أكثر ، هذا معنى قول الزجاج : «﴿مِنْ﴾ مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة»^(١) .

ثم نزه نفسه عن مقالتهم بقوله : ﴿سُبْحَنَهُ﴾ ، ثم بين السبب في كون عيسى من غير أب فقال : ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ؛ أي إذا أراد أن يحدث ولداً من غير أب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، كما فعل بآدم إذ خلقه من غير أب ولا أم ، وهو قوله تعالى : ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، والمعنى : أن كون عيسى إنما كان بقضاء الله وإرادته ، وإذا أراد أمراً لم يتعذر عليه ، وأوجده على الوجه الذي أراده . والكلام في مثل هذه الآية قد تقدم في سورة البقرة في قوله : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة : ١١٧] الآية .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ الآية . ذكر الفراء في فتح ﴿أَنَّ﴾ ثلاثة أوجه أحدها : العطف على عيسى ابن مريم ، بتأويل ذلك عيسى ابن مريم ، وأن الله ربي وربكم ، فيكون في موضع رفع . والثاني : ولأن الله ربي ربكم [فاعبدوه ، فيعمل فيه فاعبدوه]^(٢) وهذا الوجه اختيار أبي علي^(٣) . وروي وجه رابع عن أبي عمرو بن العلاء وهو : أن المعنى وقضى الله ربي وربكم^(٤) ، ومن كسر استأنف الكلام ، وجعله معطوفاً

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٩ . وقول الزجاج أولى من القول بالزيادة ، وذلك أدباً مع كتاب الله عز وجل ؛ فإن كل حرف ورد فيه يقصد به معنى من المعاني .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٠٣ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٩٠ . قال السمين الحلبي في الدر المصون ٧/ ٦٠٠ : «واستبعد الناس صحة هذا النقل عن أبي عمرو ؛ لأنه من الجلالة في العلم والمعرفة بمنزلة يمنعه من هذا القول ، وذلك لأنه إذا عطف على ﴿أَمْرًا﴾ لزم أن يكون داخلياً في حيز الشرط به ﴿إِذَا﴾ ، وكونه - تبارك ربنا - لا يتقيد بشرط ألبته» .

على المستأنف قبله وهو^(١) قوله : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ، ويجوز أن يكون استثناءً بالواو من غير عطف ، ويؤكد هذا الوجه ما روي في قراءة أبي : (أن الله ربي وربكم) ، بغير واو^(٢) . وعلى الأوجه كلها ، الآية من كلام عيسى لقومه .

قوله تعالى : ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ؛ أي هذا الذي أخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة .

٣٧ . قوله تعالى : ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ ؛ يعني فرق النصارى اختلفوا في عيسى فقال بعضهم : هو الله^(٣) ، وقال بعضهم : ابن الله^(٤) ، وقال بعضهم : ثالث ثلاثة^(٥) .

قوله تعالى : ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ ؛ أي بينهم ، ومن زائدة . قال المفسرون : «كانوا أحزاباً متفرقين ﴿بَيْنِهِمْ﴾ في أمر عيسى»^(٦) .

(١) في (س) : (وهذا) .

(٢) جامع البيان ٨٥/١٦ ، وبحر العلوم ٣٢٤/٢ ، والكشاف ٤١١/٢ ، والبحر المحيط ١٨٩/٦ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١٦٨/٢ . وقد اختلف القراء في قراءة هذه الآية ؛ فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو (وأن الله ربي) بنصب الألف ، وقرأ ابن عامر ، وعاصم ، حمزة ، والكسائي ﴿وَلِئَلَّهِ﴾ بالكسر . انظر : السبعة ٤١٠ ، والحجة للقراء السبعة ٢٠٢/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٣ ، والنشر ٣١٨/٢ .

(٣) وهم اليعقوبية . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ٨/٢ ، وجامع البيان ٨٥/١٦ ، وبحر العلوم ٣٢٤/٢ ، والمحرق الوجيز ٤٧١/٩ ، وزاد المسير ٢٣٢/٥ .

(٤) وهم النسطورية . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ٩/٢ ، وجامع البيان ٨٦/١٦ ، وبحر العلوم ٣٢٤/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٣١/٥ ، والدر المنثور ٤٨٨/٢ .

(٥) وهم الإسرائيلية من ملوك النصارى . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ٩/٢ ، وجامع البيان ٨٦/١٦ ، والمحرق الوجيز ٤٧١/٩ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٥/٣ .

(٦) جامع البيان ٨٦/١٦ ، والمحرق الوجيز ٤٧١/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٣١/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٥/٣ .

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ فشدة عذاب للذين كفروا بالله بقولهم في المسيح بأنه ابن الله وأنه إله ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ؛ أي من حضور ذلك اليوم ، والمشهد مصدر يراد به [الشهود ، والمعنى : ويل لهم إذا جاءت القيامة^(١) . ويجوز أن يكون الحضور لهم ، وأضيف إلى الظرف لوقوعه فيه ، كما تقول : ويل لفلان]^(٢) من قتال يوم كذا ، والمعنى : ويل لهم حضورهم ذلك ، وشهودهم إياه للجزاء والحساب^(٣) .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ﴾ . قال قتادة : «ذلك - والله - يوم القيامة ، سمعوا حين لم ينفعهم السمع ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر»^(٤) .

وقال ابن عباس ، والشُّدِّي ، وجميع المفسرين : «ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة !»^(٥) . وقال الكلبي : «يقول : ما أبصرهم بالهدى يوم القيامة ! وأطوعهم أن عيسى ليس الله ، ولا ابن الله ، ولا ثالث ثلاثة !»^(٦) .

فجعل السمع هاهنا بمعنى الطاعة وهو حسن . وقال الحسن : «لئن كانوا في الدنيا صماً عمياً عن الحق ! فما أبصرهم به وأسمعهم يوم القيامة !»^(٧) . ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ أَيُّومٍ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ؛ يعني أن الكافرين والمشركين ضلوا في الدنيا ، وعموا عن الحق وآثروا الهوى على الهدى .

(١) جامع البيان ٨٦/١٦ ، والمحرر الوجيز ٤٧١/٩ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٥/٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٣) الكشف ٤١١/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٨/١١ ، والبحر المحيط ١٩٠/٦ ، وفتح القدير ٤٧٧/٣ .

(٤) جامع البيان ٨٦/١٦ ، والنكت والعيون ٣٧٣/٣ ، والدر المنثور ٤٨٩/٤ ، والبحر المحيط ١٩١/٦ .

(٥) جامع البيان ٨٧/١٦ ، والمحرر الوجيز ٤٧٢/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٣٢/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٥/٣ ، وزاد المسير ١٦٣/٥ .

(٦) معالم التنزيل ٢٣٢/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٨/١١ ، والكشف والبيان ١٧/٣ .

(٧) النكت والعيون ٣٧٣/٣ .

وقوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ . لفظ التعجب كما قالوا في تفسيره : ما أسمعهم وأبصرهم^(١) ! وللتعجب لفظان أحدهما : ما أكرم زيدا ! وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] ، والثاني : أكرم يزيد ! وأسمع بهم وأبصر !

قال أبو علي : «وهذا مثال الأمر أقيم مقام الخبر ، والمعنى : اسمعوا وأبصروا ؛ أي صاروا ذوي سماع وإبصار ، فوقع مثال الأمر هاهنا موقع الخبر ، كما وقع مثال الخبر موقع الأمر في الدعاء في مثل : غفر الله لزيد ، وقطع الله يد فلان ، وسلام عليك ، وخير بين يديك ، ونحوه مما يراد به الدعاء ، وهو على لفظ الخبر ، ومثل هذا مما جاء في التنزيل قوله : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] فهذا لفظه كلفظ أمثلة الأمر ومعناه الخبر ، ألا ترى أنه لا وجه للأمر هاهنا وأن المعنى : يمدد الرحمن مدادا ؟ ويدلك على أن المراد في هذا الخبر أن السمع والبصر وغيرهما من الأحداث لا يخاطب ولا يؤمر ولا ينهى ، فليس للأمر هاهنا معنى ولا متوجه»^(٢) .

وموضع الباء مع ما بعدها من المنجر في قولك : أكرم يزيد رفع ، كما أن الباء في : ﴿وَكُنْ بِاللهِ﴾^(٣) كذلك ، وذلك أن المتعجب منه وقع موقع الفاعل ، وفاعل هذا الفعل المتعجب منه ، فلذلك قلنا : إن الجار مع المجرور في موضع رفع .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ ؛ أي خوِّف يا محمد ، كفار مكة يوم الندامة يتحسر المسيء هلا أحسن العمل ؟ والمحسن هلا ازداد من الإحسان ؟ وقال أكثر أهل التأويل : «يعني الحسرة حين يذبح الموت بين الفريقين ، ويقال : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٦/٢ ، وإملاء ما من به الرحمن ١١٤/١ .

(٢) ذكر مختصراً في الحجة للقراء السبعة ٢٠٥/٢ .

(٣) وردت في مواطن كثيرة ، ومنها ما ورد في سورة النساء ، الآية ٦ .

فلا موت ، فلو مات أحد فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو مات أحد حزناً لمات أهل النار»^(١) .

قال مقاتل : «لولا ما قضى الله من تخليد أهل النار فيها لماتوا حسرة حين رأوا ذلك»^(٢) . وهذا يروى مرفوعاً عن النبي ﷺ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ؛ أي فرغ من الحساب ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار . والمعنى : إذ يقضى الأمر ؛ لأنه لم يأت بعد إلا أن ما كان من أحكام الآخرة يذكر بلفظ الماضي في القرآن ؛ لأنها كأنها قد وقعت حيث هي كائنة لا شك ، كقوله : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف : ٤٤] ، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الأعراف : ٥٠] . وقال ابن جريج في قوله : ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ : إذ ذبح

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٤٧٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٩ .

(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٧٤ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ أ .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا دخل أهل النار ، النار وأدخل أهل الجنة الجنة يجاء بالموت كأنه كبش أملح فينادي مناد : يا أهل الجنة ، تعرفون هذا ؟ قال : فيشربون وينظرون وكل قد رآوه فيقولون : نعم هذا الموت ، ثم ينادي : يا أهل النار ، تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ، وكلهم قد رآوه فيقولون : نعم هذا الموت ، فيؤخذ فيذبح ، ثم ينادي : يا أهل الجنة ، خلود ولا موت ، ويا أهل النار ، خلود ولا موت ، فذلك قوله : ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ قال : أهل الدنيا في غفلة . أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة مريم) ٦/ ١١٧ ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٨/ ٢١٨٨ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير (سورة مريم) ١٢/ ١٤ ، والدرامي في كتاب الرقائق ، باب ذبح الموت ٢/ ٣٢٩ ، وأحمد في مسنده ٣/ ٩ ، والنسائي في تفسيره ٢/ ٣٠ ، والطبري في جامع البيان ١٦/ ٨٧ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٨٩ وزاد في نسبته إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

الموت»^(١). وقال مقاتل بن سليمان : «إذ قضي لهم العذاب في الآخرة وهم في الدنيا في غفلة»^(٢).

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد في الدنيا»^(٣). وهذا استئناف إخبار عنهم أنهم في غفلة . عن ذلك اليوم وأحكامه . ثم أخبر عن كفرهم بذلك اليوم فقال : ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس : «لا يصدقون بالبعث»^(٤).

وقال الشَّدي : «وهم في غفلة في الدنيا عما يصنع الموت ذلك اليوم ، وهم لا يؤمنون بما يصنع بالموت ذلك اليوم»^(٥).

٤٠ . قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ ؛ أي نमित سكانها فترثها ومن عليها لأنني أميتهم وأهلكهم^(٦) ، وهذا كقوله : ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر : ٢٣] ، وذكرنا الكلام فيه . ﴿وَالَّذِينَ يَرْجِعُونَ﴾ بعد إحيائنا إياهم للثواب والعقاب .

(١) جامع البيان ٨٨ / ١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٩ / ٣ ، وزاد المسير ٢٣٤ / ٥ ، والبحر المحيط ١٩١ / ٦ .

(٢) زاد المسير ٢٣٤ / ٥ ، والبحر المحيط ١٩١ / ٦ .

(٣) ذكر من دون نسبة في المحرر الوجيز ٤٧٣ / ٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ١٦ / ٣ ، والبحر المحيط ١٩١ / ٦ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٨٨ / ١٦ ، وبحر العلوم ٣٢٤ / ٢ ، ومعالم التنزيل ٢٣٢ / ٥ ، وزاد المسير ٢٣٤ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٥ / ٣ ، ولباب التأويل ٢٤٧ / ٤ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٢٣٢ / ٥ ، وزاد المسير ٢٣٥ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٥ / ٣ ، والبحر المحيط ١٩١ / ٦ .

(٦) معالم التنزيل ٢٣٢ / ٥ ، وزاد المسير ٢٣٥ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٩ / ١١ ، وفتح القدير ٤٧٧ / ٣ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ ﴾ كقولك لغيرك : أرتك وأرث مالك ؛ أي تموت فينتقل إليّ مالك . والمعنى : أنهم يموتون وتبقى الأرض لا مالك لها إلا الله عز وجل .

٤١ . قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . اقصص عليهم قصته . قال ابن عباس : « اذكر لقومك إبراهيم ، فقد انتهى إليهم دينه ، وعرفوا أنهم من ولده ، وأنه كان حنيفاً مسلماً »^(١) . وهو معنى قوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ . والصديق : اسم للمبالغ في الصدق . وقد مر^(٢) .

٤٢ . ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ ﴾ . سبق الكلام في هذه التاء في (أبت) في أول سورة يوسف^{(٣)(٤)} .

﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ ؛ يعني الصنم^(٥) ، وبخه على عبادته شيئاً لا سمع له ولا بصر . ﴿ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ ؛ لا يدفع عنك ضرراً ، ولا يكفيك شيئاً .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : تفسير القرآن العظيم ١٣٧/٣ ، والجامع لأحكام

القرآن ١١٠/١١ ، والتفسير الكبير ٢٢٣/٢١ ، وروح البيان ٣٣٦/٥ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَتَيْنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ ﴾ [يوسف : الآية ٤٦] .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤] .

(٤) قال الزمخشري في الكشاف ٤١٢/٢ : « انظر : حين أراد أن ينصح أباه ويعظه في ما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء ، وانسلخ عن قضية التمييز ، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة ، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق ، وساقه أرقش مساق ، مع استعمال المجاملة واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عز وعلاً » .

(٥) جامع البيان ٨٩/١٦ ، والمحرق الوجيز ٤٧٦/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٣٤/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١١/١١ .

٤٣. ﴿يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ . قال ابن عباس : «من اليقين والمعرفة بالله»^(١) . قال أبو إسحاق : «وهذا يدل على أنه كان قد أتاه الوحي»^(٢) . ﴿فَاتَّبَعَنِي﴾ الآية . قال ابن عباس : «يريد اتبعني على ما جاءني من ربي أرشدك إلى دين مستقيم»^(٣) . ﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ . قال ابن عباس : «لا تطعه»^(٤) . قال أبو إسحاق : «معنى عبادة الشيطان : طاعته في ما يسول من الكفر والمعاصي»^(٥) . والمعنى أن عبادتك الصنم عبادة الشيطان ؛ لأن من أطاع شيئاً في معصية الله فقد عبده .

٤٤. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ . قيل : كان زائدة . وقيل : إنها بمعنى صار^(٦) . والصحيح أنها بمعنى الحال^(٧) ؛ أي كائن ، كما ذكرنا في قوله : ﴿وَكَاَنَتْ أَمْرًا قِيَّامًا وَقَدْ بَلَغَتْ﴾ [مریم : ٨] الآية . والعصي : بمعنى العاصي على فعل مثل القادر والتقدير وبابه .

٤٥. ﴿يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ ؛ أخشى أن يصيبك عذاب الله بطاعتك الشيطان ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ؛ قريناً في النار .

(١) ذكره من دون نسبة البغوي ٢٣٤/٥ ، والقرطبي ١١١/١١ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٣٢ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/٣٢٥ ، والمحرم الوجيز ٩/٤٧٦ ،

ومعالم التنزيل ٥/٢٣٤ ، وابن كثير ٣/١٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١١١ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المصادر السابقة ، وزاد المسير ٥/٢٣٦ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٣٢ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/١١١ .

(٧) معالم التنزيل ٥/٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١١١ .

قال الفرّاء : ﴿أَخَافُ﴾ ؛ أي أعلم ، كقوله : ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ [الكهف : ٨٠] ؛ أي فعلمنا^(١) .

٤٦ . فقال أبوه مجيباً له : ﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهِتَيَّ إِنِّي أَرَاهُمُ﴾ ؛ أي أتركها أنت وتارك عبادتها ، يقال : رغب عن الشيء إذا تركه عمداً^(٢) . ﴿لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ﴾ ؛ لم تمتنع عن شتمها وعبئها ، ومعنى الانتهاء الامتناع من الفعل المنهي عنه ، يقال : نهاه عن كذا فأنتهى^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ : لأرمينك بالقول القبيح وأشتمك ، قاله الضحاك ، ومقاتل ، والسُّدِّي ، والكلبي ، ومجاهد ، وابن جريج^(٤) . واختيار الزَّجَّاج قال : «يقال : فلان يرمي فلاناً ، ويرجم فلاناً معناه : يشتمه»^(٥) . وقال ابن عباس في رواية عطاء : «لأقتلنك»^(٦) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٦٩/٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (رغب) ١٤٣٢/٢ ، ومقاييس اللغة (رغب) ٤١٥/٢ ، والقاموس المحيط (رغب) ٩٠ ، والمفردات (رغب) ١٩٨ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (نهي) ٣٦٨٠/٤ ، والصحاح (نهي) ٢٥١٧/٦ ، والمفردات في غريب القرآن (نهي) ٥٠٧ ، ولسان العرب (نهي) ٤٥٦٤/٨ .

(٤) جامع البيان ٩١/١٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٧٤ ، والمحزر الوجيز ٩/٤٧٨ ، ومعالم التنزيل ٢٣٤/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣٧ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/٣٣٢ .

(٦) ذكره ابن عطية في المحزر الوجيز ٩/٤٧٨ من دون نسبة ، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٣٢٥/٢ .

وقال الحسن: «لأرمينك بالحجارة حتى تبعد عني»^(١). وهذا كما روي عن ابن عباس أنه قال: «لأضربنك بالحجارة»^(٢). وذكرنا الكلام في معاني الرجم عند قوله: «﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمَنَّكَ﴾ [هود: ٩١]». .

وقوله: «﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾». يقال: هَجَرَ الرجل هَجْرًا إذا تباعد ونأى، وهَجَرَ في الصوم يَهْجُرُ هِجْرَانًا، قاله أبو زيد^(٣). قال ابن عباس: «واعتزلني»^(٤). وقال الكلبي: «واتركني»^(٥).

﴿مَلِيًّا﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد حيناً»^(٦). وهو قول مجاهد^(٧). وقال عكرمة: «دهراً»^(٨). وقال الحسن: «زماناً طويلاً»^(٩). وهو قول الكلبي^(١٠). وقال السُّدِّي: «أبدًا»^(١١).

-
- (١) النكت والعيون ٣/ ٣٧٤، والمحزر الوجيز ٩/ ٤٧٨، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥٤، وزاد المسير ٢٣٧/ ٥، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١ .
- (٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٤، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١ .
- (٣) تهذيب اللغة (هجر) ٤/ ٣٧١٧، ولسان العرب (هجر) ٨/ ٤٦١٧ .
- (٤) الكشف والبيان ٧/ ٣ ب، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٤، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١١، ولباب التأويل ٤/ ٢٤٨ .
- (٥) الكشف والبيان ٧/ ٣ ب، وذكر نحوه في معالم التنزيل ٥/ ٢٣٤ .
- (٦) النكت والعيون ٣/ ٣٧٤، وزاد المسير ٥/ ٢٣٧، وفتح القدير ٣/ ٣٣٧ .
- (٧) جامع البيان ١٦/ ٩١، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٤، والمحزر الوجيز ٩/ ٤٧٨، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٤، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .
- (٨) النكت والعيون ٣/ ٣٧٤، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٧ .
- (٩) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٠، وجامع البيان ١٦/ ٩١، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٤، والمحزر الوجيز ٩/ ٤٧٨، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .
- (١٠) جامع البيان ١٦/ ٩١، والكشف والبيان ٧/ ٣، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٤، والدر المنثور ٤/ ٤٩١ .
- (١١) جامع البيان ١٦/ ٩١، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٥، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٧ .

قال الليث : «المليُّ من الدهر حين طويل ، ويقال : أقام ملياً»^(١) .

وقال الفرّاء : «يُقال : مَلَوَةٌ من الدهر ، ومُلَوَةٌ ، ومِلَوَةٌ ، ومِلَاوَةٌ ، ومِلَاوَةٌ ، وكله من الطول»^(٢) . والله يُملي مَنْ يشاء فيؤجله ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الأعراف : ١٨٣] [القلم : ٤٥] ، قال الأصمعي : «وَأُمْلِي عليه الزمن ؛ أي طال عليه ، وَأُمْلِي له ؛ أي طول له وأمهله»^(٣) . قال ابن السكيت : «تَمَلَّيْتُ العيش ، إذا عشت ملياً ؛ أي طويلاً»^(٤) .

قال العجاج^(٥) :

مِلَاوَةٌ مُلِّيْتُهَا كَأَنِّي ضَارِبُ صَنْجٍ نَشْوَةٍ مُغْنِي

مَلِّيْتُهَا ؛ أي طولت لي . وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

وقال أبو علي الفارسي : «قالوا : انتظرته ملياً من الدهر ؛ أي متسعاً منه ، وهو صفة استعمل استعمال الأسماء ، والملاة من هذه الزيادة عرضها واتساعها ، والهمزة فيه منقلبة عن حرف لين ، يريد به سقوطها في التحقير ، ولو كانت الهمزة لا ماً لم تسقط»^(٦) .

(١) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (ملا) ٤/ ٣٤٣٨ ، والقاموس المحيط ٤/ ٥٢ ، وتاج العروس ١/ ٢٥٢ ، واللسان ٧/ ٤٢٧٣ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٦٩ .

(٣) تهذيب اللغة (ملا) ٤/ ٣٤٣٨ ، ولسان العرب (ملا) ٧/ ٤٢٧٣ .

(٤) انظر : لسان العرب (ملا) ٧/ ٤٢٧٣ ، وتاج العروس (ملا) ١/ ٢٥٢ .

(٥) البيت للعجاج . الصَّنَجُ : هو الذي يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر ، وقيل الصنج : ذو الأوتار الذي يلعب به . انظر : تهذيب اللغة (ملا) ٤/ ٣٤٣٨ ، ولسان العرب (ملا) ٧/ ٤٢٧٣ .

(٦) ذكر نحوه في الحجة للقراء السبعة ٣/ ١٠٢ .

وروي عن ابن عباس في قوله : ﴿مَلِيًّا﴾ قال : «سالم العرض لا يصيبك مني مكروه»^(١) . وهو قول قتادة ، وعطية ، والضحاك قالوا في معنى ﴿مَلِيًّا﴾ : «سويًّا سليبًا»^(٢) . وأصل هذا من قولهم : فلان مَلِيٌّ بهذا الأمر . والقول هو الأول ؛ لأن المَلِيَّ بالأمر أصله الهمز^(٣) .

قال أبو زيد : «مَلُو الرجل ، يَمْلُو ، مَلَاءَةٌ فهو مَلِيٌّ»^(٤) . ولم يرو عن القراء : (وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) بالهمز .

٤٧ . فقال إبراهيم محبباً لأبيه : ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ ؛ أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه^(٥) . وذلك أنه لا يؤمر بقتاله على كفره فلذلك قال : ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ . وسئل سفيان بن عيينة : «أيجوز السلام على أهل الذمة ؟ فقال : نعم ، إنما حضر ذلك في دار الحرب ، فأما في السلم فلا ، وقد قال الله تعالى : ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ [المتحنة : ٨] الآية ، وقال في قصة إبراهيم : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله : ﴿لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المتحنة : ٤] ، فاستثنى الاستغفار ، ولم يستثن

(١) جامع البيان ٩٢ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٧٤ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٤٧٩ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٣٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٧ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢ / ١٠ ، وجامع البيان ٩٢ / ١٦ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٢٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٣٥ .

(٣) قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره ٩٢ / ١٦ : «وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال : معنى ذلك واهجرني سويًّا سليباً من عقوبيتي ؛ لأنه عقيب قوله : ﴿لَنْ تَنْتَهِيَ لَأَرْجَمَنَّكَ﴾ وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيئ والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاه عنه قبل أن تناله العقوبة ، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له» .

(٤) تهذيب اللغة (ملا) ٤ / ٣٤٣٨ .

(٥) جامع البيان ٩٢ / ٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٧٥ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٤٨٠ ، ومعالم التنزيل ٣ / ١٩٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٧ .

السلام»^(١). وقد قال إبراهيم: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي﴾^(٢) سادعو لك ربي بالمغفرة والتوبة، وذلك أنه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله في بابه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، واستغفاره له يتضمن مسألة التوحيد؛ لأنه لا يغفر له ما ثبت على شركه، ألا ترى أن الله - تعالى - قال: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] أي لما مات على شركه ترك الاستغفار له. والمعنى على هذا، سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته^(٣). وقيل: «إنه وعد أباه الاستغفار وهو لا يعلم أن ذلك محظور على المصّر على الكفر فلما أعلمه الله»^(٤) ما فيه قطع الاستغفار وبرئ من أبيه»^(٥).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾. قال ابن عباس، ومقاتل: «لطيفاً باراً»^(٦). وهو قول أكثر المفسرين.

قال الزجاج: «يقال: تحفّى به تحفياً، وحفّي به حفوة، إذا بره وألفه»^(٧).

-
- (١) ذكره القرطبي ١١/ ١١١، وقال: «والجمهور على أن المراد بسلامه: المسالمة التي هي المتاركة لا التحية، وقال النقاش: حليم خاطب فيها كما قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾».
- (٢) بحر العلوم ٢/ ٣٢٥، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٥، والمحزر الوجيز ٩/ ٤٨٠، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥، وزاد المسير ٥/ ٢٣٧.
- (٣) من قوله: (وموضع الباء مع ما بعدها...) إلى هنا ساقط من (س).
- (٤) المحزر الوجيز ٩/ ٤٨٠، وابن كثير ٣/ ١٣٧، وفتح القدير ٣/ ٤٨٣. يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].
- (٥) جامع البيان ١٦/ ٩٢، وابن كثير ٣/ ١٣٧، وزاد المسير ٥/ ٢٣٨، وفتح القدير ٣/ ٣٣٧. ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).
- (٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٣.

وقال الكلبي: ﴿حَفِيًّا﴾: عالماً^(١). وهو قول ابن عباس في رواية عطاء^(٢). قال جابر: «معيناً»^(٣).

وذكر الفرّاء القولين جميعاً^(٤). والكلام في هذا قد مرّ مستقصى في قوله: ﴿يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].

٤٨. قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾؛ أي أُنحى عنكم وأفارقكم. يقال: عَزَلْتُهُ عن الشيء نحيته عنه فَأَعْتَزَلْتُ^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي أعتزل ما تعبدون من دون الله يعني: الأصنام^(٦). ﴿وَادْعُوا رَبِّي﴾؛ أعبده. ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾؛ أرجو أن لا أشقى بعبادته، وفي هذا إشارة إلى أنهم شقوا بعبادة الأصنام؛ لأنها لا تنفعهم ولا تحجب دعاءهم^(٧).

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٧٥، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥.

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: الكشف والبيان ٣/ ٧، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٥، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٣.

(٣) ذكره أبو حيان في النهر المار من دون نسبة ١/ ٣٩٢، وكذلك ابن سعدي في تيسير الكريم الرحمن ٥/ ١١٣.

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٦٩.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (عزل) ٥/ ٢٩٣٠، ومقاييس اللغة (عزل) ٤/ ٣٠٧، والمفردات في غريب القرآن (عزل) ٣٣٤، ومختار الصحاح (عزل) ٤٣٠.

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٦، والمححر الوجيز ٩/ ٤٨١، وزاد المسير ٥/ ٢٣٨.

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٩، وزاد المسير ٥/ ٢٣٨.

٤٩. ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ؛ هاجرهم بالخروج إلى ناحية الشام^(١). ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ؛ أنسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله^(٢). ﴿وَكُلًّا﴾ من هذين ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ .

٥٠. قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمِنَا﴾ . قال الكلبي : «المال والولد»^(٣) . وهو قول الأكثرين قالوا : «رحمته : ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق»^(٤) . فقلوه : ﴿مِن رَّحْمِنَا﴾ في محل النصب بوقوع الهبة عليه . وقال آخرون : «يعني الكتاب والنبوة»^(٥) . ﴿وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ؛ أي ثناءً حسناً في الناس ﴿عَلِيًّا﴾ ؛ مرتفعاً سائراً في الناس^(٦) . وكل أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويثنون عليهم . واللسان يذكر ويراد به القول واللغة ، وإضافته إلى الصدق مدح له ، والعرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق يقال : فلان رجل صدق . قال الله تعالى : ﴿مُبَوَّأ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣] . وقال : ﴿قَدَّمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢٢] ، وتقول العرب : إن لسان الناس عليه لحسنة ، وحسن ، أي ثناؤهم ، يقولون : إن شفة الناس عليك لحسنة^(٧) .

-
- (١) المحرر الوجيز ٩/ ٤٨١ ، والكشاف ٢/ ٤١٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٨ .
 - (٢) جامع البيان ١٦/ ٩٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٣ .
 - (٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ ، والكشاف ٢/ ٤١٤ ، وزاد المسير ٥/ ٨٣٨ .
 - (٤) جامع البيان ١٦/ ٩٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٨١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ .
 - (٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٣ .
 - (٦) جامع البيان ١٦/ ٩٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٨١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٨ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٠ .
 - (٧) تهذيب اللغة (لسن) ٤/ ٣٢٦٢ .

٥١. قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾. قال الكلبي: «أخلص العباداة والتوحيد لله تعالى»^(١)؛ أي جعلها خالصة من شائبة تفسدها. وقال الزجاج: «جعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دنسة»^(٢). ومن قرأ: ﴿مُخْلَصًا﴾ بالفتح^(٣). فهو الذي أخلصه الله وجعله مختاراً خالصاً من الدنس، فحجة مَنْ كسر اللام قوله: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦]، وحجة مَنْ فتحها قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦].

٥٢. وقوله تعالى: ﴿وَنَدَيْتُهُ﴾. قال ابن عباس: «يريد حيث أقبل من مدين»^(٤)، ورأى النار في الشجرة، وهو يريد مَنْ يهديه إلى طريق مصر، فلما انتهى إلى الشجرة ناداه الله»^(٥)، وهو قوله: ﴿يَمُوسَى إِفِّتْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ٩٤/١٦، ومعالم التنزيل ٢٣٦/٥، وزاد المسير ٢٤٠/٥، وتفسير القرآن العظيم ١٣٨/٣، والجامع لأحكام القرآن ١١٤/١١، والتفسير الكبير ٢٣١/٢١.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٣٣.

(٣) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية الكسائي عن أبي بكر والمفضل عن عاصم (مُخْلَصًا) بكسر اللام، وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية يحيى عن أبي بكر، وحفص عنه ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام. انظر: السبعة ٤١٠، والحجة للقراء السبعة ٢٠٢/٥، والمبسوط في القراءات ٢٤٤، وحجة القراءات ٤٤٥.

(٤) مدين: مدينة على البحر الأحمر، محاذية لتبوك من الجنوب على نحو ست مراحل، وكانت منازل العاربة من طسم، وجديس، وأميم، وجهرهم، وقد هلك مَنْ هلك من بقايا العاربة بمدين، وخلفهم فيها بنو قحطان ابن عابر فعرفوا بعرب مدين. انظر: معجم البلدان ٧٧/٥، ومعجم ما استعجم ١٢٠١/٤، ونهاية الأرب ١٩.

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: تفسير القرآن العظيم ١١٠/٣، والبحر المحيط ١٩٩/٦، ومجمع البيان ٨٠٠/٥، وروح البيان ٣٣٩/٥، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى إِفِّتْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وقوله تعالى : ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ ؛ أي من ناحية الجبل ، وهو جبل بين مصر ومدين اسمه : زبير^(١) .

وقوله تعالى : ﴿الْأَيْمَنِ﴾ . قال الكلبي : «يعني يمين موسى ، ولم يكن للجبل يمين ولا شمال»^(٢) . ونحو هذا قال الفراء وقال : «إنما هو الجانب الذي يلي يمين موسى ، كما تقول : عن يمين القبلة وشمالها»^(٣) . ﴿وَقَرْنَهُ نَجِيًّا﴾ ؛ أي مناجياً ، والنجي بمعنى : المناجي كالجليس ، والنديم ، قاله الفراء ، والزجاج^(٤) . وقد يكون النجي اسماً ومصدراً ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف : ٨٠] . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد قربه الله وكلمه»^(٥) . وهذا قول جماعة جعلوا معنى هذا التقريب أن أسمعه كلامه^(٦) . وهو قول أبي عبيدة ، واختيار الزجاج قال : «قربه منه في المنزلة حتى سمع مناجاة الله وهي كلام الله عز وجل»^(٧) .

(١) معالم التنزيل ٢٣٦/٥ ، وزاد المسير ٢٤٠/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٨/١٧ ، والتبيان في أقسام القرآن ١٦٥ ، وفتح القدير ٤٨٣/٣ .

(٢) ذكر من دون نسبة في بحر العلوم ٣٢٦/٢ ، والنكت والعيون ٣٧٦/٣ ، والمحزر الوجيز ٤٨٢/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٣٦/٥ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٦٩/٢ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٣٣/٣ ، معاني القرآن للفراء ١٦٩/٢ .

(٥) معالم التنزيل ٢٣٦/٥ .

(٦) بحر العلوم ٣٢٦/١ ، والنكت والعيون ٣٧٦/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٤/١١ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣٣٣/٣ .

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «قربه حتى سمع صريف القلم حين كتب في اللوح»^(١) . وهو قول الكلبي ، ومجاهد^(٢) . وقال الحسن : «أدخل في السماء الدنيا فكلم»^(٣) .

٥٣ . قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ ؛ أي من نعمتنا ﴿أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «يريد حيث سألتني»^(٤) . فقال : ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [طه : ٢٩ ، ٣٠] الآية . قال الكلبي : «وكان معه وزيراً»^(٥) . و﴿نَبِيًّا﴾ منصوب بوهبنا على تقدير ووهبنا له من رحمتنا نبياً أخاه هارون^(٦) على أن تجعل أخاه بدلاً من (نبياً) ، ولا يجوز أن تجعل أخاه منصوباً بوهبنا ؛ لأنه لم يسأل الله أن يهب له أخاً إنما سأله أن يشرك أخاه في نبوته ويجعله وزيراً [له فوهبه الله ذلك بأن]^(٧) أكرم أخاه بالنبوة^(٨) . يدل

- (١) جامع البيان ٩٤ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٧٦ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٤٨٥ ، ومعالم التنزيل ٢٣٧ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٢٨ .
- (٢) جامع البيان ٩٥ / ١٦ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٨ ، والدر المنثور ٤ / ٤٩٢ .
- (٣) ذكرته كتب التفسير ، ونسبته إلى السُّدِّي . انظر : بحر العلوم ٢ / ٣٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٨ ، وأضواء البيان ٤ / ٢٩٧ .
- (٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣ / ٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٣٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١١٤ ، والتفسير الكبير ٢١ / ٢٣١ . يشهد لهذا قوله - تعالى - في سورة القصص ، الآية ٣٤ : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ] .
- (٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢ / ٣٢٦ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٤٨٥ ، ولباب التأويل ٤ / ٢٤٩ ، وروح البيان ٥ / ٣٣٩ .
- (٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
- (٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
- (٨) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣١٩ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١ / ١١٥ .

على هذا ما روى عكرمة عن ابن عباس قال : «هارون أكبر من موسى
[وإنما وهبت له نبوته]»^{(١)(٢)}.

٥٤. قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ . قال مجاهد :
«لم يعد شيئاً إلّا وفيّ به»^(٣) . قال مقاتل : «أقام ينتظر إنساناً لميعاد ثلاثة
أيام»^(٤) .

وقال الكلبي : «أقام حتى حال عليه الحول»^(٥) . وقال عطاء عن ابن عباس :
«وعده إنسان أن يعود إليه فأقام ولم يبرح من مكانه ، وكان في ضميره أن لو أقام
سنة لم يخلفه مواعده ، حتى أتاه جبريل فقال : إن الفاجر الذي سألك أن تقعد
حتى يعود إليك هو إبليس ، فلا تقعد ولا كرامة»^(٦) . فسماه الله صادق الوعد .
﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ قال : «أرسل إلى جرهم»^{(٧)(٨)} .

(١) جامع البيان ٧١/١٦ ، والكشاف ٤١٤/٢ ، وتفسير القرآن العظيم ١٣٨/٣ ، وفتح القدير
٤٨٣/٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٣) بحر العلوم ٣٢٦/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٣٧/٥ ، وزاد المسير ٢٤٠/٥ .

(٤) بحر العلوم ٣٢٦/٢ ، والنكت والعيون ٣٧٦/٣ ، ومعالم التنزيل ٢٣٧/٥ ، وزاد المسير ٢٤٠/٥ .

(٥) بحر العلوم ٣٢٦/٣ ، ومعالم التنزيل ٢٣٧/٥ ، والكشاف والبيان ٨/٣ أ . وذكره ابن عطية في

تفسيره ٤٨٥/٩ من دون نسبة ، وقال : «وهذا بعيد غير صحيح» . والراجح في ذلك قول مجاهد رحمه
الله : فإن إسماعيل لم يعد شيئاً إلّا وفيّ به ، وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١٥/١١ . قال : «وهذا بعيد ولا يصح» . وذكر نحوه الماوردي في تفسيره

٣٧٦/٣ ، والزمخشري في كشافه ٤١٤/٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٠/٥ .

(٧) جرهم : بطن من القحطانية كانت منازلهم باليمن ثم انتقلوا إلى الحجاز فزلوه ، ثم نزلوا مكة

واستوطنوها ، وكانوا ملوكاً في الحجاز حتى نزل إسماعيل - عليه السلام - مكة نزلوا عليه ، وتزوج

منهم ، واستولت جرهم على البيت ، ثم تفرقت قبائل العرب بسبيل العرم ، ونزلت عليهم خزاعة

وأخرجت جرهم من مكة . انظر : معجم قبائل العرب ١/١٨٣ ، والأنساب للسمعاني ٤٧/٢ ،

ونهاية الإرب ٢١١ ، والمنتخب في ذكر أنساب العرب ١٧٢ .

(٨) معالم التنزيل ٢٣٧/٥ ، وزاد المسير ٢٤٠/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٦/١١ ، وفتح القدير

٤٨٣/٣ .

٥٥. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾. قال ابن عباس: «يريد قومه»^(١). قال الزجاج: «أهله جميع أمته، ممن كانت بينه وبينهم قرابة أو لم يكن، وكذلك أهل كل نبي أمته»^(٢)، لأن كل نبي^(٣) فهو بمنزلة الأب لأمته، فإذا كانت الأمة كالأولاد له^(٤) فهم أهله. قاله مقاتل^(٥). نظيره: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢]؛ أي قومك.

وقوله تعالى: ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾. قال ابن عباس: «يريد التي افترضها الله عليهم وهي الحنيفة التي افترضت علينا»^(٦). ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾. قال: «يريد قام لله بطاعته»^(٧).

قال الزجاج: «ويقال: فلان مَرْضُو، ومَرْضِي، وأَرْضُ مَسْنُوَّةٌ وَمَسْنِيَّةٌ إذا سقيت بالسواني، والأصل الواو إلا أنها قلبت عند الخليل؛ لأنها طرف»^(٨). وقال الفرّاء: «الأصل الواو بدليل الرضوان، والذين قالوا مَرْضِيًّا بنوه على رَضِيْتُ أَرْضِي، أصله رَضُوتُ أَرْضُ فصارَت الواو في رَضُوتِ ياء لانكسار

-
- (١) ذكر في كتب التفسير من دون نسبة. انظر: بحر العلوم ٢/ ٣٢٦، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٧، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٣٧، وزاد المسير ٥/ ١٤٠.
- (٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٣.
- (٣) في (س): (شيء)، وهو تصحيف.
- (٤) قوله: (له): ساقط من نسخة (س).
- (٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: معالم التنزيل ٥/ ٢٣٧، وزاد المسير ٥/ ٢٤٠، والبحر المحيط ٩٩/ ١٩٩، وروح المعاني ١٦/ ١٠٠، وأنوار التنزيل ٤/ ١٠.
- (٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٤٠.
- (٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: معالم التنزيل ٥/ ٢٣٧، ولباب التأويل ٤/ ٢٤٩، والتفسير الكبير ١١/ ٢٣٢، وروح البيان ٥/ ٣٤١.
- (٨) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٤.

ما قبلها ، وغلبت الفتحة على الواو من أَرْضُو فجعلتها^(١) أَلْفًا وبني مَرْضِي على رَضِيَتْ . هذا مذهب الفراء^(٢) .

٥٦-٥٧ . قوله تعالى في ذكر إدريس : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : « يعني الجنة »^(٣) . والقصة في كيفية ذلك معروفة . وروى أنس ابن مالك أن نبي الله ﷺ قال : « لَمَّا عُرِجَ بي رأيت إدريس في السماء الرابعة »^(٤) .

ونحو ذلك روى أبو سعيد الخدري^(٥) . وهو قول كعب ، ومجاهد قال : « رُفِعَ إلى السماء الرابعة ، ولم يمت كما رُفِعَ عيسى »^(٦) . وروى عن ابن عباس أيضاً : « أنه

(١) في (س) : (فجعلها) .

(٢) معاني القرآن للفراء ١٧٠ / ٢ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من غير نسبة . انظر : بحر العلوم ٣٢٦ / ٢ ، ومعالم التنزيل ٢٣٨ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٠ / ٣ ، وزاد المسير ٢٤١ / ٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة : ٧٧ / ٤ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب الإسراء : ١٤٩ / ١ ، والترمذي في كتاب ، التفسير ، سورة مريم : ١٢ / ١٤ ، وأحمد في مسنده : ٢٧٠ / ٣ ، وابن أبي شيبه في مصنفه : ٥٣٣ / ١١ ، والحاكم في المستدرک : ٣٧٣ / ٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وابن جرير الطبري في تفسيره ٩٦ / ١٦ ، وابن كثير في تفسيره ١٤٠ / ٣ ، والسيوطي في الدر المنثور : ٤٩٤ / ٤ ، وزاد نسبه لابن المنذر ، وابن مردويه ، وعبد بن حميد .

(٥) جامع البيان ٧٢ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣٧٧ / ٣ ، وزاد المسير ٢٤١ / ٥ ، وفتح القدير ٤٨٣ / ٣ ، والدر المنثور ٤٩٤ / ٤ .

(٦) جامع البيان ٩٦ / ١٦ ، وبحر العلوم ٣٢٦ / ٢ ، والنكت والعيون ٣٧٧ / ٣ ، والمحرم الوجيز ١٤٠ / ٩ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٠ / ٣ .

رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ»^(١). وهو قول الضحاك^(٢). وقال أبو إسحاق: «وجائز أن قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ في النبوة والعلم»^(٣).

٥٨. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة. ثم بيّن مراتبهم في شرف النسب فقال: ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾. قال ابن عباس، والسُّدِّي: «يعني إدريس، ونوحاً»^(٤). ﴿وَمَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إبراهيم؛ لأنه من ولد سام بن نوح، ويريد بالحمل مع نوح الحمل في سفينته. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد إسحاق، وإسماعيل، ويعقوب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾ يعني: ومن ذريته وهم موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى^(٥). وكان لإدريس ونوح شرف القرب من آدم، ولإبراهيم شرف القرب من نوح. وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب لما تباعدوا من آدم حصل لهم الشرف بإبراهيم^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا﴾؛ أي هؤلاء كانوا ممن أُرشدنا واصطفينا ﴿إِذَا نُنَادِيهِمْ عَلَيْهِمْ أَهْنُتُ الرِّحْمَنُ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾. قال ابن عباس: «سجداً متضرعين

(١) جامع البيان ٩٦/١٦، والنكت والعيون ٣/٣٧٧، والمحرم الوجيز ٩/٤٩٠، والكشاف ٢/٤١٤، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٠، وزاد المسير ٥/٢٤١.

(٢) جامع البيان ٩٦/١٦، والنكت والعيون ٣/٣٧٧، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٠، والجامع لأحكام القرآن ١١/١١٧. قال ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري ٦/٣٧٥: «وكون إدريس رُفِعَ وهو حي لم يثبت من طرق مرفوعة قوية».

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٣٥.

(٤) جامع البيان ٩٧/١٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤١، وأضواء البيان ٤/٣٠٥.

(٥) جامع البيان ٩٧/١٦، والمحرم الوجيز ٩/١٩٠، ومعالم التنزيل ٥/٢٤٠، والكشاف ٢/٤١٥، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٢٠.

إليه»^(١). قال أبو إسحاق: «قد بين الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله سجداً وبكوا»^(٢). وذكر الكلام في انتصاب سجداً عند قوله: ﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]. ﴿وَبِكْيَا﴾: جمع بكٍ مثل ساجد وسجود، وقاعد وقعود أصله: بكوي ففعل كما فعل بمرميٍّ ومقضيٍّ، وقد ذكرنا ذلك في هذه السورة^(٣).

٥٩. قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾. ذكرنا الكلام في هذا في سورة الأعراف [١٦٩]. قال الشُّدِّي: «هم اليهود والنصارى»^(٤). وقال مجاهد وقتادة: «هم من هذه الأمة عند قيام الساعة وذهاب صالحى أمة محمد ﷺ، قوماً يتبارون ينزوا بعضهم على بعض في الأزقة»^(٥) زناة»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾. قال محمد بن كعب: «تركوها»^(٧).

- (١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ٩٧/١٦، والمحرم الوجيز ٩/٤٩١، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤١، والتفسير الكبير ٢١/٢٣٤.
- (٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٣٥.
- (٣) عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَعَاقَرَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨].
- (٤) معالم التنزيل ٥/٢٤٠، وزاد المسير ٥/٢٤٥، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، والدر المنثور ٤/٤٩٩.
- (٥) الزقاق: الطريق الضيق دون السكة والجمع أزقة، وزقاق. انظر: تهذيب اللغة (زقق) ٢/١٤٠١، والصحاح (زقق) ٤/١٤٩١، ولسان العرب (زقق) ٣/١٨٤٥.
- (٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٤/٧٧، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، وباب الإسراء ١/١٤٩، والترمذي في كتاب التفسير (سورة مريم) ١٢/١٤، وأحمد في مسنده ٣/٢٧٠، وابن أبي شيبه في مصنفه ١١/٥٣٣، والحاكم في المستدرک ٢/٣٧٣ وصححه ووافقه الذهبي، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٦/٩٦، وابن كثير في تفسيره ٣/١٤٠، والسيوطي في الدر المنثور ٤/٤٩٤ وزاد نسبه إلى ابن المنذر، وابن مردويه، وعبد بن حميد.
- (٧) جامع البيان ١٦/٩٩، والنكت والعيون ٣/٣٧٩، والمحرم الوجيز ٩/٤٩٣، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٢، والدر المنثور ٤/٤٩٩.

وقال القاسم بن مخيمرة^(١): «أخروها عن وقتها»^(٢). وهو قول إبراهيم، وسعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز^(٣). قال إبراهيم: «أضاعوا الوقت»^(٤). وقال عمر: «شربوا الخمر فأضاعوها»^(٥).

وقال سعيد: «هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا العصر حتى تغرب الشمس»^(٦). وقال السُّدِّي: «لم يتركوها ولكنهم أضاعوا وقتها»^(٧). وقال الحسن: «عطلوا المساجد ولزموا الضيعات»^{(٨)(٩)}.

(١) القاسم بن مخيمرة الهمداني، أبو عروة الكوفي، نزيل الشام، تابعي، إمام عابد، محدث فقيه، توفي -رحمه الله- سنة ١٠٠هـ. انظر: الجرح والتعديل ١٢٠/٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠١/٥، وتهذيب التهذيب ٣٣٧/٨.

(٢) جامع البيان ٩٩/١٦، والمحزر الوجيز ٤٩٣/٩، وتفسير القرآن العظيم ١٤٢/٣، وزاد المسير ٢٤٥/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٢٢/١١.

(٣) ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره ٩٩/١٦ رأياً نقله عن العلماء يقول فيه: «أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كفراً». وقال القرطبي في تفسيره ١٢٣/١١: «وجملة القول في هذا الباب أن مَنْ لم يحافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها، وَمَنْ لم يحافظ عليها فقد ضيعها فهو لما سواها أضيع، كما أن مَنْ حافظ عليها حفظ الله عليه دينه ولا دين لِمَنْ لا صلاة له».

(٤) معالم التنزيل ٢٤١/٥، والكشاف ٤١٥/٢، وزاد المسير ٢٤٥/٥، والدر المنثور ٤٩٩/٤.

(٥) ذكر نحوه في جامع البيان ٩٩/١٦، والنكت والعيون ٣٧٩/٣، والمحزر الوجيز ٤٩٤/٩، وتفسير القرآن العظيم ١٤٢/٣، والدر المنثور ٤٩٩/٤.

(٦) معالم التنزيل ٢٤١/٥.

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ٩٩/١٦، والكشاف والبيان ٩/٣، وبحر العلوم ٣٢٨/٢، ومعالم التنزيل ٢٤١/٥، وزاد المسير ٢٤٥/٥، وتفسير القرآن العظيم ١٤٢/٣.

(٨) الضيعة: الحرفة والتجارة، وضیعة الرجل: حرفته وصناعته، ومعاشه وكسبه. وقيل: الضياع المنازل، وسميت ضياعاً؛ لأنها تضيع إذا ترك تعهدا وعمارتها. انظر: تهذيب اللغة (ضيع) ٢٠٧٩/٣، والصحاح ١٢٥٢/٣، ولسان العرب ٢٦٢٤/٥، ومختار الصحاح ١٦٢.

(٩) تفسير القرآن العظيم ١٤٢/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٢٣/١١.

قال الزجّاج : «والأشبه في تفسير : ﴿أَصَاغُوا الصَّلَاةَ﴾ تركوها ألبتة ؛ لأنه يدل على أنه يعني به الكفار ، ودليل ذلك قوله : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ﴾»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «اتبعوا المعاصي»^(٢) . قال الكلبي : «يعني اللذات شرب الخمر وغيره»^(٣) . المعنى : آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله ، ويمكن الجمع بين القولين في الآية بأن يقال : ﴿أَصَاغُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني : المقصرين فيها في هذه الأمة ، ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ يعني : اليهود والنصارى والمجوس . فقد قال مقاتل في تفسيره : «استحلوا نكاح الأخت . ثم قال : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ يعني تاب من التقصير في الصلاة ﴿وَأَمَنَ﴾ يعني : اليهود والنصارى»^(٤) .

-
- (١) معاني القرآن للزجّاج ٣/ ٣٣٥ . الراجع - والله أعلم - أن مَنْ أخرج الصلاة عن وقتها ، وترك فرضاً من فروضها ، أو شرطاً من شروطها ، أو ركناً من أركانها فقد أضاعها ، وإن كانت أنواع الإضاعات تتفاوت ، ويدخل في الإضاعة تركها أو جحدها دخولاً أولاً . انظر : جامع البيان ١٦/ ٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٣ ، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٠٨ .
- (٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٥٢ ، وروح المعاني ١٦/ ١٠٩ .
- (٣) ذكره من دون نسبة البغوي في تفسيره ٥/ ٢٤١ ، والزمخشري في كشافه ٢/ ٤١٥ .
- (٤) الكشف والبيان ٣/ ٩ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ١٨ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٨ ، والكشاف ٢/ ٤٠٥ ، وروح المعاني ١٦/ ١٠٩ .

وقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : « الغي : وإد في جنهم »^(١) ، وهو قول ابن مسعود^(٢) ، وأبي أمامة^(٣) ، وشفي بن ماتع^{(٤)(٥)} ، ومجاهد^(٦) ، ووهب^(٧) ، وكعب^(٨) . وعلى هذا قال أبو إسحاق : « جائز أن يكون نهراً ووادياً أُعِدَّ للغاوين فسمي غياً »^(٩) .

وروي عن ابن عباس في قوله : ﴿ غَيًّا ﴾ قال : « شراً وخيبة »^(١٠) . وهو قول ابن زيد^(١١) . وقال الضحاك : « خسراناً وعذاباً »^(١٢) . وعلى هذا القول ، معنى الغي

-
- (١) معالم التنزيل ٥ / ٢٤١ ، وزاد المسير ٥ / ٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٢٥ ، وفتح القدير ٣ / ٤٨٥ ، والدر المنثور ٤ / ٥٠٠ .
 - (٢) جامع البيان ١٦ / ١٠٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٠ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٤٩٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٢ .
 - (٣) جامع البيان ٦ / ١٠٠ ، والمحزر الوجيز ١١ / ٤١ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٤١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤٣ ، والدر المنثور ٤ / ٥٠٠ .
 - (٤) شفي بن ماتع ، ويقال : ابن عبدالله الأصبحي ، أبو عثمان المصري ، تابعي ثقة ، روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة وغيرهما ، وروى عنه عقبة بن مسلم ، وأيوب بن بشير ، وأبو هاني وغيرهم ، وثقه العلماء وذكره في كتب الثقات ، وكان عالماً حكيماً ، توفي - رحمه الله - سنة ١٠٥ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٤ / ٣١٥ ، والجرح والتعديل ٤ / ٣٨٩ ، والثقات لابن حبان ٤ / ٣٧١ ، والكاشف ٢ / ١٤ .
 - (٥) أضواء البيان ٤ / ٣٠٩ ، والدر المنثور ٤ / ٥٠٠ .
 - (٦) زاد المسير ٥ / ٢٤٥ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٠١ .
 - (٧) معالم التنزيل ٥ / ٢٤١ ، والكشف والبيان ٣ / ٩ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٠١ .
 - (٨) [معالم التنزيل ٥ / ٢٤١ ، وزاد المسير ٥ / ٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٢٥ .
 - (٩) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٣٦ .
 - (١٠) ذكر نحوه في جامع البيان ١٦ / ١٠٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤٣ ، وزاد المسير ٥ / ٢٤٥ ، وأضواء البيان ٤ / ٣٠٩ .
 - (١١) جامع البيان ١٦ / ١٠٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٠ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٤٩٤ ، وزاد المسير ٥ / ٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٢٥ .
 - (١٢) معالم التنزيل ٥ / ٢٤١ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٤٩٤ .

في اللغة : الفساد^(١) . روى ذلك ثعلب عن ابن الأعرابي قال : «وقول الله تعالى : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ؛ [طه : ١٢١] أي فسد عليه عيشه»^(٢) .

وذكر الزجّاج وجهاً آخر في معنى الغي وهو أنه قال : «فسوف يلقون مجازاة الغي ، كما قال : ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان : ٦٨] ؛ أي مجازاة الأثام»^(٣) .

ومعنى ﴿يَلْقَوْنَ﴾ هاهنا ليس بمعنى يرون فقط ؛ لأن اللقاء معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية^(٤) .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ . قال الزجّاج : «﴿مَن﴾ في موضع النصب ، أي فسوف يلقون العذاب إلا التائبين . قال : وجائز أن يكون نصباً استثناء من غير الأول ، ويكون المعنى لكن مَن تاب»^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَظْلُمُونَ شَيْئًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد ولا ينقصون ثواباً»^(٦) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (غوى) ٣/ ٢٧٠٦ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٩٩ ، والمفردات في غريب القرآن ٣٦٩ ، ولسان العرب ٦/ ٣٣٢٠ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (غوى) ٨٣/ ٢٧٠٦ ، ولسان العرب ٦/ ٣٣٢٠ .

(٣) معاني القرآن للزجّاج : ٣/ ٣٣٦ . الظاهر - والله أعلم - أن هذه الأقوال متقاربة المعاني ، وذلك أن مَن فعل هذه الأفعال فسوف يلقى عذاباً عظيماً ، ومَن لقيه فقد لقي خسراناً وشرّاً حسب به شرّاً . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٠١ ، وأضواء البيان ٤/ ٣١٠ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٤١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ .

(٥) معاني القرآن للزجّاج ٣/ ٣٣٦ .

(٦) ذكره من دون نسبة الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٠١ .

٦١. قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ بدل من قوله: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾^(١). ومضى الكلام في معنى عدن^(٢).

وقوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾، بِالْعَيْبِ ﴿قال ابن عباس: يريد أنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت﴾^(٣). والمعنى أنهم لم يروها فهي غيب لهم ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ قال الكسائي: «لا بد من أن يؤتى عليه ومن أن يبلغ ويصار إليه. ولو كان آتياً لكان صواباً كما قال: ﴿إِنَّكَ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤] ولكن مأتياً لرؤس الآيات»^(٤). وقال الفرّاء: «مأتياً ولم يقل آتياً؛ لأن كل ما أتاك فقد أتيته، ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة وأتت عليّ خمسون سنة»^(٥). ونحو هذا في الزجّاج سواء، ومثله بقولك: وصلت إلى خبر فلان، ووصل إليّ خبر فلان^(٦). وذكر ابن جرير وجهاً آخر قال: «وعده في هذه الآية موعوده وهو الجنة، ومأتياً ما يأتيه أولياؤه وأهل طاعته»^(٧).

-
- (١) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٠/٢، وإملاء ما من به الرحمن ١١٥/١، والدر المصون ٦١٠/٧.
- (٢) عند قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].
- (٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ١٠١/١٦، والكشف والبيان ٩/٣، والمحور الوجيز ٤٩٦/٩، وزاد المسير ٢٤٦/٥، وتفسير القرآن العظيم ١٤٣/٣، وجامع البيان ٨٠٤/٥.
- (٤) تهذيب اللغة (أتى) ١١٨/١، ولسان العرب (أتى) ٢٢/١.
- (٥) معاني القرآن للفرّاء ١٧٠/٢.
- (٦) معاني القرآن للزجّاج ٣٣٦/٣.
- (٧) جامع البيان ١٠١/١٦.

٦٢. قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾. اللغو: الهدر من الكلام، واللغو ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه^(١). وقد تقدم القول في هذا^(٢). قال ابن عباس في رواية الوالبي: «لغواً: باطلاً»^(٣).

وقال في رواية عطاء: «اللغو: كل ما لم يكن فيه ذكر الله»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ استثناء من غير الجنس، معناه: لكن يسمعون سلاماً^(٥). قال ابن عباس: «يريد ذكر الله وما يثابون عليه»^{(٦)(٧)}. وقال المفسرون: «يُحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسَّلَامِ، ويرسل إليهم الرب الملائكة بالسلام»^(٨). قال الزَّجَّاج: «السلام»^(٩): اسم جامع للخير؛ لأنه يتضمن السلامة. والمعنى: أن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم وإنما يسمعون ما يسلمهم»^(١٠).

(١) انظر: تهذيب اللغة (لغا) ٤/ ٣٢٧٥، ومقاييس اللغة (لغو) ٥/ ٢٥٥، والمفردات في غريب القرآن

(لغا) ٤٥١، ولسان العرب (لغا) ٧/ ٤٠٤٩.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

(٣) الدر المنثور ٤/ ٥٠٠، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥، وذكر من دون نسبة في جامع البيان ١٦/ ١٠٢، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٦، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥.

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٠٢، ومحرم الوجيز ٩/ ٤٩٦، والكشاف ٢/ ٤١٦، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٢، والدر المصون ٧/ ٦١٣، وأضواء البيان ٤/ ٣٣٥.

(٦) في (س): (يثابون عليه) من دون واو.

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: بحر العلوم ٢/ ٣٢٨، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٣٧، ولباب التأويل ٤/ ٢٥٢.

(٨) جامع البيان ١٦/ ١٠٢، والنكت والعيون ٣/ ٣٨١، والمحرم الوجيز ٩/ ٤٩٦، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣، وروح المعاني ١٦/ ١١٢.

(٩) في (س): (السلم).

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٧.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾. قال ابن عباس: «ليس في الجنة بكرة ولا عشية ولكن على قدر ما يعرفون في الدنيا من الغداء والعشاء»^(١). [وقال الضحاك عنه: «يؤتون به على مقادير الليل والنهار»^(٢). وقال قتادة: «كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء»^(٣) أعجب به، فأخبر الله أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيًّا على قدر ذلك الوقت»^(٤). وقال الحسن: «كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء، فذكر الله جنته فقال: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾»^(٥). وقال الزجاج: «ليس ثم بكرة ولا عشي، ولكنهم خوطبوا بما يعقلون في الدنيا، فالمعنى: لهم رزقهم في مقدار الغداة والعشي»^(٦). وهذا قول جميع أهل التأويل^(٧).

وقال أهل المعاني: «لهم رزقهم على مقادير أَرْقَةٍ عِيش في الدنيا؛ لأنَّ أَرْقَةَ عِيشها^(٨) أن يكون الإنسان آكلًا بكرة وعشيًّا كيف شاء، فضرب الله ذلك مثلاً لرغد العيش في الجنة، [وزمان الجنة]^(٩) كله نهار»^(١٠).

(١) الدر المنثور ٤/ ٥٠١، وفتح القدير ٣/ ٤٨٥، وذكر من دون نسبة في جامع البيان ١٦/ ١٠٢، والنكت والعيون ٣/ ٣٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣، وذكره من دون نسبة الطبري في جامع البيان ١٦/ ١٠٢.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٠، وجامع البيان ١٦/ ١٠٢، وبحر العلوم ٢/ ٣٢٩، والمحزر الوجيز ٩/ ٤٩٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٤.

(٥) المحزر الوجيز ٩/ ٤٩٦، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣، وزاد المسير ٥/ ٢٤٦، والدر المنثور ٤/ ٥٠٠.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٧.

(٧) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٠، وجامع البيان ١٦/ ١٠٢، والمحزر الوجيز ٩/ ٤٩٦، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٣، وزاد المسير ٥/ ٢٤٦.

(٨) في نسخة (س): (عِيش).

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(١٠) يشهد لهذا ما رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٧، قال: «وخرج الترمذي في نوادر =

٦٣. قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ في معنى إيراث الجنة قولان للمفسرين :

أحدهما : أن معناه نزل . وهو قول الكلبي^(١) . وجعل ذلك كالميراث من جهة أنه يملك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا .

القول الثاني : أن الله - تعالى - يورث عباده المؤمنين من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا^(٢) . وقوله : ﴿ مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ ؛ أي اتقى معصية الله وعقابه بالطاعة والإيمان .

الأصول من حديث أبان عن الحسن وأبي قلابة ، قالا : « قال رجل : يا رسول الله ، هل في الجنة من ليل ؟ قال : « وما هيحك على هذا ؟ » قال : سمعت الله - تعالى - يذكر في كتابه : ﴿ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، فقلت : الليل بين البكرة والعشي . فقال رسول الله ﷺ : « ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح ، والرواح على الغدو ، وتأتيهم طرف الهدايا من الله - تعالى - لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا ، وتسلم عليهم الملائكة » ، وهذا في غاية البيان . وقال العلماء : « ليس في الجنة ليل ولا نهار ، وإنما هم في نور أبداً إنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب » . انظر : جامع البيان ١٠٢/١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٤/٣ ، والدر المنثور ١٠٥/٤ ، والفتاوى لابن تيمية ٣١٢/٤ ، وأضواء البيان ٣٤٠/٤ .

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٢٤٣/٥ ، والبحر المحيط ٢٠١/٦ ، والتفسير الكبير ٢٣٧/١١ ، وروح المعاني ١١٣/١٦ ، وفتح القدير ٤٨٥/٣ .

(٢) جامع البيان ١٠٣/٦ ، ومعالم التنزيل ١٤٣/٥ ، وزاد المسير ٢٤٦/٥ ، والدر المنثور ٥٠١/٤ ، وروح المعاني ١١٣/١٦ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٣٤٢/٤ : « قد جاء حديث يدل لما ذكر من أن لكل أحد منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار ، إلا أن حمل الآية عليه غير صواب ، لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَتُؤَدُّونَ أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ونحوها من الآيات . ولو فرضنا أنهم يرثون منازل أهل النار فحمل الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منازل أهل النار ، والواقع بخلاف ذلك كما ترى » . انظر : روح المعاني للأوسى ١١٣/١٦ .

٦٤. قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية . روي بطرق كثيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت هذه الآية جواباً لرسول الله ﷺ»^(١). وقال في رواية عطاء: «سأل المشركون رسول الله ﷺ عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن الروح فقال: غداً أخبركم، ولم يستثن، وأبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، ثم نزل جبريل فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَأْنِيْ فَاِغْلُ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ (٣٢) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﷻ» [الكهف: ٢٣، ٢٤]، وقال رسول الله ﷺ: ألا^(٢) زرتنا حين أبطأ عنا الوحي، فأنزل الله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية»^(٣).

والمفسرون كلهم [في سبب نزول]^(٤) هذه الآية على هذا، قالوا: «استبطأ رسول الله ﷺ جبريل، ثم جاءه فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل، إن كنت لمشتاقاً

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة مريم) ١١٨/٦، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير (سورة مريم) ١٥/١٢، والحاكم في مستدركه ٦١١/٢، وصححه ووافقه الذهبي، والنسائي في تفسيره ٣٤/٢، والإمام أحمد في مسنده ٢٣١/١، والطبراني في الكبير ٣٣/١٢، والطبري في جامع البيان ١٠٣/١٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٠٢/٣، والسمرقندي في بحر العلوم ٣٢٩/٢، وابن كثير في تفسيره ١٤٤/٣، والسيوطي في الدر المنثور ٥٠١/٤ وزاد نسبته إلى مسلم، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي.

(٢) في (س): (لازرتنا).

(٣) أورده الطبري في جامع البيان ١٠٣/١٦، والسمرقندي في بحر العلوم ٣٢٩/٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٨/٩، والماوردي في النكت ٣٨١/٣، والبغوي في معالم التنزيل ٢٤٣/٥، وابن كثير في تفسيره ١٤٥/٣، والسيوطي في الدر المنثور ٥٠٢/٤، وابن إسحاق في السيرة ١٨٢، والواحدي في أسباب النزول ٣٠٨، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٥، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

إليك». قال : وأنا والله يا محمد ، قد كنت إليك مشتاقاً ، ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت ، وإذا حبست احتبست . وأنزل الله : ﴿وَمَا نَنْزِلُكَ إِلَّا آيَةً﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ . قال سعيد بن جبير : ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا^(٢) . وهذا قول سفيان ، وقتادة ، ومقاتل^(٣) . وقال آخرون : ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ الدنيا ، ﴿وَمَا خَلْفُنَا﴾ الآخرة^(٤) . وهذا قول الشُّدِّي ، ومجاهد^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْبَغُ ذَلِكَ﴾ . قال سعيد بن جبير : «ما بين الدنيا والآخرة»^(٦) . وهو قول مجاهد في رواية ابن أبي نجيح^(٧) . وقال في رواية الليث :

-
- (١) أوردته بسنده ابن جرير الطبري في جامع البيان ١٠٣/١٦ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٨/٩ ، والبخاري في معالم التنزيل ٢٤٣/٥ ، وابن كثير في تفسيره ١٤٥/٣ ، قال : «رواه ابن أبي حاتم رحمه الله ، وهو غريب» ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٠٢/٤ ، وعزاه لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٠٨ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٢ .
- (٢) المحرر الوجيز ٤٩٩/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٤٣/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣ ، وزاد المسير ٣٤٦/٥ ، والدر المنثور ٥٠٢/٤ .
- (٣) جامع البيان ١٠٤/١٦ ، والنكت والعيون ٣٨٢/٣ ، والمحرر الوجيز ٥٠٠/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٤٣/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣ .
- (٤) النكت والعيون ٣٨٢/٣ ، والمحرر الوجيز ٥٠٠/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٤٣/٥ .
- (٥) تفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣ ، وزاد المسير ٢٥٠/٥ .
- (٦) تفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣ ، وزاد المسير ٢٥٠/٥ ، والدر المنثور ٥٠٢/٤ .
- (٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ١٠/٣ ، ومعالم التنزيل ٢٤٤/٥ ، وزاد المسير ٢٥٠/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢٩/١١ ، والتفسير الكبير ٢٣٩/٢١ .

﴿وَمَا بَيِّنَ ذَلِكَ﴾ ؛ ما بين النفختين^(١) . وهو قول السُّدِّي^(٢) ، وقتادة^(٣) ، وسفيان^(٤) ، والربيع^(٥) ، والضحاك^(٦) ، وأبي العالية^(٧) .

وقال أبو إسحاق : «﴿مَا بَيِّنَ أَيْدِينَا﴾ من أمر الآخرة والثواب والعقاب ، ﴿وَمَا خَلَفْنَا﴾ ؛ جميع ما مضى من أمر الدنيا ، ﴿وَمَا بَيِّنَ ذَلِكَ﴾ ؛ ما يكون منا في هذا الوقت إلى يوم القيامة^(٨) . وهذا هو الاختيار ؛ لأنه لم يجر للنفختين ذكر حتى يشار إليه^(٩) .

-
- (١) تفسير القرآن العظيم ١٤٥ / ٣ ، وزاد المسير ٢٥٠ / ٥ .
- (٢) تفسير القرآن العظيم ١٤٥ / ٣ .
- (٣) جامع البيان ١٠٤ / ٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢٩ / ١١ ، والدر المنثور ٥٠٢ / ٤ .
- (٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣ / ١٠ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٢٩ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٢ ، والمحرق الوجيز ٩ / ٥٠ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٤٤ ، وزاد المسير ٥ / ٢٥٠ .
- (٥) جامع البيان ١٠٤ / ١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥ / ٣ .
- (٦) جامع البيان ١٠٤ / ١٦ .
- (٧) جامع البيان ١٠٤ / ١٦ ، والمحرق الوجيز ٩ / ٥٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥ / ٣ ، وزاد المسير ٥ / ٢٥٠ ، والدر المنثور ٤ / ٥٠٢ .
- (٨) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٣٧ .
- (٩) قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره ١٠٥ / ٦ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه ما بين أيدينا من أمر الآخرة ؛ لأن ذلك لم يجر ، وهو جاء فهو بين أيديهم . وما خلفنا من أمر الدنيا وذلك ما قد خلفوه فمضى فصار خلفهم بتخليفهم إياه ، (وما بين ذلك) ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة ؛ لأن ذلك هو الذي بين الوقتين ، وإنما قلنا : ذلك أولى ؛ لأن ذلك هو الظاهر الأغلب ، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له» .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ : يريد الدنيا . يعني الأرض . ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ : يريد السماوات ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ : يريد الهواء^(١) . والمعنى : أن كل ما ذكر الله فلا نقدر على فعل إلا بأمره^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «يريد تاركاً لك منذ أبطأ عنك الوحي»^(٣) . وعلى هذا النسي بمعنى الناسي ، وهو التارك ، وقال السُّدِّي : «ما نسيت ربك»^(٤) . [وذلك أن المشركين قالوا لما أبطأ عنه الوحي : قد نسيه وودعه ، فنزل : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾]^(٥) ونزل : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى : ٣] . وقال أبو إسحاق : «أي قد علم الله ما كان ، وما يكون ، وما هو كائن ، وهو حافظ لذلك لا ينسى منه شيئاً»^(٦) .

٦٥ . قوله تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؛ أي مالكهما ، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ؛ أي ومالك ما بينهما من خلقه . ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ ؛ أي وحده ؛ لأن عبادته بالشرك كلا عبادة . ﴿وَاضْطَرَّ لِعِبَادَتِهِ﴾ ؛ قال ابن عباس : «لطاغته»^(٧) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٩ / ١١ ، وذكر من دون نسبة في معالم التنزيل ٥ / ٢٤٤ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٢ .

(٢) في (س) : (الأمر) .

(٣) زاد المسير ٥ / ٢٥٠ ، وذكره الطبري في تفسيره ١٦ / ١٠٠ من دون نسبة .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٥ ، والدر المنثور ٤ / ٥٠٢ ، وذكر من دون نسبة في جامع البيان ١٦ / ١٠٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٤٤ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٣٧ .

(٧) ذكر من دون نسبة في جامع البيان ١٦ / ١٠٦ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٢٩ .

وقال غيره: «اصبر على أمره ونهيه»^(١). ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾. قال في رواية الوالبي: «هل تعلم للرب مثلاً أو شبهاً؟»^(٢). وهو قول مجاهد^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤)، وابن جريج^(٥) وعلى هذا السمي: عبارة عن المثل والشبيه. وقال في رواية سماك: «هل تعلم أحداً اسمه الرحمن غيره؟»^(٦). وهو قول السُّدِّي^(٧).

ودليل هذا القول قراءة ابن مسعود: «الرحمن هل تعلم له سمياً».

وقال في رواية عطاء: «هل تعلم أحداً يسمى الله غيره؟»^(٨). وهذا قول الكلبي^(٩).

وقال أبو إسحاق: «تأويله - والله أعلم - هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له: خالق، وقادر، وعالم بما كان وبما يكون؟ فذلك ليس إلا من صفة الله»^(١٠).

-
- (١) جامع البيان ١٠٦/١٦، وبحر العلوم ٣٢٩/٢، ومعالم التنزيل ٢٤٤/٥، وزاد المسير ٢٥٠/٥.
- (٢) جامع البيان ١٠٦/١٦، والنكت والعيون ٣٨٢/٣، والمحزر الوجيز ٥٠٣/٩، ومعالم التنزيل ٢٤٤/٥، وتفسير القرآن العظيم ١٣٥/٣.
- (٣) جامع البيان ١٠٦/١٦، والنكت والعيون ٣٨٢/٣، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣، وزاد المسير ٢٥١/٥.
- (٤) جامع البيان ١٠٦/١٦، ومعالم التنزيل ٢٤٤/٥، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣.
- (٥) جامع البيان ١٠٦/١٦، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣، وزاد المسير ٢٥١/٥، وروح المعاني ١١٦/١٦.
- (٦) الجامع لأحكام القرآن ١٣٠/١١، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣، والدر المنثور ٥٠٣/٤، والبحر المحيط ٢٠٥/٦.
- (٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: بحر العلوم ٣٢٩/٢، والمحزر الوجيز ٥٠٣/٩، والنكت والعيون ٣٨٢/٣، وتفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٣٠/١١.
- (٨) تفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣، وزاد المسير ٢٥١/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٣٠/١١.
- (٩) النكت والعيون ٣٨٢/٣، ومعالم التنزيل ٢٤٤/٥، والكشف والبيان ١٠/٣ أ.
- (١٠) معاني القرآن للزجاج ٣٣٨/٣.

وعلى هذا ، لا سميَّ الله في جميع أسمائه ؛ لأن غيره وإن سمي [بشيء من أسمائه فإنه غير مستحق للوصف به ، والله - تعالى - حقيقة ذلك الوصف . وقال مقاتل : « لا يسمى باسم الله غير الله ، لما حاول المشركون التسمية بالله قالوا : اللات ، وقالوا في العزيز : العزى »^(١) .

٦٦ . قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ ﴾ ؛ يعني الكافر الذي لا يؤمن بالبعث إذا مات^(٢) .

﴿ لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا ﴾ . يقول ذلك استهزاءً وتكذيباً منه بالبعث . قال ابن عباس في رواية عطاء : « نزلت في الوليد بن المغيرة »^(٣) . وقال في رواية الكلبي عن أبي صالح : « نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظماً باليةً يفتها بيده ويقول : زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نموت »^(٤) .

وقال صاحب النظم : « اللام في قوله : ﴿ لَسَوْفَ ﴾ لام تأكيد يؤكد بها ما بعدها من الخبر ، وهذا الإنسان كافر لا يؤمن بالبعث ، والكلام محكي عنه فلم يحكي عنه بالتأكيد وهو منكر له ؟ ومن أنكر شيئاً لم يؤكد ؟ . قال : والجواب أن هذا من باب الحكاية والمجازاة . كأن النبي ﷺ قال له : لسوف تخرج بعد الموت حياً ، فقال حاكياً ومعارضاً لكلامه : ﴿ أَيْ ذَا مَآئِثُ لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا ﴾ ، ولا يذهب مذهب التأكيد ، وإنما يذهب مذهب الحكاية والمعارضة والمجازاة لكلامه ، كما تقول

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣ / ١٠ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٢٩ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٢ ، والكشاف ٢ / ٥١٧ ، وزاد المسير ٥ / ٢٥١ .

(٢) في (س) : (إذا مات) .

(٣) زاد المسير ٥ / ٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٣١ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٠٦ ، وروح المعاني ١١٦ / ١١٦ .

(٤) بحر العلوم ٢ / ٣٢٩ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٥٠٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٤٥ ، وزاد المسير ٥ / ٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٣١ .

العرب : رأيت زيدا ، فيقول السامع : مَنْ زيدا ؟ وإذا قال : مررت بزيدا ، قال : مَنْ زيدا ؟ بالخفض أتبعوا آخر الكلام أوله على الحكاية والمجازاة^(١) .

٦٧ . فقال الله - تعالى - مجيباً لذلك الكافر : ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ ؛ أي هذا الذي جحد البعث أو لا يتذكر أول خلقه فيستدل^(٢) بالابتداء على أن الإعادة مثله ، وهو قوله : ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ؛ أي من قبل إنكاره البعث خلقناه ولم يكن شيئاً ، كذلك نعيده كما قال : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس : ٧٩] . وقرأ : يذكر بالتشديد ، والتخفيف^(٣) . والتشديد في هذا المعنى أكثر ؛ لأنه يراد به التدبر والتفكر وليس ذكراً عن نسيان ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر : ٣٧] ، وقال : ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد : ١٩] ، [الزمر : ٩] وإضافته إلى أولي الألباب يدل على أن^(٤) المراد به النظر والتفكر ، وزعموا أن في حرف أبي : (تذكر) بالتاء^(٥) . والمعنى : أو لا يتدبر ويتفكر هذا الجاحد في أول خلقه . ومن قرأ بالتخفيف من الذكر أراد هذا المعنى أيضاً ، وقد ترد الحفيفة أيضاً بهذا المعنى كقوله : ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ [المزمل : ١٩] ،

(١) ذكر نحوه في الكشف ٤١٧/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣١/١١ ، والبحر المحيط ٢٠٧/٦ ، والدر المصون ٦١٧/٧ .

(٢) في نسخة (س) : (فاستدل) .

(٣) قرأ عاصم ، ونافع ، وابن عامر ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ ساكنة الذال خفيفة . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي (أو لا يَذْكُرُ الإنسان) بفتح الذال مشددة الكاف . انظر : السبعة ٤١٠ ، والحجة للقراء السبعة ٢٠٤/٥ ، وحجة القراءات ٤٤٥ ، والتبصرة ٢٥٦ ، والنشر ٣١٨/٢ .

(٤) قوله : (أن) : ساقط من نسخة (س) .

(٥) المحرر الوجيز ٥٠٦/٩ ، والكشف ٤١٨/٢ ، وزاد المسير ٢٥٢/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣١/١١ ، والبحر المحيط ٢٠٧/٦ ، والحجة للقراء السبعة ٢٠٤/٥ .

[الإنسان: ٢٩] ، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [المدرثر: ٥٥] ، [عبس: ١٢] . ثم أقسم أنه يحشرهم .

٦٨ . فقال : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ ؛ أي لنجمعنهم في المعاد . قال الكلبي : «يعني الذين أنكروا البعث»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ ؛ أي ولنحشرن الشياطين قرناء معهم . قال المفسرون : «يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة»^(٢) . وذلك أن ذكر حشر الشياطين مع حشرهم يدل على أنهم يجمعون معهم .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنُخْصِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾ . قال المفسرون : «في جهنم»^(٣) . وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون خارجه ، ويجوز أن يكون داخله . يقال : جلس القوم حول البيت ، وحوالي البيت إذا جلسوا داخله مطيفين به . قال ابن الأنباري : «ويجوز : يجثون حول جهنم قبل أن يدخلوها»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿جِثِيًا﴾ ؛ مستوفزين على الركب . قاله مجاهد ، وسفيان^(٥) . وقال السُّدِّي : قياماً^(٦) . أراد قياماً على الركب ؛ وذلك لضيق المكان لا يمكنهم أن يجلسوا ولا أن يقوموا أيضاً . وهو جمع : جاثٍ من قولهم : جثا على ركبته^(٧)

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٥٠٦/٩ ، ومعالم التنزيل ٢٤٥/٥ ، وزاد المسير ٢٥٢/٥ ، ولباب التأويل ٢٥٤/٤ .

(٢) معالم التنزيل ٢٤٥/٥ ، والكشاف ٤١٨/٢ ، وزاد المسير ٢٥٢/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٢/١١ ، والبحر المحيط ٢٠٨/٦ .

(٣) معالم التنزيل ٢٤٥/٥ ، وزاد المسير ٢٥٢/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٣/١١ .

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٤١٩/٢ ، وزاد المسير ٢٥٢/٥ ، والكشاف والبيان ١٠/٣ ب .

(٥) زاد المسير ٢٥٣/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٣/١١ ، والبحر المحيط ٢٠٨/٦ .

(٦) معالم التنزيل ٢٤٥/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٦/٣ ، وزاد المسير ٢٥٣/٥ ، والدر المنثور ٥٠٤/٤ .

(٧) في (س) : (ركبته) .

يَجْثُو جُثُوًّا فَهُوَ جَاثٌ^(١). قال الله تعالى: ﴿وَرَأَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨]. ويجمع الجَاثِي جُثِيًّا كما قلنا في البكي، وأصله فعول. وقد تقدم القول فيه^(٢). وقال ابن عباس في قوله: ﴿جُثِيًّا﴾: «جماعات جماعات»^(٣).

وهو قول مقاتل، والكلبي^(٤). وعلى هذا، الجُثِي جمع جُثُوَّة وجُثُوَّة، وهي المجموع من التراب والحجارة، ومنه قول طرفة^(٥):

تَرَى جُثُوَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِحُ صُفٍّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْصَدٍ
والأول اختيار الزجاج، وأبي عبيدة^(٦).

٦٩. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾؛ أي لنأخذن ولنخرجن ﴿مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ﴾؛ من كل فرقة وجماعة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾؛ أي الأعتى فالأعتى منهم، كأنه يبدأ بالتعذيب بأشدّهم، ثم الذي يليه. قال أبو

(١) جثا: جلس على ركبته للخصومة ونحوها. انظر: تهذيب اللغة (جثا) ١/٥٣٨، والصاح (جثا) ٦/٢٢٩٨، والمفردات في غريب القرآن (جثا) ٨٨، ولسان العرب (جثا) ١/٥٤٦.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَنَيْنَا إِذَا تُنْذِرُهُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَكِكًا﴾ [مريم: ٥٨].

(٣) معالم التنزيل ٥/٢٤٥، وزاد المسير ٥/٢٥٣، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٣٣، والبحر المحيط ٦/٢٠٨.

(٤) النكت والعيون ٣/٣٨٣، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٣٣، والكشف والبيان ٣/١٠ ب.

(٥) البيت لطرفة بن العبد من قصيدة قالها يصف فيها قبري أخوين: غني وفقير. انظر: شرح القصائد العشر للتبريزي ١٠٨، وتهذيب اللغة (جثا) ١/٥٣٨، ولسان العرب (جثا) ١/٥٤٦، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٩٠.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٣٨، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٩. قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/٣٤٦: «إنه جثيهم على ركبهم، وهو الظاهر، وهو قول الأكثرين، وهو الإطلاق المشهور في اللغة».

الأحوص^(١) : «يبدأ بالأكابر فالأكابر جرماً»^(٢) . وقال قتادة : «لنزعن من كل أهل دين قاداتهم ورؤوسهم في الشر»^(٣) . ونحو هذا قال الكلبي في تفسير : ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ : قال : «قائدهم ورأسهم في الشر»^(٤) . والعتي هاهنا مصدر كالعنو ، وهو التمرد في العصيان^(٥) . قال ابن عباس في رواية الوالبي : «أيهم أشد عصياناً»^(٦) . وقال في رواية عطاء : «أيهم أعظم فرية»^(٧) . وقال مقاتل : «أيهم أشد علواً في الكفر»^(٨) .

-
- (١) سلام بن سليم الكوفي ، أبو الأحوص ، عالم في اللغة والتفسير ، صدوق ، زاهد ، وثقه العلماء ، وأثنوا عليه ، توفي - رحمه الله - سنة ١٩٩ هـ . انظر : ميزان الاعتدال ١٧٦ / ٢ ، والكاشف ٢٦٩ / ٣ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٥٠ ، وتهذيب التهذيب ٤ / ٢٨٢ ، وطبقات الحفاظ ١٠٦ .
- (٢) تفسير القرآن للصنعاني ١٠ / ٢ ، وجامع البيان ١٠٧ / ١٦ ، وبحر العلوم ٣٣٠ / ٢ ، والمحرم الوجيز ٩ / ١٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤٦ ، والدر المنثور ٤ / ٥٠٤ .
- (٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٥ ، والدر المنثور ٤ / ٥٠٤ ، وفتح القدير ٣ / ٤٩١ .
- (٤) معالم التنزيل ٥ / ٢٤٥ ، والكشف والبيان ٣ / ١٠ ب .
- (٥) انظر : تهذيب اللغة (عتا) ٣ / ٢٣١٣ ، ومعجم مقاييس اللغة (عتو) ٤ / ٢٢٥ ، والمفردات في غريب القرآن (عتا) ٣٢١ ، ولسان العرب (عتا) ٥ / ٢٨٠٤ .
- (٦) جامع البيان ١٠٧ / ١٦ ، والدر المنثور ٤ / ٥٠٤ .
- (٧) الكشف والبيان ٣ / ١٠ ب ، واللغات في القرآن ٣٤ .
- (٨) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٠٧ / ١٦ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٠ ، والمحرم الوجيز ٩ / ٥١٠ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٤٥ ، وزاد المسير ٥ / ٢٥٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤٦ .

وقال الكلبي: «يعني جراءة بالفراء والكذب»^(١). وقال مجاهد: «كفراً»^(٢). قال أبو إسحاق: «فأما رفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ فهي القراءة، ويجوز (أَيُّهُمْ) بالنصب، حكاه سيبويه وذكر: أنها قراءة هارون الأعور»^{(٣)(٤)}.

وفي رفعها ثلاثة أقوال: قال يونس: قوله: ﴿لَنَنْزِعَنَّ﴾ معلقة لم تعمل شيئاً، ثم استأنف فقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾. ومثله عنده قول الشاعر^(٥):

وَلَقَدْ أَيُّتُ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَيُّتُ لَا حَرْجٌ وَلَا مَحْرُومٌ

والمعنى: فأبيت بمنزلة الذي يقال له: لا هو حرج ولا محروم^(٦). وقال سيبويه: ﴿أَيُّهُمْ﴾ مبنية على الضم؛ لأنها خالفت أخواتها، واستعمل معها حذف الابتداء تقول: اضرب لأيهم أفضل، تريد أيهم هو أفضل [فيحسن الاستعمال

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٨٣.

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٠٧، والدر المنثور ٤/ ٥٠٤، وروح المعاني ١٦/ ١١٩.

(٣) هارون بن موسى بن شريك الدمشقي، أبو عبدالله التغلبي، شيخ المقرئين بدمشق في زمانه، وكان من أهل الفضل، قرأ على ابن ذكوان، وحدث عنه خلق كثير، ورحل إليه الطلبة من الأقطار لإتقانه وتبحره، صنّف في القراءات والعربية، وإليه رجعت الإمامة في قراءة ابن ذكوان. انظر: طبقات النحويين للزبيدي ٢٦٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٩، وغاية النهاية ٢/ ٣٤٧، وطبقات المفسرين ٢/ ٣٤٧، وشذرات الذهب ٢/ ٢٠٩، ومعرفة القراءة الكبار ١/ ٢٤٧.

(٤) الكتاب ١/ ٢٥٩، والإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٩٤، والإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٥٧٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٢، والمحزر الوجيز ٩/ ١٥٠، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٣.

(٥) البيت للأخطل، وصدره في ديوانه:

وَلَقَدْ أَكُونُ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ

انظر: ديوانه ٨٤، والكتاب ١/ ٢٥٩، والخزانة ٢/ ٥٥٣، والإنصاف ٢/ ٥٧٢، والإغفال للفارسي ٩٩٥، والدر المصون ٧/ ٦٣١.

(٦) الإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٩٩٥، وإعراب القرآن للنحاس: (٢٢٣ / ١٢)، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٦، والدر المصون ٧/ ٧٢١.

بحذف هو ، ولا يحسن : اضرب من أفضل ، حتى تقول : مَنْ هو أفضل^(١) ، ولا يحسن : كل ما أطيب ، حتى تقول : ما هو أطيب ، ولا تقول أيضاً : خذ الذي أفضل ، حتى تقول : الذي هو أفضل ، فلما خالفت ما ، وَمَنْ ، والذي هذا الخلاف بنيت على الضم في الإضافة ، والنصب حسن ، وإن كنت قد حذفت هو ؛ لأن هو قد يجوز حذفها ، وقد قرئ : (تماماً على الذي أحسن) [الأنعام : ١٥٤] على معنى الذي هو أحسن^(٢) . انتهت الحكاية عن أبي إسحاق^(٣) .

وذكرنا أحكام (أي) في قوله : ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ [الإسراء : ١١٠] وفي مواضع . واعلم أن (أيًّا) من الأسماء الموصولة [كَمَنْ ، وما ، والذي ، إلّا أن العرب قد استعملت حذف الراجع إلى الموصول]^(٤) مع (أي) أكثر من استعمالهم مع الذي ، وقد شرح أبو علي الفارسي ما ذكره أبو إسحاق فقال : «ينبغي أن يكون مراد يونس أن الفعل معمل في موضع كل شيعة ، وليس يريد أنه غير معمل في شيء ألّبتة ، والدليل على ذلك أنه قال فيه : إن ذلك معلق . ولفظ التعليق إنها يستعمل في ما يعمل في الموضع دون اللفظ ، ألا تراهم قالوا في علمت أزيد في الدار : إن الفعل معلق وهو معمل في موضع الجملة ، وكذلك إذا قال هنا : معلق ، كان معملاً في موضع الجار والمجرور ، ولو أراد أنه لا عمل له في لفظ لقال : ملغى ، ولم يقل : معلق ، كما تقول في زيد ظننت منطلق ، فقوله فيه : معلق ، دلالة على مراده فيه أنه عامل في الموضع ، وإن لم يكن عاملاً في اللفظ ، وإذا كان كذلك كان قول الكسائي في الآية مثل قول يونس ؛ لأن الكسائي قال : إن قوله :

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٢) الكتاب لسيبويه ٢/ ٣٩٨ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٥٧٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٣ ، والإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني : ص ٩٩٧ ، والدر المصون ٧/ ٦٢١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٠ ، قال : «والذي أعتقده أن القول في هذا قول الخليل ، وهو موافق للتفسير ؛ لأن الخليل كان مذهبه أو تأويله في قوله : ﴿ثُمَّ لَنَزِعَنَّكَ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الذي من أجل عتوه يقال : أي هؤلاء أشد عتياً . فيستعمل ذلك في الأشد فلاشد» .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ كقولك : أكلت من طعام^(١) ، فإذا كان كذلك كان ﴿أَيُّهُمْ﴾ منقطعاً من هذه الجملة وكانت جملة مستأنفة ، لا يجيء^(٢) هذا على مذهب سيبويه ؛ لأنه لا يرى في مَنْ مثل ما رآه الكسائي من زيادته في الإيجاب ، فإن قال قائل : لم زعم سيبويه أنه إذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم ؟ قيل : إن الصلة تبين الموصول وتوضحه ، كما أن المضاف يبين المضاف إليه ويخصه ، فكما أنه لما حذف المضاف إليه من الأسماء التي تبيينها الإضافة نحو : قبل ، وبعد بنيت ، كذلك لما حذفت العائد من الصلة إلى الموصول هنا بنيت . وأطال أبو علي الكلام في هذه المسألة^(٣) . وليس يليق بهذا الكتاب أكثر مما حكي^(٤) .

٧٠ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ . الصَّلِي : مصدر صَلَّى النار ، صَلاَهَا ، صُلِيًّا ووزنه فعول ، ويجوز فيه صِلِيًّا بالكسر وقد تقدم القول فيه . ومعنى الصَّلِي : دخول النار ومقاساة حرها وشدتها . نعوذ بالله منها .

قال أبو إسحاق : «أي ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد عتياً ، فهم أولى بها صلياً»^(٥) . يعني أن الأولى بها صلياً الذين هم أشد عتياً ، فهؤلاء هم الأولى بالنار صلياً على معنى الابتداء بهم دون أتباعهم ؛ لأنهم كانوا رؤساء في الضلالة .

(١) الإغفال في ما أغفله الزجّاج من المعاني ٩٩٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٢ / ٢ ، وإملاء ما من به الرحمن ١١٦ / ١ ، والدر المصون ٦٢١ / ٧ .

(٢) في (س) : (لا يجوز) .

(٣) الإغفال في ما أغفله الزجّاج من المعاني لأبي علي الفارسي : ص ٩٩٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجّاج ٣ / ٣٤٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٢ / ٢ ، وإملاء ما من به الرحمن ١١٦ / ١ ، والإنصاف ٥٧٣ / ١ ، والدر المصون ٦٢١ / ٧ .

(٥) معاني القرآن للزجّاج ٣ / ٣٤٠ .

٧١. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ ؛ أي وما منكم أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ؛ وارد جهنم . ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ﴾ ورودكم ﴿حَتَّمًا مَّقْضِيًّا﴾ . والحتم إيجاب القضاء ، والقطع بالأمر ، ويقال : كان ذلك الأمر حتماً ؛ أي موجباً ، ويقال للأقضية والأمور التي قضى الله بكونها : الحتوم ، قال أمية :

حَنَانِي رَبَّنَا وَلَهُ عَنُونَا بِكَفِّهِ الْمَنَايَا وَالْحُتُومُ^(١)

وقوله تعالى : ﴿مَقْضِيًّا﴾ ؛ أي قضاه الله عليكم .

قال ابن مسعود في قوله : ﴿حَتَّمًا مَّقْضِيًّا﴾ : «قسماً واجباً»^(٢) . وكان الإجماع أن هذه الآية قسم من الله بورود النار ، وموضع القسم قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ الآية . وهذه الآية^(٣) ترجع إلى ما قبلها بالعطف ، وهي داخلة في الجملة المقسم عليها ، وقيل : القسم مضمر بتقدير : وإن منكم والله إلا واردها كقوله : ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢] [المعنى : والله لمن ليبطئن]^(٤) فأضمر^(٥) . وأكثر الناس على الحكم بظاهر هذه الآية ، وهو أن الخلق كلهم يرد النار ، ثم ينجي الله المؤمنين^(٦) .

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت . انظر : لسان العرب (حتم) ٧٧١ / ٢ .

(٢) جامع البيان ١١٤ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٥ ، وابن كثير ١٤٦ / ٣ .

(٣) قوله : (وهذه الآية) : ساقط من نسخة (س) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٢ / ٢ ، والمحزر الوجيز ٥١٠ / ٩ ، والبحر المحيط ٢٠٩ / ٦ ، والدر المصون ٦٢٥ / ٧ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٣٥٤ / ٤ : «الذي يظهر لي - والله أعلم - أن الآية ليس يتعين فيها قسم ؛ لأنها لم تقترن بأداة من أدوات القسم ، ولا قرينة واضحة دالة على القسم ، ولم يتعين عطفها على القسم ، والحكم بتقدير قسم من كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه زيادة على كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه ، وأقرب أقوال من قالوا : إن في الآية قسماً ، قول من قال : إنه معطوف على قوله : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ لدلالة قرينة لام القسم في الجمل المذكورة على ذلك ، أمّا قوله : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فهو محتمل للعطف أيضاً ، ومحتمل للاستئناف ، والعلم عند الله تعالى» .

(٦) جامع البيان ١١٥ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٥ ، والمحزر الوجيز ٥١١ / ٩ ، ومعالم التنزيل ٢٤٦ / ٥ ، وزاد المسير ٢٥٧ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٨ / ١١ .

روي عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «يرد الناس جهنم»^(١) ثم يصعدون عنها بأعمالهم ، فأولهم كالبرق ، ثم كالريح ، ثم كأجود الخيل ، ثم كالراكب في رجله ، ثم كشد الرجل ، ثم كمشيه»^(٢) . وقال ابن عباس في هذه الآية : «الورود الدخول ، وأخذ بيد مجاهد وقال : أمّا أنا وأنت فسندخلها»^(٣) . وخاصمه نافع بن الأزرق فقال : «إن الشيء ربما ورد الشيء ولكن لا يدخله ، فقال ابن عباس : يا ابن الأزرق ، أمّا أنا وأنت فسندخلها ، فانظر هل ينجيننا الله منها بعد أم لا»^(٤) .

وسئل جابر - رضي الله عنه - عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الورود الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً ، كما كانت على إبراهيم»^(٥) .

(١) لفظ : (جهنم) ساقط من نسخة (س) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير (سورة مريم) ١٢/١٦ ح ٣١٥٩ ، وقال : «حديث حسن» ، والحاكم في مستدركه ٢/٣٧٥ ، وصحّحه ووافقه الذهبي ، وأحمد في مسنده ١/٤٣٣ ، والدرامي في كتاب الرقائق ، باب في ورود النار ٢/٣٢٩ ، وأخرج نحوه البخاري في كتاب الرقائق ، باب الصراط جسر جهنم ٨/١٤٦ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ١/١٨٧ ، والطبري في جامع البيان ١٦/١١٤ ، وابن كثير في تفسيره ٣/١٤٧ .

(٣) جامع البيان ١٦/١١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٧ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١١ ، وجامع البيان ١٦/١١٤ ، وبحر العلوم ٢/٣٣٠ ، والمحزر الوجيز ٩/٥١٢ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٤٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٧ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٣٢٩ ، ورجاله ثقات غير أبي سمية قال عنه الحافظ : «مقبول» ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب البعث ، باب ما جاء في الصراط والميزان والورود ١٠/٣٦٠ ، وقال : «رواه أحمد ورجاله ثقات» ، وابن حجر في الكافي الشاف ١٠٧ ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣/٤٧ ، وقال : «غريب ولم يخرجوه» . وكذلك القرطبي في جامعه ١١/١٣٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/٥٠٥ ونسبة إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وعبد بن حميد . قال الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٤/٣٥١ بعد ذكره هذا الحديث : «أبو سمية قد ذكره ابن حبان في الثقات ، وبوثيق أبي سمية المذكور تتضح صحة الحديث ؛ لأن غيره من رجال الإسناد ثقات معروفون ، مع أن حديث جابر المذكور يعتضد بظاهر القرآن وبآيات الأخرى التي استدل بها ابن عباس ، وآثار جاءت عن =

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : «يرد الناس جميعاً نار جهنم ، وكان قسماً من ربنا وحتماً مقضياً تخلف فيها أهل الشرك وهم ظالمون ، وأقام أهل الصلاة والإيمان فيها بقدر أعمالهم ، ونادى المنادي فقال : إن الله يقول ﴿ثُمَّ نَنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فخرجوا واحترق بعضهم» . وذكر حديثاً طويلاً^(١) . وهذا الذي ذكرنا مذهب أهل السنة ، واحتجوا من طريق اللفظ بأن قالوا : جرى ذكر الكافرين ، ثم قال بعد : ﴿وَلِنْ مِنْكُمْ إِيَّاءَ وَارِدُهَا﴾ ، فنظم الكلام أوجب أن هذا عام ، والورود بمعنى الدخول قد أتى في التنزيل قال الله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ، ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٩] ويراد بالورود هاهنا : الدخول ، وقال تعالى : ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨] ؛ ولأن الله - تعالى - قال في ما بعد : ﴿ثُمَّ نَنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ، والنجاة لا تكون إلا مما دخلت فيه ؛ ولأنه قال : ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ ، ولم يقل وندخل الظالمين ، ونذر : نترك الشيء وقد حصل في مكانه .

= علماء السلف رضي الله عنهم ، كما ذكره ابن كثير عن خالد بن معدان ، وعبدالله بن رواحة ، وذكره ابن جرير عن أبي ميسرة ، وذكره ابن كثير عن عبدالله بن المبارك عن الحسن البصري ، كلهم يقولون : إنه ورود دخول .

(١) لم أقف عليه ، وذكرت كتب التفسير نحوه مختصراً . انظر : جامع البيان ٨٣ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ٣ / ٢٠٤ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٠ ، والمحرق الوجيز ٤٨ / ١١ ، والكشف والبيان ٣ / ١١ أ .

وروى الحسن بن مسلم^(١) عن عبيد بن عمير في هذه الآية قال : «ورودها حضورها»^(٢) . وروى يزيد النحوي^(٣) عن عكرمة في هذه الآية قال : «الورود الدخول»^(٤) . وبكى عبدالله بن رواحة لما نزلت هذه الآية وقال : «إني علمت أني وارد النار فما أدري أناج منها أم لا»^(٥) . هذا هو الكلام في الورد ، ثم الله - تعالى - قادر بلطفه أن يسلم المؤمنين منها إذا وردوها حتى يعبروها ويخرجوا منها سالمين كما ذكرنا في حديث جابر أن النبي ﷺ قال : «فتكون على المؤمن برداً وسلاماً»^(٦) .

-
- (١) الحسن بن مسلم بن يناق المكي ، روى عن صفية بنت شيبة ، وطاوس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وروى عنه ابن جريج ، وأبان بن صالح ، وإبراهيم بن نافع وغيرهم ، وهو ثقة ثبت ، توفي - رحمه الله - سنة ٩٨ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب التهذيب ٢ / ٣٢٢ ، وطبقات ابن سعد ٥ / ٤٧٩ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦١ ، والكاشف ١ / ٢٢٧ ، وتهذيب الكمال ٦ / ٣٢٥ .
- (٢) زاد المسير : ٥ / ١٧٨ ، وذكر البغوي في تفسيره : ٣ / ٢٠٤ من دون نسبة .
- (٣) يزيد بن أبي سعيد النحوي ، أبو الحسن القرشي مولا لهم ، المروزي ، من بني نحو بطن من الأزد ، روى عن سليمان بن بريدة ، وعكرمة مولى بن عباس ، ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه الحسن بن رشيد ، والحسين بن واقد ، ومحمد بن بشار وغيرهم ، وثقه العلماء ، وكان متقناً ، من العباد ، تقياً من الرفعاء ، تالياً لكتاب الله ، عالماً بما فيه ، قُتل سنة ١٣١ هـ .
- انظر : طبقات ابن سعد ٧ / ٣٦٨ ، واللباب ٣ / ٣٠١ ، والكاشف ٣ / ١٧٨ ، وتهذيب التهذيب ١١ / ٣٣٢ ، والأنساب للسمعاني ٥ / ٤٦٩ ، وتهذيب الكمال ٣٢ / ١٤٣ .
- (٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣ / ٣٨٤ من دون نسبة ، وكذلك البغوي في معالم التنزيل ٥ / ٢٤٦ .
- (٥) تفسير القرآن للسمعاني ٢ / ١١ ، وجامع البيان ١٦ / ١١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤٧ ، وزاد المسير ٥ / ٢٥٥ .
- (٦) سبق تخريج الحديث وعزوه .

وقال خالد بن معدان : «إذا جاز المؤمنون الصراط قال بعضهم لبعض : ألم يعدنا ربنا أن نمر على جسر النار ، فيقولون : بلى ، ولكننا مررنا عليها وهي خامدة لموررنا»^(١) .

وقال أشعث الجذامي : «بلغني أن أهل الإيمان إذا مروا بصراط جهنم تقول لهم : جوزوا عني قد بردتم وهجي ، ذروني لأهلي»^(٢) .

وروي أن النبي ﷺ قال : «تقول النار للمؤمن يوم القيامة : جُزْ يا مؤمن ، فقد أطفأ نورك لهبي»^(٣) .

(١) جامع البيان ١٦/ ١١٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٤٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٥ .

(٢) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤١ ، وروح المعاني ١٦/ ١٢٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٥٦ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٣٢٩ ، والقرطبي في تذاكرته ٢٣٤ ، والطبراني في الكبير ٦٦٨ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب البعث ، باب ما جاء في الميزان والصراط والورود ١٠/ ٣٦٠ ، وقال : «رواه الطبراني ، وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف» ، وأورده البغوي في تفسيره ٣/ ٢٠٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٨٢ ، وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة : (٣٤١٣) ، والحديث بطرقه جميعها ضعيف فيه بشير بن طلحة ضعيف ، وخالد بن دريك لم يسمع من يعلى بن منبه فهو منقطع ، وكذلك سليم بن منصور ضعيف .

وروى عثمان بن الأسود عن مجاهد في هذه الآية قال : «مَنْ حَمَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَرَدَهَا»^(١) . لَأَنَّ الْحَمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ . قال رسول الله ﷺ : «الحمى كير من جهنم ، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار في الآخرة»^{(٢)(٣)} .

وقال قوم : «إن هذا إنما يعني به المشركين خاصة»^(٤) . واحتجوا بقراءة بعضهم : (وَإِنْ مِّنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)^(٥) . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(٦) . ويكون على مذهب هؤلاء معنى : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ نخرجهم من جملة مَنْ يدخل النار .

(١) جامع البيان ١٦ / ١١١ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٤٨ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٥١٥ ، ومعالم التنزيل ٣ / ٢٠٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٢٥٢ عن أبي أمامة رضي الله عنه ، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢ / ٣٠٥ ، وقال : «رواه أحمد وفيه أبو حصين الفلسطيني ولم أر له راوياً غير محمد بن مطرف» ، وأخرج نحوه البخاري في صحيحه في كتاب الطب ، باب الحمى من فيح جهنم ٥ / ٢١٦٢ ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام ، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ٤ / ١٧٣٢ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطب ، باب الحمى ٢ / ١١٤٩ ، والدرامي في كتاب الرقائق ، باب الحمى من فيح جهنم ٢ / ٢٢٤ ، والحاكم في المستدرک ١ / ٣٤٥ ، وقال : «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي ، والطبري في جامع البيان ١٦ / ١١١ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥ / ٢٤٩ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤٧ .

(٣) قال الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٤ / ٣٥٢ بعد ذكره هذا القول : «وأجابوا عن الاستدلال بحديث «الحمى من فيح جهنم» قالوا : الحديث حق صحيح ، ولكنه لا دليل فيه لمحل النزاع ؛ لأن السياق صريح في أن الكلام في النار في الآخرة وليس في حرارة منها في الدنيا ؛ لأن أول الكلام قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَنْحَضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾ إلى أن قال : ﴿وَلَا وَارِدُهَا﴾ فدل على أن كل ذلك في الآخرة لا في الدنيا كما ترى .

(٤) جامع البيان ١٦ / ١١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٣٨ .

(٥) قرأ بها ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما . انظر : المحزر الوجيز ٩ / ٥١١ ، والكشاف ٢ / ٤١٩ ،

وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٣٨ ، والبحر المحيط ٦ / ٢١٠ .

(٦) جامع البيان ١٦ / ١١٤ ، وزاد المسير ٥ / ٢٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٣٨ .

وقال ابن زيد : «الورود عام لكل مؤمن وكافر ، غير أن ورود المسلمين على الجسر ، وورود الكافرين أن يدخلوها»^(١) . وهذا يروى عن الحسن ، وقتادة أنهما قالا : «ورودها ليس دخولها»^(٢) .

قال أبو إسحاق : «وحجتهم في ذلك قوية من جهات ؛ إحداها : أن العرب تقول : وردت ماء كذا ولم تدخله ، ووردت بلد كذا إذا أشرف عليه ولم يدخله ، قال : والحجة القاطعة عندي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٣) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴿[الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢]﴾^(٣) . ومن قال بالقول الأول قال في هذه الآية : «وهم عن مكروهاها مبعدون ؛ لأنه لا ينالهم أذاها ووهجها إذا وردوها»^(٤) .

٧٢ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ . قال ابن عباس : «يريد اتقوا الشرك وصدقوا بنبيي»^(٥) . ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ . قال : «يريد المشركين

(١) زاد المسير ١٧٨/٥ ، وذكره البغوي في تفسيره ٢٠٤/٣ من دون نسبة .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣٦/١١ ، والبحر المحيط ٢٠٩/٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٤١/٣ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٤١/٣ .

(٤) الراجح - والله أعلم - القول الأول . قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره ١١٤/١٦ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوي فيها الكفار ، وورودهموها ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فنانج مسلم ومكدر فيها» . وقال البغوي - رحمه الله - في تفسيره ٢٤٩/٥ : «والأول أصح ، وعليه أهل السنة أنهم جميعاً يدخلون النار ، ثم يخرج - الله عز وجل - منها أهل الإيمان ، بدليل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ؛ أي اتقوا الشرك ، وهم المؤمنون ، والنجاة إنسا تكون مما دخلت فيه لا ما وردت» . وقال الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٤/٣٥٢ بعد ترجيحه هذا القول : «وأجاب من قال : بأن الورود في الآية الدخول عن قوله : ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ بأنهم مبعدون عن عذابها وألمها ، فلا ينافي ذلك ورودهم إياها من غير شعورهم بألم ولا حر منها» . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/١١ ، والتفسير الكبير ١١/٢٤٤ ، وأضواء البيان ٤/٣٥٠ .

(٥) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ١٢/٣ أ ، والمحرم الوجيز ٥١٦/٩ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٤٩ ، وزاد المسير ٥/٢٥٧ ، وإرشاد العقل السليم ٥/٢٧٦ .

والكفار والمنافقين»^(١). ﴿فِيهَا جِثْيَا﴾ ؛ قيل : على الركب ، وقيل : جميعاً ، وقد مرَّ قبل ذلك^(٢) .

٧٣. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَىٰ هُمْ﴾ يعني : على المشركين ﴿إِنَّا نُنَادِي بَيْنَتِ﴾ يريد القرآن ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ مشركو قريش ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الفقراء المؤمنين :]^(٣) ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ ؛ أنحن أم أنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ . وقرئ : (مُقَامًا) بالضم^(٤) . وهما المنزل والمسكن ، وكذا قال المفسرون^(٥) .

والمَقَام بالفتح المصدر واسم الموضع جميعاً ، وفَعَلَ يَقْعُل المصدر واسم الموضع منه على مَفْعَل نحو : قَتَلَ يَقْتُل ، مَقْتَلًا ، وهذا مَقْتُلُ فلان ، وأَمَّا المَقَام بالضم فيصلح أن يكون بمعنى الإقامة فعول أَقَمْتُ مَقَامًا كما تقول : أَقَمْتُ إِقَامَةً ، ومكان الإقَامَةِ مَقَامٌ أيضاً ، وكذلك ما زاد من الأفعال على ثلاثة أحرف بحرف زائد أو أصلي فالمصدر اسم الموضع يكون منه على مفعول^(٦) . والمَقَام والمَقَام في هذه الآية يراد به المكان كما ذكرنا .

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٣٣١ / ٢ ، والمحزر الوجيز ٥١٦ / ٩ ،

ومعالم التنزيل ٢٤٩ / ٥ ، والتفسير الكبير ٢٤٥ / ٢١ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثْيَا﴾ [مريم : ٦٨] .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) قرأ ابن كثير المكي (خير مُقَامًا) بضم الميم ، وقرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي ، وعاصم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ بفتح الميم . انظر : السبعة ٤١١ ، والحجة للقراء السبعة ٢٠٥ / ٥ ، والتبصرة ٢٥٦ ، الغاية في القراءات ٣١٧ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ١١ / ٢ ، وجامع البيان ١١٤ / ١٦ ، وبحر العلوم ٣٣١ / ٢ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٥ ، والمحزر الوجيز ٥١٦ / ٩ .

(٦) انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٠٧ / ٥ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن ١١٦ / ١ ، والدر المصون ٦٢٨ / ٧ .

قال الأخفش : «يُقال للمَقْعَدِ المَقَامِ وللمَشْهَدِ المَقَامِ»^(١) . ومنه قوله تعالى : ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩] ؛ أي من مشهدك . وقد يكون المقام حيث يقوم الإنسان كقول الراجز^(٢) :

هَذَا مُقَامٌ قَدَمِي رَبَاحٍ

أي موضع قيامه .

وقوله تعالى : ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ . الندي فعيل بمعنى الفاعل وهو المجلس ، وكذلك النادي ، يقال : نَدَوْتُ القوم ، أَنْدُوهُمْ نَدْوًا إذا جمعتهم ، ويقال للموضع الذي يجتمعون فيه : النَّادِي ، والنَّادِي لا يسمى نَادِيًّا حتى يكون فيه أهله ، وإذا تفرقوا لا يكون نَادِيًّا ومن هذا قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] ، ولذلك سميت دار الندوة بمكة ، كانوا إذا حزبهم أمر نَدَوْا إليها فاجتمعوا للتشاور ، وَأَنَادِيكَ أَشاورك ، وأجالسك من النَّادِي^(٣) . قال كثير :

أَنَادِيكَ مَا حَجَّتْ حَجِيئُجْ وَكَبَّرَتْ بِفَيْفَا غَزَالٍ رُقْفَةٌ وَأَهْلَتْ^(٤)

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٠٦/٥ .

(٢) هذا صدر بيت لقطرب ، وعجزه :

ذَبَبٌ حَتَّى ذَلَكْتُ بَرَّاحٍ

الْبَرَّاحُ : الشمس . ومعنى البيت : أن الشمس قد غربت وزالت ، فهم يضعون راحتهم على عيونهم ينظرون هل غربت أو زالت . انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٠٨/٥ ، والنوادر ٣١٥ ، ولسان العرب (برج) ٢٤٥/١ .

(٣) تهذيب اللغة (ندا) ٣٥٤٣/٤ ، والصحاح (ندا) ٢٥٥٥/٦ ، والمفردات في غريب القرآن (ندا) ٤٨٧ ، ولسان العرب (ندى) ٤٣٨٧/٧ .

(٤) البيت لكثير . انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٠٨/٥ ، والمنصف ١٨٠/٢ .

والمعنى : أن المشركين قالوا للفقراء المؤمنين : أنحن أم أنتم أعظم شأنًا ، وأعز مجلساً في قومه ؟ افتخروا عليهم بمساكنهم ، ومجالسهم وحسن معاشهم^(١) .

٧٤ . فقال الله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ﴾ . قال الليث : «الأثاث : أنواع المتاع من متاع البيت ونحوه»^(٢) .

وقال أبو زيد : «الأثاث المال أجمع ؛ المال ، والإبل ، والغنم ، والعبيد ، والمتاع . قال : ووحدتها أثاثة»^(٣) .

وقال الفرّاء : «الأثاث لا واحد له ، كما أن المتاع لا واحد له»^(٤) . قال ابن عباس ، والسُّدي : «الأثاث المال»^(٥) .

وقال قتادة : «﴿ أَحْسَنُ أَثْنًا ﴾ : أكثر أموالاً»^(٦) . وقال الحسن : «الأثاث : اللباس»^(٧) .

وقال مجاهد : «الأثاث : المتاع والزينة»^(٨) .

(١) جامع البيان ١١٦/١٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٨٦ ، ومعالم التنزيل ٣/١٥٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٨ ، وزاد المسير ٥/١٥٧ .

(٢) تهذيب اللغة (أث) ١١٨/١ .

(٣) تهذيب اللغة (أث) ١١٨/١ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٧١ .

(٥) جامع البيان ١١٦/١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٩ .

(٦) جامع البيان ١١٦/١٦ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣/٣٨٦ من دون نسبة ، وكذلك ابن كثير في تفسيره ٣/١٣٨ .

(٧) ذكر في كتب التفسير من دون نسبة .

انظر : جامع البيان ١١٦/١٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٨٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٩ .

(٨) جامع البيان ١١٦/١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٩ .

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿أَحْسَنُ أَثْنًا﴾ قال: «مثل الدَّرَانِيك»^(١)،
والطَّنَافِس»^(٢)^(٣). وأصل الحرف من قولهم: أَثَّ النبات يَثُّ أَثَاةً إذا كثر
والتف، ويوصف به الشعر^(٤)، ومنه قوله^(٥):

أَثِثَ كَقِنُو النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِكِلِ

وقوله تعالى: ﴿وَرِئًا﴾. قال أبو إسحاق: «منظراً من (رأيت)»^(٦).

قال أبو علي: «رِئِي فعل من رأيت، وكأنه اسم لما ظهر وليس المصدر،
إنما المصدر الرأى والرؤية، ومنه قوله: ﴿رَأَى أَلْعَيْنَ﴾ [آل عمران: ١٣].
فالرأى الفعل، والرئي المرئي كالطَّحْنِ والطَّحْن، والسَّقْيِ والسَّقْي، والرَّغْيِ

(١) الدَّرَانِيك: ضرب من الثياب أو البسط، له خل قصير كخمل المناديل، ويشبه فروة البعير والأسد.
انظر: تهذيب اللغة (درنك) ١١٨١/٢، ومقاييس اللغة (الدرونك) ٣٤١/٢، والصاحح (درنك)
١٥٨٣/٤، ولسان العرب (درنك) ١٣٦٩/٣.

(٢) الطَّنَفْسَة (بضم الفاء): البساط الذي له خل رقيق، ويقال للإنسان إذا لبس الثياب الكثيرة:
مطنفس. انظر: تهذيب اللغة (طنفس) ٢٢٢٤/٣، ولسان العرب (طنفس) ٢٧١٠/٥، والقاموس
المحيط (طنفس) ٥٩٦/٢.

(٣) ذكر نحوه بالنسبة القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤٣/١١.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (أث) ١١٨/١، ومقاييس اللغة ٨/١، والقاموس المحيط ١٦١٦/١، والمعجم
الوسيط ٥/١، ولسان العرب ٢٤/١.

(٥) هذا عجز بيت لامرئ القيس، وصدده:

وَفَرَّعَ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ

الفرع: الشعر التام. والفاحم: الشديد السواد. العثكال: بمعنى القنو، وقد يكون قطعة منه. فقد
ذكر المرأة تبدي عن شعر طويل تام يزين ظهرها إذا أرسلته، ثم شبه ذؤابتها بقنو نخلة خرجت
قتوانها. انظر: ديوانه ٤٤، وشرح القصائد للتبريزي ٤٤، وشرح المعلقات السبع ٣٢، وتهذيب
اللغة (أث) ١١٨/١، ولسان العرب (أث) ٢٤/١.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣٤٢/٣.

والرَّغِي»^(١). وقول المفسرين في تفسير الرئي : المنظر ، قاله ابن عباس وغيره^(٢) . وقال الحسن : «الصور»^(٣) . وهو راجع إلى النظر . وقُرئ : (ورياً) بغير همز^(٤) .

قال أبو إسحاق : «وله تفسيران : على معنى الأول بطرح الهمز ، وعلى معنى أن منظرهم مُرَّتو من النعمة ، كأن النعيم بين فيهم»^(٥) .

قال أبو علي : «رياً بغير همز يجوز أن يكون بمعنى رثياً فخففت الهمزة ، وإذا خففت لزم أن يبدل منها الياء لانكسار ما قبلها ، كما تبدل في : ذيب ، وبير ، فإذا أبدل منها الياء وقعت ساكنة قبل حرف مثله فلا بد من الإدغام ، وليس يجوز الإظهار لاجتماع المثلين الأول ساكن ، ويجوز أن يكون أصله غير الهمز من الري الذي هو ضد العطش ، والمراد به في الآية الطراوة والنضارة ؛ لأن الري يتبعه ذلك ، كما أن العطش يتبعه الذبول والجهد»^(٦) .

قال الفرّاء : «والقراءة بغير همز وجه جيد ؛ لأنه مع آيات ليست بمهموزات الأواخر»^(٧) . وروي عن عاصم في بعض الروايات : ﴿وَرِيّاً﴾ مثل وريعاً^(٨) . وهذا على الهمز التي هي عين إلى موضع اللام ويكون تقديره : فَلِعاً ، ومن العرب

(١) الحجة للقراء السبعة ٢١٠/٥ .

(٢) جامع البيان ١١٧/١٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٨٦ ، والمحور الوجيز ٩/٥٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤٣ .

(٣) المحرر الوجيز ٩/٥٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٤٩ ، والبحر المحيط ٦/٢١٠ .

(٤) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿وَرِيّاً﴾ مهموزة بين الراء والياء ، وقرأ ابن عامر ، ونافع (ورياً) بغير همز . انظر : السبعة ٤١١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/٢٠٩ ، وحجة القراءات ٤٤٧ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٤ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٤٢ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/٢١٠ .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٧١ .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/٢٠٩ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٤٤ .

من يقول : رَأَيْني زِيدُ بقلب الهمز فيؤخره فريئاً من رأني^(١) . والمعنى : أن الله -تعالى- قد أهلك قبلهم أقواماً كانوا أكثر متاعاً ، وأحسن منظراً فأهلك أمواهم ، وأفسد عليهم صورهم فليخافوا نعمة الله بالإهلاك كسنة من قبلهم من الكفار .

٧٥ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ ﴾ . قال ابن عباس : « قل لهم يا محمد : مَنْ كَانَ فِي الْعِمَايَةِ »^(٢) ؛ يعني عن التوحيد ودين الله ﴿ فليمددْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ . قال أبو إسحاق : « فليمدد لفظ أمر في معنى الخبر ، وتأويله أن الله جعل جزاء ضلالتة أن يتركه ، ويمدده فيها ، إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر ، كأن لفظ الأمر يريد به المتكلم نفسه إلزاماً ، كأنه يقول أفعِلْ ذلك وأمر نفسي ، فإذا قال قائل : مَنْ زارني فلاكرمه ، فهو ألزم من قوله أكرمه ، كأنه قال : مَنْ زارني فأنا أمر نفسي بإكرامه وألزمها ذلك »^(٣) .

وقال أبو علي : « هذا لفظه كلفظ أمثلة الأمر ومعناه الخبر ، ألا ترى أنه لا وجه للأمر هاهنا ، وأن المعنى مدّه الرحمن مدّاً »^(٤) . وابن عباس فسره أيضاً بالخبر فقال : « يريد فإن الله يمد له فيها حتى يستدرجه »^(٥) . وقد تقدم القول في وضع بعض الأمثلة موضع بعض في آيات .

ومعنى المد في الضلالة ذكرناه في قوله : ﴿ وَيُذَكِّرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥] . وقال صاحب النظم : (مَنْ) شرط وللشرط جزاء ، واجتمع في قوله :

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٣ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٠٩ ، والمحاسب ٢/ ٤٤ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١١٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٩ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٣ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٠٥ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٢ ، والمحور الوجيز ٩/ ٥٢٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٤ ، وروح المعاني ١٦/ ١٢٧ .

﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ جزاء الشرط والفاء دليل عليه ، وابتداء الأمر ، ولو تمحض جزاء لكان يمدد ولكنه دعاء عليهم بأن يمدهم الله في الضلالة ، والدعاء يكون بلفظ الأمر كأنه أمر النبي ﷺ أن يدعو على من كان في الضلالة بهذا الدعاء ، وهذا كما تقول في الكلام : من سرق مالي فليقطع الله يده ، فهذا دعاء على السارق وهو جواب للشرط^(١) . هذا معنى كلامه . وعلى ما ذكر ، لا يكون ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ خبراً كما قاله الزجاج ، وأبو علي ، وأكد ابن الأنباري هذا الوجه فقال : «اللام في ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ لام الدعاء وتقديرها في الآية : قل يا محمد : من كان في الضلالة فاللهم مد له في العمر مدّاً»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ متصل بالمد ؛ لأن المعنى مدّه الله في ضلّالته حتى يرى ما يوعد من العذاب أو الساعة ، وإنما قال ﴿رَأَوْا﴾ بعد قوله : ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ؛ لأن لفظ من يصلح للواحد والجمع ، و (إذا) مع الماضي يكون بمعنى المستقبل ، والمعنى : حتى يروا ما يوعدون .

وقوله تعالى : ﴿إِمَّا أَلْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ منصوبان على البدل من ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾^(٣) . قال أبو إسحاق : «و﴿أَلْعَذَابَ﴾ هاهنا ما وعدوا به من نصر المؤمنين عليهم ، فإنهم يعذبونهم قتلاً ، وأسراً ، و﴿السَّاعَةَ﴾ يعني بها يوم القيامة وما وعدوا فيها من الخلود في النار»^(٤) . والمعنى : ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ بالنصر والقتل أيهم ﴿وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾ ، كما قاله الزجاج وأبو علي^(٥) ، أهم أم المؤمنون ، ويعلمون

(١) ذكر نحوه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٤ .

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشف ٢/ ٤٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤١ ، والبحر المحيط ٢١٢/ ٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٣ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٣ ، والحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٠٥ .

بمكانهم من جهنم ومكان المؤمنين من الجنة ﴿مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا﴾ ؛ قال ابن عباس :
«أراد الله هذا الرد عليهم في قولهم : ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾»^(١) .

٧٦ . قوله تعالى : ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ . قال [الربيع بن أنس :
«يزيد الله الذين اهتدوا»]^(٢) بكتابه هدى بما ينزل عليهم من الآيات
فيصدقون بها»^(٣) . وقال الكلبي : «يزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ
هدى بالناسخ»^(٤) . وقيل معناه : «يزيدهم إخلاصاً وإيماناً»^(٥) .
وقيل : «يزيدهم هدى بالتوفيق حتى يستكثروا من الطاعات»^(٦) .
وقال أبو إسحاق : «المعنى أن الله - تعالى - يجعل جزاء المؤمنين أن
يزيدهم يقيناً كما جعل جزاء الكافر»^(٧) أن يمدّه في ضلالته»^(٨) .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/٢٠٣ ، والمححر الوجيز ٩/٥٢٤ ،
وزاد المسير ٥/٢٥٩ ، والكشاف ٢/٥٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤٤ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/١١٩ ، والنكت والعيون
٣/٣٨٧ ، وزاد المسير ٥/٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤٤ ، والتفسير الكبير ٢١/٢٤٨ .

(٤) النكت والعيون ٣/٣٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤٤ ، وذكر من دون نسبة في جامع البيان
١٦/٩٠ ، والمححر الوجيز ٩/٥٢٤ ، وزاد المسير ٥/٢٥٩ .

(٥) زاد المسير ٥/٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤٤ ، والتفسير الكبير ١١/١٤٨ .

(٦) النكت والعيون ٣/٣٨٧ ، وزاد المسير ٥/٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤٤ ، وفتح القدير
٣/٤٩٨ .

(٧) في (س) : (الكافرين) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٤٤ .

﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾ الأذكار والأعمال الحسنة من الطاعات التي تبقى لصاحبها ولا تحبط^(١). ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ جزاء في الآخرة مما يفتخر به الكفار من ما لهم وحسن معاشهم. ومضى القول في الباقيات الصالحات في سورة الكهف^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾. المراد هاهنا مصدر مثل الرد، والمعنى: وخير ردًّا على عامليها للثواب، ليست كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت، ويقال: هذا الأمر أرْدُ عليك؛ أي أنفع لك^(٣). والمعنى: أنه يرد عليك ما تريد، كذلك أعمال المؤمنين ترد عليهم الجنة التي فقدوها بإخراج أبيهم آدم منها^(٤). ويجوز أن يكون المراد بمعنى: المرجع وكل واحد يرد إلى عمله الذي عمله، فيجمع بينه وبين ما عمل، فالأعمال الصالحة خير مرَدًّا من الأعمال السيئة^(٥).

٧٧. قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾. قال ابن عباس وجماعة أهل التفسير: «نزلت في العاص بن وائل^(٦)، وذلك أن خباب بن الأرت كان له عليه دين فأتاه يتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى تكفر بأهله محمد، فقال خباب: والله لا أكفر بإله محمد حيًّا ولا ميتًا ولا حين

(١) تفسير القرآن للصنعاني ١٢/٢، وجامع البيان ١١٩/١٦، ومعالم التنزيل ٢٥٣/٥.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ آتِ الْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (رد) ١٣٩٠/٢، والصحاح (ردد) ٤٧٣/٢، ولسان العرب (ردد) ١٦٢١/٣، والمفردات في غريب القرآن (رد) ١٩٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٤٥.

(٥) الكشف ٤٢١/٢، وزاد المسير ٢٥٩/٥، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤٥، وفتح القدير ٤٩٨/٣.

(٦) العاص بن وائل بن هاشم السهمي، أحد المجاهرين بالعداوة والأذى للرسول ﷺ وللصحابة رضوان الله عليهم، توفي بعد الهجرة بشهرين، وهو والد الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه. انظر: جوامع السيرة ٥٣، والكامل لابن الأثير ٤٨/٢، والأعلام ٢٤٧/٣.

أبعث ، فقال : أو تبعث أيضاً ؟ فدع مالك قبلي ، فإذا بعثت أعطيت مالا وولداً وقضيتك مما أعطى ، يقول ذلك مستهزئاً^(١) .

وقال مقاتل والكلبي : « قال لخباب : لئن كان ما تقول حقاً فإني لأفضل ثم نصيباً منك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾ يعني : العاصي كفر بالقرآن^(٢) . ﴿ وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ ﴾ ؛ لأعطين ؛ أي والله لأوتين . القسم مضمّر : ﴿ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ، يعني في الجنة بعد البعث .

وُقرئ : وَلَدًا ، و (وُلْدًا)^(٣) . قال الليث : « الولد اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى »^(٤) . قال الزجاج : « الْوَلَدُ وَالْوُلْدُ واحد مثل الْعَرَبُ ، وَالْعُرْبُ ، وَالْعَجَمُ ، وَالْعُجَمُ ، وَالْبَحْلُ ، وَالْبُحْلُ »^(٥) . ونحو ذلك قال الفراء^(٦) ، وأنشد^(٧) :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا قَدْ ثَمَرُوا مَالًا وَوُلْدًا

(١) جامع البيان ١٦ / ١٢٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٧ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٥٢٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٥٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٤٥ ، والكشف والبيان ٣ / ١٢ ب .

(٣) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وعاصم ، وابن عمر ﴿ وَوُلْدًا ﴾ بفتح الواو ، وقرأ حمزة ، والكسائي (وَوُلْدًا) بضم الواو .

انظر : السبعة ٤١٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٢١١ ، والتبصرة ٢٥٧ ، والنشر ٢ / ٣١٩ .

(٤) تهذيب اللغة (ولد) ٤ / ٣٩٥١ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٤٤ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٧٣ .

(٧) البيت للحارث بن حلزة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٢٢ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٨٧ ، ومعاني القرآن للفراء ٢ / ١٧٣ ، والدر المصون ٧ / ٦٣٥ ، وتهذيب اللغة (ولد) ٤ / ٣٩٥١ ، ولسان العرب (ولد) ٨ / ٤٩١٤ .

واحتج على استعمال المضموم في الواحد بقول العرب في المثل: «وُلْدُكَ مَنْ دَمَّى عَقَبَيْكَ»^(١)، وأنشد^(٢):

فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وُلْدَ حِمَارٍ

فهذا واحد قال: «وقيس تجعل الولد جمعاً، والولد واحداً»^(٣). وقال ابن السكيت: «الولد يكون واحداً وجمعاً»^(٤).

قال أبو علي: «هو كالفلك الذي يكون مرة جمعاً ومرة واحداً، ويكون لفظ واحد [موافقاً للفظ جمعه]»^(٥)، قال: ويجوز أن يكون الولد جمع ولد مثل أسيد، وأُسْدٍ، وثَمَرٍ، وثُمرٍ»^(٦).

٧٨. قال الله - تعالى - مكذباً له ومنكراً عليه: ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾. قال ابن عباس، ومجاهد: «يريد أعلم ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا»^(٧). وقال الكلبي: «معناه: أنظر في اللوح المحفوظ»^(٨).

(١) المعنى: ابنك الذي نُفْسِتَ به حتى أدمى النفاس عقيبك، فهو ابنك حقيقة لا من اتخذته وتبنيته وهو من غيرك.

انظر: جامع البيان ١٦/ ١٢٢، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٧٣، والأمثال للسدوسي ٥١، والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٠، والأمثال لابن سلام ١٤٧، وتهذيب اللغة (ولد) ٤/ ٣٩٥٠، ولسان العرب (ولد) ٨/ ٤٩١٤.

(٢) لم أهتم إلى قائله، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة. انظر: جامع البيان ١٦/ ١٢٢، والمحزر الوجيز ٩/ ٥٢٧، والبحر المحيط ٦/ ٢١٣، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١١، والمحتسب ١/ ٣٦٥، والدر المصون ٧/ ٦٣٦، وتهذيب اللغة (ولد) ٤/ ٣٩٥١، ولسان العرب (ولد) ٨/ ٤٩١٤.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٧٣.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (ولد) ٤/ ٣٩٥١، ولسان العرب ٨/ ٤٩١٤.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٢.

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٥٣، وزاد المسير ٥/ ٣٦١، والقرطبي ١١/ ١٤٦.

(٨) ذكرته كتب التفسير، ونسبته إلى ابن عباس. انظر: معالم التنزيل ٥/ ٢٥٣، وزاد المسير ٥/ ٣٦١، والقرطبي ١١/ ١٤٦.

وقوله تعالى : ﴿أَمْ أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال ابن عباس : «يريد : مَنْ قال : لا إله إلا الله فارحمه بها»^(١).

وقال قتادة : «يعني : أقدم عملاً صالحاً فهو يرجوه»^{(٢)(٣)}.

وقال السُّدِّي : «العهد : الطاعة لله عز وجل»^(٤). وهذا القول منتزع مما روي أن النبي ﷺ قال : «يقول الله : مَنْ صلى الصلوات لوقتها ولم يذرها استخفافاً بها لقيني يوم القيامة وله عندي عهد أدخله به الجنة ، وَمَنْ لم يصلها لوقتها وتركها استخفافاً بها لقيني يوم القيامة وليس له عندي عهد»^(٥).

وعلى [هذا المعنى فالآية]^(٦) : أم صلى الصلوات الخمس فاتخذ بها عندي عهداً؟ وقال الكلبي : «أعهد إليه الله أنه يدخله الجنة؟»^(٧). وهو اختيار الزجاج يقول : «أم أعطي عهداً؟»^(٨).

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٦ .

(٢) قوله : (فهو يرجوه) : ساقط من نسخة (س) .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٢٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٦ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٢٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٢ ، وروح المعاني ١٦/ ١٣٠ .

(٥) أخرج نحوه أبو داود في سننه في كتاب الوتر ، باب في من لم يوتر ٢/ ١٣١ ، والنسائي في كتاب الصلاة ، باب فضل الخمس ١/ ١٦٤ ، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس ١/ ٤٤٨ ، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٤٤ ، والهوارى في تفسيره ٣/ ٧٦ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٥٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦١ ، والقرطبي ١١/ ١٤٦ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٥ .

٧٩. وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ﴾^(١) هذه الكلمة ترد في القرآن بمعنيين أحدهما: الرد لكلام تقدم^(٢). والثاني: بمعنى: حقاً^(٣).

قال الفرّاء: «كلا بمنزلة سوف، وتجيء حرف رد فكأنها نعم ولا»^(٤).

وهذا الذي قاله^(٥) الفرّاء هو أصل معنى كلا، فإنه ينفي ما قبله ويحقق ما بعده، ولذلك اختلف المفسرون في معناه فجعله^(٦) بعضهم بمنزلة حقاً، وبعضهم جعله ردّاً لما قبله وردعاً، وهو متضمن للمعنيين كما ذكره الفرّاء^(٧).

وقال الكسائي: «لا تنفي حسب، وكلا تنفي شيئاً وتوجب شيئاً كقولك لرجل قال لك: أكلت شيئاً؟ قلت: لا، ويقول آخر: أكلت تمراً فتقول^(٨): كلا، أردت أنك أكلت عسلاً لا تمراً، قال: وتأتي كلا بمعنى قول حقاً» قال ذلك كله أحمد بن يحيى عن سلمة عن الفرّاء عن الكسائي^(٩).

قال الفرّاء: «ويجوز أن تجعلها صلة لما بعدها كقولك: كلا ورب الكعبة، فتكون بمنزلة: إي ورب الكعبة، قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ وَالْقَبْرِ﴾ [المدر: ٣٢]

(١) قال الألوسي في روح المعاني ١٦/ ١٣١: «وهذا أول موضع وقع فيه من القرآن، وقد تكرر في النصف الأخير فوق في ثلاثة وثلاثين موضعاً».

(٢) لفظ: (تقدم) ساقط من نسخة (س).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٥، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٧، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤، وروح المعاني ١٦/ ١٣١، والدر المصون ٧/ ٦٣٧.

(٤) ورد نحوه بلا نسبة في الكشف ٢/ ٤٢٢، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤، والدر المصون ٧/ ٦٣٧.

(٥) قوله: (قاله): ساقط من نسخة (س).

(٦) قوله: (فجعله): ساقط من نسخة (س).

(٧) المحرر الوجيز ٩/ ٥٢٨، والكشاف ٢/ ٤٢٢، والقرطبي ١١/ ١٤٧.

(٨) قوله: (فتقول): ساقط من نسخة (س).

(٩) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٩، وشرح كلا وبلى ونعم لمكي بن أبي طالب ٢٤.

فإذا جعلتها صلة لما بعدها لم تقف عليها كقوله : ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ . والوقف على ﴿كَلَّا﴾ قبيح ؛ لأنها صلة لليمين^(١) .

وقال الأخفش : «﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر»^(٢) . وهذا مذهب سيبويه^(٣) ، وإليه ذهب الزجاج في جميع القرآن^(٤) . قال أبو حاتم : «وتجيء ﴿كَلَّا﴾ بمعنى (ألا) التي هي للتنبيه يستفتح بها الكلام كما يستفتح بألا»^(٥) ، واحتج بقول الأعشى^(٦) :

كَلَّا زَعَمْتُمْ بَأْنَا لَا نُقَاتِلْكُمْ إِنَّا لَأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمًا قُتِلُ

قال ابن الأنباري : «هذا غلط منه ، ﴿كَلَّا﴾ لا تكون افتتاح الكلام ، والذي في البيت بمعنى (لا) ، أي ليس الأمر على ما يقولون»^(٧) . واحتج أيضاً بقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق ٦:٦] قال معناه : ألا إن الإنسان ليطغى»^(٨) .

قال ابن الأنباري : «معنى ﴿كَلَّا﴾ في هذه الآية الذي احتج بها حقاً ، كأنه قال : حقاً إن الإنسان ليطغى ، قال : ويجوز أن يكون بمعنى (لا) كأنه لا ليس الأمر على ما تظنون يا معشر الكفرة ، كما قال : ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة : ١] ،

(١) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، والإيضاح في الوقف والابتداء ٢/ ٧٧٦ ، والقطع والانتناف ٤٥٨ ،

والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٧ ، وشرح كلا وبلى ونعم : ص ١٩ .

(٢) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، وشرح كلا وبلى ونعم ٢٨ .

(٣) الكتاب لسيبويه ٢/ ٣١٢ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٥ .

(٥) تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، والقطع والانتناف ٤٥٨ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٧ ،

وشرح كلا وبلى ونعم ٢٥ .

(٦) البيت للأعشى . انظر : شرح القصائد للتبريزي ٣٤٧ ، وشعراء النصرانية ٣٦٩ ، وتهذيب اللغة

(كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، ولسان العرب (كلا) ٧/ ٣٩٢٦ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٧٩ ، ولسان العرب ٧/ ٣٩٢٦ .

(٨) انظر : المصادر السابقة ، وشرح كلا وبلى ونعم ٢٦ .

ولا راد لكلامه ، ثم ابتداءً فقال : أقسم « هذا كلام أبي بكر ^(١) . وقد ذكر سيبويه أن كلا بمعنى : حقاً ^(٢) .

وعلى هذا ، يجوز أن تكون بمعنى (ألاً) ، ولا يجوز على الوجه الذي ذكره أبو حاتم ؛ لأنه يجعله افتتاحاً لا بمعنى حقاً . واختلفوا في الوقف على كلا ؛ فقال أبو العباس أحمد بن يحيى : « لا يوقف على ﴿كَلَّا﴾ في جميع القرآن ؛ لأنها جواب والفائدة تقع في ما بعدها » ^(٣) . ومنهم من قال : « يوقف على ﴿كَلَّا﴾ في جميع القرآن » ^(٤) . ومنهم من قال : « يوقف على ما قبل ﴿كَلَّا﴾ ويبتدأ بها » ^(٥) .

فأمّا في هذه الآية فقال ابن الأنباري : « الوقف على ﴿كَلَّا﴾ جائز ؛ لأن المعنى ليس الأمر » ^(٦) . كذا قال ، ويجوز أن يوقف على قوله : ﴿عَهْدًا﴾ ؛ أي لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً . ومنهم من قال : « معناه : ليس الأمر كما يظنه من أنه يؤتى المال والولد » ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿كَلَّا سَنَكُنُّبُ مَا يَقُولُ﴾ ؛ أي سنأمر الحفظة بإثباته لنجازه في الآخرة ﴿وَمَمْدُلُهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ؛ نزيده عذاباً فوق العذاب .

-
- (١) تهذيب اللغة (كلا) ٣١٧٩/٤ ، وشرح كلا وبلى ونعم ٦١ .
 - (٢) الكتاب ٣١٢/٢ ، وتهذيب اللغة (كلا) ٣١٧٩/٤ .
 - (٣) انظر : القطع والانتفاء ٤٥٨ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٧ ، وتهذيب اللغة (كلا) ٣١٧٩/٤ ، وشرح كلا وبلى ونعم ١٩ .
 - (٤) الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١١ ، وروح المعاني ١٣١/١٦ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٧ .
 - (٥) الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١١ ، وروح المعاني ١٣١/١٦ ، والمحاسب ٤٥/٢ ، وشرح كلا وبلى ونعم ١٩ .
 - (٦) تهذيب اللغة (كلا) ٣١٧٩/٤ . قال مكي بن أبي طالب في شرح كلا وبلى ونعم ١٩ : « يوقف عليها إذا كان ما قبلها يرد وينكر ، ويبتدأ بها إذا كان ما قبلها لا يرد ولا ينكر ، وتوصل بها قبلها وما بعدها إذا لم يكن قبلها كلام تام . وهذا المذهب أليق بمذهب القراء وحذاق أهل النظر ، وهو الاختيار ، وبه آخذ » .
 - (٧) الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١١ .

٨٠. وقوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ فيه قولان أحدهما: نرثه ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه. وهذا قول ابن عباس، وقتادة، وابن زيد^(١). ويدل عليه قراءة ابن مسعود: (ونرثه ما عنده)^(٢). وما بعده من قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ يدل على هذا القول؛ أي إنه يأتي الآخرة بلا مال ولا ولد. القول الثاني: ما قاله السدي قال: «نرثه أهله وماله الذي في الجنة»^(٣). وهو قول الكلبي قال: «﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ في الجنة من الذهب والفضة والحرير فنجعله لغيره من المسلمين»^(٤).

وعلى هذا، معنى الآية: لا نعطيه ما يقول، ونسلبه الذي آتيناه في الدنيا حتى يأتيانا خاليًا منه. وهو قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾؛ أي خاليًا من الأموال والأولاد.

٨١. قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾. معنى العز: الامتناع من الضيم، والعزیز: المنيع من أن ينال بسوء^(٥). والمعنى: عبدوها ليمتنعوا بها من عذابي.

قال أبو إسحاق: «﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾؛ أي أعواناً»^(٦).

(١) تفسير القرآن للصنعاني ١٢/٢، وجامع البيان ١٦/١٢٣، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥١، وزاد المسير ٥/٢٦١، والدر المنثور ٤/٥٠٦.

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ١/١٣، وجامع البيان ١٦/١٢٣، والمحزر الوجيز ٩/٥٢٩، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥١.

(٣) ذكر في زاد المسير ٥/٢٦١ من دون نسبة، وأضواء البيان ٤/٣٨٥.

(٤) البحر المحيط ٦/٢١٤، وذكر من دون نسبة في زاد المسير ٥/٢٦١.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (عز) ٣/٢٤١٩، ومقاييس اللغة (عز) ٤/٣٨، ولسان العرب (عز) ٥/٢٩٢٥، ومختار الصحاح (عز) ٤٢٩.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٤٥.

وقال الفرّاء : «ليكونوا له شفعاء في الآخرة»^(١) . وهذا معنى قول ابن عباس : «ليمنعواهم مني»^(٢) . وذلك أنهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمنع من عذاب الله ، ووحد العز ؛ لأنه مصدر وكان من حق هذا المعنى أن يقال : واتخذوا من دون الله آلهة ليعزوا بها أعزة ؛ لأنهم رجوا منها العز ، ولكن جعلت الآلهة عزاً في اللفظ لحبهم عبادتها وقوة رجائهم في العز بها ، فلغلوهم في حبها ، والطمع في الامتناع بها جعلت هي في اللفظ العز ، وإن كانوا إنما يرجون العز بها في الحقيقة كما يقال : السخاء حاتم^(٣) ، والشعر زهير ، والشجاعة عنترة ، وهم لا يكونون نفس هذه الأحاديث وإنما توجد بهم .

٨٢ . قال الله تعالى : ﴿كَذَّٰلَ﴾ . قال ابن عباس : «يوجدون بعبادتهم»^(٤) . وهذا يحتمل وجهين :

أحدهما : أن العابدين يجدون أنهم عبدوها ، وذلك لما رأوا من سوء عاقبتها^(٥) .

-
- (١) معاني القرآن للفرّاء ١٧١ / ٢ .
 (٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٢٣ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٤٨ ، ومجمع البيان ٥ / ٨١٧ ، وفتح القدير ٣ / ٥٠٠ .
 (٣) حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، أبو عدي ، شاعر جاهلي ، اشتهر بالجوّد والكرم والخلق والسباحة ، ويضرب به المثل في جوده وكرمه ، تميز شعره بذكر السخاء والكرم والحكم الجاهلية ، توفي في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ . انظر : الشعر والشعراء ١٤٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ / ٤٢٤ ، والأعلام ٢ / ١٥١ ، وإنباه الرواة ٣ / ٣٢٠ .
 (٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٢٣ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٣ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٥٤ ، وزاد المسير ٥ / ٢٦٢ ، والكشاف ٢ / ٥٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٤٨ ، وأنوار التنزيل ٤ / ١٥ .
 (٥) النكت والعيون ٣ / ٣٨٩ ، والمححر الوجيز ٩ / ٥٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٤٨ .

الثاني : تجسد الآلهة عبادة المشركين لها ، كما قال الله في موضع آخر : ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا بَاغِبُونَ ﴾ [القصص: ٦٣] ، وذلك أن تلك الآلهة كانت جهاذاً لا تعلم العبادة^(١) . وقيل معناه : « ما كانوا إيانا يعبدون بأمرنا وإرادتنا »^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ . قال ابن عباس : « يقول أعواناً »^(٣) . وهو اختيار أبي إسحاق قال : « أي يصيرون أعواناً عليهم »^(٤) .

وقال مجاهد : « تكون عوناً عليهم »^(٥) . وهو قول الفراء^(٦) . والمعنى : أن الأصنام التي عبدوها تكون أعواناً على عابديها يكذبونهم ويلعنونهم ويتبرؤون منهم ، وهو معنى قول عكرمة ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ قال : « أعداء »^(٧) . وهذا اللفظ اختيار ابن قتيبة قال في قوله : ﴿ ضِدًّا ﴾ : « أي أعداء يوم القيامة ، وكانوا في الدنيا أولياءهم »^(٨) .

(١) جامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٥٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٨ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ٢٥٠ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٣٨٨ : « والقرينة المرجحة لهذا القول أن الضمير في قوله : ﴿ وَيَكُونُونَ ﴾ راجع إلى المعبودات ، وعليه ، فرجوع الضمير في ﴿ وَيَكُونُونَ ﴾ إلى المعبودات أظهر لانسجام الضمائر بعضها مع بعض ، وتفرق الضمائر خلاف الظاهر ، والعلم عند الله تعالى » .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٢٣ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٥٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٥ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٢٤ ، والنكت والعيون ٣/ ١٤١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٠٦ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٢ .

(٧) ذكرته كتب التفسير ، ونسبته إلى الضحاك . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٥٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٨ .

(٨) تفسير غريب القرآن ٢/ ٤ .

قال الأخفش : «الضد يكون واحداً وجماعة مثل الرصد والأرصاد ، قال : والرصد يكون للجماعة»^(١) ؛ وروى ثعلب عن الفراء أنه قال : «معناه في التفسير : ويكونون عليهم عوناً»^(٢) . فلذلك وحده ، يقال : فلان ضد فلان ، إذا كان مخالفاً كالبياض ضد للسواد ، فإذا قلت : فلان ضد على فلان ، كان المعنى أنه مخالف معادٍ له .

وروي عن قتادة أنه قال في قوله : ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ قال : «قراءة في النار»^(٣) .

والصحيح ما عليه الجماعة^(٤) ، لقوله : ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ، ولو قال : لهم ضدّاً احتمل ما قاله قتادة ؛ لأن الضد قد ورد في اللغة بمعنى مثل الشيء ، حكاه ابن السكيت عن أبي عمرو^(٥) ، فلما قال : ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ كان المعنى : أنهم عون عليهم أعداء لهم ، ويبعد أن يفسر بالقرناء . قال ابن الأنباري : «ويجوز أن تكون الهاء في عليهم ترجع على الأصنام بتأويل ويكون الكفار على الأصنام ضدّاً ؛ لأنه يبيحون بعيبها ويخبرون بعجزها عند البراءة منها»^(٦) .

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/٦٢٨ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/١٧٢ ، وتهذيب اللغة (ضد) ٢/٢١٠٠ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١٢ ، وجامع البيان ١٦/١٢٤ ، والنكت والعيون ٣/٣٨٩ ، والمحزر الوجيز ٩/٥٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥١ .

(٤) يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف : ٥٠ ، ٦] .

(٥) تهذيب اللغة (ضد) ٢/٢٠٠ .

(٦) ذكر نحوه بلا نسبة للكشاف ٢/٤٢٣ ، والبحر المحيط ٦/٢١٥ ، والدر المصون ٧/٦٤٠ .

٨٣. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. قال الكلبي: «نزلت في المستهزئين بالقرآن»^(١). وذكر أبو إسحاق في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وجهين:

أحدهما: «أن المعنى خَلينا الشياطين وإياهم، فلم نعصمهم من القبول منهم»^(٢).

قال أبو علي: «الإرسال يستعمل على معنى التخلية بين المرسل وبين ما يريد، وليس يراد به معنى البعث، كما قال الرازي»^(٣):

أَرْسَلَ فِيهَا بَازِلًا يَقْدُمُهُ
وَهُوَ بِهَا بِخَوًّا طَرِيقًا يَعْلَمُهُ

يريد خلّى، يريد: بين الفحل وبن طروفته ولم يمنعه منها. قال فمعنى الآية: خَلينا بين الشياطين وبين الكافرين؛ أي لم نعصمهم منهم ولم نعهدهم، بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، [الإسراء: ٦٥]. هذا كلام أبي علي في شرح أحد وجهي الإرسال^(٤). وإلى هذا الوجه يذهب القدريّة في معنى الآية. وليس المعنى على ما يذهبون إليه»^(٥).

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٣٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٥.

(٣) لم أهتم إلى قائله. بازلاً: يقال للبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه البازل، وهو أقصى أسنان البعير، وسمي بازلاً من البزل، ويقال للأنثى بازل وجمعها بوازل. بخبخة البعير: هدير يملأ الفم شقشقته. انظر: تهذيب اللغة (بزل) ١/ ٣٢٨، ولسان العرب (بزل) ١/ ٢٧٦.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) قال الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٤/ ٣٨٩: «أي سَلَّطناهم عليهم وقضناهم لهم، وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم أن المعنى: ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ الآية، أي خَلينا بينهم وبينهم، ولم نعصمهم من شرهم. يقال أرسلت البعير؛ أي خَليته». وقال الرازي في تفسيره ١١/ ٢٥١: «وقد تعلق المجرة بذلك؛ لأن عندهم أن ضلال الكافر من قبله - تعالى - بأن خلق فيهم الكفر، وقدر الكفر فلا تأثير لما يكون من

قال أبو إسحاق : « والوجه الثاني وهو المختار : أنهم أرسلوا عليهم وقبضوا لهم بكفرهم كما قال : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦] ، وكما قال : ﴿ وَفَيْضُنَا لَهُمْ قُرْآنًا ﴾ [فصلت: ٢٥] الآية . قال : ومعنى الإرسال هاهنا : التسليط ، تقول : قد أرسلت فلاناً على فلان ، إذا سلطته عليه كما قال : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢] ، فأعلم أن مَنْ اتبعه هو مسلط عليه^(١) . وقد بان بما ذكره أبو إسحاق أن الوجه في معنى الآية هذا .

وقوله تعالى : ﴿ تَوَزَّهُمْ أَزًّا ﴾ . معنى الأز في اللغة : التحريك والتهيج^(٢) . قاله ابن الأعرابي وأبو عبيدة^(٣) ، وأنشد لرؤبة^(٤) :

لَا يَأْخُذُ التَّأْفِيكَ وَالتَّحْزِي
فَيْنَا وَلَا طِيْخُ الْعِدَى ذُو الْأَزِّ

الشيطان ، وإذا بطل حمل اللفظ في ظاهره فلا بد من التأويل ، فتحمله على أنه - تعالى - خلّى بين الشياطين وبين الكفار وما منعهم من إغوائهم وهذه التخلية تسمى إرسالاً في سعة اللغة ، وهذه التخلية - وإن كان فيها تشديد للمحنة عليهم فهم متمكنون من أن لا يقبلوا منهم ، ويكون ثوابهم على ترك القبول أعظم والدليل عليه - قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ ﴾ ، والله - تعالى - ما أرسل الشياطين إلى الكفار ، بل أرسلها عليهم ، والإرسال عليهم هو التسليط ، لا إرادة أن يصبر مستولياً عليه . . . وكما خلّى بين الشياطين والكفرة فقد خلّى بينهم وبين الأنبياء . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٣٤ ، والعقيدة الواسطية ٥٨ .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٤٥ .

انظر : تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٢ ، وأضواء البيان ٤ / ٣٨٩ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (أز) ١ / ١٥٥ ، ومقاييس اللغة (أز) ١ / ١٣ ، والقاموس المحيط (أزت) ١٤٦ ، والصحاح (أزز) ٣ / ٨٦٤ ، ولسان العرب (أزز) ١ / ٧٢ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١١ ، وتهذيب اللغة (أز) ١ / ١٥٥ .

(٤) البيت لرؤبة .

التأفيك : من الإفك وهو الكذب . والتحزي : التكهّن . والطبخ : الجهل ، ويطلق على الكبر . انظر : ديوانه ٦٤ ، ومجاز القرآن ٢ / ١١ ، والجمهرة ١ / ١٧ ، وتهذيب اللغة (أز) ١ / ١٥٥ ، ولسان العرب (أزز) ١ / ٧٢ .

ومنه يقال لغليان القدر : الأزيز ، وذلك أن الماء يتحرك عند الغليان ، ومنه الحديث : «إنه كان لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»^(١) .

قال أبو عبيدة : «الأزيز الالتهاب والحركة كالتهاب النار في الخطب ، يقال : أَرَزَّ قَدْرَكَ ؛ أي ألهب تحتها النار ، وَاثْتَرَّتِ القدر إذا اشتد غليانها»^(٢) .

وقال شمر : «أقرأنا ابن الأعرابي عن المفضل : أن لقيم بن لقمان قال لأبيه : اطْبِخْ جَزُورَكَ فَأَزَّ مَاءٌ أَوْ وَغْلُهُ حَتَّى تَرَى الْكَرَادِيْسَ»^(٣) كأنها رُوُوس شُيُوخٍ صُلِعَ ، في كلام ذكر»^(٤) .

وقد حصل للأز معنيان ، أحدهما : التحريك . والثاني : الإيقاد والإلهاب ، وأحدهما قريب من الآخر . وكلام المفسرين غير خارج عن الأصلين ، واختلفت عبارات ابن عباس وغيره في تفسير الأَزِّ ، فقال في رواية الوالبي : «﴿تَوَزَّهُمْ أَزًّا﴾ ؛

(١) أخرجه النسائي في سننه في كتاب الصلاة ، باب البكاء في الصلاة ١٣/٣ ، وأبو داود في سننه في كتاب الصلاة ١٥٧ ، والإمام أحمد في مسنده ٢٥/٤ عن مطرق بن عبد الله عن أبيه ، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ٣/١ ، والطبري في جامع البيان ١٦/١٢٥ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٩/٥٣٢ ، وذكره القرطبي في تفسيره ١٦/١٥٠ ، وذكره ابن حجر في فتح الباري ٢/٢٠٦ ، وقال : «الحديث رواه أبو داود والنسائي والترمذي في الشائل ، وإسناده قوي ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ووهم من زعم أن سلماً أخرجه» .

(٢) تهذيب اللغة (أز) ١/١٥٥ .

(٣) الكرَاديس : رُوُوس العظام ، واحدها كردوس ، كل عظم تام ضخم فهو كردوس .
انظر : تهذيب اللغة (كردس) ٤/٣١٢٢ ، ومقاييس اللغة (الكردوس) ٥/١٩٤ ، والقاموس المحيط (الكردوسة) ٥٧٠ ، واللسان (كردس) ٧/٣٨٥٠ .

(٤) تهذيب اللغة (أز) ١/١٥٥ ، ولسان العرب (أز) ١/٧٢ .

أي تغويهم إغواء»^(١). وهو قول سعيد بن جبير^(٢)، وسفيان^(٣)، ومجاهد إلا أنه ذكر لفظاً آخر فقال: «تشليهم أشلاً»^(٤). وقال في رواية الضحاك: «تحرضهم تحريضاً»^(٥). وقال في رواية عطاء: «تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً»^(٦). وهو قول قتادة^(٧)، واختيار أبي إسحاق، وابن قتيبة^(٨).

وروى ميمون بن مهران أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: «أخبرني عن قول الله: ﴿تَوَّضَعُوا لَهَا﴾ قال: توقدهم»^(٩).

والمعنى أنها تحركهم كما تحرك الماء بالأيقاد تحته، وهذا كما قال الأخفش والمؤرج: «توهجهم وتحركهم»^(١٠).

وقال الضحاك: «تأمرهم أمراً»^(١١). وهذا أضعف العبارات.

(١) جامع البيان ١٦/ ١٢٥، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٩، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٥٠.

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤١.

(٤) المحرر الوجيز ٩/ ٥٣٢، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢، والدر المنثور ٤/ ٥٠٧، وأضواء البيان ٤/ ٣٨٩.

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: الكشف والبيان ٣/ ٩، ولباب التأويل ٤/ ٢٦٠، والدر المنثور ٤/ ٥٠٧، وروح المعاني ١٦/ ١٣٤، وفتح القدير ٣/ ٥٠١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٥٠.

(٧) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٢، وجامع البيان ١٦/ ١٢٥، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٩، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥١، والدر المنثور ٤/ ٥٠٧.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٥، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢/ ٤.

(٩) الدر المنثور ٤/ ٥٠٧، وعزه لابن الأنباري.

(١٠) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة. انظر: تهذيب اللغة (أز) ١٣/ ٢٨٠، ومقاييس اللغة (أز) ١/ ١٣، والقاموس المحيط (أزت) ٥٠٢، ولسان العرب (أزز) ١/ ٧٢، والصحاح (أزز) ٣/ ٨٦٤، وتاج العروس (أزز) ٨/ ٧.

(١١) بحر العلوم ٢/ ٣٣٣، والكشف والبيان ٣/ ٩.

٨٤. قوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ؛ أي بطلب العذاب لهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ؛ أي أجلناهم إلى أجل يبلغونه بالعدد . وروي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ قال : «أنفاسهم التي»^(١) يتنفسون في الدنيا فهي معدودة كسنيهم وآجالهم»^(٢) . وقال في رواية عطاء : «يريد الأنفاس»^(٣) . وقال الكلبي : «﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ؛ الليالي والأيام والشهور والسنين والساعات»^(٤) . والمعنى : أنا لم نغفل عنهم ، نعد لهم هذه الأشياء إلى الأجل الذي أجلنا لعذابهم ، وهذا من أبلغ الوعيد . ومثله : كقول عمرو بن معد يكرب في الوعيد والتهديد^(٥) :

أَغْنَى غِنَاءَ الْمَيِّتِينَ أَعُدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَذَابًا

قل في تفسيره : أعد أنفاسهم لأنتهز الفرصة في الإيقاع بهم . والمعنى : لا أغفلهم ، وهذا مأخوذ من الآية .

٨٥. وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ ؛ أي اذكر لهم يا محمد ، هذا اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتناب معاصيه إلى الجنة ، هذا معنى قوله : ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾ ؛ أي إلى جنته ومحل كرامته ، قاله قتادة^(٦) . ﴿وَفَدًا﴾ . قال الفراء ، والأصمعي : ﴿وَفَدًا﴾ الوَفْدُ ، يَفْدُ ، وَفْدًا ،

(١) قوله : (التي) : ساقط من (ص) .

(٢) جامع البيان ١٦/١٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٢ ، والدر المنثور ٤/٥١٧ .

(٣) زاد المسير ٥/٢٦٢ .

(٤) النكت والعيون ٣/٣٨٩ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٥٠ .

(٥) لم أهتم إلى قائله .

(٦) تفسير القرآن للضعفاني ٢/١٣ ، وجامع البيان ١٦/١٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٢ ، والدر المنثور ٤/٥٠٨ .

وَوَفَادَةً، وَوُفُودًا إِذَا خَرَجَ إِلَى مَلِكٍ وَأَمِيرٍ فِي فَتْحٍ أَوْ أَمْرٍ، وَيُقَالُ: وَفَدَ الْأَمِيرُ إِلَى الَّذِي فَوْقَهُ وَأَوْفَدَهُ»^(١).

قال الفرّاء: «وَالْوَفْدُ اسْمُ الْوَفَائِدِينَ كَمَا قَالُوا: صُومَ وَفَطَرَ وَزُورَ»^(٢). وقال ابن قتيبة: «الْوَفْدُ جَمْعُ الْوَفَائِدِ، كَمَا يُقَالُ: رَاكِبٌ وَرَكْبٌ، وَصَاحِبٌ وَصَحْبٌ»^(٣). قال ابن عباس في رواية الوالبي: «وَفْدًا: رَكْبَانًا»^(٤). وقال أبو هريرة: «على الإبل»^(٥).

وقال سفيان: «على النوق»^(٦). وجمع ابن عباس في رواية عطاء بين هذه الأقوال فقال: «مَنْ كَانَ يَجِبُ رُكُوبُ الْخَيْلِ وَفَدَ إِلَى اللَّهِ عَلَى خَيْلٍ، لَا تَرْثُثُ، وَلَا تَبُولُ، لَجْمُهَا»^(٧) من الياقوت^(٨) الأحمر، وَمَنْ الزَّبْرَجَدُ^(٩) الأخضر، وَمَنْ

(١) تهذيب اللغة (وفد) ٤/ ٣٩٢٥، وتاج العروس (وفد) ٥/ ٣٢٢.

(٢) ذكرت كتب اللغة نحوه.

انظر: تهذيب اللغة (وفد) ٤/ ٣٩٢٥، وتاج العروس ٥/ ٣٢٢، ولسان العرب ٨/ ٤٨٨١.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢/ ٤.

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٢٧، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٥، وزاد المسير ٥/ ٢٦٣، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٢، والدر المنثور ٤/ ٥٠٨.

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٢٧، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٥، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢، والدر المنثور ٤/ ٥٠٨.

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٢٧، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢، وأضواء البيان ٤/ ٣٩١.

(٧) لَجْمَةُ الدَّابَّةِ: مَوْقِعُ اللَّجَامِ مِنْ وَجْهِهَا، وَاللَّجَامُ: عَصَا أَوْ حَبْلٌ يَدْخُلُ فِي فَمِ الدَّابَّةِ وَيَلْزُقُ إِلَى قَفَاهُ. انظر: تهذيب اللغة (لجم) ٤/ ٣٢٣٨، والصحاح (لجم) ٥/ ٢٠٢٧، ولسان العرب (لجم) ١/ ٤٠٠١.

(٨) الْيَاقُوتُ: حَجَرٌ مِنَ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَهُوَ أَكْثَرُ الْمَعَادِنِ صَلَابَةً بَعْدَ الْمَاسِ، وَيَسْتَعْمَلُ لِلزَّيْنَةِ، وَهُوَ فَاعُولٌ، الْوَاحِدَةُ يَاقُوتَةٌ وَالْجَمْعُ يَوَاقِيتُ. انظر: الصحاح (يقوت) ١/ ٢٧١، والمعجم الوسيط (الياقوت) ٢/ ١٠٦٥، ولسان العرب (يقوت) ٨/ ٤٩٦٤.

(٩) الزَّبْرَجَدُ: حَجَرٌ كَرِيمٌ يَشْبَهُ الزَّمَرْدَ، وَيَسْتَعْمَلُ لِلزَّيْنَةِ، وَهُوَ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَعْرُوفَةِ. انظر: تهذيب اللغة (زبرجد) ٢/ ١٥٠٨، ولسان العرب (زبرجد) ٣/ ١٨٠٦، والمعجم الوسيط (الزبرجد) ١/ ٣٨٨، ومختار الصحاح (الزبرجد) ١١٣.

الدَّر^(١) الأبيض وسُرُوحَهَا^(٢) من السندس^(٣)، وَمَنْ كان يحب ركوب الإبل فعلى نَجَائِب^(٤) لا تبعر ولا تبول، أَزَمَّتْهَا^(٥) الياقوت والزَّبَرْجَد، وَمَنْ كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زَبَرْجَد وياقوت قد أَمِنُوا الغرق وأَمِنُوا الأهوال^(٦).

وقال أهل اللغة: «الوفد: الركبان المكرمون»^(٧).

وإلى هذا ذهب الربيع بن أنس فقال في قوله: ﴿وَفَدًا﴾ قال: «يُحْيَوْنَ ويعطون ويكرمون ويشفعون»^(٨).

(١) الدَّر: العظام من اللؤلؤ، الواحدة درة، ومنه الكوكب الدرّي نسبة إلى الدر في صفائه وحسنه. انظر: تهذيب اللغة (درر) ١١٧٢/٢، ومقاييس اللغة (در) ٢/٢٥٥، ولسان العرب (درر) ٣/١٣٤٧، والقاموس المحيط (الدر) ٣٩١.

(٢) السَّرِيح: السير الذي تشد به الخدمة فوق الرسغ، والسرائح والسرّح: نعال الإبل، وقيل سيور نعالها كل سير منها سريحة. انظر: تهذيب اللغة (سرح) ٢/١٦٦٥، والقاموس المحيط (السرح) ١/٢٢٣، ولسان العرب (سرح) ٤/١٩٨٤.

(٣) السُّندس: رقيق الديباج ورقيقه، والاستبرق: غليظ الديباج. انظر: تهذيب اللغة (سندس) ٢/١٧٧٢، والقاموس المحيط (السندس) ٥٥١، ولسان العرب (سندس) ٤/٢١١٧، والمعجم الوسيط (السندس) ١/٤٥٤.

(٤) النَّجِيبُ من الإبل: القوي منها، الخفيف السريع. انظر: تهذيب اللغة (نجب) ٤/٣٥١١، والقاموس المحيط (النجب) ١٣٦، ولسان العرب (نجب) ٧/٤٣٤٢، ومختار الصحاح (نجب) ٢٦٩.

(٥) الزَّمَام: الخيط الذي يشد في البرة، أو في الخشاش ثم يشد في طرفه المقود، وزَمَمْتُ البعير: خطمته. انظر: تهذيب اللغة (زم) ٢/١٥٥٩، والصحاح (زمم) ٥/١٩٤٤، ولسان العرب (زمم) ٣/١٨٦٥، والمعجم الوسيط (الزمام) ١/٤٠١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٥١.

(٧) معاني القرآن للقرّاء ٢/١٧٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٤٦، وتهذيب اللغة (وفد) ٤/٣٩٢٥.

(٨) بحر العلوم ٢/٣٣، والكشف والبيان ٣/١٣، والدر المشور ٤/٥٠٨.

قال صاحب النظم : «هذا من باب الإيحاء بالشيء إلى الشيء ؛ لأن قوله : ﴿وَفَدًّا﴾ دليل على أنهم يثابون ويجزون ؛ لأن الوفد هم الرسل يقدمون على الملوك بالصلح وبالفتوح والبيارات فهم يتوقعون الجوائز ، وكذلك أهل الجنة بهذه الحال»^(١) .

وقال أصحاب العربية : «اسم الوفد لا يقع إلا على الركبان ؛ لأن اشتقاقه من قولهم : أوفد على الشيء ، إذا أشرف عليه ، وأنشدوا»^(٢) :

تَرَى الْعِلَافِيَّ عَلَيْهِ مُوَفَّدًا كَأَنَّ بُرْجًا فَوْقَهَا مُشَيَّدًا

ويقال : رأيت فلاناً مستوفداً إذا قعد منتصباً غير مطمئن . فهذا الاسم من حيث الاشتقاق يدل على أنه يقع على الركبان ؛ لأنهم أشرفوا على مركوبهم»^(٣) .

ويدل على صحة هذا ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : «لما نزلت هذه الآية قلت : يا رسول الله ، قد رأيت الملوك ووفودهم ، فلم أر وفداً إلا ركباناً ، فما وفد الله ؟ الحديث بطوله»^(٤) . ومن حيث العرف يدل على أن هذا الاسم يقع على

(١) ذكر نحوه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٢٣ بلا نسبة ، وكذلك أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢١٦ .

(٢) لم أهد إلى قائله ، وقد ذكرته كتب اللغة والمعاجم .
العِلَافِيّ : هو الرجل المنسوب إلى علاف ، رجل من الأزد هو زبان أبو جرم من قضاة ، كان يصنع الرحال ، وقيل هو أول مَنْ عملها ، فقل لها علافية لذلك . انظر : تهذيب اللغة (وفد) ٤/ ٣٩٢٥ ، ولسان العرب (وفد) ٨/ ٤٨٨١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (وفد) ٤/ ٣٩٢٥ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٢٩ ، والصحاح ٢/ ٥٥٣ ، ولسان العرب ٨/ ٤٨٨١ ، والمفردات في غريب القرآن ٥٢٨ .

(٤) رواه ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٤١ عن ابن أبي حاتم ، قال : «وروى ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً غريباً جداً مرفوعاً عن علي - ثم ذكر الحديث وقال في نهايته - هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعاً رويناه في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه ، بنحوه وهو أشبه بالصحة والله أعلم» ، وأخرجه السيوطي في الدر ٤/ ٥٠٨ ، وعزاه لابن أبي الدنيا ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طرق عن علي ، وذكره القرطبي ١١/ ١٥٢ ، والألوسي في روح المعاني ١٦/ ١٣٥ ، وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه =

مَنْ يُحْيَا وَيَكْرُم كَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ النِّظَمِ ، فَإِذَا مَعْنَى الْوَفْدِ : الرِّكْبَانُ الْمَكْرُمُونَ ، كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ اللُّغَةِ ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي إِسْحَاقَ ^(١) .

٨٦ . قوله تعالى : ﴿ وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ . قال ابن عباس في رواية الضحاك : « الكافرين » ^(٢) . ﴿ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدَا ﴾ . قال جماعة أهل التفسير : « عطاشاً » ^(٣) . وزاد أبو عبيدة والفرّاء ، والزجاج : « مشاةً » ^(٤) . والوَرْدُ فِي اللُّغَةِ مَعْنَاهُ : الْجَمَاعَةُ الَّتِي تَرِدُ الْمَاءَ مِنْ طَيْرٍ أَوْ إِبِلٍ ^(٥) .

قال ابن السكيت : « الْوَرْدُ وَرُودُ الْقَوْمِ الْمَاءَ ، وَالْوَرْدُ الْمَاءُ الَّذِي يُورَدُ ، وَالْوَرْدُ الْإِبِلُ الْوَارِدَةُ » ^(٦) .
قال رؤبة ^(٧) :

لَوْ دَقَّ وَرْدِي حَوْضَهُ لَمْ يَنْدِهِ

- = في كتاب اللجنة ١٢ / ١٦١ ، والحاكم في المستدرک ٢ / ٣٧٧ وصحّحه ، وتعقبه الذهبي لضعف عبد الرحمن بن إسحاق ، وأخرج نحوه الإمام أحمد في مسنده ١ / ١٥٥ .
- (١) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٤٦ .
- (٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٢٧ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٥٥ ، وزاد المسير ٥ / ٢٦٤ ، ولباب التأويل ٤ / ٢٦٠ .
- (٣) جامع البيان ١٦ / ١٢٧ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٠ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٥٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٥٥ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ١٥٣ ، والدر المنثور ٤ / ٥٠٩ .
- (٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٧٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٤٦ .
- (٥) انظر : تهذيب اللغة (ورد) ٤ / ٣٨٦٩ ، ومقاييس اللغة ٦ / ١٠٥ ، والصحاح ٢ / ٥٤٩ ، ولسان العرب ٨ / ٤٨١٠ ، والمفردات في غريب القرآن ٥١٩ .
- (٦) تهذيب اللغة (ورد) ٤ / ٣٨٦٩ ، ولسان العرب (ورد) ٨ / ٤٨١٠ .
- (٧) البيت لرؤبة . لم ينده : الندة الزجر عن كل شيء والطرد عنه بالصياح ، تقول : ندهت البعير إذا زجرته عن الخوض وغيره . انظر : تهذيب اللغة (ورد) ٤ / ٣٨٦٩ ، ولسان العرب (ورد) ٨ / ٤٨١٠ .

قال صاحب النظم : « هذا من باب الإيحاء بالشيء إلى الشيء ؛ لأن الورد وُرُود الماء ، ولا يَرُدُّ أحد الماء إلَّا بعد العطش ليشرب ، فأوماً بهذا إلى أنهم عطاش يساقون إلى النار »^(١) . ومضى الكلام في الورد عند قوله : ﴿ وَيُسَّ الُّورْدُ الُّمُورُّودُ ﴾ [هود : ٩٨] .

٨٧ . قوله تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ ﴾ ؛ أي لا يملك هؤلاء الكافرون الشفاعة . والمعنى : لا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض وهو قول : ﴿ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ ﴾ و ﴿ مَنْ ﴾ في موضع نصب على استثناء ليس من الأول على معنى : لا يملك الشفاعة المجرمون ، ثم قال : ﴿ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ على معنى : لكن مَنْ اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة^(٢) .

قال ابن عباس في رواية الوالبي : « العهد : شهادة أن لا إله إلَّا الله ، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ، ولا يرجو إلَّا الله »^(٣) .

ومضى الكلام في تفسير اتخاذ العهد عند قوله : ﴿ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٧٨] .

٨٨ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ ؛ يعني اليهود ، والنصارى ، ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة . انظر : الكشف ٢/ ٤٢٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٤ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٧ ، وروح المعاني ١٦/ ١٣٦ ، ولسان العرب (ورد) ٨/ ٤٨١٠ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٢٨ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٥٣٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٦ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٦ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٢٨ ، والمحزر الوجيز ١١/ ٥٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٠ .

٨٩. قال الله - تعالى - مخاطباً لهم : ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ ؛ أي «عظيماً» ، في قول ابن عباس ، وجميع المفسرين ^(١) . قال الراجز ^(٢) :

قَدْ لَقِيَ الْأَعْدَاءُ مِنِّي مُنْكَرًا
دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِدًّا إِمْرًا

قال الفرّاء ، والزجاج : «يقال : إِدًّا وَأَدًّا ، وهي قراءة السلمي ^(٣)» ، وآدّ بوزن : مَادّ ومعناه : الشيء العظيم ^(٥) . وأنشد الليث لرؤبة ^(٦) :

وَالِإِدَدَ الْإِدَادَ وَالْعَضَائِلَ

قال : «وواحد الإِدَدِ إِدَّةٌ ، وواحد الأَدَادِ أَدٌّ» ^(٧) . ومعنى الآية : قلتم قولاً عظيماً .

(١) تفسير القرآن للصنعاني ١٣/٢ ، وجامع البيان ١٦/١٢٩ ، والنكت والعيون ٣/٣٩٠ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٥٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/١٥٣ ، والدر المنثور ٤/٥١١ .

(٢) لم أهتم إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/١٢٩ ، والنكت والعيون ١٣/٣٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٩ ، ومجاز القرآن ١/٤٠٩ ، والدر المصون ٧/٥٢٨ ، وشواهد الكشاف ١٣٠ ، ولسان العرب (أمر) ١/١٢٩ .

(٣) عبدالله بن حبيب بن ربيعة ، أبو عبدالرحمن السلمي ، من كبار التابعين ، وُلِدَ في عهد النبي ﷺ ، ولأبيه صحبة ، قرأ القرآن وجوّده وعرضه على عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم ، وروى عن عدد من الصحابة ، توفي - رحمه الله - سنة ٧٤ هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٦/١٧٢ ، والجرح والتعديل ٥/٣٧ ، وتذكرة الحفاظ ١/٥٨ ، وغاية المنتهى ١/١٣٤ ، ومعرفة القراء الكبار ١/٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٢٦٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/١٢٩ ، والمحزر الوجيز ٩/٥٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٥٦ ، والبحر المحيط ٦/٢١٨ ، والمحاسب ٢/٤٥ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٧٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٤٦ .

(٦) البيت لرؤبة . انظر : تهذيب اللغة (أد) ١/١٣٣ ، ولسان العرب (أد) ١/٤٣ .

(٧) تهذيب اللغة (أد) ١/١٣٣ ، ولسان العرب (أد) ١/٤٣ .

٩٠. قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ وقرئ: بالياء^(١). وكلاهما حسن، وقد تقدم ذلك.

قال أبو علي: «إلحاق علامة التأنيث أحسن؛ لأن الجمع بالألف والتاء في الأصل للجمع القليل، والجمع القليل يشبه الآحاد، وكما أن الأحسن في الآحاد إلحاق العلامة في هذا النحو فكذلك مع الألف والتاء»^(٢).

وأهل التأويل على أن المعنى ﴿تَكَادُ﴾ هاهنا: تدنو من الانشقاق، كما يقال: كاد يفعل ذلك إذا دنا من أن يفعله. وزعم أبو الحسن الأخفش أن ﴿تَكَادُ﴾ هاهنا معناه: نريد من غير دنو فقال: «هَمَمْنُ بِهِ إِعْظَامًا لِقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَكُونُ مِنْ هَمٍّ بِالشَّيْءِ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ، أَلَا تَرَى أَنْ رَجُلًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَنَالَ السَّمَاءَ لَمْ يَدْنُ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ كَانَتْ مِنْهُ إِرَادَةٌ، وَنَحْوُ هَذَا قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ أي أردنا له»^(٣)، وأنشد:

كَادَتْ وَكَدَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهِمِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى^(٤)

-
- (١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمة ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء، وقرأ نافع، والكسائي (يكاد) بالياء. انظر: السبعة ٤١٣، والحجة ٥/٢١٣، والتبصرة ٢٥٧، والنشر ٢/٣١٩.
- (٢) الحجة للقراء السبعة ٥/٢١٤.
- (٣) معاني القرآن للأخفش ٢/٦٢٧، الحجة للقراء السبعة ٥/٢١٥، والبحر المحيط ٦/٢١٩.
- (٤) لم أهد إلى قائله، وورد البيت في كتب التفسير واللغة. انظر: الحجة للقراء السبعة ٥/٢١٥، والبحر المحيط ٦/٢١٨، والدر المصون ٧/٦٤٧، ومعاني القرآن للأخفش ٢/٦٢٧، والمحتسب ٢/٣١، والأضداد لابن الأنباري ٩٧، ولسان العرب (كيد) ٧/٣٩٦٦.

وقوله تعالى : ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾ وقُرى : ينفطرن^(١) . ومعناها واحد ، يقال : انفطر الشيء ، وتفطر : إذا تشقق . قال امرئ القيس^(٢) :

كَخُرْعُوبَةِ الْبَانَةِ الْمَنْفَطِرُ

إِلَّا أَنْ أَنْفَطَرَ مَطَاوِعَ فَطَر ، وَتَفَطَّرَ مَطَاوِعَ فَطَر ، واختار أبو عبيدة ينفطرن بالنون^(٣) ، لقوله : ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] ، وقوله : ﴿السَّمَاءُ مَنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] .

قال أبو علي : «وهذا لا يدل على ترجيح هذه القراءة ؛ لأن ذلك في القيامة لما يريد الله - سبحانه - من إبادتها وإفنائها . وما في هذه السورة إنما هو لعظم فزيتهم وعُتوهم في كفرهم . والمعنيان مختلفان ، وتفطر بهذا الموضع أليق من انفطر ، لما فيه من معنى المبالغة ؛ لأنه يدل على الكثرة ، كما أن فطر يدل على التكثير»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَنَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا﴾ . نخر : تسقط . وقد مضى الكلام فيه^(٥) . والهد : الكسر الشديد والهدم ، يقال : هدني هذا الأمر وهدد ركني^(٦) .

(١) قرأ أبو بكر عن عاصم ، وأبو عمرو ، وحزمة ، وابن عامر (ينفطرن) بالنون والتخفيف ، وقرأ حفص عن عاصم ، وابن كثير ، ونافع ، والكسائي ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾ بالتاء والتشديد . انظر : السبعة ٤١٣ ، والحجة للقراء السبعة ٢١٤ / ٥ ، والتبصرة ٢٥٧ ، والعنوان في القراءات ١٢٧ .

(٢) هذا عجز بيت لامرئ القيس يصف فرسه وخروجه إلى الصيد ، وصدده :
بَرَّهْرَهُ رُودُهُ رَخْصَةُ

الْبَرْهْرَهُ : الرقيقة الجلد وقيل المساء المترجرة . والرُودَةُ : الرخصة الناعمة . والخُرْعُوبَةُ : القضيبي الغض . والغض المشني . انظر : ديوانه ٦٩ ، وتهذيب اللغة (الخرعة) ١ / ١٠١٤ ، ولسان العرب (خرع) ١١٣٨ / ٢ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢ / ٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٨ / ٢ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٢١٤ / ٥ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (هد) ٣٧٢٨ / ٤ ، ومقاييس اللغة (هد) ٧ / ٦ ، والقاموس المحيط (الهد) ٣٢٨ ، والصاح (هدد) ٥٥٥ / ٢ ، والمفردات في غريب القرآن (هدد) ٥٣٨ .

قال ابن عباس في رواية الوالبي : «هدماً»^(١) . وروي عنه : «كسراً»^(٢) . وهو قول الفرّاء^(٣) .

وقال أبو عبيدة : «سقوطاً»^(٤) . وهو اختيار القتيبي^(٥) .

قال المفسرون : «لما قالوا ﴿أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ اقشعرت الأرض ، وشاك الشجر»^(٦) ، وغضبت الملائكة ، واستعرت جنهم ، وفزعت السماوات والأرض والجلال وجميع الخلائق إلا الثقلين»^(٧) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «فلما كادت السماوات أن تنشق ، والأرض أن تنشق ، والجلال أن تنهد اقشعرت الجبال وما فيها من الأشجار والبحار وما فيها من الحيتان ، فصار في الحيتان الشوك ، وفي الأشجار الشوك»^(٨) . هذا كلام المفسرين .

-
- (١) جامع البيان ١٦ / ١٣٠ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ١٥٤ ، والقرطبي ١١ / ١٥٧ .
 (٢) الكشف والبيان ٣ / ١٣ ب ، وذكر في معالم التنزيل ٥ / ٢٥٦ من دون نسبة ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٤ ، وفتح القدير ٣ / ٥٠٣ .
 (٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٧٣ .
 (٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٢ .
 (٥) تفسير غريب القرآن ٢ / ٤ .
 (٦) صار ذا شوك .
 (٧) المحرر الوجيز ٩ / ٥٣٩ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٥٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٥٨ .
 (٨) معالم التنزيل ٥ / ٢٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٥٨ .

وزهب أهل المعاني : «إلى أن هذا مثل على عادة العرب ، وذلك أن العرب كانت إذا سمعت كذباً ومنكراً تعاضمته عظمتته بالمثل الذي كان عندها عظيماً فتقول : كادت الأرض تنشق ، وأظلم على ما بين السماء والأرض ، فلماً افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الأشياء وأعظمها»^(١) .

ومما يقرب من هذا قول الشاعر^(٢) :

أَلَمْ تَرَ صَدْعاً فِي السَّمَاءِ مُبَيَّنّاً عَلَى ابْنِ لُيْنَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
وقول الآخر^(٣) :

وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِراً كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامٍ
وقول آخر^(٤) :

لَمَّا أَتَى خَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٥٤١ ، والكشاف ٢/ ٤٢٤ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٨ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٥٤ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٥ .

(٢) لم أهتم إلى قائله ، وقد ورد البيت في كتب التفسير . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٥٤١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٨ ، وروح المعاني ١٦/ ١٤١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٦ .

(٣) البيت للحارث بن خالد بن العاص . انظر : البحر المحيط ٦/ ٢١٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٦ ، والاشتقاق ١٠١ ، والكامل ٢/ ٤٨٧ ، والتصريح ١/ ٢١٢ ، ولسان العرب (قثم) ٦/ ٣٥٣٤ .

(٤) البيت لجرير ، قاله في قصيدة يهجو بها الفرزدق . انظر : ديوان جرير ٢٧٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢١٨ ، ولسان العرب (حرث) ٢/ ٨٢١ .

٩١. قوله تعالى: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾. قال الفراء: «أن دعوا، ولأن دعوا وموضع ﴿أَنْ﴾ نصب بسقوط الخافض»^(١). وقال الكسائي: «موضعها خفض»^(٢). وهذه المسألة قد تقدمت. ومعنى: دعوا له ولداً سموأله ولداً، وجعلوا له ولداً. أنشد ابن الأعرابي على هذا^(٣):

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَإِنْ تَرَى
مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ يَأْتِيكَ مَا يَفْرِي

قال: يريد تدعو: تحقق صداقته وتجعله صديقاً.

٩٢. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾؛ أي لا يليق به اتخاذ الولد؛ لأن اتخاذ الولد يقتضي مجانسة، وكل من اتخذ ولداً اتخذه من جنسه والله - تعالى - منزّه من أن يجانس شيئاً أو يجانسه شيء، محال في وصفه اتخاذ الولد، وقال المفسرون في قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾: «وما يصلح»^(٤). وهذه اللفظة لا يستعمل منها المصدر والفاعل، وقد استعمل منها الماضي نادراً.

٩٣-٩٥. قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ﴾؛ أي ما كل ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ مَنْ فيها من الملائكة ﴿وَالْأَرْضِ﴾ مَنْ فيها من الخلق ﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ﴾ إِلَّا يَأْتِيهِ يَوْمَ القيامة ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً منقاداً يعني: أن الخلق عبيده، وأن عيسى وعزيراً من جملة العبيد، وانتصب ﴿عَبْدًا﴾ على الحال. ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾

(١) معاني القرآن للفراء ١٧٣/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٧٣/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٨/٢، والدر المصون ٦٤٨/٧.

(٣) لم أهد إلى قائله.

(٤) جامع البيان ١٦/١٣١، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٤، وزاد المسير ٥/٢٦٥، وفتح القدير ٥٠٣/٣.

وَعَدَهُمْ عَذَابًا ۖ أَيَّ عَرَفَ عَدَدَهُمْ ، ﴿وَعَدَهُمْ عَذَابًا﴾ لا يخفى عليه مبلغ جمعهم ، ولا واحد منهم مع كثرتهم ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال ولا معه شيء من الدنيا^(١) . وقيل وهو الصحيح : «إنه يأتي وحده لا أنصار له ولا أعوان ؛ لا اشتغال كل واحد بنفسه»^(٢) .

٩٦ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ؛ أي يجعلهم يحب بعضهم بعضاً ، فيترحمون ويتعاطفون بها جعل الله لبعضهم في قلوب بعض .

قال ابن عباس : «يحبهم ويحبهم إلى المؤمنين»^(٣) . ونحو هذا قال مجاهد ، وقتادة^(٤) .

وقال هرم بن حيان^(٥) : «ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتى يرزقه محبتهم ومودتهم ورحمتهم»^(٦) . وقال بعضهم : «يجعل لهم في قلوب الملائكة وداً ثم في قلوب العباد»^(٧) .

وهذا مروى عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة قال : «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إني قد أحببت فلاناً فأحبه ، قال : فينادي في السماء ، ثم تنول له

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٣٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٠ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٣٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٤ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٤ ، وجامع البيان ١٦/ ١٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٦٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٨٢ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٣٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٥٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٤ .

(٥) هرم بن حيان الأزدي العبدي ، أحد التابعين ، روى عن بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وروى عنه الحسن البصري ، اشتهر بكثرة العبادة والزهد . انظر : الجرح والتعديل ٩/ ١١٠ ، والثقات لابن حبان ٧/ ٥٥٨ ، والتاريخ الكبير ٤/ ٢٤٢ ، والطبقات الكبرى ٧/ ١٠٢ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٣٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦١ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٠ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٢٥٦ .

المحبة في أهل الأرض»^(١). فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية. قال عطاء عن ابن عباس: «نزلت الآية في عبدالرحمن بن عوف جعل الله له في قلوب العباد المودة لا يلقاه مؤمن إلى وقرة، ولا مشرك ولا منافق إلاَّ عظمه»^(٢).

وعلى هذا القول قال ابن الأنباري: «سمي الواحد باسم الجمع لدخول مَنْ فعل مثل فعله في مثل وصفه وحسن جزائه»^(٣).

٩٧. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾؛ أي هوَّنَّاهُ وأنزلناه بلغتك ليسهل عليك الإبلاغ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾؛ أي بالقرآن مَنْ أطاعك ﴿وَتُنذِرَ﴾ مَنْ عصاك. وقال الكلبي: «هوَّنَّاهُ على لسانك»^(٤). وعلى هذا لم يرد باللسان اللغة.

وقوله تعالى: ﴿فَوَمَّا لَئِذَا﴾. قال أبو صالح^(٥): «عوجاً عن الحق»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٦/٣٠٣، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده: ٤/٢٠٣٠، والإمام أحمد في مسنده ٩٢/٢٦٧. انظر: تفسير ابن كثير ٣/١٥٤، والدر المنثور ٤/٥١٣.

(٢) القرطبي ١١/١٦١، وذكر نحوه في جامع البيان ٦/١٣٣، وتفسير ابن كثير ٣/١٥٤، قال: «روي أن هذه الآية نزلت في هجرة عبدالرحمن بن عوف وهو خطأ فإن هذه السورة بكاملها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك والله أعلم». انظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٦، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٤.

(٣) ذكر نحوه في المذكر والمؤنث ٦٧١.

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة. انظر: بحر العلوم ٢/٣٣٤، ومعالم التنزيل ٥/٢٥٨، وزاد المسير ٥/٢٦٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٦٢، ولباب التأويل ٤/٢٦٢.

(٥) هو باذام الهاشمي، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، تقدمت ترجمته.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/١٥٥، والبحر المحیط ٦/٢٢١، وروح المعاني ١٦/١٤٤، وتفسير سفيان الثوري ١٩٠.

وقال مجاهد : «لا يستقيمون»^(١) . وقال قتادة : «جدلاً بالباطل»^(٢) .

وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿الَّذِ الْخَصَامِ﴾ [البقرة : ٢٠٤] . وروي عن الحسن أنه قال في تفسيره : «صماً»^(٣) . وزاد الربيع بياناً فقال : «صم آذان القلوب»^(٤) .

وهذه الأقوال كلها معنى وليس بتفسير . والتفسير قول قتادة ، وذلك أن خصومتهم بالباطل إنما هو بصمم قلوبهم ، ولو فهموا ما أتى به النبي ﷺ لتركوا جدالهم ، فإذا الصمم وغير ذلك مما ذكرنا من قول المفسرين معاني اللد لا تفسيره .

قال ابن الأنباري : «وخص اللد بالإنذار ؛ لأنهم إذا قامت عليهم الحجة صار غيرهم لاحقاً بهم من أجل أن الذي لا عناد عنده يسرع انقياده ، فال مقصود بالإنذار هؤلاء اللد المخاصمون»^(٥) .

٩٨ . قوله تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ يعني : قبل القوم اللد ، وهم قريش ، وهذا تخويف لهم بالإهلاك .

(١) جامع البيان ١٦/١٣٢ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٥٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٥ ، والدر المنثور ٥١٣/٤ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١٤ ، وجامع البيان ١٦/١٣٢ ، والنكت والعيون ٣/٣٩١ ، والدر المنثور ٥١٣/٤ .

(٣) جامع البيان ١٦/١٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٥٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٦٢ ، والدر المنثور ٥١٣/٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٦٢ ، والكشف والبيان ٣/١٤ ب ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/١٥٥ من دون نسبة .

(٥) ذكر نحوه الزمخشري في الكشاف ٢/٤٢٦ ، والقرطبي ١١/١٦٢ .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ نُحِشُّ مِنْهُمْ ﴾ ؛ أي هل ترى من الذين أهلكناهم
 ﴿ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ ؛ أي صوتاً . قاله ابن عباس والمفسرون^(١) . وقال
 زيد : « حساً »^(٢) . وقال أهل اللغة : « الرکز : الصوت الخفي »^(٣) ، وأنشدوا قول
 لبید^(٤) :

وَتَوَجَّسْتُ رِكَزَ الْأَنِيسِ فَرَاعَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنِيسُ سَقَامُهَا
 ومضى الكلام في معنى أحس^(٥) ، وتحقيق معنى الآية : وكم أهلكنا قبلهم
 من قرن بتكذيب المرسلين يعظهم بهذا ، ويلزمهم الاعتبار بمن تقدم من الأمم
 المكذبة .

* * *

-
- (١) جامع البيان ١٦ / ١٣٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٥ ، والجامع
 لأحكام القرآن ١١ / ١٦٢ ، والدر المنثور ٤ / ٥١٤ .
- (٢) جامع البيان ١٦ / ١٣٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٦٢ .
- (٣) انظر : تهذيب اللغة (ركز) ٢ / ١٤٥٩ ، والقاموس المحيط ٥١٢ ، والصحاح ٣ / ٨٨٠ ، واللسان
 ٣ / ١٧١٧ ، والمفردات في غريب القرآن ٢٠٢ .
- (٤) البيت للبيد ، ذكره في معلقته . انظر : ديوانه ١٧٣ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٨٤ ، وشرح
 المعلقات السبع للزوزني ٢٣٨ ، والدر المصون ٧ / ٦٥٤ .
- (٥) عند قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٥٢] .

تفسير سورة طه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿طه﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يا رجل ، يريد محمداً ﷺ»^(١) . وهو قول الحسن ، وعكرمة ، وسعيد بن جبیر ، والضحاك ، وقتادة ، وابن أبي نجیح عن مجاهد ، والكلبي^(٢) .

قال عكرمة : «هي بلسان الحبشة»^(٣) .

وقال سعيد بن جبیر والضحاك : «بالنبطية»^(٤) .

(١) جامع البيان ١٦/١٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٦٢ ، وزاد المسير ٥/٣٦٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٧ ، والدر المنثور ٤/٥١٦ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١٤ ، وجامع البيان ١٦/١٣٥ ، والكشف والبيان ٣/١٤ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/١٦٦ .

(٣) زاد المسير ٥/٣٦٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٦٦ ، والدر المنثور ٤/٥١٧ ، والتفسير الكبير ٢٢/٣ .

(٤) جامع البيان ١٦/١٣٥ ، والنكت والعيون ٣/٣٩٢ ، وزاد المسير ٥/٣٦٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٧ ، والدر المنثور ٤/٥١٧ .

وقال قتادة : «بالسريانية»^(١) .

وقال الكلبي : «هي بلغة عك»^{(٢)(٣)} .

وأُشِد لشاعرهم^(٤) :

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَه مِنْ خَلَائِقِكُمْ لَا قَدَسَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْمَلَاعِينِ
وقال السُّدِّي : «يا فلان»^(٥) .

وروى خصيف عن مجاهد قال : «هي من فواتح السور»^(٦) . وهو اختيار أبي إسحاق^(٧) .

-
- (١) جامع البيان ١٦/ ١٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٣٥ ، وزاد المسير ٥/ ٣٦٩ ، والتفسير الكبير ٣/ ١٥٧ .
- (٢) عك : بطن اُخْتُلف في نسبه ، فقال بعضهم : بنو عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد من كهلان من القحطانية . وذهب آخرون إلى أنهم : من العدنانية ، وعك أصغر من معد بن عدنان ، أبو العدنانية . وقال آخرون : إنه عك بن الديث بن آذر ، أخو معد بن عدنان . حالفوا اليمن ، ونزلوا في الأشعرين ، وقيل غير ذلك . انظر : أنساب العرب ٣٢٨ ، والأنساب للسمعي ٤/ ٢٢٥ ، ومعجم قبائل العرب ٢/ ٨٠٢ ، والتعريف بالأنساب ١٢٥ ، ومعجم البلدان ٤/ ١٤٣ .
- (٣) النكت والعيون ٣/ ٣٩٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٢ ، وتفسير القرطبي ١١/ ١٦٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٤ .
- (٤) البيت ليزيد بن المهلهل . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٣٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٢ ، والمحرم الوجيز ١٠/ ٢ ، والكشاف ٢/ ٥٢٨ ، والقرطبي ١١/ ١٦٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٤ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٩٩ ، ومجمع البيان ٥/ ٥ .
- (٥) الكشف والبيان ٣/ ١٤ ب ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٥٧ ، وتفسير القرطبي ١١/ ١٦٦ .
- (٦) بحر العلوم ٢/ ٣٣٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٧ ، وتفسير سفيان الثوري ١٩٢ .
- (٧) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٩ .

وقال ابن عباس في رواية الوالبي : «هو قسم أقسم الله به»^(١) . وهذا القول اختيار صاحب النظم^(٢) .

وفسر القرظي هذا القسم فقال : «أقسم الله - عز وجل - بطوله وهدايته»^(٣) .

وقال مقاتل بن حيان : «معناه : طاء الأرض بقديمك ، يريد به التهجد»^(٤) . ومال قوم إلى هذا التفسير ، واحتجوا بما بعده ، وبما ذكر في سبب النزول وهو : «أن النبي ﷺ في ابتداء الوحي ربما علق إحدى رجله في الصلاة تخشعاً وشكراً ، فقليل له : طأها ؛ أي طاء الأرض برجلك وضعها عليها»^(٥) . وقالوا : أصله طأها من^(٦) وطئ الأرض ، والهاء كناية عن الأرض ثم لينت الهمزة فقليل : طه .

قال صاحب النظم : «ولو كان الأمر على ما ذهبوا إليه لما كتبت حرفين ، ووجه الكتب أربعة أحرف ، كمن يكتب الكلام المؤلف»^(٧) .

(١) جامع البيان ١٦/١٣٦ ، والنكت والعيون ٣/٣٩٣ ، وزاد المسير ٥/٢٧٠ ، الجامع لأحكام القرآن ١١/١٦٦ ، والدر المنثور ٤/٥١٧ .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/٣٩٣ ، وزاد المسير ٥/٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٦٦ .

(٣) معالم التنزيل ٥/٢٦٢ ، وزاد المسير ٥/٢٧٠ .

(٤) معالم التنزيل ٥/٢٦٢ ، وزاد المسير ٥/٢٧٠ ، والكشف والبيان ٣/١٤ ب .

(٥) بحر العلوم ٢/٣٣٦ ، والمححر الوجيز ١٠/٢ من دون نسبة ، والكشاف ٢/٥٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٦٧ .

(٦) في نسخة (س) : (أمر) .

(٧) لم أقف عليه .

وروى الفراء بإسناده: «أن رجلاً قرأ على ابن مسعود: ﴿طه﴾ بالكسر . فقال له الرجل : يا أبا عبد الرحمن ، أليس إنما أمر أن يطأ قدمه ؟ فقال له عبدالله : ﴿طه﴾ هكذا أقرأني رسول الله ﷺ» (١)(٢) .

فلو كان المعنى كما ذهبوا إليه ما أنكر ابن مسعود قراءة من قرأ: ﴿طه﴾ بإسكان الهاء (٣) . وأصله : طأ بالهمز فأبدلت منها الهاء ، كما قالوا : هياك وهرقت ، في إياك ، وأرقت ، ويجوز أن يكون الأصل طا من وطى على ترك الهمز ، ثم أثبتت

- (١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٧ .
- (٢) اختلف العلماء في الحروف الهجائية في فواتح السور ، وفي المراد بها إلى أقوال كثيرة . والصواب - والله أعلم - أن علمها إلى الله عز وجل ، وهذا ما ذهب إليه أكثر المحققين من المفسرين . قال ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٩٣ : «والصواب من القول عندي في تأويل مفاتيح السور التي هي حروف المعجم : أن الله - جل ثناؤه - جعلها حروفاً مقطعةً ، ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف ، لأنه - عز ذكره - أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معاني كثيرة لا على معنى واحد» . وذهب بعض العلماء إلى أن هذه الحروف إنما ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها . وقال الشوكاني - رحمه الله - في فتح القدير ٣/ ٤٦٤ : «وكما وقع الخلاف في هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين من بعدهم ، ليس يصح مرفوعاً في ذلك شيء ، ومن روي عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روي عن غيره ما يخالفه ، وقد يروى عن الصحابي نفسه التفاسير المتخالفة المتناقضة في هذه الفواتح ، فلا يقوم شيء من ذلك حجة ، بل الحق الوقوف ورد العلم في مثله إلى الله سبحانه» . وقال محمد صالح في كتابه تفسير سورة الرعد ٤٣ : بعد أن ذكر بعض الأقوال : «ولكن الأقوال المحكية ، والنقول المروية لا تصح نقلاً ، ولا تسلم عقلاً ، فالله أعلم بحقيقة المراد» . انظر : المحرر الوجيز ١/ ١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٣٨ ، والتفسير الكبير ٢/ ٥ ، والتحرير والتنوير ١/ ٢٠٦ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٩٩ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩٩ .
- (٣) قرأ الحسن (طه) بسكون الهاء من غير ألف قبلها . انظر : القراءات الشاذة للقاضي ٦٦ ، وإتحاف فضلاء البشر : ص ٣٠١ .

الهاء فيها للوقف ، والوجهان ذكرهما أبو إسحاق^(١) . وهذه قراءة شاذة لا يقرأ بها .

قال ابن الأنباري : «وجه قول مَنْ قال : إن ﴿طه﴾ لغة غير العرب ، أن لغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى من جهة اتفاق اللغتين ؛ لأن الله - تعالى - لم يخاطب نبيه ﷺ بلسان غير قريش»^(٢) .

فَمَنْ بَنَى ﴿طه﴾ على يا رجل قال : موضعه رفع بالنداء المفرد . ووجه قول مَنْ قال : إنه قسم أن التأويل : وحق طه وحق حروف المعجم التي نزل القرآن بها ، وأثنى على الباري وسبح ومجد بما انتظم من كلمها ، وموضعه خفض بإضمار واو القسم ، أو نصب على أنه حلت محل : حقاً ويقيناً ، ويميناً صادقةً ، وحلفاً باراً . وقول مَنْ قال : إنه من فواتح السور أن يصرف طه إلى مثل ألا في افتتاح الكلام حين يقال : ألا إن عبد الله مقيم^(٣) .

٢ . قوله تعالى : ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ؛ أي لتعب وتبلغ من الجهد ما بلغت . قال أبو إسحاق : «أي لتصلي على إحدى رجليك فيشتد عليك»^(٤) .

قال الكلبي : «لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتدت عبادته ، فأمره الله أن يخفف على نفسه ، وذكر له أنه ما أنزل عليه الوحي

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٩ .

(٢) زاد المسير ٥/ ٢٦٩ ، وروح المعاني ١٦/ ١٤٨ ، وفتح القدير ٣/ ٥٠٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٧٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٩ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن

١١٨/١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٩ .

ليتعَب كل ذلك التعب ، وكان بعد نزول هذه الآية ينام بعض الليل ويصلي بعضه»^(١) .

وذكر مقاتل في سبب النزول غير هذا وهو أنه قال : «قال أبو جهل والمشركون للنبي ﷺ : إنك لتشقى بترك ديننا ، وذلك لما رأوا من جهده وطول عبادته ، فأنزل الله هذه الآية جواباً للمشركين»^(٢) .

٣. قوله تعالى : ﴿إِلَّا نَذْكِرَهُ﴾ . قال الفراء : «نصبها على قوله : ما أنزلناه إِلَّا تذكرة»^(٣) . فأضمر ما أنزلناه لدلالة ما قبله عليه . قال المبرّد : «لكن تذكرة ؛ أي لكن أنزلناه تذكرة ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا أَثْنَاءَ﴾ [الليل : ١٩-٢٠] ؛ أي لكن فعله ابتغاء وجه ربه»^(٤) .

وقال صاحب النظم : ﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمعنى بل ، المعنى : بل أنزلناه تذكرة»^(٥) . وهذا أضعف الوجوه . ومعنى الآية : أنزلنا القرآن لتذكر به مَنْ يخشى الله ، والتذكرة مصدر كالذكر .

٤. قوله تعالى : ﴿تَنزِيلًا﴾ . قال الزجاج : «المعنى أنزلناه تنزيلاً»^(٦) . فعلى هذا ، ينتصب على المصدر ، وأنزلنا ونزلنا بمعنى واحد ، فهو من باب المصدر على غير الصدر .

-
- (١) معالم التنزيل ٥/٢٦٣ ، والقرطبي ١١/١٦٧ ، والكشف والبيان ٣/١٥ أ .
 (٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٦٨ ، والتفسير الكبير ٣/٢٢ ، وروح المعاني ١٦/١٤٩ ، وتفسير مقاتل ٢ .
 (٣) معاني القرآن للفراء ٢/١٧٤ .
 (٤) ذكره الطبري في تفسيره ٥/٧ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/٣ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن ١/١١٨ ، وروح المعاني ١٦/١٥١ ، وفتح القدير ٣/٥٠٩ .
 (٥) ذكر بلا نسبة في إملاء ما منَّ به الرحمن ١/١١٨ ، والكشاف ٢/٥٢٩ ، والبحر المحيط ٦/٢٢٥ .
 (٦) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٠ .

وقال المبرد : «تنزيلاً بدل من تذكرة»^(١) .

وقال ابن الأنباري : «معناه نزلناه تنزيلاً»^(٢) . فأكد المصدر فعلاً أتى الكلام السابق بتأويله ، كما قال الهذلي^(٣) :

مَا إِنْ يَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا مَنَكَبٌ مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَيِّ الْمَحْمَلِ

نصب طي على المصدر من غير أن يذكر فعله ؛ لأن ما تقدم من الكلام يدل على طوى ، ومثله قول امرئ القيس^(٤) :

وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَيْطِ بَقَاعَهُ نُزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمَحْمَلِ

وقوله تعالى : ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْوَعْلَى﴾ . قال ابن عباس : «أخبر بعظمته وجلاله»^(٥) .

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥ / ٢٧٠ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ٥ ، وروح المعاني ١٦ / ١٥١ .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) البيت لأبي كبير الهذلي .

المَحْمَلُ : محمّل السيف . ويريد الشاعر أنه إذا اضطجع لم يمس الأرض إلا منكبه وحرف ساقه ؛ لأنه خيمص البطن فلا يصيب بطنه الأرض . انظر : شرح أشعار الهذليين ٣ / ١٠٧٤ ، وخزانة الأدب ٨ / ١٩٤ ، وشرح أبيات سيبويه ١ / ٣٢٤ ، وشرح شواهد الإيضاح ١٤٧ ، والشعر والشعراء ٤٤٧ ، والمقاصد النحوية ٣ / ٥٤ .

(٤) البيت لامرئ القيس في معلقته .

الغَيْطُ : أكمة قد انخفض وسطها وارتفع طرفاها ، وسميت غبيطاً تشبيهاً بغبيط البعير ، ويقال : إن صحراء الغبيط هي أرض بني يربوع . والبَعَاعُ : الثقل . ونزول اليماني : نزول التاجر اليماني . والعِيَابُ : جمع عيبة الثياب . انظر : ديوان امرئ القيس ٦٢ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٧١ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٥٩ ، والخصائص لابن جني ٢ / ١٢٦ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : القرطبي ١١ / ١٦٩ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٢٦ ، وأنوار التنزيل ٤ / ١٨ .

قال أبو إسحاق : «العلی جمع العلیا ، كما يقال : الکبری والکبر»^(١) . قال المبرّد : «وهو مثل ظُلْمَة وظُلَم ، ورُكْبَة ورُكَب ، وكذلك العُلّیا والعُلّی ، والدُّنْیا والدُّنْی ، فالألف بحذاء الهاء للتأنيث»^(٢) .

٥ . قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ﴾ . قال الأخفش : «هو الرحمن»^(٣) . [قال المبرّد : ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مرفوع على خبر المبتدأ المضمّر»^(٤) . لأنه لما قال : ﴿تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ بيّنه ، فكأنه قال : هو الرحمن]^(٥) ، كقوله : ﴿بَشِّرِ مَن ذَلِكُمْ النَّارُ﴾ [الحج : ٧٢] المعنى ففي النار .

قوله تعالى : ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ . قال كثير من أهل التأويل : «استوى معناه استولى»^(٦) .

-
- (١) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٥٠ .
 (٢) أورد نحوه بلا نسبة العكبري في إملاء ما من به الرحمن ١ / ١١٨ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٦٩ ، والألوسي في روح المعاني ١٦ / ١٥٢ .
 (٣) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٢٩ .
 (٤) انظر : الكشف ٢ / ٥٢٩ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٢٦ ، وفتح القدير ٣ / ٥٠٩ .
 (٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .
 (٦) تفسير الاستواء بالاستعلاء قول المعتزلة والجهمية والحرورية ، قالوا : إن استوى بمعنى استولى وملك وقهر . قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة عن أصول الديانة ٤٩ : «فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو - عز وجل - مستولٍ على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء . . . لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها . . . لم يجوز أن يكون الاستواء على العرش : الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواء يخص العرش دون الأشياء كلها» . وقال ابن تيمية - رحمه الله - في مجموعة الفتاوى ٥ / ١٤٤ ، في الرد على من فسّر ﴿اسْتَوَى﴾ بـ (استولى) : «ومن تلك الوجوه أنه لم يرد عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم ، بل تفسير حدث من المبتدعة بعدهم ، ثم هو ضعيف لغة» .

وقد بيّنا استقصاء هذا عند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(١) .
[البقرة: ٢٩]

وأخبرني العروضي ، عن الأزهرى ، عن المنذرى قال : «سُئِلَ أحمد بن يحيى عن قول الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ فقال : الاستواء الإقبال على الشيء»^(٢) .

وقال الأخفش : «استوى ؛ أي علا . تقول : استويت فوق الدابة ، وعلى ظهر البيت أي علوته»^(٣) . ونحو هذا قال أبو عبيدة^(٤) . وعلى هذا التفسير معنى الآية : أنه عز وجل علا على العرش بقدرته وقوته ، وخص العرش بالذكر ؛ لأنه أعظم المخلوقات . وعامة السلف أعرضوا عن الكلام في هذه الآية ونظائرها ، وذلك طريقة مالك ، والشافعي ، والأوزاعي ، والثوري رحمهم الله^(٥) .

(١) انظر : تعليق المحقق عليه .

(٢) تهذيب اللغة (سواء) ١٧٩٤ / ٢ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٣١ ، وتهذيب اللغة (سواء) ١٧٩٤ / ٢ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥ / ٢ .

(٥) إن أريد إعراضهم عن معانيها ؛ فهذا قول المفوضة لا قول أهل السُّنة ، فإن أهل السُّنة يثبتون الأسماء والمعاني والصفات الثابتة اللاتقة بالله عز وجل ، وأمّا الإعراض في آيات الصفات فإنها يكون للكيفية فهي التي لا يعلمها إلا الله تعالى ، ومثل هذا يقال في معنى الاستواء ، فالمنهج السوي أن نثبت لله ما أثبتته لنفسه ، فهو - سبحانه - مستوٍ على عرشه عالٍ على خلقه ، ولا يلزم لهذا أي لازم باطل مما يلزم لاستواء المخلوقين . قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٢ / ٢٢٠ : «وللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق بن راهوية وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو : إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل فإن الله لا يشبه شيئاً من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾» . انظر : الإبانة عن أصول الديانة ٤٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٣١٣ ، والرسالة التدمرية ٨١ ، ومجمع فتاوى شيخ الإسلام لابن تيمية ٩٥ / ٥ ، وأضواء البيان ٣١٦ / ٢ .

٦. قوله تعالى : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية ، تأويلها أنه مالك كل شيء ومدبره . وقوله تعالى : ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ قال المبرد : «يعني الهواء»^(١) . ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ الثرى في اللغة معناه : التراب الندي ، وَثَرَيْتُ التربة ؛ بللتها ، ويقال : ثَرَيْتُ الْأَرْضَ ثَرَى فهي ثَرِيَّةٌ ؛ إذا ابتل تراها بعد الجدوبة ، وَأَثَرْتُ فهي ثَرِيَّةٌ ؛ إذا كثر ثراها ، ويقال : أرض ثَرِيَّةٌ ؛ أي ذات ثَرَى ، وَالثَرَى يستعمل في أشياء كثيرة يقال : قد بدا ثَرَى الماء من الفرس ، وهو حين يندى بعرقه^(٢) .

وقال ابن الأعرابي : «يقال : فلان قريب الثَرَى بعيد التَّبَطُّ ، للذي يعد ولا وفاء له»^(٣) . ويقال : إني لأَرَى ثَرَى الغضب في وجه فلان ؛ أي أثره ، ومنه قول الشاعر^(٤) :

وَإِنِّي لَتَرَأُكَ الضَّغِينَةَ قَدْ أَرَى ثَرَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَمَا أُسْتَشِيرُهَا

ويقال : الثَرَى بيني وبين فلان ند ، إذا لم ينقطع ما بينك وبينه ، ومنه^(٥) قول جرير^(٦) :

فَلَا تُؤْبِسُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الثَّرَى فَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مُثْرَى

(١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : التفسير الكبير ٨/٢٢ ، ومجمع البيان ٥/٧ ، وروح المعاني ١٦١/١٦ ، قال : ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الموجودات الكائنة في الجو كالهواء ، والسحاب ، وخلق لا نعلمهم ، هو - سبحانه - يعلمهم .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (ثرا) ٤٧٨/١ ، والصحاح (ثرا) ٢٢٩١/٦ ، واللسان (ثرا) ٤٧٩/١ ، والمعجم الوسيط (ثرى) ٩٥/١ ، ومختار الصحاح (ثرى) ٨٣ .

(٣) تهذيب اللغة (ثرا) ٤٧٩/١ ، ولسان العرب (ثرا) ٤٧٩/١ .

(٤) نسبته في الأغاني إلى شبيب بن البرصاء ، وذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (ثرى) ٤٧٩/١ ، ولسان العرب (ثرا) ٤٧٩/١ .

(٥) قول : (ومنه) : ساقط من نسخة (ص) .

(٦) البيت لجرير . انظر : ديوانه ٢١٣ ، والصحاح (ثرى) ٢٢٩٣/٦ ، ولسان العرب (ثرا) ٤٨٠/١ .

والمفسرون يقولون في (الثرى) في هذه الآية : أراد الثرى الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض ، ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله عز وجل^(١) .

٧ . قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ . اختلفوا في وجه هذا

النظم ، ومعنى الآية . وكان من حق المقابلة أن يقول : وإن أسررت

القول فإنه يعلم السر .

فقال المفضل : ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ﴾ ؛ أي ترفع صوتك بالقراءة ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ، فلا تجهد نفسك بالمبالغة في رفع الصوت ؛ فإنك ، وإن لم تجهر [به وأسررت ، علم ذلك السر]^(٢) .

وقال صاحب النظم : «معناه وإن تجهر بالقول فتظهره»^(٣) فهو يعلم السر وأخفى منه ، فكيف الجهر ؟^(٤) . وذكر وجهاً آخر ، وهو أن يكون في الكلام اختصار على معنى : وإن تجهر بالقول ، أو لم تجهر فهو يعلم السر وأخفى منه . أي فما حاجتك إلى الجهر ؛ أي إن في غير الجهر كفاية لك .

(١) الكشف والبيان ٣/ ١٥ أ ، و بحر العلوم ٢/ ٣٣٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٤ ، ومعالم التنزيل

٥/ ٢٦٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٩ . ذكر ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٣/ ١٥٧ بعض هذه الروايات وضعفها ، وقال : «غريبة جداً ، ورفعها فيه نظر» .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : زاد المسير ٥/ ٢٧٠ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٨ ، والفتوحات الإلهية ٣/ ٨٢ ، ومجمع البيان ٧/ ٦ ، وفتح القدير ٣/ ٥١٠ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٦ ، وروح المعاني ١٦/ ١٦٢ .

فأما معنى : «السر وأخفى» . قال ابن عباس في ما روى عنه سعيد بن جبیر :
«السر ما علمت أنت مما أسررت في نفسك ، وأخفى من السر ما لم يكن بعد وهو
كائن»^(١) .

وقال في رواية الوالبي : «السر : ما أسر ابن آدم في نفسه ، وأخفى : ما خفي
على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه ، والله يعلم ذلك كله ، فيعلمه في ما مضى من
ذلك وما بقي علم واحد»^(٢) . وهو قول مجاهد ، وقتادة ، وسفيان ، والضحاك ،
وسعيد بن جبیر^(٣) . وأكثرهم قالوا : «السر : ما أسره في نفسه ، وأخفى : ما لم
يحدث به نفسه مما يكون في غد»^(٤) .

وقال عكرمة : «السر : ما حدث به الرجل أهله ، وأخفى : ما تكلمت به في
نفسك»^(٥) .

(١) جامع البيان ١٦ / ١٤٠ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٦٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧٠ ، والدر المنثور ٥١٩ / ٤ .

(٢) معالم التنزيل ٥ / ٢٦٤ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٨ ، والدر المنثور ٤ / ٥١٨ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢ / ١٤ ، وجامع البيان ١٦ / ١٤٠ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٤ ، والكشف والبيان ٣ / ١٥ ب .

(٤) جامع البيان ١٦ / ١٤٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٤ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧٠ ، والدر المنثور ٤ / ٥١٩ .

(٥) جامع البيان ١٦ / ١٣٩ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٦ ، والكشف والبيان ٣ / ١٥ ب .

وهذا قول الحسن^(١). وعلى هذا، المراد: وأخفى منه، إلا أنه حذف منه للعلم به. قال المفضل: «ومثله قول القائل: الله أكبر، معناه: أكبر من كل شيء»^(٢). وأنشد قول الفرزدق^(٣):

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

معناه: أعز وأطول من دعائم بيتك، فحذفه للعلم به.

قال المبرد: «لم يقل: وأخفى منه؛ لأنه قد ذكر السرفبان ما يتصل بأخفى، كقولك: فلان كالفيل أو أعظم، والعرب تحذف ما لا يبطل المعنى استخفافاً واختصاراً، ألا تراهم يقولون: أزيد أفضل أم عمرو؟ وتما الكلام: أزيد أفضل من عمرو أم عمرو أفضل من زيد؟»^(٤).

وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾: «يعلم أسرار العباد، وأخفى سره عنهم فلا يعلم»^(٥). فعلى هذا، لا يحتاج إلى تقدير محذوف؛ لأن أخفى، على هذا القول، أفعل من الإخفاء. وعلى القول الأول أفعل من الخفاء، والألف للتفضيل.

(١) معالم التنزيل ٥/٢٦٤، والكشف والبيان ٣/١٥ ب، والدر المنثور ٤/٥١٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) البيت للفرزدق. انظر: ديوانه ٢/١٥٥، والأشباه والنظائر ٦/٥٠، وخزانة الأدب ٦/٥٣٩، وشرح المفصل ٦/٩٧، والمقاصد النحوية ٤/٤٢، ولسان العرب (كبر) ٦/٣٨٠٨.

(٤) ذكره نحوه من دون نسبة الطبرسي في مجمع البيان ٦/٧.

(٥) جامع البيان ١٦/١٤٠، والنكت والعيون ٣/٣٩٤، ومعالم التنزيل ٤/٢٦٤، وزاد المسير ٥/٢٧١.

وذهب قوم إلى أن (أخفى) هاهنا بمعنى الخفي ، وأفعل يأتي في الكلام ولا يراد به التفضيل . كقول الشاعر :

تَمَنَّيَ رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ^(١)

أي بواحد . وقيل في بيت الفرزدق : إن قوله : أعز وأطول ؛ بمعنى : عزيزة طويلة ، وهذا قول أبي عبيدة^(٢) . قال ابن الأنباري : «وهذا القول يخالف الآثار ، ويبعد متناوله عند أهل النحو ، إذ ترتيب أفعل أن لا يعرى من التزيد حتى يقوم بذلك دليل عند الاضطرار والبناء على الأحرف ، والأشهر عند أهل الأثر أوجب»^(٣) . والأولى من هذه الأقاويل ما عليه المفسرون^(٤) .

٨. قوله تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ . قال المبرّد : «يجوز أن يكون ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ابتداء ، وخبره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، ويجوز أن تكون خبر ابتداء على تقدير : هو الله لا إله إلا هو ، نعت»^(٥) . والمعنى : لا معبود يستحق

(١) البيت لطرفة بن العبد . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٤٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦ / ٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧٠ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦ / ٢ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشف ١٦٢ / ٢ ، والمحزر الوجيز ١٠ / ٦ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٢٧ .

(٤) قال الطبري - رحمه الله - في تفسيره ١٦ / ١٤٠ : «والصواب من القول في ذلك قول من قال : معناه يعلم السر وأخفى من السر ؛ لأن ذلك هو الظاهر من الكلام ، ولو كان معنى ذلك ما تأوله ابن زيد لكان الكلام وأخفى الله سره ، لأن أخفى فعل واقع متعد إذ كان بمعنى فعل ، على ما تأوله ابن زيد ، وفي انفراد أخفى من مفعوله والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعل وأن تأويل الكلام : فإنه يعلم السر وأخفى منه ، فإذا كان ذلك تأويله ، فالصواب من القول في معنى (أخفى) من السر أن يقال : هو ما علم الله مما أخفى عن العباد ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن» . انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٨ / ٢ ، وغريب القرآن لعبدالله بن المبارك ٢٤٣ ، والمحزر الوجيز ١٦ / ٦ .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٣٢ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٢٧ ، وروح المعاني ١٦ / ١٦٤ ، والفتوحات الإلهية ٣ / ٨٢ .

العبادة غيره . ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ؛ يعني : التسعة والتسعين التي ورد بها الخبر^(١) . والحسنى تأنيث الأحسن ، كالكبرى والعليا ، ووحدت الحسنى والأسماء جمع ؛ لأنها مؤنثة والجماعة توصف بصفة المؤنث الواحد كقوله : ﴿حَدَائِقُ ذَاتِ بَهْجَةٍ﴾ [النمل : ٦٠] ، و﴿مَثَارِبُ أُخْرَى﴾ [طه : ١٨] ، كأنها اسم واحد للجميع^(٢) .

٩ . قوله تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ . روى سلمة عن الفرّاء : «هل^(٣) تكون جحداً ، وتكون خبراً ، قال : وقول الله تعالى : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان : ١] ، من الخبر معناه قد أتى ، قال : والجحد أن يقول : وهل يقدر أحد على مثل هذا ؟ قال : ومن الخبر قولك للرجل : هل وعظمتك ؟ هل أعطيتك ؟ تقرره بأنك قد وعظته وأعطيته»^(٤) .

(١) وهو ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة» . أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب الله - عز وجل - مائة اسم غير واحد ٨ / ١٦٩ ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب في أسماء الله - تعالى - ٤ / ٢٠٦٢ . والحديث الذي فيه ذكر الأسماء أخرجه ابن ماجه ٢ / ١٢٦٩ ، والحاكم في المستدرک ١ / ١٦ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١٥ ، والترمذي ٥ / ٥٣٠ ، وقال : «هذا حديث غريب ، وذكر الأسماء ليس له إسناد صحيح» .

وقال ابن تيمية - رحمه الله - في الفتاوى ٦ / ٣٧٩ : «وتعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ولم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ» .

وقال النووي في شرح مسلم ١٧ / ٧ : «اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث : أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصرها» . انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢ / ٨٠٢ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ٣٦ ، والقواعد المثلث للشيوخ محمد بن عثيمين ١٣ .

(٢) الكشف ٢ / ٥٣٠ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٢٧ ، وروح المعاني ١٦ / ١٦٥ .

(٣) في (س) : (هل قد تكون) .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢١٣ .

فعلى هذا ، قوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾ استفهام يراد به التقرير والخبر ؛ أي وقد أتاك حديث موسى .

وقال الكلبي : « لم يكن آتاه حديثه ، ثم أخبره »^(١) . والصحيح أنه استفهام تقرير بمعنى الخبر^(٢) . وعلى هذا فسر ه ابن عباس ، فقال : « يريد وقد أتاك »^(٣) .

قال أهل المعاني : « معنى ذكر قصة موسى - عليه السلام - هاهنا تسليية للنبي ﷺ مما ناله من أذى قومه ، وتثبيت بالصبر على ذلك ، كما صبر أخوه موسى حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة »^(٤) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا ﴾ . قال وهب : « استأذن موسى عليه السلام شعبياً^(٥) بالرجوع إلى والديه فأذن له ، فخرج بأهله فولد له ابن في الطريق في ليلة شاتية مثلجة ، وقد حاد عن الطريق فقدح موسى النار فلم تنور المقدحة شيئاً ، فبينما هو في مزاولته ذلك أبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق ، فذلك قوله : ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا ﴾ »^(٦) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٧١ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ١٤ .

(٢) معالم التنزيل ٥ / ٢٦٤ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٢٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٧١ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ١٤ ، وذكره البغوي في تفسيره ٥ / ٢٦٤ من دون نسبة .

(٤) الكشف ٢ / ٥٣١ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٢٩ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ١٤ ، وروح المعاني ١٦ / ١٦٤ .

(٥) لم يرد دليل صحيح في أن الذي صاهره موسى - عليه السلام - هو نبي الله شعيب ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة في ذلك شيء ، وقد توسّع شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على من يقول بذلك القول في رسالة جميعها في ذلك ضمن جامع الرسائل ١ / ٦٣ ، قال فيها : « وإن كان الثعلبي قد ذكر أنه شعيب النبي ، فقد قال ما ليس له به علم ، وما لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عمن يحتج بقوله من علماء المسلمين ، وخالف في ذلك ما ثبت عن ابن عباس والحسن البصري مع مخالفته أيضاً لأهل الكتاب فإنهم متفقون على أنه ليس هو شعيب النبي ، فإن في التوراة عند اليهود والإنجيل الذي عند النصارى أن اسمه : (يرون) وليس لشعيب النبي عندهم ذكر في التوراة » .

(٦) جامع البيان ١٦ / ١٤٢ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧١ ، والكشف والبيان ٣ / ١٦ أ ، والدر المنثور ٤ / ٥١٩ .

وقال عطاء عن ابن عباس : «كان موسى رجلاً غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته ، فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة فرأى ناراً من بعيد»^(١) ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يريد امرأته بنت شعيب : ﴿أَمْكُثُوا﴾ ؛ أقيموا مكانكم ، الخطاب لامرأته ، ولكنه خرج على ظاهر لفظ الأهل ، فإن الأهل يقع على الجماعة كما يقال : أهل البيت^(٢) .

﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا﴾ . قال المبرّد : «ويقول الذي يبصر الشيء من بعيد مما تسكن إليه نفسه : آنست كذا ؛ أي رأيته لي أنساً ، ويقال : أنس الطائر إذا كان مما يصيد فرأى صيداً»^(٣) .

قال العجاج^(٤) :

أَنْسَ خِرْبَانَ فَضَاءٍ فَأَنْكَدَرَ

وذكرنا هذا الحرف عند قوله : ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ زُجُجًا﴾ [النساء : ٦] ، والأصل فيه ما ذكره المبرّد . والمفسرون يقولون : «رأيت وأبصرت»^(٥) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧١ ، وذكره نحوه البغوي في تفسيره ٥ / ٢٦٥ من دون نسبة ، وابن عطية في تفسيره ١٠ / ٧ .

(٢) انظر : (و(أهل) في تهذيب اللغة ١ / ٢٢٧ ، والصحاح ٤ / ١٦٢٨ ، والقاموس المحيط ٩٦٣ .

(٣) ذكر بلا نسبة في تهذيب اللغة (أنس) ١ / ٢١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧٢ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٣٠ .

(٤) البيت للعجاج .

الخِرْبُ : ذكر الحبارى ، وقيل : هو الحبارى كلها . انظر : ديوانه ١٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٨٧ .

(٥) النكت والعيون ٣ / ٣٩٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٦٥ ، والمحزر الوجيز ١٠ / ٨ ، والكشاف ٢ / ٥٣١ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧٢ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ . القبس : شعلة من نار يقتبسها من معظم النار^(١) .

قال أبو زيد : «أقبست الرجل علماً ، بالألف ، وقبسته ناراً إذا جئته بها ، فإن كان طلبها قال : أقبسته ، بالألف»^(٢) .

وقال الكسائي : «أقبسته ناراً وعلماً سواء ، وقد يجوز طرح الألف منهما»^(٣) . قال المبرد : «والأصل واحد ؛ لأن كلاهما مستضاء به»^(٤) .

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ . قال ابن عباس : «مَنْ يدل على الطريق»^(٥) . وقال مجاهد : «هادياً يهدي إلى الطريق»^(٦) .

قال الفرّاء : «أراد : هادياً ، فذكره بلفظ المصدر»^(٧) .

قال الزّجاج : «رجاء أن يجد عند النار مَنْ يهديه للطريق»^(٨) . لأن النار لا تخلو من أهل لها ، وناس عندها . قاله السّدي^(٩) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (قبس) ٢٨٧١ / ٣ ، ومقاييس اللغة ٤٨ / ٥ ، والصاحح ٩٦٠ / ٣ ، ولسان العرب ٣٥١٠ / ٦ .

(٢) تهذيب اللغة (قبس) ٢٨٧١ / ٣ .

(٣) تهذيب اللغة (قبس) ٢٨٧١ / ٣ ، ولسان العرب (قبس) ٣٥١٠ / ٦ .

(٤) انظر : الفتوحات الإلهية ٨٣ / ٣ ، وفتح القدير ٥١١ / ٣ .

(٥) جامع البيان ١٦ / ١٤٢ ، وتفسير القرآن العظيم ١٥٩ / ٣ ، والدر المنثور ٥١٩ / ٤ .

(٦) جامع البيان ١٦ / ١٤٣ ، والدر المنثور ٥١٩ / ٤ .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ١٧٥ / ٢ .

(٨) معاني القرآن للزّجاج ٣٥١ / ٣ .

(٩) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف ٥٣١ / ٢ ، وزاد المسير ٢٧٢ / ٥ ، والتفسير الكبير ١٥ / ٢٢ ، ومجمع البيان ١٠ / ٧ ، وروح المعاني ٣٦٩ / ٥ .

١١. قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنبَأَهَا ﴾ قال ابن عباس : «لما توجه نحو النار فإذا النار في شجرة عناب ، فوقف متعجباً من حسن ضوء تلك النار ، وشدة خضرة تلك الشجرة فلا شدة حر النار تغير حسن خضرة الشجرة ، ولا كثرة ماء الشجرة تغير حسن ضوء النار ، فسمع النداء من الشجرة ﴿يُمُوسَى﴾»^(١).

قال نوف^(٢) : «فلما سمع النداء قال : مَنْ أنت الذي تناديني وتدعوني ؟ قال : أنا ربك الأعلى ، فذلك قوله : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾»^(٣). وقرئ : (أَيُّ) بالفتح^(٤).

قال الزجاج : «مَنْ فتح كان المعنى نودي أي أنا ربك . وموضع أن نصب ، وَمَنْ كسر فالمعنى : نودي ، فقال الله له : إني ربك» ، هذا كلامه^(٥) . وشرحه أبو علي فقال : «مَنْ كسر ؛ فلأن هذا الكلام حكاية ، كأنه نودي ف قيل : يا موسى إني

(١) بحر العلوم ٣٣٧/٢ ، ومعالم التنزيل ٥١١/٥ ، والقرطبي ١٧٢/١١ . قال الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٢٩٣/٤ : «والنداء المذكور في جميع الآيات المذكورة نداء الله له ، فهو كلام الله أسمع نبيه موسى ، ولا يعقل أنه كلام مخلوق ولا كلام خلقه الله في مخلوق كما يزعم بعض الملاحدة الجهلة ، فالله هو المتكلم بذلك صراحة لا تحتل غير ذلك كما هو معلوم عند من له أدنى معرفة بدين الإسلام» . وقال ابن تيمية - رحمه الله - في العقيدة الواسطية ٣٥ : «قول أهل السنة في كلام الله أنه صفة من صفاته لم يزل ولا يزال يتكلم بكلام حقيقي بصوت لا يشبه أصوات المخلوقين وحروف يتكلم بها شاء ، ومتى ما شاء ، وكيف شاء ، وأدلتهم على ذلك كثيرة» . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١٧٢/١ ، والفتاوى لابن تيمية ٥٢/٥ .

(٢) قوله : (قال نوف) : ساقط من نسخة (س) .

(٣) أنوار التنزيل ١٩/٤ ، والفتوحات الإلهية ٨٤/٣ .

(٤) قرأ ابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصري (أَيُّ) بفتح الألف والياء ، وقرأ عاصم ، وحزمة ، والكسائي ، ونافع ﴿إِنِّي﴾ بكسر الألف . انظر : السبعة ٤١٧ ، الحجة للقراء السبعة ٢١٨/٥ ، والمبسوط : في القراءات ٢٤٧ ، والتبصرة ٢٥٨ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٥١/٣ .

أنا ربك . ومن فتح كان المعنى : نودي بكذا . ونادى قد يوصل بحرف الجر^(١) .
قال^(٢) :

نَادَيْتُ بِاسْمِ رَبِّيعَةَ بْنِ مُكْدَمٍ أَنَّ الْمُنَوَّهَ بِاسْمِهِ الْمَوْثُوقُ
١٢ . وقوله تعالى : ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ . الخلع : النزع ، يقال : خلع ثوبه
خلعاً^(٣) . والنعل : ما جعلته وقاية لقدميك من الأرض ، يقال : نَعَلَ ،
يَنْعَلُ ، فهو نَاعِلٌ ، وانتَعَلَ بكذا^(٤) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٢١٨/٥ .

(٢) البيت للفرزدق يمدح فيه حمزة بن عبد الله بن الزبير كما في أخباره في الأغاني ، وذكرته كتب التفسير
واللغة من دون نسبة . انظر : الحجة للقراء السبعة ٢١٨/٥ ، والمحزر الوجيز ٩/١٠ ، والبحر المحيط
٦/٢٣٠ ، وخزانة الأدب ٢/٥٢١ ، وإيضاح الشعر للفارسي ٤٢٩ ، ومجمع البيان ٧/٧ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (خلع) ١/١٠٨٤ ، ومقاييس اللغة ٢/٢٠٩ ، والصحاح ٣/١٢٠٥ ، ومختار
الصحاح ٧٨ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (نعل) ٤/٣٦١٤ ، والقاموس المحيط ١٠٦٣ ، ولسان العرب ٧/٤٤٧٧ ،
والفردات في غريب القرآن ٤٤٩ .

واختلفوا لم أمر بخلع النعل ، فروى ابن مسعود عن النبي ﷺ في هذه الآية قال : «كانتا من جلد حمار ميت»^(١) . وهو [قول علي رضي الله عنه ، وسفيان ، وكعب والأكثرين]^(٢) .

قال الكلبي : «كانت نعلًا ، فقليل»^(٣) له : لا تدخل الوادي وهما عليك»^(٤) .

وقال ابن عباس : «يريد : باشر الأرض بقدميك فإنك بوادٍ مقدس»^(٥) .

(١) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب اللباس ، باب ما جاء في لبس الصوف ٢٤٠ / ٧ ، وقال : «حديث غريب ، وحيد هو ابن علي الكوفي . . . منكر الحديث» ، وأخرجه مالك في الموطأ ، في ما جاء في الانتعال ٧٩٥ موقوفاً على كعب الأحبار ، وذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦٨٨ / ٢ في ترجمة حميد الأعرج ، وابن جرير في تفسيره ١٤٤ / ١٦ ، وقال : «في إسناده نظر يجب الثبوت فيه» ، والذهبي في ميزان الاعتدال ١ / ٦١٤ في ترجمة حميد الأعرج ، والحاكم في المستدرک ٣٧٩ / ٢ وصححه ، وقال الذهبي : «في الإسناد حميد بن قيس كذا وهو خطأ ، إنما هو حميد الأعرج الكوفي أحد المتروكين» . وأورده ابن حجر في الكافي ١٠٨ ، والبغوي في معالم التنزيل ٢٦٦ / ٥ ، وابن كثير في تفسيره ١٥٩ / ٣ ، والسيوطي في تفسيره ٥٢٢ / ٤ . وسبب إعلال العلماء لسند هذا الحديث وجود حميد الأعرج ؛ فقد ضَعَفَهُ جمهور العلماء . انظر : الجرح والتعديل ٢٢٦ / ٣ ، والكامل لابن عدي ٦٨٨ / ٢ ، وميزان الاعتدال ١ / ٦١٤ ، وتهذيب التهذيب ٥٣ / ٣ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ١ / ١٤ ، وجامع البيان ١٦ / ١٤٤ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٦ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٩ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحو من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣ / ١٦ ب ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٧ ، والكشاف ٢ / ٥٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧٣ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ١٧ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٤٤ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٦٦ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧٣ .

وقال الحسن : «كانتا من جلد بقرة ذكية ، ولكنه أمر بخلعها ليباشر تراب الأرض المقدسة فينالها بركتها»^(١) . وهذا قول سعيد بن جبير ، وقتادة ، ومجاهد ، وابن جريج^(٢) .

قال ابن أبي نجيح : «يقول : أفض بقديمك إلى بركة الوادي»^{(٣)(٤)} .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ ؛ أي المطهر^(٥) . قال ابن عباس في رواية عطاء : «قدسته مرتين»^(٦) . وهو قول عكرمة^(٧) .

-
- (١) جامع البيان ١٦ / ١٤٤ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٧٣ .
- (٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢ / ١٤ ، وجامع البيان ١٦ / ١٤٤ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٦٦ .
- (٣) جامع البيان ١٦ / ١٤٤ .
- (٤) قال الطبري في تفسيره ١٦ / ١٤٤ : «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : أمره الله - تعالى - بخلع نعليه ليباشر بقديمه بركة الوادي إذ كان وادياً مقدساً ، وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلين بالصواب ؛ لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعها من أجل أنها من جلد حمار ، ولا لنجاستها ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة ، وإن قوله : ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ يعقبه دليل واضح على أنه إنما أمره بخلعها لما ذكرنا ، ولو كان الخبر الذي روي عن ابن مسعود صحيحاً لم نعهده إلى غيره ، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه» . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤ / ١٩٢ : «وأظهرها عندي و - الله تعالى أعلم - أن الله أمره بخلع نعليه ؛ أي نزعها من قدميه ليعلمه التواضع لربه حين ناداه ، فإن نداء الله لعبده أمر عظيم يستوجب من العبد كمال التواضع والخضوع ، والله أعلم» .
- (٥) جامع البيان ١٦ / ١٤٥ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٧ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٦ ، والمحزر الوجيز ١٠ / ١٠ .
- (٦) النكت والعيون ٣ / ٣٩٦ .
- (٧) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣ / ١٦ ب ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٦ ، وجامع البيان ١٦ / ١٤٥ ، ومعالم التنزيل ٣ / ٢١٣ ، والمحزر الوجيز ١٠ / ١٠ ، والكشاف ٢ / ٥٣١ .

وقال في رواية الوالبي: «المقدس المبارك»^(١). وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿طُوى﴾ قال ابن عباس: «هو اسم الوادي»^(٢). وهو قول جميع المفسرين^(٣). وقال الحسن: «أي طوى بالبركة مرتين»^(٤). فعلى هذا، (طوى) مصدر من قولك: طويته طوى. قال عدي بن زيد^(٥):

أَعَاذِلُ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طُوى مِنْ غَيِّكَ الْمَتَرَدِّدِ
أَرَادَ إِنْ لَوْمَكَ مَكْرَرٍ عَلَيَّ، وَالصَّحِيحُ هُوَ الْأَوَّلُ.

قال أبو إسحاق: «ويجوز فيه أربعة أوجه، يعني من القراءة: ضم الطاء، وكسرها، والإجراء، وترك الإجراء»^(٦)، فَمَنْ أَجْرَى فَلأنه مذكر سُمِّيَ بمذكر على فَعَل نحو: حُطِمَ وَصُرِدَ، وَمَنْ لَمْ يَجِرْ تَرَكَ صَرْفَهُ مِنْ جِهَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْدُولاً عَنْ طَاءٍ، فَيَصِيرُ مِثْلَ عُمَرَ. وَالْأُخْرَى: أَنْ يَكُونَ اسماً لِلْبَقْعَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠].

-
- (١) جامع البيان ١٦/١٤٥، والنكت والعيون ٣/٣٩٦.
 - (٢) جامع البيان ١٦/١٤٥، وزاد المسير ٥/٢٧٣، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٩، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٧٥، والدر المنثور ٤/٥٢٣.
 - (٣) جامع البيان ١٦/١٤٥، وتفسير ابن كثير ٣/١٥٩، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٧٥.
 - (٤) جامع البيان ١٦/١٤٥، والنكت والعيون ٣/٣٩٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٧٥، والدر المنثور ٤/٥٢٣.
 - (٥) البيت لعدي بن زيد التميمي. انظر: جامع البيان ١٦/١٤٥، وزاد المسير ٥/٢٧٣، ومجمع البيان ٩/٧، وروح المعاني ١٦/١٧٠، ولسان العرب (طوى) ٥/٢٧٣٠.
 - (٦) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو (طوى) غير مجرة مضمومة الطاء، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي (طوى) مجرة مضمومة الطاء، وقرأ الأعمش، والحسن (طوى) بكسر الطاء. انظر: السبعة ٤١٧، والحجة للقرء السبعة ٥/٢١٩، والعنوان في القراءات ١٢٩، والنشر ٢/٣١٩، والقراءات الشاذة للقاضي ٦٦.

قال : وإذا كُسِرَ طوى فهو مثل : معى ، وضلع . ومن لم ينون جعله اسماً للبقعة ، هذا كلامه ^(١) .

وقال أبو علي : «الصرف من وجهين ؛ أحدهما : أن يجعل اسم الوادي فيصرف ، لأنه مذكر سُمِّيَ بمذكر . والوجه الآخر : أن يجعل طوى صفة ، وذلك في قول مَنْ قال : إنه قُدس مرتين ، فيكون طوى كقولك : ثنى ، ويكون صفة كقوله : ﴿مَكَانًا سَوًى﴾ [طه : ٥٨] ، وقومٌ عدى ، وجاء في (طوى) الضم والكسر ، ما جاء في قوله : (مكان سوى) الكسر والضم ، وكذلك يقال : ثنى وثنى . قال : ومن لم يصرّف احتمل أمرين ؛ أحدهما : أن يكون (طوى) اسماً لبقعة أو أرض وهو مذكر ، فهو بمنزلة امرأة أسميتها باسم مذكر فيجتمع التعريف والتأنيث . والثاني : أن يكون معدولاً كعمر ، فإن قلت : إن عمر معدول عن عامر ، وهذا الاسم لا يعرف عمَّ عدل ، فإنه لا يمتنع العدل عما لم يخرجوه إلى الاستعمال ، ألا ترى أن جُمع وكُتِع معدولتان عما لم يستعملا ، فكذلك يكون طوى» ^(٢) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ . قال الكلبي : «أنا اخترتك برسالتني لكي تقوم بأمرى» ^(٣) . ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ ؛ أي اعمل بما أمرك به وأنهاك عنه .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥١ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٩ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٦٧ ، والكشاف ٢/ ٥٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٦ ، وروح المعاني ١٦/ ١٧٠١ ، وفتح القدير ٣/ ٥١٢ .

١٤ . وقوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فيه وجهان : أحدهما - وهو الذي عليه العامة - أن معناه أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة ، كنت في وقتها أو لم تكن^(١) .

وهذا المعنى ما روي أن النبي ﷺ قال : «مَنْ نسي صلاة ، أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها ، إن الله عز وجل يقول : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾»^(٢) .

والثاني : معناه أقم الصلاة لأن تذكرني ؛ لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله . وهذا قول الحسن^(٣) .

ومجاهد قال : «إذا صلى عبد ذكر ربه»^(٤) . واختاره ابن قتيبة فقال : «لتذكرني فيها»^(٥) .

(١) جامع البيان ١٦/ ١١٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٦٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت ، باب مَنْ نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ٢/ ٧٠ ، ومسلم في كتاب المساجد ، باب قضاء الصلاة الفائتة ١/ ٤٧٧ ، والترمذي في كتاب الصلاة ١/ ١١٤ ، وأبو داود في كتاب الصلاة ١/ ٢٥٠ ، والطبري في جامع البيان ١٦/ ١٤٨ ، والصنعاني في تفسيره ١/ ١٥ ، والإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٠٠ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٤٨ ، والمحرم الوجيز ١٠/ ١١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧ ، والكشاف ٢/ ٥٣٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٧ ، والتفسير القيم ٣٥٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٤٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٤ .

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢/ ٨ .

١٥ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ . قال أكثر المفسرين : «أخفيها من نفسي» ، وهذا قول سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعطاء بن السائب^(١) . وهذا التفسير موافق لما روي : أن في مصحف أبي : (أكاد أخفيها من نفسي)^(٢) فكيف يعلمها مخلوق ، وفي بعض القراءات : (أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها)^(٣) .

قال أبو إسحاق : «والله أعلم بحقيقة هذا التفسير»^(٤) . وكأنه لم يعلم (معنى)^(٥) هذا ، وعلمه قطرب ، والمبرد ، وابن الأنباري ، قال قطرب : «هذا على عادة مخاطبة العرب بعضهم بعضاً ، إذا بالغوا في كتمان السر : كتمته حتى من نفسي ، والمعنى لم أطلع عليه أحداً»^(٦) . وأنشد^(٧) :

أَيَّامَ تَصْحَبْنِي هِنْدٌ وَأَخْبَرُهَا مَا أَكْتُمُ النَّفْسَ مِنْ حَاجِي وَأَسْرَارِي
أَيَّ أَخْبَرُهَا بَمَا لَا أَطْلَعُ عَلَيْهِ أَحَدًا ، هذا معناه .

(١) جامع البيان ١٦ / ١٤٩ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٨ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٧ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٦٧ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧٥ .

(٢) بحر العلوم ٢ / ٣٣٨ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٧ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٦٧ ، والكشاف ٢ / ٥٣٢ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧٦ .

(٣) معالم التنزيل ٥ / ٢٦٧ ، والكشاف ٢ / ٥٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٨٥ ، والكشف والبيان ٣ / ١٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٥٢ .

(٥) زيادة من (ص) .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥ / ٢٧٦ ، والقرطبي ١١ / ١٨٥ .

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ١٦ ب من دون نسبة ، وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٨٥ ، وذكر في البحر المحيط ٦ / ٢٣٣ من دون نسبة بلفظ :

أَيَّامَ تَصْحَبْنِي هِنْدٌ وَأَخْبَرُهَا مَا كَدْتُ أَكْتُمُهُ عَنِّي مِنَ الْخَيْرِ

وقال المبرّد : « هذا مستعمل في الكلام وجارٍ على الأفواه أن يقول القائل إذا أراد أن يستر شيئاً سترّاً شديداً : أنا أسر هذا من نفسي ، وأكاد أسره من نفسي ؛ أي أقارب ذلك ، فيأتي على جهة المثل ، وعلى المبالغة في ستر الشيء » ، هذا كلامه ^(١) . وعلى هذا معنى الآية : أن الله - تعالى - بالغ في إخفاء الساعة ، فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب في مثله . وهذا موافق لما قال ابن عباس في تفسيره : « قد أخفيها من الملائكة ؛ يقول : لا أظهر عليها أحداً » . قاله في رواية سعيد بن جبير والوالبي ^(٢) .

والمعنى : أنه لم يطلع على وقت قيام الساعة ملكاً مقرباً ، ولا نبياً ، حتى لو جاز أن يخفيه عن نفسه أخفاها .

قال ابن الأنباري : « والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف ؛ لأن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت » ^(٣) . هذا معنى قول المفسرين في هذه الآية ^(٤) . وكاد - على قولهم - للمقاربة .

ولأهل المعنى وجوه من التأويل ، قال ابن الأنباري وهو قول الأخفش : « أَكَادُ أَخْفِيَا » : أريد أخفيها ^(٥) .

وعلى هذا « أَكَادُ » لا يكون للمقاربة ، ولا يحتاج أن يقال : من نفسي ، يقول الله تعالى : أريد إخفاء الساعة .

(١) ذكرته كتب التفسير . انظر : زاد المسير ٢٧٦/٥ ، والبحر المحيط ٢٣٣/٦ ، وجامع البيان ١١/٧ ، وفتح القدير ٥١٣/٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٦٠/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨٥/١١ ، والدر المنثور ٥٢٥/٤ .

(٣) ذكرته كتب التفسير . انظر : المحرر الوجيز ١٥/١٠ ، وزاد المسير ٢٧٦/٥ ، والبحر المحيط ٢٣٣/٦ .

(٤) جامع البيان ١٦٩/١٦ ، والنكت والعيون ٣٩٧/٣ ، والمحرر الوجيز ٥/١٠ .

(٥) والأضداد لابن الأنباري : ص ٩٧ .

قال أبو بكر : « ويجوز أن يكون ﴿ أَكَادُ ﴾ مزيداً للتوكيد فيكون المعنى : أن الساعة آتية أخفيها»^(١) . ونذكر جواز زيادة كاد عند قوله : ﴿ لَمْ يَكْدِرْهَا ﴾ [النور : ٤٠] ، إن شاء الله .

وقال قطرب : « يقال : أخفيت الشيء : إذا كتمته ، وأخفيت : إذا أظهرته ، كما يقال : أسرت الشيء بالمعنيين»^(٢) .

وذكر أبو عبيد : أخفيت بالمعنيين جميعاً^(٣) .

وهذا أيضاً مذهب أبي عبيدة في هذه الآية قال : « أخفيها أظهرها»^(٤) . واحتج بقول الشاعر^(٥) :

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لَا نُخْفِهِ وَإِنْ تَبْعُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعِدِ

رواه بضم النون ، وغيره يرويه بفتحها من خفاء إذا أظهر .

وقال أبو الفتح الموصلي : « ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ تأويله عند أهل النظر : أكاد أظهرها . وتلخيص هذه اللفظة : أكاد أزيل عنها خفاها ، وخفاء كل شيء : غطاؤه ، من ذلك خفاء القرية للكساء الذي يكون عليها . وأفعلت يأتي والمراد به السلب والنفي ، كقولهم : أعجمت الكتاب وأشكلته ؛ أي أزلت عجمته وإشكاله ، وأشكيتته أزلت ما يشكوه»^(٦) .

(١) [الأضداد لابن الأنباري ٩٧ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (خفي) ١ / ١٠٧٠ ، ولسان العرب (خفا) ٢ / ١٢١٦ .

(٣) تهذيب اللغة (خفي) ١ / ١٠٧٠ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٦ .

(٥) البيت لامرئ القيس . انظر : ديوانه ١ / ١٠٧٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٧ ، والأضداد

لابن الأنباري ٩٦ ، وتهذيب اللغة (خفي) ١ / ١٠٧٠ ، ولسان العرب (خفا) ٢ / ١٢١٦ .

(٦) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٨ .

وهذا الذي ذهبوا إليه في معنى الآية يوافق قول ابن عباس في رواية عطاء قال : «يريد : أكاد أظهرها»^(١) . وعلى هذا ، معنى الآية : أن الله - تعالى - أخبر عن إرادته إظهار الساعة كما قال : ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] . غير أن هذا المعنى أصح في قراءة مَنْ قرأ : (أخفيها) بفتح الألف^(٢) ؛ لأن كلام العرب الجيد : خفيت الشيء : أظهرته ، وأخفيته : سترته .

قال الأزهري : «هذه اللغة الجيدة»^(٣) . وقد روي : خفيت بالمعنيين المتضادين ، كما روى أخفيت ، وكتاب الله - تعالى - يفسر بأفصح اللغات . وروي عن بعض أهل اللغة في هذه الآية وجه آخر ، وهو أن المعنى : الساعة آتية أكاد ، وتم الكلام هاهنا^(٤) . والمعنى : أكاد أن آتي بها ، ثم ابتداء فقال : أخفيها ، والمعنى : لكنني أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، وهذا وجه لا بأس فيه^(٥) .

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٤٩ ، والكشف والبيان ٣/ ١٦ ب ، وبحر العلوم ٣/ ٣٣٨ ، والمحزر الوجيز ١٠/ ١٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٠ .

(٢) قرأ سعيد بن جبير (أكاد أخفيها) بفتح الألف . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٥٠ ، والكشاف ٢/ ٤٣٠ ، وتهذيب اللغة (خفي) ١/ ١٠٧٠ ، والمحتسب ٢/ ٤٧ .

(٣) تهذيب اللغة (خفي) ١/ ١٠٧٠ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٥٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧ ، والمحزر الوجيز ١٠/ ١٥ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٩ .

(٥) القول الأول هو قول جمهور المفسرين ، قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره ١٦/ ١٥٠ : «والذي هو أولى بتأويل الآية من القول قول مَنْ قال : معناه أكاد أخفيها من نفسي ؛ لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء . وإنما وجهنا معنى أخفيها بضم الألف إلى معنى أسترها من نفسي ؛ لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب الستر ، يقال : قد أخفيت الشيء ، إذا سترته ، وأما وجه صحة القول في ذلك فهو أن الله - تعالى ذكره - خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم ، وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ؛ إذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم في ما استفاض القول به منهم ، وجاء عنهم محيياً يقطع العذر ، والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف ، قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها في ما جاءت به نقلاً مستفيضاً» .

وقوله تعالى : ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ . قال ابن الأنباري : «مَنْ قال : أخفيها معناه : أظهرها ، جعل اللام في ﴿لِتُجْزَى﴾ من صلة أخفيها ، والمعنى : أظهرها للجزاء ، وَمَنْ قال : أخفيها : أسترها ، جعل اللام معلقة بقوله : إن الساعة آتية لتجزي كل نفس»^(١) .

وبهذا قال الزجاج^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا تَسْعَى﴾ بما تعمل من خير وشر .

١٦ . قوله تعالى : ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ . الصد : الصرف عن الخير ، يقال : صدّه عن الإيمان وعن الحق ، ولا يقال : صدّه عن الشر . والمعنى لا يمنعك ولا يصرفك^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿عَنَّا﴾ . قال الفرّاء : «يريد عن الإيمان بها»^(٤) .

وقال الزجاج : «عن التصديق بها»^(٥) . ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ ؛ أي مَنْ لا يؤمن بأنها تكون .

-
- (١) الأضداد لابن الأنباري ٩٦ .
 (٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٣ .
 (٣) انظر : تهذيب اللغة (صد) ٢/١٩٨٤ ، ومقاييس اللغة ٣/٢٨٢ ، والقاموس المحيط ١/٢٩٢ ، ولسان العرب ٧/٢٤٠٩ .
 (٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٧٧ .
 (٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٣ .

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ؛ مراده ، وخالف أمر الله ، ﴿فَرَدَّيْ﴾ ؛ فتهلك ، يقال : رَدَّيْ ، يَرَدِّي ، رَدَّى فهو رَدٍ ، ومثله تَرَدَّى ؛ إذا هلك ^(١) ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل : ١١] . والظاهر أن هذا خطاب لموسى ، ثم هو نهي لجميع المكلفين عن ترك الإيمان بالساعة والتأهب لها ، وإنذار بالهلاك لمن فعل ذلك ^(٢) . وجعل أبو إسحاق هذا خطاباً للنبي ﷺ فقال : «وخطاب النبي ﷺ هو خطاب سائر أمته» ^(٣) .

ومعنى ﴿فَلَا يَصُدَّنْكَ﴾ : لا يصدنكم ، قال الله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق : ١] ، فنَّبَه النبي ﷺ وخوَّطب هو وأُمته بقوله : ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ .

١٧ . قوله تعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَّى﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿تِلْكَ﴾ اسم مبهم يجري مجرى التي ، ويوصل كما توصل التي ، المعنى : ما التي يمينك ؟ ^(٤) .

وقال الفرَّاء : «معنى : ﴿تِلْكَ﴾ هذه» ^(٥) . و﴿يَمِينُكَ﴾ في مذهب صلة لتلك ؛ لأن تلك وهذه توصلان كما توصل الذي . فتلك على قول الزَّجَّاج بمعنى : التي ، وعلى قول الفرَّاء بمعنى : هذه ، كما أن ذلك يكون بمعنى : هذا ، كما بيَّنا في قوله : ﴿ذَلِكَ﴾ في قوله : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة : ٢] . وقال أهل المعاني : «معنى

(١) انظر : القاموس المحيط (ردى) ٤/ ١٢٨٧ ، والصحاح (ردى) ٦/ ٢٣٥٤ ، ولسان العرب (ردى) ٥/ ١٦٣٠ ، والمفردات في غريب القرآن (رداً) ١٩٤ .

(٢) المحرر الوجيز ١٠/ ١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٣ ، وروح المعاني ١٦/ ١٧٣ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٥٣ . الراجح - والله أعلم - أن الخطاب لموسى - عليه السلام - ، وهو ما عليه جمهور المفسرين . انظر : المحرر الوجيز : ١٠/ ١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٣ ، والتفسير الكبير ٢٣/ ٢٢ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٥٣ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٧ .

سؤال موسى عما في يده من العصا التنبيه له عليها ، ليقع المعجز بها بعد التثبيت فيها والتأمل لها»^(١) .

وقد كشف أبو إسحاق عن هذا المعنى فقال : «هذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام ومجراه في الكلام مجرى ما يسأل عنه ، ويوجب المخاطب بالإقرار به لتثبيت عليه الحجة بعد ما اعترف ، فيستغنى بإقراره عن أن يجحد بعد وقوع الحجة ، ومثله من الكلام أن تُري المخاطب ماءً فتقول : ما هذا ؟ فيقول ماء . ثم تخيله بشيء من الصبغ فإن قال : إنه لم يزل هكذا ، قلت : ألسنت قد اعترفت بأنه ماء ؟»^(٢) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ جواب الاستفهام والسؤال عما في يده ، قال وهب : «لما قال موسى : ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾ ، قال الله تعالى : وما تصنع بها ؟»^(٣) ، ولا أحد أعلم منه بذلك ، قال موسى : ﴿ أَتَوَكَّؤُا عَلَيَّهَا ﴾ ؛ لأن هذا جواب السؤال عما يصنع بها ، والسؤال الأول يكفيه من الجواب قوله : ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾ . ومعنى التوكؤ^(٤) : التحامل على العصا في المشي ، ومنه الاتكاء ، أصله : الاوتكاء ، والمعنى : أعتمد عليها إذا مشيت^(٥) .

(١) بحر العلوم ٢/٣٣٩ ، والنكت والعيون ٣/٣٩٩ ، والكشاف ٢/٥٣٣ ، والبحر المحيط ٦/٢٣٣ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٤ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥/٢٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٨٦ ، والتفسير الكبير ٢٢/٢٦ ، وروح المعاني ١٦/١٧٧ .

(٤) في (س) : (التوكيد) ، وهو تصحيف .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (تكمي) ١/٤٤٥ ، ولسان العرب (وكأ) ٨/٤٩٠٤ ، والمعجم الوسيط (أوكل) ٢/١٠٥٢ ، والمفردات في غريب القرآن (وكأ) ٥٣٢ ، والقاموس المحيط (توكأ) ٥٦ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ . قال الأصمعي : «هَشَّ يَهْشُ هَشًّا : إذا خبط الشجر فألقاه لغنمه»^(١) .

قال الفرّاء : «أي أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه الغنم»^(٢) .
قال الراجز^(٣) :

أَهْشُ بِالْعَصَا عَلَى أَغْنَامِي
مِنْ نَاعِمِ الْأَرَاكِ وَالْبَشَامِ

قال الزّجاج : «واشتقاقه من أُنِي أُحِيلُ الشيء إلى الهشاشة والإمكان»^(٤) .
وذلك أن الهش من كل شيء فيه رخاوة ، يقال : رجل هَش ، وجوز هَش ، وإذا خبط الشجر فسقط ورقه سهل على الغنم تناوله .

قال عكرمة : «يقال : أضرب الشجر فيتساقط الورق على غنمي»^(٥) .

وقوله : ﴿وَلِي فِيهَا مَعَارِبُ أُخْرَى﴾ . المآرب : الحوائج ، واحدها مأربة ، بفتح الراء وضمها ، حكاهما جميع أهل اللغة^(٦) .

(١) لسان العرب (هش) ٤٦٦٧ / ٨ ، والصاحح (هشش) ١٠٢٧ / ٣ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١٧٧ / ٢ .

(٣) لم أهتم إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة من دون نسبة . الأراك ، والبشام : نوعان من الشجر تأكلهما الماشية ، وفي أغصانها لين ، ولها ریح طيب ، ويستاك بها . انظر : جامع البيان ١٥٤ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٨٧ ، ومجاز القرآن ٢ / ١٧ ، وفتح القدير ٣ / ٥١٧ ، وتهذيب اللغة (بشم) ١ / ٣٤٠ ، ولسان العرب (أرك) ١ / ٦٤ .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ٣ / ٣٥٤ .

(٥) جامع البيان ١٦ / ١٥٤ ، والدر المنثور ٤ / ٥٢٦ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (أرب) ١ / ١٤٢ ، ومقاييس اللغة ١ / ٨٩ ، والصاحح ١ / ٨٧ ، ولسان العرب ١ / ٥٥ ، والمفردات في غريب القرآن ١٥ .

وحكى ابن الأعرابي: «مأربة بكسر الراء»^(١). ومنه المثل: مَأْرَبَةٌ لَا حَفَاوَةَ^(٢). وكذلك الأرب والإربة ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النور: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿أُخْرَى﴾ جاء على لفظ صيغة الواحدة؛ لأن مأرب في معنى جماعة، فكأنه جماعة من الحاجات أخرى. وقاله الزجاج^(٣). وذكرنا مثل هذا في قوله: ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، قال مجاهد، وسفيان، والمفسرون: «ولي فيها حاجات أخرى»^(٤).

وقال عطاء، وقتادة: «منافع أخرى»^(٥). وذكر المفسرون تلك الحوائج التي كانت في عصاه، فقال ابن عباس في رواية عطاء: «إذا أتيت إلى بئر فقصر الرشا، وصلته بالعصا حتى ينال الماء، وإذا أصابني حر الشمس أقمتها في الأرض، وجعلت لي عليها ظلاً بثوب يسترني من الشمس، وإذا خفت شيئاً من هوام الأرض قتلتها بالعصا»^(٦).

وقال وهب: «كان لها شعبتان ومحجن»^(٧) تحت الشعبتين، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا أراد كسره لواه بالشعبتين، وكان إذا شاء ألقاها على عاتقه،

(١) تهذيب اللغة (أرب) ١/١٤٢، ولسان العرب (أرب) ١/٥٥.

(٢) مجمع الأمثال للميداني، وفرائد اللال في مجمع الأمثال ٢/٢٧٣. والمعنى: إنها يكرمك لأرب له فيك، لا لمحبه لك.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٥.

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١٥، وجامع البيان ١٦/١٥٤، والنكت والعيون ٣/٣٩٩، ومعالم التنزيل ٥/٢٦٨، والدر المنثور ٤/٥٢٦.

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١٥، والطبري ١٦/١٥٤، والدر المنثور ٤/٥٢٦.

(٦) الكشف والبيان ٣/١٧، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٨٧.

(٧) الحجن: اعوجاج الخشبة وغيرها، والمحجن: خشبة أو عصا معقفة الرأس. انظر: تهذيب اللغة (حجن) ١/٧٥٣، ومقاييس اللغة (حجن) ٢/١٤١، والقاموس المحيط (حجن) ٤/١١٨٨، ولسان العرب (حجن) ١/٧٩١.

فعلق بها قوسه ، وكنانته^(١) ، ومَرْجُونَتَه^(٢) ، ومُخْلَاتَه^(٣) ، وثوبه وزاداً إن كان معه ، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه^(٤) .

١٩ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴾ . قال الكلبي : « ألقها من يدك »^(٥) . وقال وهب : « قال له الرب : ألقها يا موسى ، فظن موسى أنه يقول ارفضها فألقاها على وجه الرفض »^(٦) . ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون .

٢٠ . فذلك قوله : ﴿ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَعَى ﴾ ؛ تشد وتمشي مسرعة على بطنها .

قال ابن عباس : « فابتلعت الصخور والشجر وكل ما مرت به »^(٧) .

(١) الكنانة : الجعبة تتخذ للنبل والسهام . انظر : تهذيب اللغة (كن) ٣١٩٦/٤ ، والصحاح (كن)

٢١٨٨/٦ ، ولسان العرب (كنن) ٣٩٤٣/٧ ، والمعجم الوسيط (الكنانة) ٨٠١/٢ .

(٢) المَرْجُونَةُ : القفة ، وهي الزبيل ، لها معاليق تعلق بها في آخر الزاد ، يوضع فيها الزاد والتمر . انظر : تهذيب اللغة (قفف) ٣٠٢١/٣ ، والقاموس المحيط (رجن) ١١٩٩/٤ ، ولسان العرب (قفف) ٣٧٠٤/٦ .

(٣) المخلات : ما يوضع فيه الحشيش الرطب ، وبه سميت المخلاة ، والخلي : الحشيش الذي يجتث من بقول الربيع ، وقد اختلته ، وبه سميت المخلات ، والواحدة خللة ، وأعطني مخللة أخلي فيها . انظر : القاموس المحيط (الخلي) ١٢٨١/٤ ، ولسان العرب (خلا) ١٢٥٨/٢ ، والصحاح (خلا) ٢٣٣١/٦ .

(٤) الدر المنثور ٥٢٠/٤ ، والتفسير الكبير ٢٧/٢٢ ، وروح المعاني ١٧٦/١٦ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ١٧/٣ أ ، وبحر العلوم ٣٣٩/٢ ، وزاد المسير ٢٧٩/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٦١/٣ .

(٦) جامع البيان ١٥٦/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٦٩/٥ ، والدر المنثور ٥٢٠/٤ .

(٧) جامع البيان ١٥٦/١٦ ، والكشاف ٥٣٤/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٠/١١ ، وتفسير القرآن العظيم ١٦١/٣ ، والدر المنثور ٥٢٧/٤ .

٢١. وخاف موسى فناداه ربه : ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ ، وذلك أن الله - تعالى - أراد أن يري موسى ما أعطاه من الآيات التي لا يقدر عليها مخلوق ؛ لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون ولا يولي مدبراً . ولم يذكر خوف موسى في هذه السورة ، وذكر في سورة القصص ^(١) . وقوله هاهنا : ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ يدل على خوفه .

وقوله تعالى : ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ . قال عطاء والسُّدِّي : «نردها عصا كما كانت» ^(٢) .

قال ابن عباس : ﴿سِيرَتَهَا﴾ حالتها ^(٣) .

وقال مجاهد : «هيئتها» ^(٤) . وقال أبو عبيدة : «خلقتها الأولى» ^(٥) . يقال لمن كان على شيء فتركه ، ثم عاد فتحول إليه : عاد إلى سيرته . وقال المبرد : «أي يجعلها كما كانت» ^(٦) . والسيرة : الهيئة ^(٧) .

والمعنى في الآية : أنها تجري على ما كانت تجري عليه من قبل ، من كونها عصا ، ونحو هذا قال أبو إسحاق في السيرة : «إنها الهيئة ، يقال إذا كان القوم مشتبهين :

(١) عند قوله تعالى : ﴿وَأَن آتَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّئُ كَانَتْهَا حَآئِيٌّ مَّوَدَّاعَةً لَّيْسَ بِتَبْلٍ وَلَا تَحَفُّ إِلَّا نَقَمٌ مِّنَ الْأَمِينِ﴾ [القصص : ٣١] .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٥٧ ، والكشف والبيان ٣ / ١٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣ / ٣٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٦٩ ، وزاد المسير ٥ / ٢٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٦١ .

(٣) جامع البيان ١٦ / ١٥٧ ، والدر المنثور ٤ / ٥٢٧ .

(٤) جامع البيان ١٦ / ١٥٧ ، والدر المنثور ٤ / ٥٢٧ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٨ .

(٦) ذكر بلا نسبة في المحرر الوجيز ١٠ / ٢١ ، وزاد المسير ٥ / ١٨٠ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٣٥ .

(٧) انظر : القاموس المحيط (السير) ٢ / ٤ ، والصاحح (سير) ٢ / ٦٩١ ، ولسان العرب (سير) ٤ / ٢١٦٩ ، والمفردات في غريب القرآن (سار) ٢٤٧ .

هم على سيرة واحدة . قال : ﴿سِيرَتَهَا﴾ منصوبة على إسقاط الخافض ، وأفضى الفعل إليها ، والمعنى : إلى سيرتها ، فلما حذفت (إلى) أفضى الفعل ، وهو ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ فنصب^(١) .

قال وهب : «لما أمره الله بأخذها أدنى طرف المدرعة^(٢) على يده ، فقال له ملك : أرأيت يا موسى ، لو أذن الله بما تحاذر ، أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنني ضعيف ومن ضعف خلقت . فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية وقبض ، فإذا عصاه التي عهدا ، وإذا يده في موضعها التي كان عهدا إذا توكأ بين الشعبين»^(٣) .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ . اختلفوا في الجناح هاهنا ، فقال أبو عبيدة : «كل ناحيتين جناحان»^(٤) .

وقال المبرّد : «الجناح الجانب»^(٥) . فعلى هذا ، الجنب والإبط جناح ، وهذا قول الكلبي ، والشّدّي في هذه الآية^(٦) . واختيار ابن قتيبة^(٧) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٥ .

(٢) المدرعة : ضرب من الثياب التي تلبس ولا تكون إلا من الصوف . انظر : تهذيب اللغة (درع) ٢/ ١١٧٥ ، ومقاييس اللغة (درع) ٢/ ٢٦٨ ، والقاموس المحيط (درع) ٤/ ٧ ، والصاح (درع) ٣/ ١٢٠٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٠ ، وروح المعاني ١٦/ ١٧٩ ، والزهد للإمام أحمد ٦٣ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨ .

(٥) ورد نحوه بلا نسبة في بحر العلوم ٢/ ٣٣٩ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩١ .

(٦) بحر العلوم ٢/ ٣٣٩ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ أ .

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٨ .

وقال الفرّاء ، والزجاج : «جناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه»^(١) . وهذا قول مجاهد قال : ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾ تحت عضدك^(٢) . وهذا القول أشبه ؛ لأن يدي الإنسان مشبهتان بجناح الطائر ؛ ولأنه قال : ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ﴾ ، والمعنى : أدخل يدك تحت عضدك تخرج بيضاء ، ولو كان المراد بالجناح الجنب والإبط لم يقل : تخرج .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد إلى صدرك»^(٣) . ولا أدري كيف فسر الجناح بالصدر !

وقوله تعالى : ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ﴾ . أراد وأخرجها تخرج بيضاء ، وكذلك قوله : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ﴾ [النمل: ١٢] ، المعنى : أخرجها تخرج ، وذكرنا مثل هذا في قوله تعالى : ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ [البقرة: ٦١] .

قال ابن عباس : «كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار ، كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً»^(٤) . فذلك قوله : ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ من غير برص ، في قول جميع المفسرين^(٥) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٧٨/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٥ .

(٢) جامع البيان ١٦/٢٥٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٣٦ ، والنكت والعيون ٣/٤٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٦٢ .

(٣) التفسير الكبير ٢٢/٣٠ .

(٤) معالم التنزيل ٥/٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٩١ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١٥ ، وجامع البيان ١٦/١٥٨ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٣٦ ، وبحر العلوم ٢/٣٣٩ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٠ .

قال الليث : «ويكنى بالسوء عن اسم البرص»^(١) . وقال أبو عمرو :
«سَوْءٌ ؛ أي برص»^(٢) .

وقال المبرّد : «السوء إذا أطلق فهو البرص ، وإذا وصلوه بشيء فهو كل ما يسوء ، والأغلب عليه عند العرب من الأدوية البرص»^(٣) .

وقوله تعالى : (آية أخرى) . قال الأخفش : «جعل ﴿ءَايَةً﴾ بدلاً من ﴿بَيِّنَةً﴾»^(٤) .

وقال الزجاج : «هي اسم في موضع الحال ، المعنى : تخرج بيضاء مبينة آية أخرى . قال : ويجوز أن تكون منصوبة على (آتينك آية أخرى ، أو نؤتيك آية) ؛ لأنه لما قال : ﴿تَخْرُجُ بَيِّنَةً﴾ كان في ذلك دليل أنه يعطى آية ، فلم يحتج إلى ذكر آتيننا ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه»^(٥) . قال المبرّد : «ولا تكون أخرى إلّا بعد الأولى»^(٦) قوله : ﴿فَالْقَنَاهَا فَاِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه : ٢٠] .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿لِئُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا اَلْكُبْرَى﴾ تأنيث الأكبر ، وهي نعت الآيات ، ولم يقل الأكبر لما ذكرنا في قوله : ﴿مَنَازِبُ أُخْرَى﴾ [طه : ١٨] . ولو قيل الكبر لجاز وحسن ، ولكن لوفاق رؤوس الآي جاءت الكبرى ، ويجوز أن تكون ﴿اَلْكُبْرَى﴾ نعتاً لمنعوت محذوف على تقدير :

-
- (١) انظر : تهذيب اللغة (ساء) ١٥٨٣ / ٢ ، ولسان العرب (سوأ) ٢ / ٤ / ١٦٠ .
(٢) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (ساء) ١٥٨٣ / ٢ ، ولسان العرب (سوأ) ٤ / ٢١٦٠ ، والمفردات في غريب القرآن (سوأ) ٢٥٢ ، ومختار الصحاح (سوأ) ١٣٤ .
(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في المحرر الوجيز ١٠ / ٢٢ ، والكشف والبيان ٣ / ١٧ أ ، وزاد المسير ٥ / ٢٨٠ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٣٦ ، وتهذيب اللغة (ساء) ١٥٨٣ / ٢ .
(٤) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٢٩ .
(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٥٥ .
(٦) ذكره بلا نسبة القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٩١ ، والرازي في التفسير الكبير ٢٢ / ٣٠ .

لنريك من آياتنا الآية الكبرى ، وهذا مذهب أبي عبيدة^(١) . وبه قال جماعة من المفسرين^(٢) .

قال ابن عباس : « كانت يد موسى أكبر آياته »^(٣) .

وقال الكلبي : « يده أعظم ما رأى من الآيات »^(٤) .

وقال الثوري : « يده هي الآية الكبرى »^(٥) .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ ؛ أي جاوز القدر في العصيان ، وذلك أنه خرج من معصيته إلى فاحش تجاوز به معاصي الناس .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨/٢ .

(٢) جامع البيان ١٥٨/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٧٠/٥ ، والمحزر الوجيز ٢٢/١٠ ، والكشاف ٥٣٤/٢ ، والتفسير الكبير ٣٠/٢٢ .

(٣) الكشف والبيان ١٧/٣ أ ، ومعالم التنزيل ٢٧٠/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩١/١١ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ١٧/٣ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩١/١١ ، والتفسير الكبير ٣٠/٢٢ ، وفتح القدير ٥١٨/٣ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٢٧٠/٥ ، والكشف والبيان ١٧/٣ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٩١/١١ ، والتفسير الكبير ٣٠/٢٢ ، والفتوحات الإلهية ٨٨/٣ . قال أبو حيان في البحر المحيط ٢٣٧/٦ : « ويعد ما قيل من أن اليد أعظم في الإعجاز من العصا ؛ لأنه ذكر عقيب اليد : ﴿ لِرَبِّكَ مِنْ بَيْنَتَيْنِ الْكُبْرَى ﴾ ؛ لأنه جعل الكبرى مفعولاً ثانياً لـ (نريك) ، وجعل ذلك راجعاً إلى الآية القرية وهي إخراج اليد بيضاء من غير سوء ، وقد ضعف قوله هذا ؛ لأنه ليس في اليد إلا تغيير اللون ، وأما العصا ففيها تغيير اللون ، وخلق الزيادة في الجسم ، وخلق الحياة ، والقدرة ، والأعضاء المختلفة ، وابتلاع الشجر والحجر ثم عادت عصا بعد ذلك ، فقد وقع التغيير مراراً فكانت أعظم من اليد » .

قال أهل المعاني : «وفي الآية محذوف ؛ لأن المعنى : اذهب إلى فرعون فادعه إلى توحيد الله ، ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ ؛ لأنه أمر بالذهاب إليه ، وأن يدعوه إلى التوحيد»^(١) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ . ذكرنا الكلام في معنى شرح الصدر في سورة الأنعام^(٢) . يقول افتح صدري ووسّعه لقبول الحق .

قال ابن عباس : «يريد حتى لا أخاف غيرك . وذلك أنه كان يضيق صدره بما كلف من مقاومة فرعون وحده ، فسأل الله - تعالى - أن يوسّع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرتة إلا بإذن الله ، وإذا علم ذلك حق العلم لم يخف فرعون ، وإن اشتدت شوكته ، وكثر جنوده»^(٣) .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿وَيَتَرَلَّى آمْرِي﴾ . قال ابن عباس : «يريد سهل عليّ ما بعثني له»^(٤) .

(١) جامع البيان ١٦ / ١٥٨ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْبَعُهُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

(٣) معالم التنزيل ٥ / ٢٧٠ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٥٩ ، والكشف والبيان ٣ / ١٧ ب ، والمحرم الوجيز ١٠ / ٢٣ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧١ ، وزاد المسير ٥ / ٢٨١ .

٢٧. ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ . العقدة : الربطة في الحبل والخيط^(١) . وأراد بالعقدة هاهنا رتبة^(٢) كانت في لسانه ، تمنعه من الانطلاق في الكلام . قال سعيد بن جبير ، وهو قول العامة : «عجمة من جمرة نار أدخلها في فيه»^(٣) . والقصة في ذلك معروفة^(٤) . قال ابن عباس : «يريد أطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفهموا كلامي»^(٥) .

٢٩. قوله تعالى : ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ ؛ قال المفسرون : «عوناً وظهيراً من أهل بيتي»^(٦) .

قال أبو إسحاق : «الوزير في اللغة اشتقاقه من الوَزَرِ ، وهو الجبل الذي يعتصم به لينجي من الهلكة . وزير الخليفة معناه : الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجأ إليه . وقوله تعالى : ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١] معناه : لا شيء يعتصم به من أمر الله»^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (قعد) ٣ / ٢٥١١ ، ومقاييس اللغة (عقد) ٤ / ٨٦ ، والمعجم الوسيط (عقد) ٢ / ٦١٣ ، والمفردات في غريب القرآن (عقد) ٣٤١ .

(٢) الرتبة عجلة في الكلام ، وقلة أناة ، وقلب لبعض الحروف ، فتسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الكلام . الأرت : الذي في لسانه عقدة وحبة ، ويعجل في كلامه ، فلا يطاوعه لسانه . انظر : تهذيب اللغة (رت) ٢ / ١٣٥٩ ، والقاموس المحيط (الرث) ١٦٩ ، ولسان العرب (رتت) ٣ / ١٥٨٠ .

(٣) جامع البيان ١٦ / ١٥٩ ، وتفسير القرطبي ١٦ / ١١ ، والدر المنثور ٤ / ٥٢٨ .

(٤) الكشف والبيان ٣ / ١٧ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣ / ٣٦ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٣٩ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧١ . ذكر بعض المفسرين هذه القصة وبها فسروا العقدة ، ولم يثبت في هذا خبر صحيح عن الرسول ﷺ ، وقد نُسب هذا التفسير إلى بعض التابعين الذي يظهر - والله أعلم - أنه من قبيل الإسرائيليات ، وأول ما فُسِّرَ به العقدة ما ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢ / ١٨ ؛ إذ قال : «مجاز العقدة في اللسان كل ما لم ينطق بحرف أو كانت منه مسكة من تمتمة أو فأفة» .

(٥) الكشف والبيان ٣ / ١٧ ب ، والكشاف ٢ / ٥٣٥ .

(٦) جامع البيان ١٦ / ١٦٠ ، والكشف والبيان ٣ / ١٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧١ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٥٧ .

وقال غيره : « قيل لوزير السلطان : وزير ؛ لأنه يَزُرُّ عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير الولاية ؛ أي يحمل . وزَرْتُ الشيء ؛ أي حملته ، أَزَرُهُ وَزَرًا »^(١) . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ ﴾ [الأنعام : ٣١] الآية .

وقال الليث : « الوَازِرُ الذي يَسْتَوِزُّه الملك فيستعين به ، وصناعته الوزارة ، وهو يُوَاَزِرُ الملك مُوَاَزَرَةً ؛ أي يعاونه ، والزرع يُوَاَزِرُ بعضه بعضاً إذا تلاحق والتفَّ »^(٢) . وذكر المفضل الوجهين اللذين ذكرناهما في الوزير^(٣) .

٣٠ . قوله تعالى : ﴿ هَرُونَ أَخِي ﴾ . يجوز في نصب ﴿ هَرُونَ ﴾ وجهان ؛ أحدهما : أنه مفعول جعل على تقدير : اجعل هارون أخي وزيري . والثاني : على البديل من وزير . والوجهان ذكرهما الفراء ، والزجاج^(٤) . و﴿ أَخِي ﴾ نعت لهارون .

٣١ . قوله تعالى : ﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴾ . قال المفسرون : « قَوٌّ ظهري وأعني به »^(٥) .

-
- (١) البحر المحيط ٦/ ٢٣٩ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٨ ، وتهذيب اللغة (وزر) ٤/ ٣٨٨٣ ، والقاموس المحيط (الوزر) ٢/ ٥٢٨ ، ولسان العرب (وزر) ٨/ ٤٨٢٤ .
- (٢) ذكرت نحوه كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (وزر) ٤/ ٣٨٨٣ ، والصحاح (وزر) ٢/ ٨٤٥ ، والقاموس المحيط (الوزر) ٢/ ٥٢٨ ، ولسان العرب (وزر) ٨/ ٤٨٢٤ .
- (٣) ذكرت نحوه كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (وزر) ٤/ ٣٨٨٣ ، والصحاح (وزر) ٢/ ٨٤٥ ، والقاموس المحيط (الوزر) ٢/ ٥٢٨ ، ولسان العرب (وزر) ٨/ ٤٨٢٤ .
- (٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٦ .
- (٥) جامع البيان ١٦/ ١٦٠ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٢ .

قال ابن الأعرابي: «الأزْرُ: القوة، والأزْرُ: الظهر، والأزْرُ: الضعف». وفسر قوله: ﴿أَشْدُّ بِهِ أَزْرِي﴾ بالقوة، والظهر والضعف^(١). وأنشد أبو عبيدة -على أن الأزْرَ في هذه الآية الظهر^(٢) - قول ذي الرمة^(٣):

إِذَا مُدَّتِ الْأَيْدِي الْكَرَامُ إِلَى الْعُلَى
وَشُدَّ لَأَيَّامِ الْمُحَافَظَةِ الْأَزْرُ

ويقال: آزره ووازره: إذا عاونه. ونذكر الكلام فيه عند قوله: ﴿فَآزَرَهُ، فَاسْتَعْلَطَ﴾ [الفتح ٢٩] إن شاء الله.

٣٢. ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾؛ أي اجمع بيني وبينه في النبوة، فالمراد بالأمر هاهنا: النبوة، قاله ابن عباس، والكلبي^(٤).

وقراءة العامة: ﴿أَشْدُّ بِهِ أَزْرِي﴾^(٥) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿على الدعاء، وقرأ ابن عامر: «أشدد به أزري وأشركه» على الجواب والمجازاة^(٥)، والوجه الدعاء؛ لأنه معطوف على ما تقدمه من قوله: ﴿رَبِّ أَسْخِ لِي صَدْرِي﴾^(٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿[طه: ٢٥، ٢٦]، فكما أن ذلك كله دعاء، فكذلك ما عطف عليه. وأما الاشتراك في النبوة فلا يكون إلا من الله سبحانه، اللهم إلا أن يجعل أمره: شأنه الذي هو غير

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٨، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ٢٤٥، وتهذيب اللغة ٣٨٨٣/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٧/٢.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨/٢.

(٣) البيت لذي الرمة. المحافظة: الذب عن المحارم، والمنع لها عند الحروب. انظر: ديوان ذي الرمة ٢٢٠، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨/٢.

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ١٦/١٦١، والمححر الوجيز ١٠/٢٦، ومعالم التنزيل ٥/٢٧١، وزاد المسير ٥/٢٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٩٢.

(٥) قرأ ابن عامر الشامي (أشدد به) بفتح الهمزة وجعلها ألف المتكلم، وقرأ (وَأَشْرِكُهُ) بضم الهمزة على الجواب والمجازاة، وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمة، والكسائي، وعاصم ﴿أَشْدُّ بِهِ﴾ بوصل الألف والابتداء بالضم، وقرأوا ﴿وَأَشْرِكُهُ﴾ بفتح الهمزة على الدعاء. انظر: السبعة ٤١٧، والحجة للقراء السبعة ٥/٢٢١، والتبصرة ٢٥٩، وحجة القراءات ٤٥٢، والمبسوط في القراءات ٢٤٧.

النبوة ، وإنما ينبغي أن يكون النبوة ، كما فسرہ ابن عباس . فَأَمَّا ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ فحمله على الإخبار وغير الدعاء أسهل ، ولا يسوغ أن يحمل ﴿وَأَشْرَكُهُ﴾ في أمري على غير النبوة ؛ لأنه قد جاء ما يعلم فيه مسألة موسى لذلك ^(١) ، وذلك قوله : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي﴾ [القصص : ٣٤] الآية .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿كَيْ سُبْحَكَ كَثِيرًا﴾ . [قال الكلبي : «يقول : نصلي لك كثيراً»] ^(٢) .

٣٤ . ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ ؛ بحمدك والثناء عليك بما أوليتنا من نعمك ، ومننت به علينا من تحميل رسالتك ^(٣) . فاستجاب الله دعاءه وقال : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ ؛ أي أعطيت ما سألت .

قال الكلبي : «فلق الله له صدره ، وحل عقدة من لسانه ، وبعث معه أخاه هارون» ^(٤) .

قال الأزهري : «سؤل الإنسان : أمنيته التي يطلبها ، والتسويل تفعيل منه وهو تزين ذلك ، وأصل السؤال مهموز ، غير أن العرب استثقلوا فيه الهمز لما أكثر في كلامهم» ^(٥) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٢٢/٥ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٣) معالم التنزيل ٢٧٢/٥ .

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان ١٦/١٦١ من دون نسبة ، وكذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٦/١٠ .

(٥) تهذيب اللغة (سول) ١٧٩١/٢ .

وقال الراعي فلم يهزم السول^(١) :

اخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ رَثْتُ خَلَائِقَهُمْ وَاعْتَلَّ مَنْ كَانَ يُرْجَى عِنْدَهُ السُّوْلُ

٣٧. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ ؛ أي أحسننا إليك وأنعمنا عليك قبل هذه المرة . والمن : الإحسان إلى من لا يستثيه^(٢) . وذكرنا معاني المن عند قوله : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٦٤] الآية .

٣٨. وقوله تعالى : ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾ تفسيره قوله : ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا﴾ قال المفسرون : «وحي إلهام»^(٣) . مثل : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل : ٦٨] أي ألهمناها حين عيت بأمرك ، بلطف إلهامنا إياها ما كان فيه سبب نجاتك من القتل .

وقوله تعالى : ﴿مَا يُوحَى﴾ ؛ أي ما يلهم ، ثم فسر هذا الملهم بقوله :

٣٩. ﴿أَنْ أَقْذِفَ فِي التَّابُوتِ﴾ . وذكر ابن الأنباري في قوله : ﴿مَا يُوحَى﴾ وجهين ؛ أحدهما : «أن معناه وأوحينا إلى أمك الذي يجوز أن يوحى إليها ، والضرب الذي يمكن أن تكون مختصة به ؛ لأنه ليس كل الأمور يصلح وحيها إليها ، فكأنها اختصت بما يجوز أن يختص به أمثالها ممن ليس بنبي ولا رسول . والثاني : أن ﴿مَا يُوحَى﴾ أفاد في الآية تأكيد

(١) البيت للراعي . رثت : الرثاء قلة الفطنة ، وضعف الفؤاد . والخليقة : الفطرة . يقال : إنه لكريم الطبيعة ، والخليقة ، والسليقة بمعنى واحد . انظر : تهذيب اللغة (سول) ١٧٩١ / ٢ ، ولسان العرب (سول) ٢١٥٧ / ٤ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (من) ٣٤٥٣ / ٤ ، والقاموس المحيط (من) ١٢٣٣ ، والصحاح (من) ٢٢٠٧ / ٦ ، ولسان العرب (من) ٤٢٧٧ / ٧ ، والمفردات في غريب القرآن (من) ٤٧٤ .

(٣) الكشف والبيان ١٧ / ٣ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٧ / ٣ ، وبحر العلوم ٣٤٠ / ٢ ، ومعالم التنزيل ٢٧٢ / ٥ ، والمحرم الوجيز ٢٦ / ١٠ .

أوحينا ، كأنه قيل : أوحينا إلى أمك إحياء^(١) . ومعنى : ﴿أَنْ أَقْدِرِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ اجعليه فيه بأن ترميه فيه ، واستعمل لفظ القذف هاهنا للعجلة ، كي تعجل قبل أن يطلع عليها الذابحون . ومعنى القذف في اللغة : الرمي بالسهم والحصى والكلام وكل شيء ، ويقال للسب : القذف ؛ لأنه رمي بالقبيح من القول^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَأَقْذِرِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ؛ قال ابن عباس : «يريد النيل»^(٣) .

قال الليث : «﴿الْيَمِّ﴾ البحر الذي لا يدرك قعره ولا شطاه»^(٤) .

قال الأزهري : «﴿الْيَمِّ﴾ البحر ، وهو معرب ، وأصله بالسريانية ، فعربته العرب وأصله : يم ، ويقع اسم اليم على ما كان مأؤه ملحاً زعاقاً ، وعلى النهر الكبير العذب الماء كالذي في هذه الآية ، وهو نهر النيل بمصر ومأؤه عذب . قال الله تعالى : ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ ، فجعل له ساحلاً ، وهذا كله دليل على بطلان قول الليث في اليم»^(٥) .

قال صاحب النظم : «اشترك في قوله : ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ﴾ الأمر والجزاء ؛ لأنه جواب لقوله : ﴿فَأَقْذِرِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ، وهو أمر باللقاء ، فصار كقوله : ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] ، فقوله : ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ أمر وله

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٣/٥ ، والطبرسي في مجمع البيان ١٧/٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قذف) ٢٩٠٧/٣ ، ومقاييس اللغة ، والقاموس المحيط ٨٤٣ ، والصحاح ١٤١٤/٤ ، ولسان العرب ٣٥٦٠/٦ ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣] .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦١/١٦ ، والكشف والبيان ١٧/٣ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٥/١١ .

(٤) تهذيب اللغة (يم) ٣٩٨٤/٤ .

(٥) نفسه .

جواب ، وجوابه في قوله : (نحمل) ، ودخول الواو واللام دلالة على استئناف أمر لنفسه ، كما قال الشاعر^(١) :

فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُ فَإِنَّ أُنْدَى لَصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

بمعنى : ولأدع أنا ، فهو جواب وأمر لنفسه بذلك ، وذكرنا هذا في قوله : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ﴾ [مريم: ٧٥]»^(٢) .

وهذا الذي ذكره صاحب النظم شرح ما ذكره الفراء وبيانه^(٣) . والساحل : شاطئ البحر ، والوادي سمي ساحلاً ؛ لأن الماء يسحله ؛ أي يقشره إذا علاه ، وهو فاعل بمعنى مفعول هاهنا ، ذكره الأزهري^(٤) . وذكر في التفسير أن النيل ألقاه إلى مشرعة^(٥) آل فرعون^(٦) .

(١) اختُلف في نسبة هذا البيت ، فُنُسب إلى الأعشى في الكتاب ١/ ٤٢٦ ، والرد على النحاة ١٢٨ ، والعيني ٤/ ٣٩٢ ، والدرر ٢/ ٩ ، وليس في ديوانه ، ونُسب إلى الفرزدق في أمالي القالي ٢/ ٩٢ ، وليس في ديوانه ، ونُسب إلى دثار بن شيبان النمري ، ذكر ذلك : الأغاني ٢/ ١٥٩ ، وسمط اللآلي ٧٢٦ ، ولسان العرب (ندى) ٧/ ٤٣٨٨ ، وذكر بغير نسبة في الإنصاف ٩/ ٤ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٩٢ ، ومجالس ثعلب ٤٥٦ ، ومغني اللبيب ١/ ٣٩٧ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ٢٦ ، والكشاف ٢/ ٥٣٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٦ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٩ .

(٤) تهذيب اللغة (سحل) ٢/ ١٦٤٥ .

(٥) المُشْرَعَةُ : التي يَكْتَرُعُها الناس فيشربون منها ويستقون ، وربما شرعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها ، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدداً لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً معيناً لا يستقى منه بالرشاء . انظر : تهذيب اللغة (شرع) ٢/ ١٨٥٨ ، والقاموس المحيط (الشريعة) ٧٣٢ ، والصحاح (شرع) ٣/ ١٢٣٦ ، ولسان العرب (شرع) ٤/ ٢٢٣٨ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٥ .

وقوله تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ يعني فرعون ، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «لا يراك أحد إلا أحبك ، لا مؤمن ولا كافر»^(١) .

وقال سلمة بن كهيل^(٢) : «حَبَّيْتُكَ إِلَى عِبَادِي»^(٣) .

وقال عكرمة : «حسن وملاحة»^(٤) . فحيث أَبْصَرْتُ وَجْهَهُ آسِيَةً^(٥) ، قالت لفرعون : ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ ، وروي عن ابن عباس أنه قال : «أحبه ، وحببه إلى خلقه»^(٦) .

وقال العوفي : «جعل عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه مَنْ رآه»^(٧) .

(١) زاد المسير ٢٨٤ / ٥ .

(٢) سلمة بن كهيل الحضرمي التنعي الكوفي أبو يحيى ، من كبار التابعين ، روى له الستة ، وروى عن سعيد بن جبير ومجاهد وغيرهما ، وروى عنه الثوري وغيره ، وهو ثقة ، ثبت في الحديث ، وكان فيه تشيع قليل ، توفي - رحمه الله - سنة ١٢١ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : طبقات ابن سعد ٦ / ٢٢١ ، والجرح والتعديل ٢ / ١٧٠ ، والكامل ٥ / ٩٦ ، وتهذيب التهذيب ٤ / ١١٥ ، وشذرات الذهب ١ / ١٥٩ .

(٣) جامع البيان ١٦ / ١٦١ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٠٢ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٦٤ ، والدر المنثور ٤ / ٥٢٩ .

(٤) جامع البيان ١٦ / ١٦١ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٩٦ ، والدر المنثور ٤ / ٥٢٩ .

(٥) آسية بنت مزاحم ، زوجة الطاغية فرعون ، وهي من أفضل النساء لإيمانها وصبرها ، وقد ورد بذلك الخبر عن النبي ﷺ كما رواه الإمام أحمد ١ / ٣١٦ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢ / ٥٩٤ ، قال : «أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» .

(٦) الكشف والبيان ٣ / ١٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٩٦ .

(٧) الكشف والبيان ٣ / ١٧ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٩٦ .

وقال قتادة : «ملاحة كانت في عيني موسى ما رآه أحد إلا عشقه»^(١).

وقال في رواية سعيد بن جبير : «ألقى عليه منها محبة لم يلق منها على أحد من البشر»^(٢). وهذا كلام المفسرين .

فأما ظاهر اللفظ فإنه يقتضي أن الله - تعالى - أحبه ، وحب الله - تعالى - إياه أعظم نعمة وأجل إحسان^(٣). ومن قال : إنه حَبَّه إلى خلقه كان المعنى : ألقى عليك محبة للعباد ، وهي مني مخلوقة لي . ومن فسَّر هذه المحبة بالحسن والجمال كان المعنى : ألقى عليك سبب محبة ، فسمي سبب الحب حباً ، وحذف المضاف .

وقال أبو عبيدة في هذه الآية : «يقول : جعلت لك محبة عندي وعند غيري»^(٤). أحبك فرعون فسلمت من شره ، وأحببتك امرأته آسية فتبتتكَ . واستعملت لفظة الإلقاء للمبالغة في هذا المعنى ، والعرب تقول إذا أحب الواحد منهم أخاه : ألقى عليك رحمتي وشفقتي ، فيكون هذا أبلغ من قولهم : رحمتك وأشفقت عليك^(٥).

(١) الكشف والبيان ١٧/٣ ب ، ومعالم التنزيل ٢٧٣/٥ ، وزاد المسير ٢٨٤/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٦/١١ ، والدر المنثور ٥٢٩/٤ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/١٦١ ، والمحزر الوجيز ٢٩/١٠ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ٤٠٣ ، ومجمع البيان ١٨/٧ ، وروح المعاني ١٨٩/١٦ .

(٣) قال الإمام الطبري في تفسيره ١٦/١٦١ : «والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله ألقى محبته على موسى كما قال جل ثناؤه : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ فحبه إلى آسية امرأة فرعون حتى تبتته وغذته وربته . وقال ابن تيمية في العقيدة الواسطية ٢٠ : «ومحبة الله صفة من صفاته الفعلية ودليلها قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾» ، ويشهد لهذا ما رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب كلام السرب مع جبريل . قال ﷺ : «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إني أحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء أن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول في الأرض» .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩/٢

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩/٢ .

وقوله تعالى : ﴿وَلِصْنَعٍ﴾ قال المفسرون : «ولتربى تغذى»^(١) . يقال : صنع الرجل جاريته ، وصنعها إذا رباها ، وصنع فرسه إذا داوم على علفه والقيام عليه ، ومن هذا يقال : فلان صنيع فلان ، وصنيعته ، إذا رباها وأدبه حتى يخرجها^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿عَلَى عَيْنِي﴾ ذكر المفسرون في تفسيره : «مرأى مني»^(٣) . وهو جائز من حيث اللفظ ، ولكن لا يكون في هذا تخصيص لموسى ، فإن جميع الأشياء بمرأى من الله لا يغيب عن رؤيته شيء . والصحيح في هذا ما روى قتادة أنه قال : «لتغذى على محبتي وإرادتي»^(٤) . واختاره أبو عبيدة وذكره فقال : «أي لتربى وتغذى على محبتي وما أريد . قال : والعرب تقول : اتخذها لي على عيني ، أي على محبتي»^(٥) .

وقال ابن الأنباري : «العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار ، من قول العرب : غُذِّي فلان على عيني ؛ أي على المحبة مني والإشفاق»^(٦) .

(١) جامع البيان ١٦/١٦٢ ، والكشف والبيان ٣/١٧ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٧٩ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (صنع) ٢/٢٠٦٥ ، والقاموس المحيط ٧٣٨ ، والصحاح ٣/١٢٤٥ ، ولسان العرب ٤/٢٥٠٨ .

(٣) جامع البيان ١٦/١٦٣ ، والكشف والبيان ٣/١٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٣ ، والمححر الوجيز ١٠/٣٠ .

(٤) النكت والعيون ٣/٤٠٢ ، وذكرته كتب التفسير من دون لفظ الإرادة . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ١/١٦ ، وجامع البيان ١٦/١٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٧٩ ، والدر المنثور ٤/٥٢٩ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٩ .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٢٨٤ ، والألوسي في روح المعاني ١٦/١٩٠ . قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية ٢٢ : «إن عيني الله من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به ينظر بهما ويبصر ويرى ، ودليل ذلك قوله : ﴿وَلِصْنَعٍ عَلَى عَيْنِي﴾ ولا يجوز تفسيرها بالعلم ولا بالرؤية مع نفي العين لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف على ثبوت العين لله» . وأولى ما حملت عليه هذه الآية أن يقال فيها : أي على نظر مني ومرأى ؛ فأنت بحفظي ورعايتي . انظر : الفتاوى لابن تيمية ٣/١٣٣ ، وتيسير الكريم الرحمن ٥/١٥٦ ، والقواعد المثل في صفات الله وأسبائه الحسنى ٩٠ .

وأنشد لخفاف بن ندبة^(١) :

وإن تَكُ خَيْلي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُها فَعَمْدًا عَلَى عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِكا

وذكر صاحب النظم في اللام التي في قوله : ﴿وَلُصِّنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ أوجهاً أحدها : «أنها متصلة بما قبلها ، وهو قوله : ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ ؛ لأن ذلك الإيحاء كان من أسباب تربية موسى على ما أراد الله ، وعلى هذا ، يجب أن تكون الواو مقحمة زائدة في ﴿وَلُصِّنَعَ﴾ . الثاني : أن اللام متصلة بما بعدها ، وهو قوله تعالى : ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ كأن المعنى : ولتصنع على عيني قدرنا مشي أختك ، وقولها : ﴿هَلْ أَذُكُّ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ . قال : وقيل أيضاً : ولتصنع على عيني فعلمنا ذلك ، كما قلنا في مثل هذا في مواضع»^(٢) .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ يعني حين قالت لها أم موسى : قصيه ، فاتبعت موسى على أثر الماء .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [القصص : ١٢] الآية^(٣) ، قال الفراء : «كثير وهو من كلام العرب أن تجتري بحذف كثير من الكلام إذا كان المعنى معروفاً»^(٤) .

(١) البيت لخفاف بن ندبة ، قاله بعد قتله لمالك بن حمار ، سيد بني شمع بن فزارة . انظر : الشعر والشعراء ٢١٢ ، والخزانة ٤٤٣ / ٥ ، والأغاني ١٣ / ١٣٥ ، ولسان العرب (عين) ٣١٩٩ / ٦ .

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشف ٥٣٧ / ٢ ، والبحر المحيط ٢٤٢ / ٦ ، والتفسير الكبير ٥٤ / ٢٢ ، وقال : «يجوز أن تكون الواو مقحمة ؛ أي ألقى عليك حبة مني لتصنع ، وهذا بعيد» . وقال الألوسي في روح المعاني ١٦ / ١٩٠ : «وزعم أنه متعلق بـ (ألقت) على أن الواو مقحمة ليس بشيء» .

(٣) في (ص) : (قال : حين تركت موسى المراضع) .

(٤) معاني القرآن للفراء ١٧٩ / ٢ .

وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ ؛ أي يرضعه ويضمه إليه ^(١) ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران : ٣٧] . فقليل له : ثم رددناك إليها كي تقر عينها بك وبرؤيتك . وذكرنا الكلام في قرّة العين عند قوله : ﴿وَقَرِي عَيْنًا﴾ [مريم : ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَقُلْتَ نَفْسًا﴾ ؛ يعني القبطي الذي وكزه موسى ففضى عليه ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَنَجِّنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الهم الذي كنت تخافه من عذاب الله ، ومن قتل فرعون ، فخلصناك منه حين هربت إلى مدين» ^(٣) .

وقوله : ﴿وَفَنَّاكَ فُتُونًا﴾ . قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة : «اختبرناك اختباراً» ^(٤) . واختاره الزجاج ، وابن قتيبة ^(٥) .

وقال الفرّاء : «ابتليناك بغم القتل» ^(٦) .

وتفسير ﴿وَفَنَّاكَ﴾ بالاختبار والابتلاء صحيح ، إلا أنه لا يأتي بالمعنى هاهنا ، والوجه ما ذكره ابن عباس في رواية عطاء قال : «يريد خالصناك إخلاصاً من

(١) جامع البيان ١٦/١٦٣ ، والكشف والبيان ٣/١٨ أ ، وبحر العلوم ٢/٣٤٠ ، ومعالم التنزيل

٥/٢٧٣ ، وزاد المسير ٥/٢٨٥ .

(٢) مثل قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْغَدُوَّةِ فَأَسْغَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا عَلَى الَّذِي مِنْ غَدُوَّةِ هَٰذَا فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص : ١٥] .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/١٦٤ ، وزاد المسير ٥/٢٨٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٦٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/٥٤ ، وإرشاد العقل السليم ٦/١٦ .

(٤) جامع البيان ١٦/١٦٤ ، والكشف والبيان ٣/١٨ أ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٣ ، وزاد المسير ٥/٢٨٥ ، والدر المنثور ٤/٥٢٩ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٩ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٧٩ .

الذبح وغيره»^(١). وهذا قول سعيد بن جبير حين سأله عن الفتون ، ما هو ؟ في حديث طويل^(٢).

وعن مجاهد في رواية ابن أبي نجيح قال : «الفتون وقوعه في محنة خلصه الله منها ، أولها : أن أمه حملته في السنة التي كان يذبح الأطفال فيها ، ثم إلقاءه في البحر ، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه ، ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله ، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ، ثم مجيء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله»^(٣). وهذا معنى قولهما وقد اختصرته . وكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير ويقول عند كل بلية : «هذا من الفتون يا ابن جبير»^(٤). ويؤكد هذا ما روي عن سفيان أنه قال : «بلغني عن ابن عباس في هذه : ﴿وَفَنَّكَ فُتُونًا﴾ قال : بلاء على كل بلاء»^(٥). وعلى هذا معنى ﴿وَفَنَّكَ﴾ : خلصناك من تلك المحن ، كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبيث وشائب^(٦). والفتون مصدر .

- (١) جامع البيان ١٦/١٦٤ ، والكشاف ٢/٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/٢٨٥ .
- (٢) جامع البيان ١٦/١٦٤ ، وبحر العلوم ٢/٣٤٠ ، والكشاف ٢/٥٣٧ ، وابن كثير ٣/١٦٤ ، وقال - رحمه الله - بعد أن ساق الحديث بطوله : «وهو موقف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنه مما أبيع نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحرار أو غيره ، والله أعلم» . انظر : الدر المنثور ٤/٥٣٠ ، ومجمع الزوائد للهيتمي ٧/٦٦ ، وقال : «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد ، والقاسم بن أبي أيوب ، وهما ثقتان» .
- (٣) جامع البيان ١٦/١٦٤ ، والنكت والعيون ٣/٤٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٣ ، وزاد المسير ٥/٢٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٩٨ .
- (٤) جامع البيان ١٦/١٦٤ ، وبحر العلوم ٢/٣٤١ ، والكشاف ٢/٥٣٧ ، وزاد المسير ٥/٢٨٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٦٤ ، والدر المنثور ٤/٥٣٠ .
- (٥) زاد المسير ٥/٢٨٥ .
- (٦) انظر : تهذيب اللغة (فتن) ٣/٢٧٤ ، ومقاييس اللغة ٤/٤٧٢ ، والقاموس المحيط ١٢٢٠ ، ولسان العرب ٣٣٤٤ .

قال ابن الأنباري في القول الأول : «معناه الامتحان الذي يتلى معه صبر الممتحن ، والأنبياء وأهل الخير يختبرهم الله - تعالى - ليسعدهم ، ويجعل حسن العقبي لهم ، فتفسير : ﴿وَفْتَنَّاكَ﴾ ابتليناك بغم القتل ، يعني : قتل القبطي . والفتنة^(١) في القول الثاني : الإخلاص من قولهم : فتنته^(٢) فتنة في النار ، إذا خلصته مما يتعلق به مما يفسده»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَلَيْتَ سِنِينَ﴾ [نظم الآية : وفتناك فتوناً ، فخرجت خائفاً إلى أهل مدين ، فلبثت سنين]^(٤) ولكنه من الحذف الذي ذكره الفراء^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ يعني بلد شعيب ، وكان على ثماني مراحل من مصر . ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ﴾ . قال ابن عباس : «يريد موافقاً للنبوة ؛ لأن الأنبياء لا يبعثون إلا أبناء أربعين سنة»^(٦) .

وقال قتادة : «على قدر الرسالة والنبوة»^(٧) .

(١) من قوله : (يعني حين قالت لها أم موسى . . .) إلى هنا ساقط من نسخة (س) ، ومن قوله : (يريد

الهم الذي كنت تخافه . . .) إلى هنا ساقط من نسخة (ص) .

(٢) قوله : (فتنه) : ساقط من نسخة (س) و(ص) .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشف ٢/ ٥٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٦٧ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٩ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٨ .

(٧) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٣ ، وابن كثير

١٦٤/ ٣ .

وقال ابن كيسان : «على رأس أربعين سنة ، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء»^(١) . والعرب تقول : جاء فلان على قدر ، إذا جاء لميقات الحاجة إليه^(٢) ، قال جرير^(٣) :

نَالَ الْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

وعلى هذا معنى القدر : قدر السن [الذي هو : أربعون سنة]^(٤) وهو مبلغه . قال الزَّجَّاج : «قيل : على قدر من تكليمي إياك»^(٥) . وهو هذا المعنى الذي ذكرناه ، وإنما لم يوصف القدر وهو نكره ؛ لأنه معلوم عند الله ، وعند الناس كم هو . وقال مجاهد : «﴿عَلَى قَدَرٍ﴾ على موعد»^(٦) . وهذا أيضاً بالمعنى الأول ؛ لأنه لم يسبق بين الله وموسى مواعدة للمجيء حتى يقال : إن موسى أتى على ذلك الوعد ، ولكن المعنى : على الموعد الذي وعده الله وقدره في علمه أن يوحى إليه الرسالة ، وهو أربعون سنة . وهذا معنى قول محمد بن كعب : «ثم جئت على القدر الذي قدرت أنك تحيي»^(٧) .

-
- (١) الكشف والبيان ١٨/٣ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ ، والقرطبي ١١/ ١٩٨ .
 (٢) جامع البيان ١٦/ ١٦٧ ، وتهذيب اللغة (قدر) ٣/ ٢٨٩٦ ، ولسان العرب (قدر) ١١/ ٣٥٤٥ .
 (٣) البيت لجرير من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبدالعزيز رحمه الله . انظر : ديوانه ٢١١ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٤ ، والأضداد ٢٧٩ ، وأمالي المرتضى ٢/ ٥٧ ، وجمع الهوامع ١/ ١٦٧ .
 (٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
 (٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٥٧ .
 (٦) جامع البيان ١٦/ ١٦٨ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٨ ، وابن كثير ٣/ ١٥٧ .
 (٧) الكشف والبيان ١٨/ ٣ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ ، والقرطبي ١١/ ١٩٨ .

وقال الفرّاء : «يريد على ما أراد الله من تكليمه»^(١) . يعني على ذلك السن .
وقال الكلبي : «وافق الكلام عند الشجرة»^(٢) .

وقال الليث : «وإذا وافق الشيء الشيء قلت : جاء قدره»^(٣) . وروى
مغيرة^(٤) عن إبراهيم : «أنه كان يكره أن يضرب المثل في القرآن»^(٥) . مثل قوله :
﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ﴾ .

٤١ . قوله تعالى : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ . الاصطناع : اتخاذ الصنعة ، وهي
الخير تسديه إلى الإنسان ، وهذا افتعال من الصنع^(٦) . قال الشاعر^(٧) :

فَإِذَا اصْطَنَعْتَ صَنِيعَةً فَأَقْصِدْهَا اللَّهُ أَوْ لِدَوِي الْقَرَابَةَ أَوْ دَعْ

ومعنى ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ قال ابن عباس : «يريد اصطنعتك لوحوي
ورسالتني»^(٨) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٧٩/٢ .

(٢) الكشف والبيان ١٨/٣ أ .

(٣) تهذيب اللغة (قدر) ٢٨٩٦/٣ .

(٤) مغيرة بن مقسم الضبي أبو هاشم ، مولا هم ، الكوفي الأعمى ، أحد الأئمة الأعلام ، ومن رواة السنة ،
روى عن إبراهيم النخعي ، وروى عنه الثوري ، وثقه العلماء وكان ذكياً ، حافظاً ، صاحب سنة ، توفي
— رحمه الله — سنة ١٣٦ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : الطبقات لابن سعد ٢٣٥/٦ ، والجرح والتعديل
٢٢٨/٤ ، والتذكرة للذهبي ١٣٥/١ ، وميزان الاعتدال ٤٩٦/٢ ، وتهذيب التهذيب ٢٦٩/١٠ ،
وشذرات الذهب ١٩١/١ .

(٥) لم أهتد إليه .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (صنع) ٢٠٦٥/٢ ، والقاموس المحيط ٧٣٨ ، والصحاح ١٢٤٥/٣ ، ولسان
العرب ٢٥٠٨/٤ .

(٧) البيت لهذيل الأشجعي . انظر : تهذيب اللغة (صنع) ٢٠٦٥/٢ ، والكامل ١٢٣/٢ .

(٨) زاد المسير ٢٨٦/٥ ، والقرطبي ١٩٨/١١ ، وروح المعاني ١٩٣/١٦ .

وقال الكلبي^(١) : « اخترتك بالرسالة لنفسي ، لكي تحبني وتقوم بأمرى »^(٢) .

قال أهل المعاني : « معني ﴿لِنَفْسِي﴾ لتصرف بإرادتي ومحبتي » . وجاز ﴿لِنَفْسِي﴾ بمعنى لمحبي ؛ لأن المحبة أخص شيء بالنفس ، فحسن أن يجعل ما اختص بها مختصاً بالنفس على هذا الوجه . وهذا معني قول ابن عباس : « لوهي ورسالتي »^(٣) . لأن تبليغه الوحي وقيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله تعالى ، ومحبه^(٤) .

وقال بعضهم : « معني ﴿وَأَصْطَفَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ : اخترتك بالإحسان إليك لإقامة حجتي »^(٥) . أي لتكلم عني وتبلغ عني وتقيم حجتي على خلقي . وهذا ظاهر في معني لنفسي ، وقد كشف عنه أبو إسحاق فقال : « تأويله : اخترتك لإقامة حجتي ، وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في الخطاب عني والتبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم »^(٦) .

(١) في (س) : (قال الكلبي : تقول اخترتك) .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٦٨ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٤ ، وزاد المسير ٥ / ٢٨٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٩٩ .

(٣) زاد المسير ٥ / ١٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٩٨ ، وروح المعاني ١٦ / ١٩٣ .

(٤) قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٢٦٤ : « وأما لفظ الأركان والأعضاء والأدوات فيستدل بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية كاليد والوجه » . وقال أبو حنيفة : « له يد ووجه ونفس كما ذكر - تعالى - في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس فهو له صفة بلا كيف » . فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني سالمة من الاحتمالات الفاسدة ، فلذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفيًا ولا إثباتًا لئلا يثبت معنى فاسد أو ينفي معنى صحيح ، وهذه الألفاظ المجملة كلها عرضة للمحقق والمبطل . قال ابن كثير في تفسيره ٣ / ١٧٠ : « أي اصطفتيك واجتيتك رسولاً لنفسي ؛ أي كما أريد وأشاء » . انظر : الفقه الأكبر ٣٦ ، وتيسير الكريم الرحمن ٥ / ١٥٨ ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى .

(٥) المحرر الوجيز ١٠ / ٣٢٢ ، وروح المعاني ١٦ / ١٩٣ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٦٥ .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي ﴾ . قال ابن عباس : «يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى»^(١) .

وقال آخرون : «بحججي»^(٢) .

وقال ابن الأنباري : «يجوز أن يريد ﴿بِآيَاتِي﴾ العصا ، واليد ، وأوقع عليهما اسم الجمع ، ويجوز أن يريد هما مع حل العقدة من لسانه التي لم يزل موسى يعرف بها»^(٣) .

قال الكلبي : «وكان هارون يومئذ بمصر ، فألهم أن يتلقى موسى ، فتلقاه من مصر ، فلما لقي موسى قال له موسى : إن الله أمرني أن آتي فرعون ، فسألت ربي أن يجعلك معي»^(٤) .

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٨ ، وروح المعاني ١٦/ ١٩٣ ، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى إِسْحَاقَ يَسَعَ ءَابَتٍ بَيْنَتِ قَسْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١] .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٦٨ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٠ .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٨٧ ، وذكر بلا نسبة في الكشف والبيان ٣/ ١٨ أ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٥٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٥ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ١٨ أ ، وذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٢٧٤ من دون نسبة ، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٨٧ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾؛ أي «لا تضعفا ولا تفترا، قاله المفسرون^(١)». يقال: وَنَى، يَنِي، وَنْيًا، وَوَانٍ إِذَا ضَعَفَ^(٢). قال العجاج^(٣):

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُّذُنًا غَفَرَ لَهُ إِلَاهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ
ويقال: هو وَانٍ فِي الْأَمْرِ وَمُتَوَانٍ.

وقوله تعالى: ﴿فِي ذِكْرِي﴾. قال الفرّاء: «في ذكري، وعن ذكري سواء»^(٤). والمعنى: لا تقصرا في ذكري بالإحسان إليكما والإنعام عليكما. وذكر النعمة شكرها.

٤٣. قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ تكرير الأمر بالذهاب للتأكيد. ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾. قد مرَّ في هذه السورة^(٥).

٤٤. ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَنَّا﴾. ذكر ابن عباس فيه قولين: أحدهما: «كنياه»^(٦)، وهو قول عكرمة، والسُّدِّي^(٧).

(١) تفسير القرآن للصنعاني ١٦/٢، وجامع البيان ١٦/١٦٩، والكشف والبيان ١٨/٣ أ، وتفسير

كتاب الله العزيز ٣/٣٩، وبحر العلوم ٢/٣٤٤.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (ونى) ٤/٣٩٦٠، ومقاييس اللغة (ونى) ٦/١٤٦، والقاموس المحيط (الونى)

٤/١٣٤٤، والصحاح (ونى) ٦/٢٥٣١، ولسان العرب (ونى) ٨/٤٩٢٨.

(٣) البيت لرؤبة بن العجاج. انظر: ديوانه ١٥، وجامع البيان ١٦/١٦٩، والنكت والعيون ٣/٤٠٤.

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٧٩.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤].

(٦) زاد المسير ٥/٢٨٨، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٠٠، والدر المنثور ٤/٥٣٦، وروح المعاني

١٩٥/١٦.

(٧) جامع البيان ١٦/١٦٩، والكشف والبيان ١٨/٣ أ، والنكت والعيون ٣/٤٠٥، ومعالم التنزيل

٥/٢٧٤.

واختلفوا في كنيته فقيل : أبو العباس ، وأبو الوليد ، وأبو مرة^(١) . والثاني : «أن القول اللين هو أن موسى أتاه فقال له : تسلم وتؤمن بما جئت به ، وتعبد رب العالمين على أن لك شبابك فلا تهرم إلى الموت ، وملكاً لا ينزع منك حتى تموت ، ولا ينزع منك لذة المطعم والمشرب والنكاح حتى تموت ، وينسا في أجلك أربعمئة سنة ، فإذا مت دخلت الجنة»^(٢) . فهذه الكلمات اللينات التي أتى بها موسى فرعون ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، وأبي صالح السُّدي عن أبي مالك ، ومرة عن ابن مسعود ، وناس من الصحابة^(٣) .

وقال مقاتل : يعني بالقول اللين : ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَ﴾^(٤) وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿[النازعات: ١٨-١٩] (٤) .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ؛ أي ادعوه على الرجاء والطمع ، لا على اليأس من فلاحه ، فوقع التعبد لهما على هذا الوجه ؛ لأنه أبلغ في دعائه إلى الحق بالحرص الذي يكون من الراجي^(٥) .

(١) الكشف والبيان ١٨/٣ أ ، والنكت والعيون ٣/٤٠٥ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٤ ، وزاد المسير ٢٨٨/٥ .

(٢) انظر : المصادر السابقة . والذي يظهر لي - والله أعلم - أن هذا من أخبار بني إسرائيل ، ولم يصح في ذلك شيء ، ولو كان في التفصيل هذا منفعة لنا لبَيَّنه القرآن الكريم ، وذكرته السُّنة النبوية .

(٣) معالم التنزيل ٥/٢٧٤ ، وزاد المسير ٢٨٨/٥ .

(٤) الكشف والبيان ١٨/٣ أ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٤ ، وتفسير مقاتل ٢ أ .

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره ١١/٢٠٠ : «القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه ، يقال : لان الشيء يلين ليناً ، وشيء لين ولين مخفف منه ، والجمع أليناء ، فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً ، فمن دونه أخرى بأن يقتدي بذلك في خطابه ، وأمره بالمعروف في كلامه» .

(٥) معالم التنزيل ٥/٢٧٥ ، والمحرق الوجيز ١٠/٣٣ ، والقرطبي ١١/٢٠٠ .

وقد كشف أبو إسحاق عن هذا المعنى فقال : «خاطب الله العباد بما يعقلون ، والمعنى في هذا عند سيبويه : اذهبا على رَجَائِكُمَا وَطَمَعِكُمَا»^(١) . والعلم من الله قد أتى من رواء ما يكون ، وإنما تبعث الرسل وهي لا تعلم الغيب ، ولا تدري أيقبل منها أم لا ، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم ، ومعنى (لعل) متصور في أنفسهم ، وعلى تصور ذلك تقوم الحجة ، وليس علم الله بما سيكون يجب به الحجة على الآدميين ، ولو كان ذلك لم يكن في الرسل فائدة»^(٢) .

وقال ابن الأنباري : «مذهب الفرّاء في ﴿لَعَلَّاهُ يَتَذَكَّرُ﴾ كي يتذكر ويخشى في تقديرهما وما تمضيان عليه»^(٣) .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا﴾ ؛ أي يبادر ويعجل بعقوبتنا . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والمفسرون^(٤) ، وجميع أهل اللغة . [يقال : فَرَطَ علينا فلان ، إذا عجل بمكروه ، وفَرَطَ منه أمراً ؛ أي بدر وسبق^(٥) .

(١) الكتاب لسيبويه ١٤٨/٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٥٧/٣ .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٨/٥ ، والبحر المحيط ٢٤٦/٦ .

(٤) جامع البيان ١٦/١٧٠ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٣٩ ، والنكت والعيون ٣/٤٠٥ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٥ ، وزاد المسير ٥/٢٨٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٨ ، وتهذيب اللغة (فرط) ٣/٢٧٧٣ ، ومقاييس اللغة (فرط) ٤/٤٩٠ ، والقاموس المحيط (فرط) ٦٨٠ ، والصحاح (فرط) ٣/١١٤٨ ، والمفردات في غريب القرآن (فرط) ٣٧٦ .

وقال الكسائي^(١): «يقال: فَرَطَ عليهم، يَفْرُطُ، فُرُوطاً، وفَرَطاً، وفُرْطَاناً»^(٢).

وقال الأصمعي: «يقال: فَرَطْتُ القوم، وأنا أَفْرِطُهُمْ فَرَطاً إذا تقدمتهم، ومنه الفَارِطُ والفَرَطُ إلى الماء»^(٣). وذكرنا هذا الحرف عند قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرُطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

وقال ابن الأعرابي: «الفَرَطُ: العجلة، يقال: فَرَطَ يَفْرُطُ»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَن يَطْعَنُ﴾؛ أي يجاوز الحد في الإساءة بنا.

قال الكلبي: «يقتلنا»^(٥).

٤٦. ﴿قَالَ لَا تَخَافَا﴾ جواب لقولهما: ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ [وقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ وعد لهما في النصر والمعونة والغلبة]^{(٦)(٧)}.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، ومن نسخة (ص).

(٢) ذكرت نحوه كتب اللغة من دون نسبة. انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٧٣، ولسان العرب ٦/ ٣٣٨٩، والمعجم الوسيط (فرط) ٢/ ٦٨٣.

(٣) تهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣.

(٤) تهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣.

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: الكشف والبيان ٣/ ١٨ ب، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٥، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٠، وروح المعاني ٥/ ١٩.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، ومن نسخة (ص).

(٧) إن ما جاء في القرآن من ألفاظ المعية حق على حقيقته وظاهره، يقول الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلث ٧١: «إن ظاهره وحقيقته أن الله - تعالى - مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرهً وسمعاً وبصراً وتديراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه». وقال ابن سعدي في تفسيره ٥/ ١٦٠: «أي أنتسأ بحفظي ورعايتي، أسمع قولكما، وأرى جميع أحوالكما فلا تخافا منه». انظر: الفتاوى لابن تيمية ٥/ ١٠٣، والعقيدة الواسطية ٣٣.

وقوله تعالى: ﴿أَسْمَعْ وَأَرَى﴾ . قال ابن عباس: «أسمع دعاء كما فأجيبه ، وأرى ما يراد بكما فأمنع»^(١) . والمعنى : لست بغافل عنكم فلا تهتما^(٢) .

٤٧ . قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ ؛ قيل : العصا^(٣) ، وقيل : اليد^(٤) .

وقال ابن الأنباري: «أراد جميع»^(٥) آيات موسى ، فذكرها بلفظ الواحد ، كما تقع اللفظة على جماعة الألفاظ والكلمة على جملة الكلمات»^(٦) . ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ . قال عطاء عن ابن عباس: «يريد من الله - عز وجل - على مَنْ اتبع البيان الذي جاء به موسى»^(٧) .

وقال أبو إسحاق: «ليس يعني به التحية ، وإنما معناه : أن مَنْ اتبع الهدى يسلم من عذاب الله وسخطه ، والدليل على أنه ليس سلام أنه ليس ابتداءً لقاءً وخطاباً»^(٨) . والذي ذكره عطاء يحتمل التحية ، ويحتمل ما قاله أبو إسحاق .

(١) معالم التنزيل ٢٧٥/٥ .

(٢) السمع والرؤية من صفات الله - عز وجل - الثابتة له على الوجه اللائق به نبتها له كما أثبتنا لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، وقد يراد مع إدراك السمع والرؤية النصر والتأييد . انظر : العقيدة الواسطية ٢٥ ، والفتاوى لابن تيمية ٣/١٣٤ ، والقواعد المثلث في صفات الله وأسماؤه الحسنی .

(٣) تفسير كتاب الله العزيز ٣/٣٩ ، وبحر العلوم ٢/٣٤٥ ، وزاد المسير ٥/٢٩٠ ، والقرطبي ١١/٢٠٣ .

(٤) تفسير كتاب الله العزيز ٣/٣٩ ، وبحر العلوم ٢/٣٤٥ ، وزاد المسير ٥/٢٩٠ .

(٥) قوله : (جميع) : ساقط من نسخة (س) .

(٦) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشف ٢/٥٣٩ ، والمحزر ١٠/٣٥ ، والبحر المحيط ٦/٢٤٦ ، وروح المعاني ١٦/١٩٨ ، وقال : «وتوحيد الآية مع تعددها لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا بيان الحجة ، فكأنه قيل : جئناك بما يثبت مدعانا» .

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/١٧١ ، وزاد المسير ٥/٢٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٠٤ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٨ .

وقال الفرّاء : «يريد والسلامة على مَنْ اتبع الهدى ، ولمن اتبع الهدى واحد .
قال : ويدل على صحة هذا المعنى .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ ^(١) ؛ أي
إنما يعذب الله - تعالى - مَنْ كذب بما جئنا به ، وأعرض عنه ، فأما مَنْ
اتبعه فإنه يسلم من العذاب .

وقيل : هذه أرجى آية ^(٢) في كتاب الله للمؤمنين ، وذلك أن الله أوحى إليهما
أن العذاب على مَنْ كذب أنبياء الله وأعرض عن الإيمان ^(٣) . و﴿ الْعَذَابَ ﴾ هاهنا
اسم الجنس وظاهر هذا موجب أن مَنْ صدق وآمن لم يكن عليه شيء من العذاب .

٤٩ . وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى فأتياه
فقالا له ما أخبر الله في كتابه ، فقال لهما فرعون : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا
يَمُوسَى ﴾ دليل على أنهما أتياه فقالا له ^(٤) . وفي قوله : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا
يَمُوسَى ﴾ وجهان ؛ أحدهما : أن المعنى فَمَنْ ربك وربك يا موسى ؟
فغلب الخطاب ؛ لأن المخاطب كان موسى دون هارون . [الثاني : أن
كليهما مخاطب ، ترك ذكر هارون] ^(٥) اكتفاء بموسى ، ولموافقة رؤوس
الآي ^(٦) . ويدل على أن المخاطب موسى دون هارون قوله تعالى :
﴿ قَالَ رَبُّنَا ﴾ ولم يقل : قالوا ، ولو كان الخطاب لهما كان الجواب منهما .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٨٠ / ٢ .

(٢) في (س) : (إنه) ، وهو تصحيف .

(٣) الكشف والبيان ١٨ / ٣ ب ، والقرطبي ٢٠٤ / ١١ ، والبحر المحيط ٢٤٧ / ٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٥٨ / ٣ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٦) الكشف والبيان ١٨ / ٣ ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٤ / ١١ .

٥٠ . وقوله تعالى : ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ فيه وجهان أحدهما : ما قاله مجاهد وهو أنه قال : «لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم ، ولا خلق البهائم كخلق الإنسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديراً»^(١) . وأكثر أقوال المفسرين تعود على هذا . قال عطية ، ومقاتل : ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ يعني صورته^(٢) . فهذا كقول مجاهد ؛ لأن المعنى خلق كل جنس من الحيوان على صورة أخرى .

وقال الحسن ، وقتادة : «أعطى كل شيء صلاحه وما يصلحه»^(٣) . والمعنى ما يصلحه من الخلق والصورة ، فكل شيء أعطي من الصورة ما يصلح لما خلق له .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ . قالوا : هداه لما يصلحه من معيشتة ومشربه ومنكحه إلى غير ذلك . وهذا القول اختيار أبي إسحاق ويُنه فقال : «معناه : خلق كل شيء على الهيئة التي بها ينتفع ، والتي هي أصلح الخلق له ، ثم هداه لمعيشتة»^(٤) . وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد أتقن كل ما خلق»^(٥) . والمعنى على هذا : أعطى كل شيء تمام خلقه .

(١) جامع البيان ١٦/١٧٢ ، والكشف والبيان ٣/١٨ ب ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٦ ، وزاد المسير ٥/٢٩١ ، والقرطبي ١١/٢٠٤ ، والدر المنثور ٤/٥٣٨ .

(٢) الكشف والبيان ٣/١٨ ب ، وزاد المسير ٥/٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٠٥ ، والبحر المحيط ٦/٢٤٧ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ١/١٦ ، وجامع البيان ١٦/١٧٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٤٠ ، وبحر العلوم ٢/٣٤٥ ، والنكت والعيون ٣/٤٠٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٨ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/١٧٢ ، والمحزر الوجيز ١٠/٣٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٧٢ .

[الوجه الثاني في تفسير هذه الآية قول الكلبي ، والسُّدِّي قالا : «أعطى الرجل المرأة ، والبعير الناقة ، والذكر الأنثى من جنسه»^(١) . وعلى هذا المعنى أعطى كل شيء من جنس خلقه]^(٢) . وصرح السُّدِّي بهذا اللفظ قال : «أعطى الذكر الأنثى مثل خلقه ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ قال : إلى الجماع»^(٣) .

وهو قول الكلبي^(٤) . والمعنى : ألهم كيف يأتي الذكر الأنثى في النكاح . وهذا القول اختيار ابن قتيبة^(٥) ، والفراء . قال الفراء : «أعطى الذكر من الناس امرأة مثله من صنفه ، والشاة شاة ، والثور بقرة ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ ؛ ألهم الذكر المأثى»^(٦) .

قال أبو إسحاق : «وهذا التفسير جائز ؛ لأننا نرى الذكر من الحيوان يأتي الأنثى ، ولم يُذكر قد أتى أنثى قبله ، فألهمه الله ذلك وهداه إلى المأثى . قال : والقول الأول ينتظم هذا المعنى ؛ لأنه إذا هداه لمصلحته فهذا داخل في المصلحة»^(٧) .

وروي عن الضحاك قول آخر في ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ قال : «يعني اليد البطش ، والرجل المشي ، واللسان النطق ، والعين البصر ، والأذن السمع»^(٨) . والمعنى على هذا : أعطى كل عضو من الأعضاء ما خلق له من النفع الذي فيه^(٩) .

(١) جامع البيان ١٦/ ١٧٢ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١٦/ ٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٠/ ٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٧٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٤ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ١٦/ ٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٠/ ٣ .

(٥) تفسير غريب القرآن ٢٧٩ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨١ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٩ .

(٨) الكشف والبيان ٣/ ١٩ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٥ ، وأضواء البيان ٤/ ٤١٨ .

(٩) قال الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٤/ ٤١٩ : «ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة ، لأنه لا شك أن الله أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا ، ثم هداهم إلى =

والخلق في هذا القول في معنى المخلوق ، والبطش والمشي والنظر ، وهذه المعاني كلها مخلوق لله تعالى ، أودعها الأعضاء وأعطاهما . والاحتجاج على فرعون من هذا الجواب : أنه قد ثبت خلق وهداية لا خلاف ، ولا بد لهما من خالق وهادٍ ، ذلك الخالق والهادي هو الرب ، لا رب غيره ، فلمَّا دعاه إلى دين الله ، واتباع الهدى ، واحتج عليه بأن الرب هو الخالق الهادي .

٥١ . قال له فرعون : ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ . قال ابن عباس : «يريد ما حال القرون التي مضت ؟»^(١) . ومعنى البال هاهنا : الحال والشأن^(٢) .

والمعنى : ما حالها ؟ فإنها لم تُقر بالله وبما تدعو إليه ، ولكنها عبدت الأوثان . ويعني بالقرون الأولى : الأمم المتقدمة مثل قوم نوح ، وعاد ، وثمود .

٥٢ . فقال موسى : ﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ . قال أبو إسحاق : «أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها»^(٣) . وعلى هذا ، يكون التقدير : علم أعمالها عند ربي ﴿فِي كِتَابٍ﴾ ؛ قال الكلبي : «اللوحة المحفوظ»^(٤) . والمعنى : أن أعمالهم مكتوبة مثبتة . ومعنى هذا الجواب أنهم يجازون بما عملوا ،

طريق الانتفاع به ، ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له ، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة والألفة والاجتماع ، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به ، فسبحانه جل وعلا» .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٧٣ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٧ ، وزاد المسير ٥ / ٢٩١ ، ولباب التأويل ٤ / ٢٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٠٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (بال) ١ / ٢٦٣ ، والصحاح (بول) ٤ / ١٦٤٢ ، ولسان العرب (بول) ١ / ٣٨٩ ، والمفردات في غريب القرآن (بال) ٦٧ ، ومختار الصحاح (بول) ٢٨ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٥٩ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣ / ١٩ أ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٤٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٧ ، والمحرم الوجيز ١٠ / ٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٠٥ .

وأنت تجازى بما تعمل ، كما قال في آية أخرى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْشَئُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤] .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ تأكيد وتحقيق للجزاء بالأعمال . قال : يريد لا يترك مَنْ كفر به حتى ينتقم منه ، ولا ينسى من وحده حتى يجازيه . وقال الكلبي : « لا يخطئ ربي ولا ينسى ما كان من أمرهم ، حتى يوافيهم بأعمالهم بالحسن حسناً وبالسيئ سيئاً »^(١) .

قال الفرّاء : « يقال أضللت الشيء : إذا ضاع منك مثل : الدابة وما أشبهها إذا انفلت منك ، وإذا أخطأت موضع الشيء الثابت مثل الدار والمكان ، قلت : ضللت ولا يقال أضللت »^(٢) .

وقال أبو إسحاق : « ضَلَلْتُ الشيءَ أَضِلُّهُ إذا جعلته في مكان لم تدرك أين هو ، وَأَضَلَّتهُ أَضَعْتُهُ »^(٣) . وتقدير الآية : لا يضلّه ربي ولا ينساه ، يعني به الكتاب ، ويجوز لا يضلها ولا ينساها ، يعني بها القرون ، هذا كلامهما ، والمعنى على ما ذكر الفرّاء : لا يخطئ ربي ، كما ذكره الكلبي . وعلى ما ذكر أبو إسحاق معنى يضل : ينسى . وقد قال مجاهد : « لا يضل ربي ولا ينسى هما شيء واحد »^(٤) . وقال السُّدِّي : « لا يغفل ولا يترك شيئاً »^(٥) . فجعل النسيان بمعنى الترك . وفي قول مجاهد النسيان معناه : ضد الذكر .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٧٣ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٧ ، وزاد المسير ٥ / ٢٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٠٨ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٥٩ .

(٤) جامع البيان ١٦ / ١٧٣ ، والكشف والبيان ٣ / ١٩ أ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٤٥ ، والدر المنثور ٤ / ٥٣٨ .

(٥) بحر العلوم ٢ / ٣٤٥ .

وقال أبو عمرو : «يُقَالُ أَضَلَلْتُ بَعِيرِي ، إِذَا كَانَ مَعْقُولًا فَلَمْ يَهْتَدِ لِمَكَانِهِ ، وَأَضَلَّتْهُ إِضْلَالًا ، إِذَا كَانَ مُطْلَقًا فَذَهَبَ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَ وَأَخَذَ ، وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الضَّلَالِ مِنْ قِبَلِكَ قُلْتَ : ضَلَلْتُهُ ، وَمَا جَاءَ مِنَ الْمَفْعُولِ بِهِ قُلْتَ : أَضَلَلْتُهُ . قَالَ : وَأَصْلُ الضَّلَالِ مِنَ الْغَيْبَةِ ، يُقَالُ : ضَلَّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ إِذَا غَابَ ، وَضَلَّ الْكَافِرُ غَابَ عَنِ الْحُجَّةِ ، وَضَلَّ النَّاسِي إِذَا غَابَ عَنْ حِفْظِهِ»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ؛ أي لا يغيب عن شيء ، ولا يغيب عنه شيء .

وقال ابن الأنباري : «مذهب مقاتل في هذه الآية : أن عدو الله فرعون كان قد قال له مؤمن آل فرعون : ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ ٥٠ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ» [غافر : ٣٠ ، ٣١] . وكان هذا في قلب فرعون يجب أن يعلم حالاتهم ، فلما أورد موسى عليه الآية الباهرة التي عجز عن معارضتها أحب أن يعلم من جهته أخبارهم ، ولم يكن عند موسى في ذلك الوقت علمٌ بأخبارهم ؛ لأنه عرف أخبار القرون من التوراة ، ولم تنزل التوراة على موسى إلا بعد هلكة فرعون وغرقه»^(٢) . فلذلك قال موسى : ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ ؛ يعني اللوح المحفوظ ، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ . قال وذهب الأولون إلى أن المعنى في : ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يضل الكتاب من ربي . قال وهذا باطل ؛ لأن الخافض لا يحتمل له سقوط في مثل هذا المكان ، لا يجوز أن تقول : سقط الدرهم كملك . وأنت تريد من كملك ، كذلك هاهنا لا يجوز^(٣) .

(١) تهذيب اللغة (ضل) ٣/٢١٢٩ ، ولسان العرب (ضلل) ٥/٢٦٠٢ .

(٢) تفسير مقاتل ٣ ، والنكت والعيون ٣/٤٠٧ ، وزاد المسير ٥/٢٩٢ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشف ٢/٥٣٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٠٨ ، والبحر المحيط ٦/٢٤٨ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/١٢٢ .

٥٣. قوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وقرأ : ﴿مَهْدًا﴾^(١) . قال أبو علي : «المهد مصدر كالفرش ، والمهاد مثل الفراش والبساط ، وهما اسم ما يفرش ويبسط ، ويجوز أن يكون المهد استعمل استعمال الأسماء فجمع كما يجمع فَعْل على فِعَال والأول أئين . قال : ويجوز أن يكون المعنى في قوله : ﴿مَهْدًا﴾ ذات مهد ، فيكون في المعنى كقول من قال : مهاداً»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ . السلك : إدخال الشيء في الشيء يسلكه فيه ، قال الله تعالى : ﴿مَّا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدر: ٤٢] ، والطاعن يسلك الرمح في المطعون^(٣) . أدخل في الأرض لأجلكم طرقاً تسلكونها ، كما قال ابن عباس : «سهل لكم فيها طرقاً»^(٤) .

ولما كانت الطرق المسلوكة ممتدة على الأرض ظاهرة عليها جعلت كأنها مسلوكة فيها ، وإن كانت من الأرض تشبيهاً بالشيء الذي يسلك في الشيء . ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ؛ يعني المطر ، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ . قال صاحب النظم : «تم الإخبار والحكاية عن موسى عند قوله : ﴿مَاءً﴾ ثم أخبر الله - تعالى - عن نفسه متصلاً بالكلام الأول بقوله : ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يدل على هذا قوله : ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ [طه : ٥٤] ، قال : وقد قيل : إن معناه مضاف إلى موسى على تأويل : الذي أنزل من

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وابن عامر (مهاداً) بالألف ، وقرأ عاصم ، وحزمة ، والكسائي ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألف .

انظر : السبعة ٤١٨ ، والحجة للقراء السبعة ٢٢٣/٥ ، والتبصرة ٢٥٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٨ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٢٢٣/٥ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (سلك) ١٧٣/٢ ، ومقاييس اللغة ٩٧/٣ ، والقاموس المحيط ٩٤٣ ، والصحاح ١٥٩١/٤ ، ولسان العرب ٢٠٧٣/٤ .

(٤) معالم التنزيل ٢٧٨/٥ ، وذكره الطبري في تفسيره ١٧٤/١٦ من دون نسبة .

السماء ماء فأخرجنا نحن معاشر عباده ﴿يَهْءَ﴾ ؛ بذلك الماء ﴿أَزَوَّجًا مِّن نَّبَاتٍ شَقَّى﴾ على الحراثة ؛ أي إنما حرثناه بذلك الماء ، ولولا ذلك الماء ما نبت كما قال سبحانه : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة : ٦٣] ، فأضاف الحراثة إليهم^(١) .

وقوله : ﴿أَزَوَّجًا مِّن نَّبَاتٍ شَقَّى﴾ . قال ابن عباس : «يريد أصنافاً من النبات مختلفة»^(٢) . وقال الكلبي : «﴿شَقَّى﴾ مختلفاً ألوانه أبيض وأحمر وأخضر وأصفر كل لون منها زوج»^(٣) .

وقال الفرّاء : «﴿شَقَّى﴾ ؛ مختلف الألوان والطعوم»^(٤) . والزوج : اللون ، والأزواج : الألوان ، قال الأعشى^(٥) :

وَكُلُّ زَوْجٍ مِّنَ الدِّيْبِاجِ يَلْبَسُهُ
أَبُو قَدَامَةَ مَحْبُوءًا بِذَلِكَ مَعَا
وتقدم الكلام في معاني الزوج^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿شَقَّى﴾ معناه : مختلف متفرق ، ولا واحد له من لفظه ، مثل : فوضى ، يقال : شت الشيء ، إذا تفرق ، يَشْتُهُ شَتًّا وَشَتَاتًا وَشَتَّتَهُ إِذَا فَرَّقَهُ ، وَأَشَتَّهُ وَشَتَّتَهُ ويقال : وقعوا في أمرٍ شت وشَتَّى^(٧) . و﴿شَقَّى﴾ في هذه الآية نعت

(١) لم أقف على قول صاحب النظم ، وذكر نحوه المحرر الوجيز ٤٠/١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/١١ ، والتفسير الكبير ٦٨/٢٢ ، وروح المعاني ٢٠٦/١٦ .

(٢) جامع البيان ١٦/١٧٤ ، والدر المنثور ٤/٥٣٩ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٥/٢٧٨ من دون نسبة .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٨١ .

(٥) البيت للأعشى . الديباج : ضرب من الثياب . والحبوة : الثوب الذي يحتبى به . انظر : ديوانه ١٠٨ ، وتهذيب اللغة (زاج) ٢/١٤٩٧ ، ولسان العرب (زوج) ٣/١٨٨٦ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد : ٣] .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (شت) ٢/١٨٢٥ ، ومقاييس اللغة ٣/١٧٧ ، والقاموس المحيط ١٥٤ ، والصحاح ١/٢٥٤ ، ولسان العرب ٤/٢١٩٢ ، والمفردات في غريب القرآن ٢٥٥ .

للأزواج ؛ لأن المراد ألوان مختلفة ، ويجوز أن يكون من نبات ^(١) . قال الأخفش : «كل ذلك مستقيم» ^(٢) .

ذكر ابن الأنباري القولين فقال : «النبات يقع على جمع لا ينفرد واحده ، وكذلك ﴿شَقَى﴾» ^(٣) . وذهب بها مذهب : عطشى ، وكسلى ، وإن قدر واحد النبات نباتة ، وواحد شَتَّى شَتيت صح ووضح التشاكل ، وإن حمل ﴿شَقَى﴾ على أزواج ، وقدر أزواجاً شَتَّى من نبات فهو معنى صحيح .

٥٤ . قوله تعالى : ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾ ؛ أي مما أخرجنا بالمطر من النبات ، ﴿وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ﴾ . يقال : رعت الماشية الكلاً رعيًا ، ورعاها صاحبها رعايةً ، إذا أسامها وسرحها وأراحها ^(٤) .

والمعنى : أسيموا مواشيكم في ما أنبتناه بالمطر ، وهذا أمر إباحة ^(٥) معناه التذكير بالنعمة ، قال ابن عباس : «هذا كقوله : ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ إلى قوله ﴿مَنْعَا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٧-٣٢]» ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ معنى ما ذكر من الدلالة على توحيده ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ . قال اللحياني : «النَّهْيَةُ : العقل ، والنُّهْيُ جمع نُهْيَةٍ ، ورجل نَهٍ ونَهِي

(١) الكشف ٢ / ٥٤٠ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٥١ ، وإملاء ما من به الرحمن ١ / ١٢٢ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٣١ .

(٣) ورد بلا نسبة في الكشف ٢ / ٥٤٠ ، وزاد المسير ٥ / ٢٩٢ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ٦٩ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٥١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (رعى) ١٤٣٠ ، والقاموس المحيط (الرعى) ١٢٨٩ ، والصحاح (رعى) ٦ / ٢٣٥٨ ، ولسان العرب (رعى) ٣ / ١٦٧٦ ، والمفردات في غريب القرآن (رعى) ١٩٨ .

(٥) في (ص) : (افاته) ، وهو تصحيف .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف ٢ / ٥٤٠ ، والفتوحات الإلهية ٣ / ٩٦ ، وأضواء البيان ٤ / ٤٢٣ .

من قوم نُهين وأنهياء ، ولقد نهو ما شاء ، كل ذلك من العقل . وسمي العقل نهية ؛ لأنه يُنتهى إلى ما أمر به ، لا يُجاوز أمره^(١) .

وقال أبو إسحاق : « يقال : فلان ذو نهية ، ومعناه ذو عقل ينتهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسن ، قال : وقال أهل اللغة : ذو النهية الذي ينتهي إلى رأيه وعقله ، قال : وهذا أحسن أيضاً^(٢) .

وهذا معنى قول اللحياني في اشتقاق النهية .

وقال أبو علي : « لا يخلو النهى من أن يكون مصدراً كالهدي ، أو جمعاً كالظلم . وقوله تعالى : ﴿لَا أُؤَلِّى النَّهْيَ﴾ يقوي أنه جمع لإضافة الجمع إليه ، وإن كان المصدر يجوز أن يكون مفرداً في موضع الجمع ؛ لأنه لا يثنى ولا يجمع ، والنهى معناه في اللغة : الثبات والحبس ، ومنه النهى والتنهية للمكان الذي ينتهي إليه الماء فيستنقع فيه لشغله ولمنعه بارتفاع ما حوله من أن يسبح فيذهب على وجه الأرض^(٣) ، هذا كلامه . وقد رجع القولان في اشتقاق النهية إلى قول واحد ، وهو الحبس ، والنهية هي التي تنهى وتحبس عن المقابح^(٤) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : « ﴿لَا يَتْلَى النَّهْيَ﴾ يريد العبرة لذوي العقول^(٥) . يريد للذين يتناهون بعقولهم عن معاصي الله . ونحو هذا قال الضحاك^(٦) .

(١) تهذيب اللغة (نهی) ٤ / ٣٦٨٠ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٥٩ .

(٣) لم أهتم إليه .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (نهی) ٤ / ٣٦٨٠ ، والقاموس المحيط (نہاء) ١٣٤١ ، والصحاح (نهی)

٦ / ٢٥١٧ ، ولسان العرب (نهی) ٨ / ٤٥٦٤ ، والمفردات في غريب القرآن (نهی) ٥٠٧ .

(٥) الدر المنثور ٤ / ٥٣٩ ، وروح المعاني ١٦ / ٢٠٧ ، وذكره الطبري في تفسيره ١٦ / ١٧٥ من دون نسبة .

(٦) الكشف والبيان ٣ / ١٩ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٨ ، وروح المعاني ١٦ / ٢٠٧ .

وقال في رواية الوالبي : «لذوي التقى»^(١) .

وقال قتادة : «لذوي الورع»^(٢) . وهذا معنى وليس بتفسير ، وذلك أن ذا العقل يكون ورعاً تقياً ، ليس أن النهي تكون بمعنى الورع والتقى . وقال أهل المعاني : «إنما اختص أولو النهي ؛ لأنهم أهل الفكر والاعتبار والتدبر والاعتاظ»^(٣) .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا ﴾ ؛ أي من الأرض ، وجرى ذكرها عند قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ [طه: ٥٣] ، ﴿ خَلَقْنَكُمْ ﴾ يعني خلق آدم من الأرض والبشر كلهم منه^(٤) .

﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ ؛ أي بعد الموت ، ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ يريد عند البعث ، يعني كما أخرجكم أولاً عند خلق آدم من الأرض . قال الزجاج : «لأن إخراجهم وهم تراب بمنزلة خلق آدم من تراب ، فكأنه قال والله أعلم : ومنها نخلقكم تارة أخرى»^(٥) . ومضى الكلام في تارة عند قوله : ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [الإسراء: ٦٩] .

٥٦ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ﴾ ؛ يعني فرعون ﴿ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا ﴾ ؛ يعني الآيات التسع ومضى تفصيلها^(٦) . ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ نسب جميع ذلك إلى الكذب ،

(١) الكشف والبيان ١٩/٣ أ ، والدر المنثور ٥٣٩/٤ .

(٢) الكشف والبيان ١٩/٣ أ ، ومعالم التنزيل ٢٧٨/٥ ، والدر المنثور ٥٣٩/٤ .

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن ١٨١/٢ ، والزجاج في معاني القرآن ٣٥٩/٣ .

(٤) يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٦٠/٣ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ قِسْعَ ءَايَاتِنَا بَيْنَتِ قَسْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورٌ ﴾ [الإسراء: ١٠١] .

أو نسب موسى إلى الكذب ، ﴿وَأَبَى﴾ ؛ وامتنع أن يقبل التوحيد ، ونسب موسى إلى السحر .

٥٧ . وهو قوله تعالى : ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ : يعني مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى﴾ تريد أن تغلب على ديارنا بسحرك ، فتمتلكها وتخرجنا منها .

٥٨ . ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ ؛ فلنقابلن ما جئتنا به من السحر بسحر مثله ، ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ . الموعد في اللغة يجوز أن يكون اسماً للوعد فيكون مصدرًا ، ويجوز أن يكون اسماً لمكان الوعد^(١) . كقوله تعالى : ﴿وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ [الحجر: ٤٣] . فالموعد هاهنا ينبغي أن يكون مكانًا ؛ لأن جهنم مكان ، ويجوز أن يكون الموعد اسماً لزمان الوعد ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١] ، والذي في هذه الآية هو المصدر : اجعل بيننا وبينك وعدًا ، ويدل على هذا قوله : ﴿لَا تُخْلَفُهُ﴾ ؛ أي لا نخلف ذلك الوعد ، والإخلاف : أن يعد العدة فلا ينجزها .

وقوله تعالى : ﴿مَكَانًا سَوًى﴾ ينتصب على الظرف للوعد^(٢) ، وعند البصريين لا يجوز أن يكون ظرفاً للوعد الظاهر في الآية ويتعلق به ؛ لأنه قد وصف بالجملة التي هي ﴿لَا تُخْلَفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ ، وإذا وصف لم يجز أن يتعلق به بعد الوصف له شيء منه ؛ لأنه لا يوصف الاسم قبل تمامه ، وكذلك لا يعطف عليه ولا يؤكد ولا يخبر عنه ، والوصف والعطف والتوكيد والخبر كل هذا يؤذن بتام الاسم ، فلا يجوز أن يتعلق بالاسم بعد هذه الأشياء شيء ، مثال ذلك أنك لا تقول : هذا

(١) انظر : تهذيب اللغة (وعد) ٤ / ٣٩١٥ ، والقاموس المحيط (وعده) ١ / ٣٢٦ ، والصحاح (وعد)

٢ / ٥٥١ ، ولسان العرب (وعد) ٨ / ٤٨٧١ ، والمفردات في غريب القرآن (وعد) ٥٢٦ .

(٢) الحجة للقرء السبعة ٥ / ٢٢٤ ، وإملاء ما من به الرحمن ١ / ١٢٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٤٢ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٥٣ .

ضارب ظريف زيداً على أن ينصب (زيداً) بضارب ؛ لأنك وصفت الضارب فلا يتعلق به بعد الوصف شيء ، وكذلك لا يجوز المعطي عمراً زيداً ، على أن ينصب (زيداً) بالمعطي ؛ لأنك قد أخبرت عنه ، ولا يجوز مررت بالضارب وعمرو زيداً ، ولا مررت بالضارب نفسه زيداً ؛ لأنك لا تؤكد ولا تعطف على الاسم وقد نفيت منه بقيه ، وكذلك البديل لا يجوز أن يبدل من الاسم قبل تمامه كقولك : مررت بالضارب أخيك زيداً ، على أن تبدل الأخ من الضارب ، وقد جاء في الشعر شيء من هذا كقول بشر بن أبي خازم^(١) :

إِذَا فَاقَدُ خُطْبَاءَ فَرَخِينَ رَجَّعْتُ ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الْخَلِيطِ الْمُبَايِنِ

أعمل (فاقد) بعد وصفه بخطباء ، وهذا الذي جاء منه في الشعر يحمل النحويون مثله على إضمار فعل آخر مثل الذي ظهر ، كأنه قال بعد قوله خطباء : فقدت فرخين ، ودل عليه فاقد ، كذلك قوله تعالى : ﴿مَكَانًا﴾ لا يجوز على ما ذكرنا أن يتعلق بموعد ، ولكنه يتعلق بمحذوف يدل عليه الظاهر ، كأنه قيل : عدنا مكاناً سوى ، ويجوز أن يتعلق بالموعد المذكور في الآية ؛ لأنه ظرف والظرف^(٢) يتجوز فيه ما لا يتجوز في غيره ، ألا ترى أن الظروف تقع مواقع لا يقعها غيرها^(٣) ؟

ومما جاء مثل هذا في التنزيل قوله تعالى : ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر : ١٠] ، فالظرف الذي هو (إذ) يتعلق بالمقت الأول ؛ لأن المعنى : لمقت الله إياكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم الآن ، فقوله : ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ يتعلق بالمقت الأول ،

(١) البيت لبشر بن أبي خازم . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٥ ، والمقرب لابن عصفور ١/ ١٢٤ ، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٦٠ ، وشرح شاهد الألفية للعيني ٣/ ٥٦٠ ، ولسان العرب (فقد) ٦/ ٣٤٤٤ ، ومجمع البيان ٧/ ٢٥ .

(٢) في (ص) : (والظروف) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٦ .

وقد وقع بعد الاختلاف عنه بقوله أكبر من مقتكم الآن ، وهذا يحمل على أحد الوجهين اللذين ذكرناهما من تقدير الحذف ، كأنه قيل : مقتكم إذ تدعون ، أو على أنه ظرف يتجاوز فيه .

قال أبو علي الفارسي : « ولم نعلم في التنزيل مجيء ^(١) شيء من هذا إلا في الظرف » ^(٢) . ويجوز أن يكون الموعد في هذه الآية اسماً لزمان الوعد ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٥٩] ، فيكون مجيء الموعد اسماً للزمان ، كقولهم : كان هذا مقدم الحاج ، ومبعث الجيوش ، ومضرب الشُّول ^(٣) ؛ أي وقت قدومهم ، ووقت بعثهم ، ووقت ضربها ، وأنشد أبو الحسن ^(٤) :

كُلَّمَا قُلْتُ : غَدًا مَوْعِدَنَا غَضِبْتُ هِنْدٌ وَقَالَتْ : بَعْدَ غَدٍ

والموعد في هذا البيت اسم للزمان ، والكلام في انتصاب (مكاناً) على هذا الوجه يكون كما ذكرنا في الوجه الأول في موعد ؛ لأن التقدير : اجعل بيننا وبينك وقت وعد ، أو زمان وعد لا نخلفه نحن ولا أنت في مكان سوى . والذي يختاره أبو علي في وجه نصب ﴿ مَكَانًا ﴾ : « أن يكون مفعولاً ثانياً لجعلت بمنزلة قوله : ﴿ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩١] ، وقوله : ﴿ وَجَعَلُوا أَلَمَاتِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنَّتًا ﴾ [الزخرف: ١٩] ، في أنه انتصب على أنه مفعول ثانٍ لجعلت » ^(٥) . وعلى

(١) في نسخة (س) : (جيء) .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٢٢٦/٥ .

(٣) الشُّول من النوق : التي قد أتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها ، فلم يبقَ في ضرعها إلا شُول من اللبن ؛ أي بقية . وأمّا الناقة الشائل بغير هاء : فهي التي ضربها الفحل فشالت بذنبها ؛ أي رفعته تري الفحل أنها لا قح ، وذلك آية لقاحها . انظر : تهذيب اللغة (شال) ١٨١١/٢ ، ومقاييس اللغة (شول) ٢٣٠/٣ ، والقاموس المحيط (شالت) : (١٠٢١) ، والصحاح (شول) ١٧٤٢/٥ ، ولسان العرب (شول) ٢٣٦٣/٤ .

(٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة . انظر : ديوانه ٣٢٣ ، والحجة للقراء السبعة ٢٢٨/٥ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٢٢٨/٥ .

هذا يجب أن يكون الموعد اسماً للمكان ، ويجوز أن يكون بدلاً منه . وأمّا معنى (سوى) قال الزّجاج : ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ ويقرأ : سُوى بالضم^(١) . ومعناه : مُنْصَفًا ؛ أي مكاناً يكون النّصف في ما بيننا وبينك ، وقد جاء في اللغة سواء ممدود مفتوح بهذا المعنى تقول : هذا مكان سواء ؛ أي متوسط بين المكانين^(٢) .

وقال أبو عبيدة : «مكان سُوى وسوى ، بضم أوله وبكسر ، مثل : طوى وطوى وهو المكان المنصف في ما بين القريتين»^(٣) ، وأنشد لموسى بن جابر الحنفي^(٤) :

وإنَّ أباناً كانَ حلَّ ببلدَةٍ سوى بين قيسٍ عيلانٍ والفِزْرِ

فسوى مثل : بلى ، وقرى ، ومعى ، ورى ، وقمع ، وضلع ، وقطع . وسوى بالضم مثل : ضحى وسدى وهدى ، ومثل : صرد وحطم ونحو ذلك . وقال أبو علي : «سوى فعلٌ من التسوية ، فكأن المعنى : يستوي مسافته على الفريقين فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر ، وهذا ما يقل في الصفات ، ومثله :

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، والكسائي (مكاناً سُوًى) بكسر السين ، وقرأ ابن عامر ، وعاصم ، وحمة ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ بضم السين . انظر : السبعة ٤١٨ ، والحجة للقراء السبعة ٢٢٣/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٨ ، والتبصرة ٢٥٩ .

(٢) معاني القرآن للزّجاج ٣/٣٦٠ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٠ .

(٤) البيت لموسى بن جابر الحنفي . انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٠ ، وجامع البيان ١٦/١٣٤ ، والنكت والعيون ٣/٤٠٨ ، والمحزر الوجيز ١٠/٤٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/٢٢٤ ، والخزانة ١٤٦/١ ، والأغاني ١٠/١٠٧ ، ولسان العرب (سوى) ٤/٢١٦٣ .

قوم عِدَى ، [وَأَمَّا فَعَلَ فهو في الصفات أكثر من فَعَلَ نحو : دَلِيلٌ خُنعٍ^(١) ، وَمَالٌ لُبْدٍ ، وَرَجُلٌ حُطَمٌ^(٢) . هذا كلام أهل اللغة في هذا الحرف^(٣) .

فَأَمَّا قول المفسرين فقال قتادة : «نصفاً»^(٤) .

وقال مقاتل : «عدلاً بيننا وبينك»^(٥) . ونحوه قول السُّدي^(٦) .

وقال مجاهد : «منصفاً بيننا وبينك»^(٧) .

وقال ابن مسلم : «وسطاً بين القريتين»^(٨) . وهذه الأقوال بمعنى واحد .

وقال ابن زيد : «مكاناً مستوياً يتبين الناس ما بيننا فيه»^(٩) . وعلى هذا ، التسوية من صفة المكان ، لا من صفة المسافة إليه ، كأنه قيل : مكاناً لا يحجز

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٢٤ .

(٣) معاني القرآن للقراء ١٨١ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٦٠ / ٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٢٤ ، وتهذيب اللغة (سوى) ١٧٩٥ / ٢ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٩ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ١٦ / ٢ ، وجامع البيان ١٦ / ١٧٦ ، والدر المنثور ٤ / ٥٤٠ .

(٥) الكشف والبيان ٣ / ١٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٩ ، وتفسير مقاتل ٣ .

(٦) جامع البيان ١٦ / ١٧٦ ، وبحر العلوم ٢ / ٢٣٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٠٨ ، والدر المنثور ٤ / ٥٤٠ .

(٧) جامع البيان ١٦ / ١٧٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣ / ٤٢ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٤٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢١٢ .

(٨) الكشف والبيان ٣ / ١٩ ب ، وبحر العلوم ٢ / ٣٤٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٠٨ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٧٩ ، وزاد المسير ٥ / ٢٠٥ .

(٩) جامع البيان ١٦ / ١٧٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢١٢ ، والدر المنثور ٤ / ٥٤٠ .

الناظر إليه من^(١) انخفاض وارتفاع . وقيل ﴿مَكَانًا سُوءًا﴾ أي تستوي حالنا في الرضا به^(٢) .

وقال الكلبي : ﴿سُوءًا﴾ يعني سوى هذا المكان^(٣) . يعني الذي كان فرعون فيه وقت خطابه موسى . و﴿سُوءًا﴾ على هذا القول يكون بمعنى : غير ، ويحتاج إلى تقدير محذوف .

وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿مَكَانًا سُوءًا﴾ يريد موضعاً معروفاً^(٤) . وهذا القول يشبه معنى قول ابن زيد . والقول ما عليه الجمهور . ومعنى الآية : اجعل بيننا وبينك موعداً لنجىء بسحر مثل الذي جئت به ، فننظر أينما يغلب صاحبه .

٥٩ . قوله تعالى : ﴿قَالَ﴾ ؛ أي موسى : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ [إن جعلت الموعد اسماً لزمان الوعد رفعت اليوم على خبر الابتداء ، من حيث كان الثاني هو الأول كما ذكرنا في البيت الذي أنشده أبو الحسن]^(٥) ، وإن جعلت الموعد بمعنى الوعد ، فقال أبو إسحاق : «المعنى وقت موعدكم يوم الزينة»^(٦) .

وقال أبو علي : «اليوم ظرف أشبه فيه ، فجعله الأول لما كان فيه ، وأخرج من أن يكون ظرفاً ويدل على هذا قوله : ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ألا ترى أن قوله :

(١) في (س) : (شيء من الخفاء) .

(٢) التفسير الكبير ٢٢/٧٢ ، وروح المعاني ١٦/٢١٧ .

(٣) الكشف والبيان ٣/١٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٩ ، والقرطبي ١١/٢١٢ .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : ابن كثير ٣/١٧٣ ، والفتوحات الإلهية ٣/٩٧ ، وروح المعاني ١٦/٢١٧ .

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٦٠ .

﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ ليس من الظروف في شيء ، فلولا أن اليوم في قوله : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ قد خرج من أن يكون ظرفاً لم يعطف عليه ما لا يكون ظرفاً^(١) .

ومن قرأ : (يومَ الزينة) بالنصب^(٢) ، فقال أبو إسحاق : «يوم منصوب على الظرف ، المعنى : يقع يوم الزينة»^(٣) .

قال أبو علي : «وعلى هذه القراءة ، يضمن قوله : ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى﴾ ما يكون مبنياً عليه ، كأنه قيل : موعدكم يقع يوم الزينة ، وموعدكم أن يحشر الناس ضحى . وإن عطفت ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ﴾ على الزينة لم يحتج إلى إضمار ، ويكون المعنى : موعدكم يوم الزينة ويوم حشر الناس»^(٤) .

واختلفوا في ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ ، فقال الأكثرون : «كان ذلك يوم عيد لهم يتزينون فيه» هذا قول مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ، وابن جريج ، والسُّدِّي ، وابن زيد ، ومحمد بن إسحاق ، والكلبي^(٥) .

قال الكلبي : «ويقال : يوم سوق كانت تكون لهم يتزينون فيها»^(٦) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٢٧/٥ .

(٢) قرأ الحسن ، والمطوعي (يومَ الزينة) بنصب يوم . انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٢٧/٥ ، والقراءات الشاذة للقاضي ٦٧ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٦٠ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٢٢٧/٥ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ١٦/٢ ، وجامع البيان ١٦/١٧٧ ، والكشف والبيان ٣/١٩ ب ، والنكت والعيون ٣/٤٠٩ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٩ ، وزاد المسير ٥/٢٠٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٧٣ ، والدر المنثور ٤/٥٤٠ ، وتفسير مقاتل ٣ ب .

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره ١١/٢١٣ ، ونسبه إلى سعيد بن المسيب ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/١٧٤ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/٥٤٠ ، ونسبه إلى سعيد بن جبير .

وقال سعيد بن جبير : «كان ذلك يوم عاشوراء»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ؛ يعني ضحى ذلك اليوم ، ويريد بالناس : أهل مصر .

قال الكلبي : «يقول : يحشرون إلى العيد ضحى فينظرون إلى أمري وأمر»^(٢) .

وقال الفرّاء : «يقول : إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد»^(٣) . ولم يرد أن الناس يحشرون ليجمعوا لأمر موسى ، ولكن جرت عادتهم بحشر الناس^(٤) في ذلك اليوم لعيد كان لهم ، أو سوق على ما ذكر في التفسير^(٥) . فواعده موسى ذلك اليوم ذلك الوقت . قال الفرّاء : «وموضع ﴿أَنْ﴾ رفع يرد على اليوم ، وخفض يرد على الزينة ، ويكون التقدير : يوم الزينة والحشر»^(٦) . ونحو هذا قال أبو إسحاق : «موضع ﴿أَنْ﴾ رفع ، المعنى : موعدكم حشر الناس ضحى ، وتأويله : إذا رأيتم الناس قد حشروا ضحى . قال : ويجوز

(١) الكشف والبيان ١٩/٣ ب ، وبحر العلوم ٣٤٦/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٧٩/٥ ، وزاد المسير ٢٩٤/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٣/١١ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/١٧٧ ، ومعالم التنزيل ٢٧٩/٥ ، والنكت والعيون ٣/٤٠٩ ، وزاد المسير ٢٩٤/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٣ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٨٢ .

(٤) في (ص) : (النا) ، وهو تصحيف .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١٦ ، وجامع البيان ١٦/١٧٧ ، والكشف والبيان ٣/١٩ ب ، والنكت والعيون ٣/٤٠٩ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٧٩ ، وزاد المسير ٥/٢٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٧٣ ، والدر المنثور ٤/٥٤٠ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٨٢ .

أن يكون في موضع خفض عطفاً على الزينة ، المعنى : موعدكم يوم الزينة ويوم حشر الناس ضحى»^(١) .

قال الليث : «الضحو ارتفاع النهار ، والضحى فوق ذلك»^(٢) .

وقال أبو الهيثم : «الضُّحَى على فُعَل : حين تطلع الشمس فيصفو ضوءها ، والضَّحَاء بالفتح والمد : إذا ارتفع النهار»^(٣) .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ يجوز أن يكون المعنى : تولى فرعون ذلك الأمر ؛ أي تولاه بنفسه^(٤) . ويجوز أن يكون المعنى : فرجع إلى أهله وانقلب لاستعداد مكائده ، وهو قول الكلبي^(٥) .

وقال مقاتل بن سليمان : «﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ ؛ أعرض عن الحق ، وعما يلزمه من الطاعة»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ ؛ أي مكره وحيلة ، وذلك جمعه سحرته ﴿ثُمَّ أَنَّى﴾ ؛ أي حضر الموعد .

٦١ . ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى﴾ ؛ أي للسحرة الذين جمعهم فرعون ليغلبوا موسى ، وهم المعنيون بقوله : ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ ﴿وَيَلِكُمْ﴾ قال أبو إسحاق : «منصوب على ألزمهم الله ويلاً . قال : ويجوز أن يكون

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٠ .

(٢) تهذيب اللغة (ضحا) ٣/ ٢٠٩٤ .

(٣) تهذيب اللغة (ضحا) ٣/ ٢٠٩٤ .

(٤) روح المعاني ١٦/ ٢٢٠ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥/ ٢٩٥ ، وابن كثير ٣/ ١٧٤ ، والبحر المحيط ١٥٤/ ٦ .

(٦) تفسير مقاتل ٣ ب ، وزاد المسير ٥/ ٥٩٥ .

منصوباً على النداء ، كما قال : ﴿ قَالُوا يَتَوَلَّيْنَا مَنْ بَعَثَنَا ﴾ [يس: ٥٢] ^(١) .
﴿ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس : « لا تشركوا مع الله أحداً » ^(٢) .

وقال آخرون : « لا تقولوا اليد والعصا ليستا آيتين من قبل الله فإنكم عند هذا القول تكذبون على الله » ^(٣) . ﴿ فَيُسْحِكْكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ . وقرأ : ﴿ فَيُسْحِكْكُمْ ﴾ بضم الياء ^(٤) .

يقال : سَحَتَهُ وَأَسَحَتَهُ إذا استأصله وأهلكه ^(٥) ، قاله أبو عبيدة ، والأخفش ،
والفراء ، والزجاج ، وجميع أهل اللغة ^(٦) ، وأنشدوا للفرزدق ^(٧) :

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مَنِ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا

قال ابن عباس في رواية الوالبي : « ﴿ فَيُسْحِكْكُمْ ﴾ : فيهلككم » ^(٨) . وهو قول
مجاهد ، ومقاتل ، والكلبي ^(٩) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٠ .

(٢) زاد المسير ٥/ ٢٠٦ .

(٣) تفسير مقاتل ٣ ب .

(٤) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبو عمرو ، وابن عمر (فَيُسْحِكْكُمْ) بفتح الياء ، وقرأ
عاصم في رواية حفص ، وحمة ، والكسائي (فَيُسْحِكْكُمْ) بضم الياء . انظر : السبعة ٤١٩ ، والحجة
للقرءاء السبعة ٥/ ٢٢٨ ، والنشر ٢/ ٢٢٠ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦١ ، والمفردات في غريب القرآن
(سحت) ٢٣٥ ، ولسان العرب (سحت) ٤/ ١٩٤٩ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢١ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦١ .

(٧) البيت للفرزدق من قصيدة يهجو فيها جريراً ، ويفخر بمآثر قومه . السُّحَت : ما خبت من المكاسب
وحرَم ، وَأَسَحَتَ الرجل : استأصل ما عنده . مُجْلَفٌ : الذي أتى عليه الدهر فأذهب ماله . انظر :
ديوانه ٣٨٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٧٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢١ ، والحجة للقرءاء السبعة
٥/ ٢٢٩ ، وشرح المفصلية ٣٩٦ ، والخزانة ٢/ ٣٤٧ ، ولسان العرب (جلف) ٢/ ٦٦٠ .

(٨) جامع البيان ١٦/ ١٧٨ .

(٩) الكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٠ ، وتفسير مقاتل ٣ ب .

وقال قتادة ، وأبان بن تغلب^(١) : « فيستأصلكم »^(٢) . وقال في رواية عطاء : « فيجهدكم بعذاب »^(٣) .

قال الليث : « يقال : سحنتاهم ؛ بلغنا مجهودهم في المشقة عليهم . قال : وأسحنتاهم لغة »^(٤) .

قال أهل المعاني : « السَّحَتْ في اللغة معناه : استقصى الحلق ، يقال : سَحَتْ الشَّعْر إذا استقصى حلقه ، وسَحَتْ الحائق إذا استأصل ، وأسَحَتْ الخاتن في ختان الصبي إذا استأصله »^(٥) . والمعنى : أن العذاب إذا أتى من قبل الله أخذهم عن آخرهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى ﴾ ؛ قال ابن عباس : « خيب^(٦) مَنْ ادَّعى مع الله إلهاً آخر »^(٧) . وقال قتادة : « خسر مَنْ كذب على الله ونسب إليه باطلاً »^(٨) .

(١) أبان بن تغلب الربيعي ، أبو سعد الكوفي ، روى عن أبي إسحق السبيعي ، والحكم بن عتيبة ، وفضيل بن عمر ، وروى عنه موسى بن عقبة ، وشعبة ، وهما بن زيد ، وابن عيينة وغيرهم ، وثقه أهل العلم ، وهو من أهل الصدق في الروايات ، ومن النساك الثقات ، عُرف بالفصاحة والبيان . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ٢٩٦ ، والكاشف ١/ ٧٤ ، وميزان الاعتدال ١/ ٥ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٨١ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٧ ، وجامع البيان ١٦/ ١٧٨ ، والكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٠ .

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٠/ ٤٦ .

(٤) تهذيب اللغة (سحت) ٢/ ١٦٣٧ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (سحت) ٢/ ١٦٣٧ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٤٣ ، والقاموس المحيط ١/ ١٥٣ ، والصحاح ١/ ٢٥٢ ، ولسان العرب ٤/ ١٩٤٩ .

(٦) في (ص) : (خسر) .

(٧) المحرر الوجيز ١٠/ ٤٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٣ .

(٨) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٣ ، ومجمع البيان ٧/ ٣٠ ، وفتح القدير ٣/ ٥٣٣ .

٦٢. قوله تعالى: ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾. قال ابن عباس: «يريد فتشاوروا بينهم»^(١).

وقال آخرون: «تناظروا في ما بينهم»^(٢). يعني السحرة، والتشاور في الأمر كالتناظر فيه، وذلك أن السحرة تنازعوا في ما أمرهم به فرعون من معارضة موسى، وتشاوروا بينهم سرّاً من فرعون وقومه، وذلك قوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾. قال قتادة: «قالوا: إن كان ساحراً فإننا سنغلبه، وإن كان من السماء كما يزعم فله أمر»^(٣).

وقال محمد بن كعب: «قال بعضهم لبعض: لو كان هذا سحراً لعرفناه، كما أن الكاتب إذا كتب عرف الذي يعرف الكتاب بما كتب»^(٤).

وقال الكلبي: «تكلم السحرة في ما بينهم سرّاً من فرعون فقالوا: إن غلبنا موسى اتبعناه»^(٥). وهذا القول اختيار الفراء، والزجاج^(٦).

وقال محمد بن إسحاق: «لما قال موسى: ﴿وَيَلِكُمْ لَا تَقْرَؤُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية، تراد السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول^(٧) ساحر، ثم

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: معالم التنزيل ٢٨٠/٩، وزاد المسير ٢٩٦/٥، والجامع لأحكام القرآن: القرآن ٢١٥/١١، والتفسير الكبير ٧٣/٢٢، وروح المعاني ١٦/٢٢٠.

(٢) معالم التنزيل ٢٨٠/٥، والتفسير الكبير ٧٣/٢٢، وروح المعاني ١٦/٢٢٠.

(٣) جامع البيان ١٦/١٧٨، والنكت والعيون ٣/٤١٠، وزاد المسير ٢٠٧/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢١٥/١١.

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة. انظر: معالم التنزيل ٢٨٠/٥، ومجمع البيان ٧/٣٠، وروح المعاني ١٦/٢٢١، وفتح القدير ٣/٥٣٣.

(٥) النكت والعيون ٣/٤١٠، ومعالم التنزيل ٢٨٠/٥، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٥.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٣، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٦١.

(٧) في (ص): (يقال).

قالوا وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون : ﴿إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾^(١) . [وهو قول السُّدِّي في : ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ قال : «أسروا دون موسى .

٦٣ . بقولهم : ﴿إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾] ^(٢)(٣) .

[وعلى قول السُّدِّي ، وابن يسار نجواهم : ﴿إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾] ^(٤) إلى قوله : ﴿مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ . وعلى قول الآخرين نجواهم ما ذكروا .

وقال أبو علي الفارسي : «التنازع إنما هو في أمر موسى وهارون ، هل هما ساحران ؟ على ما ظنوه من أمرهما . وقد تقدم من قولهم ما نسبوهما فيه إلى السحر وهو قولهم : ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى﴾ [طه : ٥٧]» ^(٥) .

قوله تعالى : ﴿قَالُوا﴾ ؛ أي السحرة قال بعضهم لبعض : ﴿إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾ يعنون موسى وهارون ﴿لَسِحْرَانِ﴾ .

(١) جامع البيان ١٦ / ١٧٨ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٨٠ ، وروح المعاني ١٦ / ٢٢١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٣) جامع البيان ١٦ / ١٧٨ ، والنكت والعيون ٣ / ٤١٠ ، وزاد المسير ٥ / ٢٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢١٥ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٣٠ .

واختلفوا في وجه ارتفاع ﴿هَذَانِ﴾ بعد قوله : ﴿إِنْ﴾ بعد اجتماعهم على أن هذا لغة حارثية ، وذلك أن الحارث بن كعب^(١) ، وخنثعاً^(٢) ، وزبيداً^(٣) ، وقبائل من اليمن يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد ، يقولون : أتاني الزيدان ، ورأيت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، وذلك أنهم يقلبون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفاً ، فعاملوا ياء التثنية أيضاً هذه المعاملة ، كما قال قائلهم^(٤) :

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أَذْنَاهُ ضَرْبَةً دَعَتْهُ إِلَى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمِ

- (١) الحارث بن كعب : ينسب إليه فخذ من القحطانية ، وهم بنو الحارث بن كعب من مذحج . انظر : نهاية الأرب ٢/ ٢٠٣ ، ومعجم قبائل العرب ١/ ١٠٢ .
- (٢) خنثع : قبيلة تنسب إلى خنثع بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن ملكان بن زيد بن كهلان . وخنثع : جبل ، قيل : إن هذه القبيلة سميت بذلك لنزولها إياه وتعاقدها عليه ، وقيل : سموا بذلك من الخنثعة ، وهي أن يدخل كل واحد من الرجلين إصبعه في منخر ناقة ينجوبه ، ثم يتعاقدا ، وقيل غير ذلك . انظر : جهرة أنساب العرب ٣٨٧ ، والأنساب ٢/ ٣٢٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٨٩ ، والتعريف في الأنساب ١٨٧ ، والمنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ٥٠٣ .
- (٣) زيد : قبيلة قديمة من مذحج ، أصلهم من اليمن ، نزلوا الكوفة ، وتنسب إلى زيد ، واسمه منه بن صعب ، وهو زيد الأكبر ، وإليه ترجع قبائل زيد ، ومن ولد منه بن ربيعة ، وهو زيد الأصغر ، وقيل لهم زيد : لأن منبهاً الأصغر قال : من يزيدي رقه ؟ فأجابه أعمامه كلهم من زيد الأكبر ، فقيل لهم جميعاً : زيد . وقيل نسبة إلى موضع في اليمن .
- انظر : الأنساب للسمعاني ٣/ ١٣٥ ، ومعجم البلدان ٣/ ١٣١ .
- (٤) البيت لهويز الحارثي . هابي التراب : ما اختلط منه بالرماد . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ، والمحرم الوجيز ١١/ ٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٧ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠٤ ، وجمهرة اللغة ٧٠٧ ، وخزانة الأدب ٧/ ٤٥٣ ، وشرح المفصل ٣/ ١٢٨ ، وتاج العروس (هبا) ١٠/ ٤٠٥ ، ولسان العرب (صرع) ٤/ ٢٤٣٣ .

فقال أذناه وهو خفض ؛ لأن النون مفتوحة والياء بعد ساكنة ، فقلبت الياء ألفاً وأنشدوا أيضاً على هذه اللغة^(١) :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى
مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَ
وقول آخر^(٢) :

أَيُّ قُلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا طَارُوا عَلَاهُنَّ فَطِرُ عَلَاهَا
وهذه ليست ياء التثنية ، ولكن لما كانت اللام قبل الياء في عليها مفتوحة قلبوها ألفاً . وحكى هذه اللغة جميع النحويين^(٣) .

وحكى أبو إسحاق عن النحويين القدماء قولين أحدهما : «أن هنا هاء مضمرة ، المعنى : إنه هذان لساحران ، وهذه الهاء كناية عن الأمر والشأن فحذفت ، و﴿هَذَيْنِ﴾ ابتداء وخبره ﴿لَسَحَرْنِ﴾ . القول الثاني : أن معنى ﴿إِنْ﴾ نعم^(٤) ،

(١) البيت للمتلهم من قصيدة يعاتب فيها خاله الحارث الشكري . الشجاع : الحية الذكر . والمساغ : المدخل . وصَمَّمَ : عض ونيب فلم يرسل ما عض . انظر : ديوانه ٣٤ ، والأصمعيات ٢٤٦ ، والشعر والشعراء ٨٠ ، وخزانة الأدب ٤٨٧ / ٧ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١٨٤ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٦٢ / ٣ ، والمؤتلف والمختلف ٧١ ، والحيوان ٢٦٣ / ٤ ، ولسان العرب (صمم) ٢٥٠٠ / ٤ .

(٢) البيت لرجل من بني الحارث ، ولم يذكر اسمه . قُلُوص : القلوص (بفتح القاف) الناقة الفتية . وطأروا : نفروا مسرعين ، وارتفعوا على إبلهم . انظر : الكشف والبيان ٢٠ / ٢٠ ب ، وبحر العلوم ٣٤٧ / ٢ ، والإنصاف ١٨ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٠ ، والخصائص ٢٦٩ / ٢ ، والتصريح على التوضيح ٦٥ / ١ ، وجمع الهوامع ٣٩ / ١ ، وشرح المفصل ٦٨ / ٧ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١٨٤ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٦٣ / ٣ ، والحجة للقراء السبعة ٢٣٠ / ٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٤ / ٢ ، والإنصاف ١٨ ، والتصريح على التوضيح ٦٥ / ١ ، وجمع الهوامع ٣٩ / ١ ، وشرح المفصل ٦٨ / ٨ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٦٣ / ٣ .

وينشدون^(١) :

وَيَقُولْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَاكَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

هذا الذي ذكرنا حكاية القولين .

فأما معنى نعم هاهنا فقال أبو علي : «معنى نعم هاهنا ، وإن لم يتقدم سؤال ، يكون نعم جواباً له ، كما تقدم في قوله : ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾ [الأعراف : ٤٤] فقد تقدم : ﴿ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ سِحْرِ مِثْلِهِ ﴾ [طه : ٥٧ ، ٥٨] فيكون نعم منصرفاً إلى تصديق أنفسهم في ما ادَّعَوْهُ من السحر ، وإن بمنزلة : نعم^(٢) . وقد قال سيبويه : «نعم عدة وتصديق»^(٣) ، هذا كلامه^(٤) .

وعلى هذين القولين أدخلت اللام على خبر المبتدأ وكان من حقها أن تدخل على المبتدأ دون خبره ، وهذا قول النحويين فيه : إنه يجوز في الشعر على الضرورة^(٥) . وأنشدوا في ذلك^(٦) :

خَالِي لِأَنْتَ وَمَنْ جَرِيرٌ خَالُهُ يَنْلِ الْعُلَاءَ وَيَكْرُمِ الْأَخْوَالَا

(١) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات . انظر : ديوانه ٦٦ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٦٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٥ ، وسر صناعة الإعراب ٢/٤٩٢ ، وخزانة الأدب ١١/٢١٣ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/٣٧٥ ، والخصائص ٢/٢٦٩ ، ولسان العرب (أنى) ١/١٥٦ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/٢٣٠ .

(٣) الكتاب ١/٤٧٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/٢٣٠ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/٢٣٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٣ .

(٥) معاني القرآن للقرآن ٢/١٨٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٦٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/٢٣٠ .

(٦) لم أهتم إلى قائله ، وقد ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : خزانة الأدب ١٠/٣٢٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/٣٧٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٣ ، وشرح التصريح ١/١٧٤ ، والمقاصد النحوية ١/٥٥٦ ، وشرح ابن عقيل ١/٢٣٧ ، وفرائد القلائد ٨١ ، وشرح الأشموني ١/١٠٠ ، ولسان العرب (شهر) ٤/٢٣٥٢ .

وأنشدوا أيضاً^(١) :

أُمُّ الْحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَةٌ

ويقبح حمل كتاب الله على لغة لا تجوز في السعة ومختار الكلام . قال ابن الأنباري : «أنكر الكسائي والفرّاء هذا^(٢) ؛ لأن المبتدأ لا يحال بينه وبين خبره باللام ، لا يقال : عبد الله لقائم ؛ لأن اللام تحجز بين الحرفين ، ومنع الذي بعدها من تقريب الذي قبلها»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «هذا أجود ما سمعنا أن إن بمعنى : نعم ، واللام وقعت موقعها . المعنى : نعم هذان لهما ساحران . قال : وعرضت هذا القول على محمد بن يزيد ، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد^(٤) فقבלاه ، وذكر أنه أجود ما سمعاه»^(٥) .

(١) هذا صدر بيت من الرجز ينسب إلى رؤية بن العجاج ، وعجزه :

تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقِيبَةِ

الحُلَيْسُ : تصغير حلس ، وهو كساء رقيق يوضع تحت البرذعة ، وأصل هذه كنية الأتان . الشهرية : العجوز الكبيرة . انظر : ديوان رؤية ١٧٠ ، وشرح التصريح ١ / ١٧٤ ، وشرح المفصل ٣ / ١٣٠ ، والإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ١٠١٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٦٣ ، والخزانة ٣ / ١٣٠ ، وأوضح المسالك ١ / ٢١٠ ، والمقاصد النحوية ١ / ٥٣٥ ، ولسان العرب (شهرج) ٤ / ٢٣٥٢ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨٤ .

(٣) ذكر نحوه الفرّاء في المعاني ٢ / ١٨٤ ، والعكبري في إملاء ما من به الرحمن ١ / ١٢٣ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٢٠ ب ، ومكي في الكشف ٢ / ١٠٠ .

(٤) إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي ، روى عن عبد الله بن مسلمة القعقبي ، وإسماعيل بن أبي أويس ، وعمرو بن مرزوق ، وحجاج بن المنهال وغيرهم كثير ، وثقه العلماء وأثنوا عليه ، اشتهر بصدقه وصلاحه ، ولي القضاء ببغداد ، توفي - رحمه الله - سنة ٢٨٣ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٢ / ١٥٨ ، وكتاب الثقات ٨ / ١٠٥ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٦٣ .

قال أبو علي : « ما ذكره أبو إسحاق من التقدير تأويل غير مرضي ، وذلك أن هذه اللام للتأكيد ، ويقبح أن يذكر التأكيد ويحذف نفس المؤكد ؟ ألا ترى أن إظهار المؤكد وترك إضماره وحذفه أولى من أن يحذف ويذكر ما يؤكد ، ولو كان المبتدأ محذوفاً من الآية كما ذهب إليه أبو إسحاق لم يحتج معه إلى التأكيد باللام ، ويدلك على أن هذا ليس بالوجه أن النحويين أنشدوا^(١) :

أُمُّ الْحَلِيسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَةٌ

وحملوا هذا على الضرورة ، وعلى أنه أدخل اللام على خبر المبتدأ ، وكان من حقها أن تدخل على المبتدأ ، فلو كان ما ذكره وجهاً في الآية لكان النحويون لا يحملون هذا الكلام على الضرورة ، ويقدرّون فيه ما قدر من أنه دخل على مبتدأ محذوف ، ولا يحملونه على الاضطرار إذا وجدوا له مصرفاً قريباً إلى الاختيار والسعة ، فحملهم ذلك على الضرورة دلالة على أنهم تجنبوا ما ذكر من التقدير ؛ لأنه أذهب في باب القبح والضرورة مما حملوه عليه^(٢) .

وقال الفرّاء : « الوجه في هذه المسألة أن تقول وجدت الألف من هذا دعامة وليست بلام فعل ، فلما ثبتت زدت عليها نوناً ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول في كل حال ، كما قالت العرب : (الذي) ثم زادوا نوناً تدل على الجماع فقالوا : (الذين) في رفعهم ونصبهم وخفضهم ، كذلك تركوا (هذان) بالألف في رفعه ونصبه وخفضه^(٣) .

وحرر صاحب النظم هذا القول فقال : « هذا اسم منهوك ؛ لأنه على حرفين ؛ أحدهما : حرف علة وهو الألف ، وهاء للتنبيه وليس من الاسم ، فلما ثني واحتيج

(١) سبق ذكر البيت وعزوه .

(٢) الإغفال في ما أغفله الزجّاج من المعاني ١٠١٣ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨٤ .

إلى ألف الثنية لم يوصل إليهما لسكون الألف الأصلية ، واحتيج إلى حذف أحدهما فقالوا : إن حذفنا الألف الأصلية بقي الاسم على حرف واحد ، وإن أسقطنا ألف الثنية كان في النون منها عوض ودلالة على معنى الثنية ، فحذفوا ألف الثنية ، فلما كانت الألف الباقية هي ألف الاسم واحتاجوا إلى إعراب الثنية لم يغيروا الألف عن صورتها ؛ لأن الإعراب واختلافه في الثنية والجمع إنما يقع على الحرف الذي هو علامة الثنية والجمع ، فتركوها على حالها في النصب والخفض ، وعلى هذا القول ، الألف في هذان التي كانت في هذا ليس الذي جلبتها الثنية^(١) .

قال أبو علي : «لو كان الأمر على ما زعم لم تقلب هذا الألف في ثنيته فقط^(٢) ، كما أن الألف التي في هذا لا تنقلب على حال ، وفي كون هذه الألف مرة ياءً ومرة ألفاً دلالة على أنه كسائر الثنية ، ويدل على أن هذا الألف للثنية أن التي كانت في الواحد قد حذفت ، كما حذفت الياء من الذي والتي إذا قلت : اللذان واللتان والذين واللتين ، فالياء كانت في الاسم قد حذفت وجيء بالتي للثنية ، كذلك تحذف من قولهم : هذا ، ألفه ، وتلحق التي تكون علماً للثنية ، ومن ثم انقلبت مرة ياءً ومرة ألفاً ، والتي تثبت لا يتعاوره القلب ، ولا تزول عن أن تكون ألفاً^(٣) ، هذا كلامه .

وهذه الأقوال هي التي قالها المتقدمون من النحويين ، ولم يسلم من هذه الأقوال على الاعتبار إلا قول من يقول : إنها لغة بلحارث . وقد قال ابن عباس في قوله : ﴿إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ﴾ : «هي لغة بلحارث بن كعب» ذكره عطاء عنه^(٤) .

(١) ذكر نحوه مختصراً بلا نسبة الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٢٣١/٥ .

(٢) في (ص) : (قط) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٢٣١/٥ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/١٨٠ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٨١ ، والنكت والعيون ٣/٤١١ ، وزاد المسير ٥/٢٩٧ ، والكشاف ٢/٥٤٣ ، والبحر المحيط ٦/٢٥٥ ، وإرشاد العقل السليم ٦/٢٥ .

وقال أبو إسحاق في ارتضاء هذا المذهب في هذه الآية : «حق الألف أن تدل على الاثنين وكان حقها ألا تتغير كما لم تتغير ألف رحي وعصى ، ولكن نقلها إلى الياء في النصب والخفض أبين وأفضل بين المرفوع والمنصوب والمجرور»^(١) .

وقال الفرّاء في ارتضاء المذهب : «العرب جعلوا الواو تابعة للضمة ، والياء تابعة للكسرة نحو قولهم : مسلمون ومسلمين ، فلمّا رأوا الياء من الاثنين لم يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحاً تركوا الألف تتبعه فقالوا : رجلان في كل حال . وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في : (كلا الرجلين) في النصب والخفض وهما اثنان»^(٢) .

وحكى ابن الأنباري قولاً آخرَ للفرّاء وهو : «أن الألف في هذان شبهت بالألف في : تفعلان ويفعلان ، فلمّا كانت تلك الألف لا تتغير في تثنية الفعل لم يغيروا هذه الألف في شبه الاسم»^(٣) . وذكر علي بن عيسى النحوي^(٤) قولاً آخرَ فقال : «إنما جاز ﴿إِنْ هَذَا﴾ لضعف عمل ﴿إِنْ﴾ وذلك أنها تعمل بالشبه للفعل وليست بأصل في العمل ، ألا ترى أنها لما خففت لم تعمل ، فلمّا ضعف عملها لم تعمل في (هذان)»^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٤ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٨٤ .

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب بلا نسبة ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٩ .

(٤) علي بن عيسى بن علي أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني ، تقدمت ترجمته .

(٥) ذكره الألوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٢٣ .

هذا الذي ذكرنا كله وجه قراءة العامة . وقرأ أبو عمرو : (إِنَّ هَذَيْنِ) بالياء^(١) بخلاف المصحف ، واحتجاجه في ذلك أنه روي : أنه غلط من الكتاب ، وإن في الكتاب غلطاً ستقيمه العرب بألسنتها . يروي ذلك عن عثمان ، وعائشة رضي الله عنهما^(٢) .

(١) قرأ نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي ، وعاصم ﴿إِنَّ هَذَيْنِ لَسَجَرَيْنِ﴾ ، وقرأ أبو عمرو البصري (إن هذين لساحران) . انظر : السبعة ٤١٩ ، والحجة ٢٢٩/٥ ، والتبصرة ٢٦٠ ، والنشر ٣٢١/٢ .

(٢) الكشف والبيان ٢٠/٣ ب ، ومعالم التنزيل ٢٨٠/٥ ، والمحرم الوجيز ٢٩٧/١٠ ، وزاد المسير ٢٩٧/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١١ ، والبحر المحيط ٢٥٥/٦ ، والإتقان ١٨٢/١ . وقد رد العلماء هذا الأثر المروي عن عائشة وعثمان - رضي الله عنهما - من جهة إسنادهم ومنتهم ، فلا يصح الاحتجاج به على رد القراءة المتواترة الثابتة عن النبي ﷺ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الفتاوى ٢/٢٥٢ : «وقد زعم قوم أن قراءة مَنْ قرأ : ﴿إِنَّ هَذَيْنِ لَسَجَرَيْنِ﴾ لحن ، وأن عثمان - رضي الله عنه - قال : إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها . وهذا خبر باطل لا يصح» . وقال في تفسيره ٢٠٩/٥ : «وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْكِتَابَ غَلَطَ فَهُوَ الْغَالِطُ غَلَطًا مُنْكَرًا ، فَإِنَّ الْمَصْحَفَ مَنْقُولٌ بِالتَّوَاتُرِ ، وَقَدْ كُتِبَتْ عِدَّةُ مَصَاحِفٍ وَكُلُّهَا مَكْتُوبَةٌ بِالْأَلْفِ فَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ فِي هَذَا غَلَطٌ» . وقال الألوسي في روح المعاني ١٦/٢٢٤ : «والذي أجنح إليه تضعيف جميع ما ورد مما فيه طعن بالتواتر ، ولم يقبل تأويلاً ينسحب له الصدر ويقبله الذوق ، وإن صححه مَنْ صححه ، والطعن في الرواية أهون بكثير من الطعن بالأئمة الذين تلقوا القرآن الذي وصل إلينا بالتواتر عن النبي ﷺ ، ولم يألوا جهداً في إتقانهم وحفظه» . وقال عبدالحی الفرماوي في كتابه رسم المصحف ١٣١ بعد أن ضعّف هذه الرواية : «وقد ذكر بعض العلماء هذه الرواية في كتبهم بحسن قصد من غير تحرّر ولا دقة فاتخذوها أعداء الإسلام من المارقين والمستشرقين للطعن في الإسلام وفي القرآن ، لتوهين فقه المسلمين بكتاب ربهم . . .» ، ثم قال : «ويجيب عن تصحيح السيوطي : بأن هذه الرواية على فرض صحتها ، فهي رواية أحادية لا يثبت بها قرآن ، وهي معارضة للقطعي الثابت بالتواتر فهي باطلة مردودة ، فإن من قواعد المحدثين أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال المروي كأن يكون مناقضاً لنص القرآن أو السنة أو الإجماع أو صريح العقل ، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل أو لم يحتمل سقوط شيء منه يزول به المحذور ، وهذه الرواية مخالفة للتواتر القطعي الذي تلقته الأمة بالقبول فيها باطلة لا محالة» . انظر : معاني القرآن للقرّاء ١٠٦/١ ، وجامع البيان ١٨٠/١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٦ ، ودقائق التفسير ٢٠٢/٥ ، والإتقان ١٨٢/١ ، ومناهل العرفان ١٨٦/١ ، ورسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين ١٣١ .

وهذه القراءة هي قراءة عيسى بن عمر^(١).

قال أبو إسحاق: «ولا أجيزها؛ لأنها خلاف المصحف، ولا أجيز مخالفتها؛ لأن اتباعه سنة»^(٢).

وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ بتخفيف ﴿إِنَّ﴾^(٣)، على معنى ما هذان إلا ساحران كقوله: ﴿وَأِنْ نُّظَنُّكَ لَمِنَ الْكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]، و(إن) إذا خفت كان الوجه أن يرفع الاسم بعدها، وإذا كان كذلك رفع هذان بعدها، وأدى مع ذلك خط المصحف.

قال أبو إسحاق: «أستحسن هذه القراءة، وفيها إمامان؛ عاصم والخليل، وكان يقرأ بهذه القراءة، والإجماع أنه لم يكن أحد بالنحو أعلم من الخليل؛ ولأن هذه القراءة توافق قراءة أبي في المعنى، وإن خالفه اللفظ»^(٤). وقراءته: «إن ذان إلا ساحران»^(٥).

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦١، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٣، والبحر المحيط ٦/ ٢٥٥، والتفسير الكبير ٢٢/ ٧٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٤.

(٣) قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ بتخفيف (إنَّ)، وقرأ نافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر (إنَّ هذان) بتشديد (إنَّ)، وكذلك قرأ أبو عمرو بتشديد (إنَّ). انظر: السبعة ٤١٩، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٩، والتبصرة ٢٦٠، والمبسوط في القراءات ٢٤٩.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٤.

(٥) الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٨، والنكت والعيون ٣/ ٤١٠، والكشاف ٢/ ٥٤٢، والتفسير الكبير ٢٢/ ٧٥.

وقال الأخفش : ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَجَرَيْنِ﴾ خفيفة في معنى ثقيلة ، وهي لغة لقوم يرفعون بها ، وإن ثقلت فهي لغة لبني الحارث بن كعب الاثنيين في كل موضع^(١) ، هذا كلامه .

وقد بان أن القراءة الصحيحة في هذه الآية قراءة العامة ، وقراءة من خفف إنَّ على التعليل^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْنَى﴾ . قال عكرمة : «يذهبا بخياركم»^(٣) .

وقال الحسن ، وأبو صالح : «بأشرافكم»^(٤) .

وعن أبي صالح : «بسرة الناس»^(٥) .

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٩ .

(٢) وقول المؤلف : «وقد بان أن القراءة الصحيحة» لا يفهم منه أن القراءة الأخرى قراءة ضعيفة ؛ لأنها قد ثبتت القراءة بها ، وصحَّت عن الرسول ﷺ كما وصلت إلينا بالتواتر ، فلا يجوز ترجيح قراءة على أخرى ؛ لأنها كلها ثابتة متواترة عن النبي ﷺ والقراءة سُنة متبعة . أمَّا عن توجيه القراءة ، فما ذكره المؤلف - رحمه الله - هو قول جمهور العلماء من المفسرين . قال أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢٥٥ : «والذي نختاره في تخريج هذه القراءة بأنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثني بالألف دائماً ، وهي لغة كنانة وبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية» .

انظر : معاني القرآن للقرءاء ٢/ ١٨٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٧ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٧٥ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٢٣ ، والفتاوى لابن تيمية ٢/ ٢٥٢ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٥ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤١ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٢ ، وتفسير سفيان الثوري ١٩٥٤ .

وقال مجاهد : «أولوا العقل والشرف والأسنان»^(١) . وهذه الأقوال معناها واحد ، هو معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي : «أمثلكم»^(٢) .

قال الزجاج : «معناه بجماعتكم الأشراف . قال : والعرب تقول للرجل الفاضل : هذا طَرِيقَة قَوْمِهِ ، وَنَظِيرَة قَوْمِهِ ، وَنَظُورَة قَوْمِهِ ، للرجل الفاضل ، وإنما تأويله : هذا (الذي)^(٣) ينبغي أن يجعله قومه قدوة ، ويسلكوا طريقته ، وينظروا إليه ويتبعوه»^(٤) .

وقال الفراء : «العرب تقول للقوم : هؤلاء طَرِيقَة قومهم ، وطرائق قومهم لأشرافهم»^(٥) ، ويقولون للواحد أيضاً : طَرِيقَة قومه ، وَنَظُورَة قومه وَنَظِيرَة قومه ، ويقولون للجمع بالتوحيد ، والجميع يعني طريقة ، وطرائق ، قال : ومن ذلك قوله : ﴿طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ [الجن : ١١]^(٦) . وجعل الزجاج الآية من باب حذف المضاف ، فقال : «المعنى عندي : يذهب بأهل طريقتكم المثل ، قال : وكذلك قول العرب : هذا طَرِيقَة قومه ، معناه هذا صاحب طَرِيقَة قومه»^(٧) ، هذا كلامه . وليس يحتاج إلى تقدير المضاف على ما ذكره الفراء ، فإن الطريقة اسم للأفاضل على معنى أنهم الذين يقتدى بهم ويتبع آثارهم ، كما تسلك الطريقة ، فتقدير المضاف تكلف . و(المثل) تأنيث الأمثل ، والأمثل معناه في اللغة : الأفضل ، يقال : فلان أمثل قومه ؛ أي أفضلهم ، وهم الأمائل^(٨) .

(١) جامع البيان ١٦/ ١٨٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١١ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤١ .

(٢) زاد المسير ٥/ ٢٠٨ .

(٣) كذا في نسخة (س) وهو أصوب ، وكذا هي في معاني الزجاج ، وفي غيرها (الفتى) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٤ .

(٥) في نسخة (س) : (أشرافهم) .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٥ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٥ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤٢ ، والقاموس المحيط (المثل) ٤/ ٤٨ ، ومقاييس اللغة =

ومنه قول الشاعر^(١) :

وإن أتوكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نَصْفٌ فَإِنَّ أَمْثَلَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا
أَي أَشَقَّهَمَا وَأَفْضَلَهُمَا .

قال الأخفش والكسائي : «يقال : قد مَثَلَ يَمْثُلُ مُثُولاً ؛ أي صار فاضلاً»^(٢) .

واختلف ، لم قيل للأفضل أَمْثَلَ ؟ فقال بعضهم : معنى الأمثل : الأشبه بالحق ، ثم صار اسماً للأفضل^(٣) . وقيل : معنى الأمثل في اللغة : الأظهر ، من قولهم : مَثَلَ الشيء يَمْثُلُ مُثُولاً : إذا قام وانتصب فظهر للعيون^(٤) . قال لبيد^(٥) :

ثُمَّ أَصْدَرْنَا هُمَا فِي وَارِدٍ صَادِرٍ وَهَمٍ صَوَاهُ قَدْ مَثَلَ

(مثل) ٢٩٧/٥ ، والمعجم الوسيط (الأمثل) ٨٥٤/٢ ، ولسان العرب (مثل) ٤١٣٤/٧ ، والمفردات في غريب القرآن (مثل) ٤٦٣ .

(١) لم أهتم إلى قائله ، وذكر نحوه في تاج العروس (نصف) ٢٥٦/٦ ، ونسبه إلى ابن العربي ، وكذلك ابن منظور في لسان العرب (نصف) ٤٤٤٣/٧ بلفظ :

وإن أتوكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نِصْفٌ فَإِنَّ أَطْيَبَ نِصْفَيْهَا الَّذِي غَبَرَا

(٢) ذكر نحوه الأزهري في تهذيب اللغة (مثل) ٣٣٤٣/٤ .

(٣) القاموس المحيط (المثل) ١٠٥٦ ، ولسان العرب (مثل) ٤١٣٤/٧ ، والمفردات في غريب القرآن (مثل) ٤٦٢ .

(٤) انظر : الصحاح (مثل) ٤١٣٤/٧ ، ومقاييس اللغة ٢٩٧/٥ ، والمعجم الوسيط ٨٥٣/٢ ، ولسان العرب ٤١٣٤/٧ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٦٢ .

(٥) البيت للبيد بن ربيعة . أصدرناهما في وارد : الصادر والوارد الطريق ، يقال : طريق صادر ؛ أي إنه يصدر بأهله عن الماء ، أو طريق وارد يرد بهم . وَهَمٌ : واسع ضخم . وَالصُّوَى : أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي المجهولة يستدل بها على طرقها ، واحدها صُوة . انظر : ديوان لبيد بن ربيعة ١٤٣ ، وتهذيب اللغة (صدر) ١٩٨٧/٢ ، ولسان العرب (صدر) ٢٤١١/٤ .

أي انتصب وظهر ، ولما كان الفاضل الشريف ظاهراً من القوم بفضله وشرفه قيل له : الأمثل . ومعنى الآية ما روى الشعبي عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ يصرفا وجوه الناس إليهما^(١) .

والمعنى : أن يغلبا بسحرهما ، فتمثل إليهما السادة والأشراف منكم . وقال قتادة : «طريقتكم المثلى يومئذ بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً ، فقالوا : إنما يريد أن يذهب بهما لأنفسهم»^(٢) . فجعل قتادة هؤلاء الأفاضل من بني إسرائيل . وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي : «هم بنو إسرائيل»^(٣) . هذا الذي ذكرنا قول المفسرين ، وأهل التأويل ، وعلى هذا مقاتل ، والكلبي^(٤) .

وقال ابن زيد : «ويذهب بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة»^(٥) . وهذا القول اختيار أبي عبيدة ، والكسائي ، قال أبو عبيدة : ﴿ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ [بستكم ودينكم وما أنتم عليه]^(٦) .

وقال الكسائي : ﴿ بِطَرِيقَتِكُمُ ﴾ ؛ يعني سنتكم وهداكم وسمتكم^(٧) .

(١) جامع البيان ١٦/١٨٣ ، والكشف والبيان ٣/٢٠ ب ، ومعالم التنزيل ٥/٢٨٢ ، وزاد المسير ٥/٣٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٧٤ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١٨ ، وجامع البيان ١٦/١٨٣ ، والكشف والبيان ٣/٢٠ ب ، والنكت والعيون ٣/٤١١ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٨٢ .

(٣) جامع البيان ١٦/١٨٢ ، وروح المعاني ١٦/٢٢٤ .

(٤) الكشف والبيان ٣/٢٠ ، وتفسير مقاتل ٤ أ .

(٥) جامع البيان ١٦/١٨٣ ، والنكت والعيون ٣/٤١٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٧٥ ، والدر المنثور ٤/٥٤١ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٣ .

(٧) الكشف والبيان ٣/٢٠ ب .

و(المثل)[^(١)] نعت للطريقة . ولا إشكال على هذا القول ، و(المثل) تأنيث الأمثل ، بمعنى : الأفضل ، وبمعنى : الأظهر^(٢) .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ . قال الفرّاء : «الإجماع : الإحكام والعزيمة على الشيء ، تقول : أجمعت الخروج ، وعلى الخروج ، مثل : أزمعت ، وأنشد^(٣) :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا وَأُمْرِي مُجْمَعُ
يريد قد أحكم وعزم عليه^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «معناه : ليكن عزمكم كلكم على الكيد مُجْمَعًا لا تختلفوا»^(٥) . ومضى الكلام في معنى الإجماع عند قوله : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ [يونس : ٧١] . وقرأ أبو عمرو : (فَأَجْمِعُوا)^(٦) ، موصولاً من الجمع ، وحجته قوله : ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ [طه : ٦٠] .

قال الفرّاء : «معناه : فلا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به»^(٧) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٦٤ .

(٣) لم أهتم إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٨٣ ، والنكت والعيون ٣ / ٤١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١٢١ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٥٨ ، ووضح البرهان في مشكلات القرآن ٢ / ٦٤ ، وتهذيب اللغة (جمع) ١ / ٦٥٢ ، ولسان العرب (جمع) ٢ / ٦٨١ ، ونوادر أبي زيد ١٣٣ ، وإصلاح المنطق ٢٦٣ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨٥ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٦٥ .

(٦) قرأ : نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي وعاصم ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ بقطع الألف وكسر الميم ، وقرأ أبو عمرو البصري (فَأَجْمَعُوا) بوصل الألف وفتح الميم . انظر : السبعة ١٩٤ ، والحجة للقرء السبعة ٢٣٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٩ ، والتبصرة ٢٦٠ .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨٥ .

وقال الزَّجَّاج : «جيئوا بكل ما تقدرون عليه ، ولا تبقوا منه شيئاً»^(١) .
واختار الأخفش هذه القراءة وقال : «إنما يقولون بالقطع إذا قالوا : أجمعنا على
كذا وكذا ، فأما إذا قالوا : اجمعوا أمركم ، واجمعوا شركاءكم ، فلا يقولون إلا
بالوصل . والقطع أكثر القراءة ، ولعله لغة في جمع ؛ لأن باب فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ
كثير»^(٢) .

قال أبو علي : «يشبه أن يكون ذلك على لغتين ، كما ظنه أبو الحسن ، كقول
الشاعر»^{(٣)(٤)} :

وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مِائَةٍ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ طُرّاً فَكَيْدُونِي
وقال الهذلي^(٥) :

فَكَأَنَّهَا بِالْجِزْعِ بَيْنَ نُبَايِعِ وَأُولَاتِ ذِي الْعَرْجَاءِ مَهَبٌ مُجْمَعُ
أي مجموع ، وهذا في ما يتوصى به السحرة من جمع كيدهم ، وما يستظهرون
به من المبالغة في سحرهم .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٥ .

(٢) ذكر نحوه في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٧١ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٢ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٢ .

(٤) البيت لذی الإصبع العدواني . مَعْشَرٌ : المعشر الجمع ولا واحد له من لفظه ، ومعشر الرجل أهله .
طُرّاً : جمعاً . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٣ ، وشرح المفصل ١/ ٣٠ ، ولسان العرب (عشر)
٥/ ٢٩٥١ ، ومجمع البيان ٧/ ٢٩ .

(٥) البيت لأبي ذؤيب الهذلي يصف حمراً . الْجَزْعُ ، وَنُبَاعُ ، وَأُولَاتِ ذِي الْعَرْجَاءِ : أسماء أماكن . والنَّهْبُ
المُجْمَعُ : إبل القوم التي أغار عليها اللصوص ، وكانت متفرقة في مراعيها فجمعوها من كل ناحية
حتى اجتمعت لهم ثم طردوها وساقوها . انظر : شرح أشعار الهذليين ١/ ١٧ ، والمفضليات ٤٢٣ ،
والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٠ ، وتهذيب اللغة (جمع) ١/ ٦٥٢ ، ولسان العرب (جمع) ٢/ ٦٧٨ .

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَثْنَوْا صَفًّا﴾. قال أبو عبيدة: «الصف: موضع الجمع، ويسمى المصلّى: الصف، يقال: هل أتيت الصف اليوم؟ أي المصلّى الذي يُصلّى فيه. قال: وقد يكون على المصدر، كما تقول: جاءوني صفًّا؛ أي مصطفين»^(١).

وذكر أبو إسحاق الوجهين فقال: «معناه: ثم اثنوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم، يقال: أتيت صفًّا بمعنى أتيت المصلّى، قال: ويجوز أن يكون ﴿ثُمَّ أَثْنَوْا صَفًّا﴾؛ أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظم»^(٢) لأمروركم، وأشد لهيئتكم»^(٣).

والمفسرون يقولون في قوله: ﴿ثُمَّ أَثْنَوْا صَفًّا﴾: جميعاً، قاله مقاتل، والكليبي، وابن عباس في رواية عطاء^(٤). وهو بمعنى مصطفين. ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾. قال ابن عباس: «يريد قد سعد اليوم من غلب»^(٥).

قال الليث: «ويقال لكل من قهر أمراً أو علاه: اعتلى، واستعلاه واستعلى عليه»^(٦).

وقال الزجاج: «﴿أَسْتَعْلَى﴾؛ أي علا بالغلبة»^(٧).

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٣/٢.

(٢) قوله: (ليكون أنظم) ساقط من نسخة (س).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٦٥.

(٤) الكشف والبيان ٣/٢١١، ومعالم التنزيل ٥/٢٨٣، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢١، وتفسير مقاتل ٤ أ.

(٥) زاد المسير ٥/٣٠١، وذكره الطبري في تفسيره ١٦/١٨٤ من دون نسبة.

(٦) تهذيب اللغة (علا) ٣/٢٥٣٦.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٦٥.

٦٥. قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ . قال
الفرّاء : «المعنى : اختر أحد هذين الأمرين»^(١) . والمراد بالإلقاء
ها هنا : إلقاء العصا على الأرض ، وكانت السحرة معهم عصي ،
وكان موسى قد ألقى عصاه يوم دخل على فرعون ، كما قال الله تعالى :
﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف : ١٠٧] ، [الشعراء : ٣٢] ، ولما
أراد السحرة معارضته قالوا له هذا القول .

٦٦. فقال موسى : ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ . أمرهم بالإلقاء أولاً ، لتكون معجزته
أظهر إذا ألقوا هم بما معهم ، ثم يلقي هو عصاه فتبتلع كل ذلك على
ما ذكر^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا جِأَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ﴾ . في الكلام محذوف تقديره : فألقوا فإذا
جبالهم .

[قال أبو إسحاق : «وترك ها هنا ؛ لأنه قد جاء في موضع آخر : ﴿فَأَلْقُوا جِأَهُمْ
وَعَصِيَّتُهُمْ﴾ [الشعراء : ٤٤]»^(٣)] ^(٤) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «كان عدد السحرة سبعين ألف رجل ، ومع
كل رجل عصا وحبل غليظ مثل حبال السفن»^(٥) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨٥ .

(٢) يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء : ٤٥] .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٦٥ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٨٤ ، والنكت والعيون ٣ / ٤١٣ ،
والمحرر الوجيز ١٠ / ٥٢ ، والكشاف ٢ / ٥٤٣ .

وقال عكرمة ، وابن جريج : «كانوا تسعمائة»^(١) .

وقال محمد بن إسحاق : «كانوا خمسة عشر ألفاً»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ . يقال خُيِّلَ على الرجل تخيلاً : إذا أدخل عليه التهمة والشبهة ، وأصل هذا الحرف من الشَّبه والاشتباه الذي ينافي الحق والحقيقة ، ومنه الخيال الذي يشبه الشيء وليس منه كخيال الإنسان في المرأة ، وخیاله في النوم ، وأخال الشيء إذا اشتبه وأشكل فهو خييل^(٣) ، ومنه قول الشاعر^(٤) :

وَالصَّدْقُ أَبْلَجُ لَا يُخَيِّلُ سَبِيلُهُ وَالصَّدْقُ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

ومعنى هذه الآية كمعنى قوله : ﴿سَكَّرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف : ١١٦] ، وذكر الكلام فيه . وموضع (أن) من قوله : ﴿أَنَّهَا تَسْعَى﴾ رفع على معنى يخيّل إليه سعيها^(٥) .

(١) جامع البيان ١٦ / ١٨٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٤١٣ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ٨٣ .

(٢) جامع البيان ١٦ / ١٨٥ ، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٠ / ٥٢ من دون نسبة . قال الألويسي في روح المعاني ١٦ / ٢٢٥ بعد ذكر هذه الأقوال : «ولا يخفى حال الأخبار في ذلك ، والقلب لا يميل إلى المبالغة ، والله - تعالى - أعلم» . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤ / ٤٣٨ بعد ذكر هذه الأقوال : «وهذه الأقوال من الإسرائيليات» .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (خال) ١ / ٩٦٦ ، والقاموس المحيط (خال) ٩٩٦ ، والصحاح (خيّل) ٤ / ١٦٩٢ ، ولسان العرب (خيّل) ٣ / ١٣٠٤ .

(٤) لم أهد إلى قائله . وذكر في كتب اللغة بلا نسبة . انظر : تهذيب اللغة (خال) ١ / ٩٦٨ ، ولسان العرب (خيّل) ٣ / ١٣٠٤ .

(٥) معاني القرآن للقرّاء ٢ / ١٨٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٦٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٤٨ .

قال الكلبي : «خيل إلى موسى أن الأرض حيات كلها ، وأنها تسعى على بطنها»^(١) . وكثير من الكلام اللائق بهذه الآيات قد مضى في سورة الأعراف^(٢) .

٦٧ . قوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ﴾ . قال الفرّاء : «أحس^(٣) ووجد»^(٤) .

وقال الزّجاج : «أضمر»^(٥) ، وقال في موضع آخر : «وقع في نفسه الخوف»^(٦) . وقد ذكرناه مستقصى في سورة هود^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿خِيفَةَ مُوسَى﴾ ؛ أي خوفاً ، وأصلها خوفاً فانقلبت الواو ياء لانكسار الخاء^(٨) . وإنما خاف موسى ؛ لأن سحرهم كان من جنس ما أراهم في العصا ، فخاف أن يلتبس على الناس أمره ، ولا يؤمنوا به . هذا معنى قول الكلبي ، ومقاتل^(٩) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٢٢ . اختلف العلماء بخصوص السحر ، هل للسحر حقيقة أم لا ؟ فقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤ / ٤٣٧ : «والتحقيق الذي عليه جماهير العلماء من المسلمين : أن السحر منه ما هو أمر له حقيقة لا مطلق تخيل لا حقيقة له ، ومنه ما هو تخيل لا حقيقة له» . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٤٤ ، والتفسير الكبير ٣ / ٢١٣ ، وأحكام السحر والسحرة للرازي ١١٠ ، والسحر لمسفر الدميني ٢٥ ، والسحر بين الحقيقة والخيال لأحمد الحمد ٣٧ .

(٢) وردت قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون في سورة الأعراف ، الآيات (١٠٣-١٦٢) .

(٣) في (س) : (أجس) .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨٢ .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ٣ / ٦١ .

(٦) معاني القرآن للزّجاج ٥ / ٥٥٣ .

(٧) عند قوله تعالى : ﴿وَأَن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود : ٣] .

(٨) معاني القرآن للزّجاج ٣ / ٣٦٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٤٩ .

(٩) الكشف والبيان ٣ / ٢١ أ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٨٣ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٦٠ ، والتفسير الكبير

٢٢ / ٨٤ ، وتفسير مقاتل ٤ أ .

وقيل : «كان خوف طباع ، لكثرة ما يخيّل له من الحيات العظام» ، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق^(١) .

٦٨ . فقال الله تعالى : ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ . قال ابن عباس : «يريد أنت الغالب»^(٢) . والمعنى : أنت الأعلى عليهم بالظفر والغلبة .

٦٩ . ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ؛ يعني العصا ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ قال الزجاج : «القراءة بالجزم»^(٣) ، جواب الأمر ، ويجوز الرفع على معنى الحال ، كأنه قال : ألقها تلقفه»^(٤) . هذا كلامه .

وشرحه أبو علي فقال : «وجه قراءة مَنْ قرأ : (تَلْقَفُ) بالرفع ، وهي قراءة ابن عامر : أنه في موضع الحال ، والحال يجوز أن يكون من الفاعل المُلقِي ، ويجوز أن يكون من المفعول المُلقَى ، فإن جعلته من الفاعل المُلقِي جعلته المُتَلَقَّفُ ، وإن كان التَلْقَفُ في الحقيقة للعصا ، ووجه جعل المُتَلَقَّفُ أن التَلْقَفُ في الحقيقة للعصا ، ووجه جعل المُتَلَقَّفُ أن التَلْقَفُ بالقائه كان فجاز أن ينسب إليه ، والفعل كثيراً يضاف إلى المسبب ، ويجوز أن يكون الحال من المفعول ، وجعلت تَلْقَفُ حالاً ، وإن لم تتلقف بعد ، كما جاء في التنزيل : ﴿هَذَا بَلِغُ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة : ٩٥] وكما

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٤٩ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٤١٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٣ ، والمحزر الوجيز ١٠/ ٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٢ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٨٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٥ ، والقرطبي ١١/ ٢٢٣ .

(٣) قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن كثير ، وحزمة ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر (تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا) بتشديد القاف وجزم الفاء ، وقرأ عاصم في رواية حفص ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ بتخفيف القاف تسكين الفاء ، وقرأ ابن عامر الشامي : (تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا) بتشديد القاف ورفع الفاء . انظر : السبعة ٤٢٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٩ ، والنشر ٢/ ٣٢١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٧ .

أجاز النحويون : مررتُ برجلٍ معه صقر صائدٌ به غداً ، وهذا النحو من الحال كثير في التنزيل وغيره»^(١) .

وقال : «﴿ نَلَقَفَ ﴾ على التأنيث ، حملاً للكلام على المعنى ؛ لأنه المراد بما في يمينه العصا . وَمَنْ قرأ : ﴿ نَلَقَفَ ﴾ بالجزم ، فعلى أن يكون جواباً ، كأنه : إِنْ تَلَقَّهِ تَلَقَّفَ ، ويجوز أن يكون تَلَقَّفَ خطاباً لموسى ، كما ذكر في قراءة مَنْ رفع يجوز أن يكون حالاً للفاعل»^(٢) . وذكرنا معنى التلقف في سورة الأعراف مستقصى^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا صَعَوْا كَيْدُ سِحْرٍ ﴾ ؛ أي الذي صنعوه كيد ساحر . وقرئ : (كيد سحر)^(٤) . وساحر أقوى ؛ لأن الكيد للساحر في الحقيقة وليس للسحر ، وَمَنْ قرأ : (كيد سحر) ، أضاف الكيد إلى السحر على التوسُّع ، وأراد كيد ذي سحر ، فيكون المعنى مثل كيد ساحر ، ويجوز أن يكون معنى كيد سحر : كيد من سحر كما قالوا : قميص حرير ، وجبة وشي ، ذكر ذلك ابن الأنباري^(٥) . والمعنى : الذي صنعوه تحيل سحر لا حقيقة له .

[وقوله : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ . قال ابن عباس : «ولا يسعد الساحر حيث ما كان»^(٦) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٣٦ / ٥ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٢٣٦ / ٥ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهُ تَلَقَّفَ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١١٧] .

(٤) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ﴿ كَيْدُ سِحْرٍ ﴾ بالالف ، وقرأ حمزة ، والكسائي (كيد سحر) بغير ألف . انظر : السبعة ٤٢١ ، والحجة للقراء السبعة ٢٣٧ / ٥ ، وحجة القراءات ٤٥٨ ، والغاية في القراءات ٣٢٣ .

(٥) ذكر بلا نسبة في الكشف ٥٤٥ / ٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٤ / ١١ ، والتفسير الكبير ٨٥ / ٢٢ ، والبحر المحيط ٢٦٠ / ٦ .

(٦) معالم التنزيل ٢٨٤ / ٥ ، وزاد المسير ٣٠٦ / ٥ .

وروى جندب بن عبدالله البجلي^(١) أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أخذتم الساحر فاقتلوه ، ثم قرأ : ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ . قال : لا يأمن حيث وجد»^(٢) .

قال أبو إسحاق : «معناه حيث كان الساحر يجب أن يقتل . قال : وكذلك مذهب أهل الفقه في السحرة»^(٣) . ونحوه هذا المعنى ذكر الفراء^(٤)^(٥) .

(١) جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي ، ينسب إلى جده ، أحد أصحاب النبي ﷺ ، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه الحسن وابن سيرين ، وأخرج له الجماعة ، توفي رضي الله عنه سنة ٦٤ هـ . انظر : الاستيعاب ١/ ٢١٩ ، وأسد الغابة ١/ ٣٠٣ ، والإصابة ١/ ٢٤٩ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ١١٨ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣/ ١٧٤ ، والكاشف ١/ ١٣٢ .

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٧٥ ، وقال : «وقد روى أصله الترمذي موقوفاً ومرفوعاً» ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٥٤١ ، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢١٠ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٤٨ ، والشوكاني في كتاب نيل الأوطار ، باب ما جاء في حد السحر ٧/ ٦٣٢ ، والألوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٣٠ ، وأخرج الترمذي في جامعه نحوه في كتاب الحدود ، باب ما جاء في حد السحر ٤/ ٦٠ ، والحاكم في المستدرک ٤/ ٣٦٠ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره ابن حزم في المحلى ١١/ ٣٩٦ ، وابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٢٣٦ ، والذهبي في الكبائر ٤٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٧ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٦ . اختلف العلماء في حكم السحر والساحر ، والصحيح - والله أعلم - أن السحر نوعان : منه ما هو كفر ، ومنه ما لا يبلغ درجة الكفر ، فإن كان الساحر استعمل السحر الذي هو كفر فإنه يقتل كفراً ، وأما إن كان الساحر عمل السحر الذي لا يبلغ الكفر فهو محل خلاف بين العلماء ، والراجح - والله أعلم - أنه لا يقتل . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٤٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ١/ ٦١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٣١ ، والمبسوط للرخسي ١٠/ ٢٠٨ ، والزواجر ٢/ ١٠٤ ، والمغني لابن قدامة ٨/ ١٥١ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

٧٠. وقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾. ففعل ما أمر به موسى، ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ وترك ذكره؛ لأنه ذكر في سورة الأعراف^(١)، والشعراء^(٢) أنه ألقى عصاه، فتلقفت ما صنعوا، وما يقع من الكلام في تفسير هذه الآية قد سبق في سورة الأعراف^(٣).

٧١. قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾. الكلام في هذا، ووجه اختلاف القراء في ﴿ءَامَنْتُمْ﴾^(٤) قد تقدم في سورة الأعراف^(٥)، بوصل الباء إذا كان بالله تعالى، وإذا كان بغيره وصل باللام، كذا جاء في التنزيل^(٦)، مثل قوله: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى﴾ [يونس: ٨٣]، ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ﴾ [الإسراء: ٩٠]، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، ﴿فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]؛ لأنه يراد به مجرد التصديق، وقد قال في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٣] فهما بمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ﴾. قال ابن عباس: «يريد معلمكم»^(٧). وقال: «ولذلك يقول أهل مكة: جئت^(٨) من عند كبيرى، وحتى أستأذن كبيرى»^(٩).

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذًا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

(٢) عند قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥].

(٣) الآيات [١١٧-١٢٠].

(٤) قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع (آمنتم) على لفظ الخبر، وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، ونافع: (آمنتم) بهمة ممدودة، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم (آمنتم) بهمتين الثانية ممدودة. انظر: السبعة ٤٢١، الحجة للقراء السبعة ٢٣٨/٥، وحجة القراءات ٤٥٨.

(٥) عند قوله سبحانه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣] الآية.

(٦) الكشف ٥٤٦/٢، والبحر المحيط ٢٦١/٦، وروح المعاني ٢٣١/١٦.

(٧) زاد المسير ٢٠٧/٥.

(٨) في (ص): (حيث)، وهو تصحيف.

(٩) الكشف ٥٤٥/٢، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٣/٢.

وقال الكسائي : «الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال : جئت من عند كبير»^(١) [٢].

وقال محمد بن إسحاق : «إنه لعظيم السحار»^(٣).

والكبير في اللغة : الرئيس^(٤) ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ [يوسف : ٨٠] ، يعني رئيسهم الذي هو أعلمهم ، ولم يرد الكبير في السن ، ولهذا يقال للمعلم : الكبير .

قال أهل المعاني : «جعل نسبتهم إلى اتباع رئيسهم بالسجود علة لصرف الناس عن اتباع موسى» .

وقوله تعالى : ﴿وَلَأُصَلِّنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ . قال المبرد : «المعنى على جذوع النخل ، وإنما وقعت في ومعانيها الوعاء ، كقولك : زيد في الدار ، والمتاع في الوعاء ؛ لأن الجذع جعل كأنه قد حل فيه ، فصار الجذع له مكاناً كالبيت»^(٥) . كما قال الأسدي^(٦) :

تَدَارَكْتُ شِمَاسًا وَيَحْيَى وَخَالِدًا وَقَدْ نَصَبْتُ فَوْقَ الْجُدُوعِ قُبُورَهَا

(١) زاد المسير ٢٠٧/٥ ، وفتح القدير ٥٣٧/٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٣) جامع البيان ١٨٨/١٦ ، وفتح القدير ٥٣٧/٣ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (كبر) ٣٠٩٠ ، والقاموس المحيط ٤٦٨ ، ولسان العرب ٣٨٠٧/٦ .

(٥) ذكر مختصراً في المقتضب ٣١٨/٢ .

(٦) لم أهد إليه .

أي جعلت الجذوع لهم مكان القبور ، ونحو هذا قال أبو عبيدة ، والفرء ،
والزجاج^(١) وأنشدوا^(٢) :

وَهُمْ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسْتُ شَيْئاً إِلَّا بِأُجْدَعَا

ولما كانت الجذوع تضمهم كما يضم الوعاء ما فيه قيل : ﴿ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ ،
وهذا كقوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ [الطور : ٣٨] ؛ أي عليه . ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ ﴾ أيها
السحرة ، ﴿ أَيَنَّا أَشَدُّ عَذَابًا ﴾ لكم ، ﴿ وَأَبْقَى ﴾ ؛ وأدوم ، أنا على إيمانكم ، أو رب
موسى على ترككم الإيمان به .

٧٢ . قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ ﴾ ؛ أي لن نفضلك ولن نختارك ﴿ عَلَى مَا
جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد من اليقين والعلم »^(٣) .
وقال مقاتل : « يعني اليد والعصا »^(٤) .

(١) عند قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٢٣] الآية .

(٢) اختُلف في نسبة هذا البيت ، فنُسب إلى سويد بن أبي كاهل . انظر : الأزهية ٢٧٨ ، وشرح شواهد
المغني ١ / ٤٧٩ ، والكشف والبيان ٣ / ٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٢٤ ، ولسان العرب
(شمس) ٤ / ٢٣٢٤ ، ونُسب البيت أيضاً إلى امرأة من العرب . انظر : الخصائص ٢ / ٣١٣ ، وشرح
المفصل ٨ / ٢١ ، ولسان العرب (فيا) ١٠ / ٣٧٣ ، وورد بلا نسبة في جامع البيان ١٦ / ١٨٨ ، والبحر
المحيط ٢ / ٢٦١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٤ ، ومعاني القرآن ٣ / ٣٦٨ ، والمقتضب ٢ / ٣١٩ ،
وأدب الكاتب ٥٠٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٢٥ .

(٤) الكشف والبيان ٣ / ٢١ ب ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٨٥ ، وتفسير مقاتل ٤ ب .

وقال عكرمة : «هو أنهم حيث خرُّوا سجداً أراهم الله في سجودهم منازلهم في الجنة التي إليها يصيرون»^(١) . ونحو هذا قال القاسم بن أبي بزة^(٢) : «ما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ، ورأوا ثواب أهلها ، عند ذلك قالوا : ﴿كُنْ نُؤْتِرْكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْيِّنَاتِ﴾»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ . ذكر الفراء والزجاج فيه وجهين ؛ أحدهما : «لن نؤثرك على الله والذي خلقنا . والثاني : أنه قسم»^(٤) .

﴿فَأَقِصْ مَا أَنْتَ قَاصٍ﴾ . قال ابن عباس وجميع المفسرين : «فاصنع ما أنت صانع»^(٥) . ﴿إِنَّمَا نَقْضُ هَذِهِ الْعَهْدَ الدُّنْيَا﴾ . قال ابن عباس : «يريد إنما سلطانك ومملكك في هذه الدنيا ، فأما في الآخرة فليس لك فيها حظ ولا سلطان»^(٦) .

(١) النكت والعيون ٣/ ٤١٤ ، والكشاف ٢/ ٥٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٢ ، وأضواء البيان ٤/ ٤٧٢ ، وقال : «والظاهر أن ذلك من نوع الإسرائيليات» .

(٢) القاسم بن نافع بن أبي بزة ، واسم أبي بزة : يسار ، وقيل نافع ، مولى عبدالله بن السائب بن صيفي المخزومي المكي ، ويكنى القاسم بأبي عبدالله ، وأصله من همدان ، تابعي ثقة ، روى عن أبي الطفيل ، وأبي معبد ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير . وروى عنه عمرو بن دينار ، وعبد الملك بن أبي سليمان ، وابن جريج وغيرهم كثير ، توفي - رحمه الله - سنة ١٢٤ هـ بمكة . انظر : الجرح والتعديل ٧/ ١٢٢ ، وطبقات ابن سعد ٥/ ٤٧٩ ، والثقات لابن حبان ٧/ ٣٣٠ ، وشذرات الذهب ١/ ١٦٢ ، وتهذيب التهذيب ٨٩/ ٢٧٨ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٢١ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٢ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٨ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٨٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٢ أ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٦ .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٨٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٥ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٦ .

٧٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا﴾. قال ابن عباس: «الشرك الذي كنا فيه»^(١). ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾. روي: «أن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر»^(٢).

وروي: «أنه أكرههم على معارضة موسى بالسحر»^(٣). والقولان مرويان في التفسير.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾. قال ابن عباس: «يريد ثواب الله خير وأبقى»^(٤). فعلى هذا، المضاف محذوف.

وقال أبو إسحاق: «أي الله خير لنا منك، وأبقى عذاباً»^(٥). وهذا جواب قوله: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١]، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق: «والله خير منك [ثواباً، وأبقى عقاباً]»^(٦).

وقال محمد بن كعب: «والله خير منك إن أطيع، وأبقى عذاباً منك»^(٧) إن عصي»^(٨).

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة. انظر: بحر العلوم ٢/ ٣٥٠، وزاد المسير ٥/ ٣٠٧،

والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٦، ومجمع البيان ٧/ ٣٥.

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٨٩، والكشف والبيان ٣/ ٢٢٢ أ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٠، ومعالم التنزيل

٥/ ٢٨٥، والمحزر الوجيز ٧/ ٥٨، وزاد المسير ٥/ ٣٠٧.

(٣) المحزر الوجيز ٨/ ٥٨، والكشاف ٢/ ٥٤٦، وزاد المسير ٥/ ٣٠٨، والتفسير الكبير ٢٢/ ٨٩،

وروح المعاني ١٦/ ٢٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٦.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٩.

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٩٠، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٧٦.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، ومن نسخة (ص).

(٨) انظر: المصادر السابقة، وانظر أيضاً: الدر المنثور ٤/ ٥٤٢، وفتح القدير ٣/ ٥٣٨.

٧٤. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾. هذا ابتداء كلام من الله تعالى ، وانتهى الإخبار عن السحرة^(١).

وقيل : «هذا أيضاً إخبار عنهم أنهم قالوه»^(٢).

والكناية في قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ الأمر والشأن ، أي بأن الأمر والشأن هذا ، وهو أن المجرم يدخل النار ، والمؤمن يدخل الجنة ، ويجوز أن يكون هاء الإضمار على شريطة التفسير ، ويبيّن ذلك في سورة [يوسف: ٩٠] .

ومعنى ﴿مُجْرِمًا﴾. قال ابن عباس في رواية الضحاك : «المجرم الكافر»^(٣).

وقال في رواية عطاء : «يريد أجرم ، وفعل مثل ما فعل فرعون»^(٤). ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾. قال : «يريد لا يموت فيستريح ، ولا يحيا فيفتر عنه العذاب»^(٥).

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٥٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٦ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٥٩ ، والكشاف ٢/ ٥٤٦ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٨٦ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٥٩ ، والكشاف ٢/ ٥٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٧ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٩٠ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٧ ، ومجمع البيان ٧/ ٣٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٢ .

(٤) جمع البيان ٧/ ٣٥ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٥٠ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٧ ، ومجمع البيان ٧/ ٣٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٢ ، وفتح القدير ٥/ ٥٣٨ .

قال الكلبي : «ولا يحيا فيها حياة تنفعه»^(١).

وروى أبو نضرة^(٢) عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم تُميتهم النار إماتة حتى يصيروا فحماً ، ثم يخرجون ضبائر^(٣) فيلقون على أنهار الجنة ، فيرش عليهم من أنهار الجنة ، حتى ينبتوا كما تنبت الحبة في حميل السيل»^{(٤)(٥)}.

قال المبرد : «تأويل قوله : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ لا يموت ميتة مريحة ، ولا يحيا حياة ممتعة ، وهو يألم كما يألم الحي ليفهم ذلك ، ويبلغ بهم حالة الموتى في المكروه ، إلا أنه لا يبلغ الحالة التي يبطل فيها عن الفهم ، والعرب تقول : فلان

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٣٠٩/٥ ، والبحر المحيط ٢٦٢/٦ ،

وفتح القدير ٥٣٨/٥ ، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر : ٣٦] .

(٢) المنذر بن مالك بن قطعة العبدي العوفي البصري ، من الطبقة الوسطى ، من علماء التابعين ، وثقه عدد من العلماء ، وشهدوا له بالصلاح والتقوى . توفي - رحمه الله - سنة ١٠٨ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٣٠٢/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٩/٤ ، وتقريب التهذيب ٢٧٥/٢ .

(٣) الضبائر : جماعات الناس ، يقال : رأيتهم ضبائر ؛ أي جماعات . انظر : تهذيب اللغة (ضبر) ٢٠٨٧/٣ ، ومقاييس اللغة (ضبر) ٣٨٦ ، والصحاح (ضبر) ٧١٨/٢ ، ولسان العرب (ضبر) ٢٥٤٧/٤ .

(٤) حميل السيل : ما حمله السيل من الغناء والطين ، وكل محمول فهو حميل . انظر : تهذيب اللغة (حمل) ٩٢٥/١ ، والصحاح (حمل) ١٦٧٨/٤ ، والقاموس المحيط (حملة) ٩٨٧ ، ولسان العرب (حمل) ١٠٠١/٢ .

(٥) أخرجه النسائي في سننه في كتاب التطبيق ، باب موضع السجود ١٦٣/٢ ، والترمذي في كتاب صفة جهنم ، باب ١٠ ، ٦١٥/٤ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وابن ماجه في كتاب الرقائق ، باب ما يخرج الله من النار برحمته ٢٣٨/٢ ، وأورده في الدر المنثور ٥٤٢/٢ وزاد نسبه إلى ابن مردويه عن أبي سعيد .

لا حي ولا ميت ، إذا كان غير منتفع بحياته ، وكذلك يقولون لمن يكلم ولم يبلغ حاجته : تكلمت ولم تتكلم ؛ أي لم تبلغ^(١) . كما قال ابن مرداس^{(٢)(٣)} :

وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تَدْرٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً وَلَمْ أُمْنَعْ

لأنه عندما أعطيه يقصر عن حقه ، بأنه قد وصل إليه القليل لم يمنع . وأنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى لعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود^(٤) :

أَلَا مَا لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي شَقَاها وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ

٧٥ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ . قال ابن عباس : «مصدقاً»^(٥) . ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ . [قال : «يريد قد أدى الفرائض»^(٦) . فهذا من صفة النكرة التي هي الحال]^(٧) ، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ . قال : «قصرت دونها الصفة»^(٨) .

(١) ذكر نحوه المحرر الوجيز ٥٩/١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٩/١١ ، والبحر المحيط ٢٦٢/٦ ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر : ٣٦] .

(٢) عباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي ، أبو الهيثم ، الصحابي ، تقدمت ترجمته .

(٣) البيت لعباس بن مرداس . ذا تدرأ : ذو هجوم لا يتوقى ولا يهاب ، ففيه قوة على دفع أعدائه . انظر : ديوانه ٨٤ ، والشعر والشعراء ٧٥٢/٢ ، وشرح التصريح ١١٩/٢ ، وشرح شواهد المغني ٩٢٥/٢ ، والمقاصد النحوية ٦٩/٤ ، وجمع الهوامع ١٢٠/٢ ، ولسان العرب (درأ) ١٣٤٧/٣ .

(٤) ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة . انظر : النكت والعيون ٤١٥/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/١١ ، وأصواء البيان ٤٧٨/٤ ، ولسان العرب (طعم) ١٦٥/٨ .

(٥) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : بحر العلوم ٣٥٠/٢ ، ولباب التأويل ٢٧٦/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٦/١١ ، وجمع البيان ٣٥/٧ ، ومدارك التنزيل ١٠١٦/٢ .

(٦) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/١٩٠ ، وذكر في زاد المسير ٣٠٩/٥ منسوباً إلى ابن عباس ، ولباب التأويل ٢٧٦/٤ ، وجمع البيان ٣٥/٧ ، وروح المعاني ٢٤٠/١٦ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٨) ذكر نحوه من دون نسبة في الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/١١ ، وفتح القدير ٥٣٩/٥ .

قال ابن عباس في ما روى عنه سعيد بن جبیر : « الله عباد ولدوا في الإسلام ونشؤوا في أعمال البر ، لم يخالطوا المعاصي وأهلها حتى ماتوا على ذلك ، إذا كان يوم القيامة نادى المنادي : أيمن من أتى ربه مؤمناً فاضلاً قد عمل الصالحات بصدق النية ؟ فعرف القوم صفتهم ، فقالوا : لبيك دعوتنا ، قال : فإن الله يقول : ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۖ جَنَّتٌ عَدْنٍ ﴾ الآية ، وعقد لهم لواء فاتبع القوم لواءهم حتى دخلوا الجنة »^(١) .

والآية دليل على أن الأمور بخواتيمها وأن الإيمان بالموافاة لقوله : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا ﴾ ، ودليل على أن الدرجات إنما تستحق بالأعمال الصالحة ، وقد يدخل الجنة من لا ينال الدرجات العلى .

وهذا معنى قوله عليه السلام : « تدخلون الجنة برحمة الله ، وتقسمون الدرجات بأعمالكم »^(٢) .

٧٦ . قوله تعالى : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : « مَنْ قال لا إله إلا الله »^(٣) . ونحو ذلك قال الكلبي^(٤) .

ومعنى ﴿ تَزَكَّى ﴾ تطهر من الذنوب بالطاعة بدلاً من التدنس بالمعاصي ، وقصد أن يكون زاكياً في الخير .

(١) لم أقف عليه .

(٢) أخرج البخاري نحوه في صحيحه في كتاب الرقائق ، باب القصد والمداومة على العمل ٢٣٧٣ / ٥ ، ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله تعالى ٢١٦٩ / ٤ ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب التوفي على العمل ١٤٠٥ / ٢ ، والإمام أحمد في مسنده ٢٢٢ / ٢ ، والدرامي في سننه في كتاب الرقائق ، باب لن ينجي أحدكم عمله ٢١٥ / ٢ .

(٣) الكشف ٥٤٦ / ٢ ، والتفسير الكبير ٩١ / ٢٢ ، وروح المعاني ٢٣٥ / ١٦ .

(٤) الكشف والبيان ٢٢ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٢٨٦ / ٥ .

٧٧. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾؛ سر بهم ليلاً من أرض مصر، ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾؛ أي اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا حتى ينفلق لهم البحر عن طريق^(١). فعدي الضرب إلى الطريق لما دخله هذا المعنى، وهو أنه أريد بضرب الطريق جعل الطريق بالضرب.

وقوله تعالى: ﴿يَيْسًا﴾. قال الليث: «طريق ييس: لا نداوة فيه ولا بلل»^(٢). وقال أبو عبيدة: «ييس وييس بمعنى: يابس»^(٣)، وأنشد لعلمقة بن عبيدة^(٤):

تَخْشَخْشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ كَمَا خَشَخَشَتْ يَيْسَ الْحَصَادِ جُنُوبُ
وقال الأزهري: «يقال للأرض إذا ييست: ييس، وللبقول والخطب ييس^(٥)، وأنشد^(٦):

وَلَمْ يَتَّقِ بِالْخُلُصَاءِ مِمَّا عَنَتْ بِهِ مِنْ الرُّطْبِ إِلَّا يَيْسُهَا وَهَجِيرُهَا». .
وقال أبو إسحاق: يقال: «ييس الشيء ييساً وييساً وييساً ثلاث لغات في المصدر، وطريقاً ييساً نعت بالمصدر والمعنى: طريق ذاييس»^(٧). قال مجاهد:

-
- (١) جامع البيان ١٦/١٩١، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٤٥، ومعالم التنزيل ٥/٢٨٦.
(٢) تهذيب اللغة (ييس) ٤/٣٩٧٣.
(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٤.
(٤) البيت لعلمقة بن عبيدة التميمي. خَشَخَشَ: الخشخاش الجماعة عليهم سلاح ودروع. والييس (بالفتح): اليابس، وهو نقيض الرطوبة. انظر: ديوانه ١٠٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٤، والاقتضاب ٤٦٠، ولسان العرب (خشخش) ٢/١١٦٤.
(٥) تهذيب اللغة (ييس) ٤/٣٩٧٣.
(٦) البيت لذی الرمة. الخلصاء: مكان. وعنت به: أنبتته نباتاً حسناً. والييس: ما ييس من العشب والبقول التي تتناثر إذا ييسست. والهجير: ييس الحمض الذي كسرتة الماشية. وهجر: ترك. انظر: ديوان ذي الرمة ٣٠٥، وتهذيب اللغة (ييس) ٤/٣٩٧٣، ولسان العرب (هجر) ٨/٤٦١٦.
(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٦٩.

«يَسَاءَ يَابِسًا»^(١). وذلك أن الله - تعالى - أيبس لهم ذلك الطريق حتى لم يكن فيه ماء ولا طين .

وقوله تعالى : ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ . قال ابن عباس وجميع المفسرين : «لا تخاف [أن يدركك فرعون ، ولا أحد من خلفك ، ولا تخشى البحر]»^(٢) .

وقال سيبويه : «﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾»^(٣) رفعه على وجهين ؛ أحدهما : على الحال ، كقولك : غير خائف ولا خاش ، كما قال : ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ [المائدة: ٦٠] ؛ أي مستكثراً ، قال : ويكون على قطع وأبتداء ؛ أي أنت لا تخاف»^(٤) .

وقرأ حمزة : (لا تخف) جزماً^(٥) . وله وجهان : أحدهما ما ذكره الزجّاج وهو أنه نهي عن أن يخاف ، معناه : ولا تخف أن يدرككم^(٦) فرعون^(٧) . والثاني : ما ذكره أبو علي وهو : أنه جعله جواب الشرط على معنى إن تضرب لا تخف دركاً من خلفك^(٨) .

(١) جامع البيان ١٦ / ١٤٣ ، والدر المنثور ٤ / ٥٤٣ .

(٢) جامع البيان ١٦ / ١٩١ ، والكشف والبيان ٣ / ٢٢ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣ / ٤٥ ، والنكت والعيون ١٦ / ١٩١ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٨٦ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٤) ذكره الرازي في التفسير الكبير ٢٢ / ٩٢ ، وذكر نحوه الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٣٩ ، والعكبري في إملأ ما منَّ به الرحمن ١ / ١٢٥ .

(٥) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، وعاصم ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ رفعاً بألف ، وقرأ حمزة : (لا تخف دركاً) جزماً بغير ألف . انظر : السبعة ٤٢١ ، الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٣٩ ، والغاية في القراءات ٣٢٣ ، والنشر ٢ / ٣٢١ .

(٦) في نسخة (ص) : (يدركك) .

(٧) معاني القرآن للزجّاج ٣ / ٣٧٠ .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٣٩ .

قال أبان بن تغلب^(١) وأبو عبيد : «لو كان لا يخاف لكان لا يخشى»^(٢) .

وهذا لا يلزم حمزة لوجوه ؛ أحدها : ما ذكره الفرّاء وغيره : «أنه نوى بقوله : ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ الاستئناف»^(٣) . كما قال الله تعالى : ﴿يُؤَلِّمُكُمُ الْآذَانَ تَمَّ لَا يُصْرُونَ﴾ [آل عمران : ١١١] فاستأنف بـ(ثم) ، ويكون المعنى : لا تخف العدو وراءك على النهي ، أو على الجواب وأنت لا تخشى الغرق أمامك . وذكر^(٤) الفرّاء وجهاً آخر قال : «ولو نوى حمزة بقوله : ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ الجزم ، وإن كانت فيه الياء كان صواباً ، كما قال^(٥) :

هَزِي إِلَيْكَ الْجَذَعُ يُجْنِيكَ الْجَنَى

[وقال آخر^(٦) :

هَجَوْتَ زَبَانَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِراً مِنْ هَجَمِ زَبَانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ]^(٧)

-
- (١) هو الجريري ، له كتاب في غريب القرآن ، توفي سنة ١٤١ هـ .
- (٢) أورد نحوه الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٣٧٠ بلا نسبة ، والزخشي في الكشف ٢/ ٥٤٧ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٨ .
- (٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٨٧ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٥ .
- (٤) في (ص) : (وذلك) ، وهو تصحيف .
- (٥) لم أهد إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة . الجنى : الرطب والعسل ، وكل ثمر فهو جنى ، والاجتناء : أخذك إياه . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٩٢ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٨٧ ، وتهذيب اللغة (جنى) ١/ ٦٧٤ ، ولسان العرب (جنى) ٢/ ٧٠٧ .
- (٦) يُنسب هذا البيت إلى أبي عمرو بن العلاء ، يخاطب به الفرزدق عندما جاء إليه معتذراً من أجل هجو بلغه عنه .
- انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٠ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٨٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٥٢ ، والإنصاف ١٩ ، وخزانة الأدب ٨/ ٣٥٩ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٣٦٠ ، ومعجم الأدباء ١١/ ١٥٨ ، وشرح شواهد الشافعية ٤٠٦ ، وشرح المفصل ١٠/ ١٠٤ .
- (٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

وقال آخر^(١) :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَأَقْتَ لِبُونُ بَنِي زِيَادٍ

فأثبت الياء^(٢) في موضع جزم ، ولسكونها جاز ذلك^(٣) .

قال أبو علي : « وهذا لا يحمل على ما ذكره الفرّاء ؛ لأن ذلك إنما يجيء في ضرورة الشعر كقوله^(٤) :

كَأَنَّ لَمْ تَرَ قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

(١) البيت لقيس بن زهير العبسي . تنمي : تبلغ . لبون : اللبون من الشاة والإبل ذات اللبن .

انظر : الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٤٠ ، والكتاب ١ / ٣٢ ، والخزانة ٣ / ٥٣٤ ، والخصائص ١ / ٣٣٣ ، والأغاني ١٧ / ١٣١ ، وشرح شواهد الشافعية ٤٠٨ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٥٢ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٧٨ ، والمحتسب ١ / ٦٧ .

(٢) في (س) : (الثاني) ، وهو تصحيف .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٨٨ .

(٤) هذا عجز بيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي ، وصدره :

وتضحكُ مِنِّي شيخَةٌ عبشميةٌ

انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٧٦ ، والحجة ٥ / ٢٣٩ ، وذيل الأمالي ١٣٤ ، وخزانة الأدب ٢ / ٢٠١ ، والأغاني ١٦ / ٢٥٨ ، وشرح شواهد المغني ٢ / ٦٧٥ ، والمحتسب ١ / ٦٥ ، وشرح المفصل ٥ / ٩٧ ، ولسان العرب (شمس) ٢ / ١٩٢٦ .

ولكن تقدر أنه حذف الألف المنقلبة عن اللام للجزم ، ثم أشبعت الفتحة ؛ لأنها فاصلة ، فأثبت الألف عن إشباع الفتحة ، [ومثل هذا مما يثبت في الفاصلة قوله : ﴿فَاصْلُونَا السَّيْلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧] ، وقد جاء إشباع هذه الفتحة^(١) في كلامهم^(٢) ، قال^(٣) :

فَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُزْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُتَزَّاحٍ

وقال أبو الفتح الموصلي : «العرب قد تشبع الفتحة فيتولد بعدها ألف ؛ لأن الألف في الحقيقة فتحة مشبعة ، أنشد سيبويه^(٤) :

فَبَيْنَا نَحْنُ نَرْقُبُهُ أَتَانَا مُعَلَّقَ وَفْضَةٍ وَزَنَادَ رَاعِي

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٤٠ .

(٣) البيت لابن هرمة يرثي ابنه . الغوائل : نوازل الدهر . بمنتزاح : يبعد عنه . انظر : ديوان ابن هرمة ٩٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٤٠ ، والمحتسب ١ / ١٦٦ ، والمسائل الحلييات ١١٢ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٣٠ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٥ ، والخصائص ٢ / ٣١٦ ، وشرح شواهد الشافية ٢٥ ، والإنصاف ١ / ٢٥ ، وخزانة الأدب ٧ / ٥٥٧ ، ولسان العرب (نرح) ١٤ / ١٠٤ .

(٤) البيت يُنسب إلى رجل من قيس عيلان . الوفضة : خريطة يحمل فيها الراعي أدواته وزاده . والزناد : ما تقدح به النار . انظر : الكتاب ١ / ١٧١ ، والمحتسب ٢ / ٧٨ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٣ ، وشرح شواهد المغني ٢ / ٧٩٨ ، وخزانة الأدب ٧ / ٧٤ ، وشرح المفصل ٤ / ٩٧ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٣٦ ، ولسان العرب (بين) ١ / ٥٦١ .

أراد : بين نحن نرقبه ، فأشبع الفتحة فحدث بعدها ألف ، قال : ومثل هذا يفعلون في الضمة فتتولد الواو ، وفي الكسرة فتتولد الياء»^(١) . والدَّرَك اسم من الإدراك يوضع موضع المصدر^(٢) .

قال الليث : «الدَّرَك : إدراك الحاجة يقال : بكر ففيه درك»^(٣) .

وقال شمر : قال أبو عدنان : «يقال : أدركوا ماء الرُّكْيَةِ»^(٤) إِدْرَاكًا وَدَرَكًا»^(٥) .

قال الأخفش : «ومعنى الآية : اضرب لهم طريقاً لا تخاف فيه دركاً ، وحذف (فيه) كما تقول : زيد أكرمت ؛ أي أكرمته ، وكما قال : ﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] ؛ أي لا تجزي فيه»^(٦) .

٧٨ . قوله تعالى : ﴿فَأَنْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ ؛ أي لحقهم كقوله : ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وقوله : ﴿فَأْتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصفات: ١٠] ، والباء في ﴿بِجُنُودِهِ﴾ في موضع حال من الفاعل على معنى ومعه جنوده ، كما يقال : ركب بسلاحه ، وخرج بشيابه ، وهذا اللحاق إنما كان أن أول مقدمة فرعون قرب من ساقية قوم موسى وهم يعبرون البحر ، أو يحمل على الإشراف على اللحاق والقرب منه^(٧) . ويجوز أن كون اتبع مطاوع تبع كقوله : ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً﴾ [هود: ٩٩] ،

(١) سر صناعة الإعراب ٢٣ / ١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (درك) ١١٧٦ / ٢ ، ولسان العرب (درك) ١٣٦٣ / ٣ ، والمعجم الوسيط (الدرك) ٢٨١ / ١ .

(٣) تهذيب اللغة (درك) ١١٧٦ / ٢ ، ولسان العرب (درك) ١٣٦٣ / ٣ .

(٤) الرُّكْيَةُ : بئر تحفر ، وهي جنس للركية وهي البئر . انظر : تهذيب اللغة (ركا) ١٤٥٥ / ٢ ، ولسان العرب (ركا) ١٧٢٢ / ٣ ، والمعجم الوسيط (الركية) ٣٧١ / ١ .

(٥) تهذيب اللغة (درك) ١١٧٦ / ٢ .

(٦) معاني القرآن للأخفش ٦٣٢ / ٢ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٧٠ ، الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٤١ .

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [القصص: ٤٢] ، والباء على هذا تكون زائدة ، كما يزداد في كثير من المفعولات نحو^(١) :

لَا يَقْرَأَنَّ بِالْشُّورِ

وروي عن أبي عمرو أنه قرأ : (فاتبعهم) موصولة^(٢) . وعلى هذا ، الباء للتعدي ؛ لأن اتبع بمعنى تبع كما يقال : شوى واشتوى ، وحفى واحتفى ، وفدى وافتدى والمعنى : لحق جنوده بهم^(٣) . قال أبو إسحاق : «وجائز أن يكون معهم على هذا اللفظ ، وجائز أن لا يكون ، إلا أنه قد كان معهم»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ آلِيَمٍ مَا غَشِيَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الغرق»^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «فغشيهم من البحر ما غرقهم»^(٦) .

وشرح ابن الأنباري هذا فقال : «يسأل فيقال : ما الفائدة في قوله : ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ؟ فيقال : المعنى غشيهم من اليم البعض الذي غشيهم [لأنه لم يغشهم

- (١) هذا جزء من عجز بيت ينسب إلى الراعي النميري ، وتماهه :
هُنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ سُودُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالْشُّورِ
انظر : ديوانه ١٢٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٤١ ، وأدب الكاتب ٥٢١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٤ / ١ ، وخزانة الأدب ٩ / ١٠٧ ، والمخصص ١٤ / ٧٠ ، ومجالس ثعلب ٣٦٥ ، وشرح أبيات المعنى ١٢٨ / ١ ، ولسان العرب (سود) ٤ / ٢١٤١ .
- (٢) قرأ عبيد عن هارون عن أبي عمرو (فاتبعهم فرعون) موصولة . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٤٠ .
- (٣) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٤١ ، وإملاء ما من به الرحمن ١ / ١٢٥ .
- (٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٧٠ .
- (٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ١٩١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣ / ٤٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٤١٦ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٨٧ ، وزاد المسير ٥ / ٣١٦ .
- (٦) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٧٠ .

كل مائه ، بل الذي غشيهم^(١) ، فقل الله تعالى : ﴿ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ ليدل على أن الذي غرقهم بعض الماء ، وأنهم لم يغرقوا بجميعة^(٢) ، هذا كلامه . وأجود منه ما ذكره محمد بن يزيد الثمالي وهو أنه قال : «معناه : غشيهم من اليم ما عرفتم أنه غشيهم»^(٣) . كما قال أبو النجم^(٤) :

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي

أي شعري ما قد عرفتم .

وقال سيبويه : «من كلام العرب : إن فعلت كذا وكذا فأنت أنت ؛ أي أنت كما تعرف ، ويقولون : الناس ناس ؛ أي هم كما قد عرفتم»^(٥) .

ومعنى ﴿ غَشِيَهُمْ ﴾ علاهم وسترهم .

٧٩ . ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ ﴾ حيث دعاهم إلى عبادته ﴿ وَمَا هَدَى ﴾ ؛ ما هداهم إلى مرادهم ، وهذا تكذيب له إذ قال : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩] .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣١١ / ٥ ، وأورد نحوه بلا نسبة الزمخشري في الكشاف ٥٤٧ / ٢ ، والبحر المحيط ٢٦٤ / ٦ .

(٣) ذكر نحوه في الكامل ٤٤ / ١ .

(٤) هذا الرجز لأبي النجم . انظر : الخزائن ٤٣٩ / ١ ، والأغاني ٧٥ / ٩ ، والكشاف ٥٩ / ٤ ، وتفسير القرآن العظيم ١٧٨ / ٣ ، والمصنف ١٠ / ١ ، والخصائص ٣٣٧ / ٣ .

(٥) لم أقف عليه .

وقال ابن عباس : « يريد ما أرشد نفسه »^(١) . وعلى هذا معنى (ما هدى) ما هدى نفسه . والمعنى : أنه أهلك نفسه وقومه بضلاله ودعائهم إلى الضلالة حتى أوردتهم مواقع الهلكة .

٨٠ . قال ابن عباس : « ثم ذكر الله - تعالى - منته على بني إسرائيل فقال : ﴿يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجَبْتَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ يعني فرعون أغرقه بمرأى منهم »^(٢) .

﴿وَوَعَدْنَكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ . وذلك أن الله - تعالى - وعد موسى بعد أن أغرق فرعون التآني جانب الطور الأيمن ، فيؤتاه التوراة فيها بيان ما يحتاجون إليه ، وقد ذكرنا هذا المعنى عند قوله : ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١] . واختلف القراء في : واعدنا ووعدنا^{(٣)(٤)} .

وزعم أبو الحسن الأخفش أن : (واعدنا) لغة في (وعدنا)^(٥) . وإذا كان كذلك ، فمن قرأ بالألف لم يدل اللفظ على أن الفعل من الاثنين ، كما أن استحر واستقر ونحو ذلك من بناء استفعل ، لا يدل على استدعاء الفعل ، والقراءة بـ(وعد) أحسن ؛ لأن واعد ها هنا بمعنى وعد ، ويعلم من (وعد) أنه فعل واحد

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/١١ ، وذكر من دون نسبة في بحر العلوم ٣٥٠/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٨٧/٥ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٢٨٧/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٧٨/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٣/١١ ، وإرشاد العقل السليم ٢٣/٦ ، وروح المعاني ٢٣٨/١٦ .

(٣) قوله : (وواعدنا) ساقط من نسخة (ص) .

(٤) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ﴿وَوَعَدْنَكُمْ﴾ بالنون ، وقرأ أبو عمرو والبصري (وواعدناكم) بغير ألف ، وقرأ حمزة والكسائي (وواعدكم) بالتاء . انظر : السبعة ٤٢٢ ، والحجة للقراء السبعة ٢٤١/٥ ، وحجة القراءات ٤٦٠ ، والغاية في القراءات ٣٢٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٩ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٢٤٢/٥ .

لا محالة ، وليس (واعد) كذلك ، فالأخذ بالأبين أولى^(١) . وهذا الذي ذكرنا زيادة في توجيه القراءتين لم نذكرها في سورة البقرة^(٢) . وهذا الوعد إنما كان لموسى ، ولكن خوطبوا به ؛ لأن الوعد كان لأجلهم^(٣) . والمعنى : واعدناكم إتيان جانب الطور فحذف المضاف ، والمراد بالأيمن الجانب الذي على يمين موسى^(٤) . وقد مر^(٥) .

وقيل في التفسير : «وعدهم الله جانب الجبل ليسمعوا كلام الله - عز وجل - لموسى بحضرتهم هناك»^(٦) .

٨١. قوله تعالى : ﴿كُلُوا﴾ ؛ أي وقلنا لهم : كلوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ، وهذا أمر يقتضي التعديد بالنعم . ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي : «يقول : لا تظلموا»^(٧) .

وقال مقاتل : «ولا تعصوا»^(٨) . والمعنى لا تبطروا في ما أنعمت عليكم فتظالموا . وهذا المعنى قول من قال : «لا تتقوا بنعمي على معاصي»^(٩) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٤٢/٥ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١] .

(٣) الكشف ٥٤٧/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٠/١١ ، والبحر المحيط ٢٦٥/٦ ، والتفسير الكبير ٩٥/٢٢ .

(٤) القرطبي ٢٣٠/١١ ، والبحر المحيط ٢٦٥/٦ ، والتفسير الكبير ٩٦/٢٢ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿وَنَدَبْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٥٣/٢ .

(٧) جامع البيان ١٤٤/١٦ ، والكشف والبيان ٢٢/٣ ب ، ومعالم التنزيل ٢٨٧/٥ ، والبحر المحيط ٢٦٥/٦ .

(٨) تفسير مقاتل ٥٥ .

(٩) الكشف والبيان ٢٢/٣ ب ، والنكت والعيون ٤١٦/٣ ، ومعالم التنزيل ٢٨٧/٥ .

- وقال الكلبي: «لا تجحدوا نعمة الله في ما رزقكم منه فتكونوا طاغين»^(١).
- وقال مقاتل: «لا تتعدوا ما حد الله لكم في المن والسلوى فتتجاوزوا قدر ما يكفيكم وتدخروا، فمتى ادخرتم منها شيئاً فأنتم في ذلك طاغون»^(٢).
- وقوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾؛ أي يجب، قاله قتادة وغيره^(٣). وقرئ: ﴿فَيَحِلَّ﴾ و﴿وَمَنْ يَحِلَّ﴾ بالكسر والضم^(٤).
- قال الفراء: «والكسر أحب إلي من الضم؛ لأن الضم من الحلول بمعنى الوقوع، ويحل: يجب، وجاء التفسير بالوجوب لا بالوقوع»^(٥).
- وقال الزجاج: «﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ معناه فيجب عليكم، ومن قرأ: بالضم، فمعناه التنزيل»^(٦)، هذا كلامه، ومعنى القراءتين قريب من السواء؛ لأن من قرأ بالكسر فمعناه: من حل الشيء يحل حلاً وحلالاً، إذا حلت عنه عقدة التحريم، وزال عنه الحظر والحجر والمنع، فمعنى يحل عليكم: ينزل بكم وينالكم بعدما كان ذا حظر وحجر ومنع عنكم، ومن فسر يحل يجب، فهو معنى وليس بتفسير، وذلك أنهم ما لم يطغوا كان العذاب ممنوعاً محظوراً عليهم، فإذا طغوا ارتفع ذلك
-
- (١) الكشف والبيان ٢٢/٣ ب، ومعالم التنزيل ٢٨٧/٥، والبحر المحيط ٢٦٥/٦.
- (٢) تفسير مقاتل ٥، وذكر نحوه في بحر العلوم ٣٥١/٢، والنكت والعيون ٤١٦/٣، ومعالم التنزيل ٢٨٧/٥.
- (٣) المروي في كتب التفسير عن قتادة: «ينزل عليكم غضبي». انظر: تفسير القرآن للصنعاني ١٧/٢، وجامع البيان ١٩٣/١٦.
- (٤) قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزة، وعاصم ﴿فَيَحِلَّ﴾... ﴿وَمَنْ يَحِلَّ﴾ بالكسر في الحاء من (فيحل) واللام الأولى من (يحلل)، وقرأ الكسائي (فيحل عليكم) بضم الحاء، (ومن يحل عليه) بضم اللام. انظر: السبعة ٤٤٢، والحجة ٢٤٣/٥، والتبصرة ٢٦٠، والنشر ٣٢١/٢.
- (٥) معاني القرآن للفراء ١٨٨/٢.
- (٦) معاني القرآن للزجاج ٣٧٠/٣.

الخطر فحل العذاب لهم ، ومعنى غضب الله : عذابه إياهم ^(١) ، ويقوي هذه القراءة قوله : ﴿وَيَحُلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٩] ؛ أي ينزل به بعد أن لم يكن ، وقوله : ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحُلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [طه: ٨٦] ، ولم يختلفوا في كسر هذين ، ومن قرأ بالضم فوجهه : أن الغضب لما كان يتبعه العقوبة والعذاب جعله بمنزلة العذاب فقال : يُحُلُّ ؛ أي ينزل . فجعله بمنزلة قوله : حَلَّ بالمكان يُحَلُّ . هذا معنى قول أبي علي وبعض كلامه ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ . يقال : هَوَى يَهْوِي هَوِيًّا ، إذا سقط من علو إلى أسفل ، وهَوَتْ الْعُقَابُ تَهْوِي هَوِيًّا ، إذا سقطت على صيد ، وهَوَى يَهْوِي هَوِيًّا ، إذا وقع مَهْوَاه ، وهَوَى فُلَانٌ ، إذا مات ، قال النابغة ^(٣) :

وقال الشامتون هوى زياداً لكل منية سبب مبين
وهوى : إذا هلك . ومنه قول كعب بن سعد ^(٤)(٥) :

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيَا

(١) الغضب صفة من صفات الله سبحانه ، نثبتها له سبحانه ، كما أثبتنا لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ، وتأويلها العذاب لا يصح ؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف ، وليس عليه دليل . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٨٤ ، والعقيدة الواسطية ٢٣ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٣ .

(٣) البيت للنابغة الذبياني . الشائنة : فرح العدو ، وقيل : الفرح ببلية تنزل بمن تعاديه . انظر : تهذيب اللغة (هوى) ٤/ ٣٨١٣ ، ولسان العرب (هوا) ٨/ ٤٧٢٦ .

(٤) تقدمت ترجمته في سورة البقرة .

(٥) هذا صدر بيت لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه ، وعجز البيت :

وَمَاذَا يُودِي اللَّيْلُ حِينَ يُؤُوبُ

انظر : تهذيب اللغة (هوى) ٤/ ٣٨١٣ ، والصاح (هوى) ٦/ ٣٩ ، ولسان العرب (هوا) ١٥/ ١٦٩ ، والأمايلي للقيالي ٢/ ١٥٠ ، والتكملة للصنعاني (هوى) ٦/ ٥٤٠ .

أي هلكت أمه . هذا معاني (هوى) في اللغة^(١) . فأما التفسير فقليل : «هلك»^(٢) . وقيل : «صار إلى الهاوية ، بمعنى تردى فيها»^(٣) .

قال ابن عباس في رواية الوالبي : «يقول : فقد شقي»^(٤) .

٨٢ . قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي وعطاء : «تاب من الشرك»^(٥) . ﴿وَأَمَنَ﴾ : وحَّد الله وصدَّقه ، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ : أدى فرائض الله ، وعمل صالحاً في ما بينه وبين الله . قال في رواية عطاء : «علم أن ذلك بتوفيق من الله له»^(٦) .

وقال في رواية الوالبي : «لم يشكك»^(٧) .

وقال في رواية أبي صالح : «علم أن له ثواباً بهذا»^(٨) ، هذا قول سفيان ، والكلبي ، والشعبي ، ومقاتل^(٩) . واختيار الزجاج ؛ لأنه يقول : «ثم أقام على إيمانه»^(١٠) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (هوى) ٤/٣٨١٣ ، ومقاييس اللغة (هوى) ٦/١٥ ، والقاموس المحيط (الهواء) ٤/٤٠٤ ، والصحاح (هوى) ٦/٢٥٣٧ ، ولسان العرب (هوا) ٨/٤٧٢٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٥ أ .

(٣) جامع البيان ١٦/١٩٤ ، وبحر العلوم ٢/٣٥١ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٨٨ .

(٤) جامع البيان ١٦/١٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٧٨ ، والدر المنثور ٤/٥٤٤ .

(٥) جامع البيان ١٦/١٩٤ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٨٨ ، وزاد المسير ٥/٣١٢ ، والدر المنثور ٤/٥٤٤ .

(٦) معالم التنزيل ٣/٢٢٧ ، وزاد المسير ٥/٢١٤ .

(٧) جامع البيان ١٦/١٩٤ ، والنكت والعيون ٣/٤١٦ ، وزاد المسير : ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٣١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/٧٩ ، والدر المنثور ٤/٥٤٤ .

(٨) زاد المسير ٥/٣١٢ ، والدر المنثور ٤/٥٤٤ .

(٩) جامع البيان ١٦/١٩٥ ، والكشف والبيان ٣/٢٣ ، وبحر العلوم ٢/٣٥١ ، والنكت والعيون ٣/٤١٧ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٨٨ ، وتفسير مقاتل ٥ ب .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٧٠ .

وقال عطاء بن يسار : «ثم أصاب بقوله وعمله السُّنة»^(١) . وهذا نحو قول سعيد بن جبير : «لزم السُّنة والجماعة»^(٢) .

وقال فضيل الناجي^(٣) : «اتبع السُّنة»^(٤) .

وقال زيد بن أسلم : «علم علماً يحسن به عمله . قال : يقول : اهتدى كيف يعمل»^(٥) . ونحو هذا قال ابنه : «أصاب العمل بالعلم»^(٦) .

٨٣ . قوله تعالى : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ ، قال المفسرون : «كانت المواعدة أن يوافي موسى جماعة من وجوه قومه ، فسار موسى بهم ، ثم عجل من بينهم شوقاً إلى ربه ، وخلف السبعين يلحقون به على أثره»^(٧) . فقال الله تعالى : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد رقة من الله عز وجل»^(٨) . يعني رحمة ؛ كأنه يقول : إنما سأل الله - عز وجل - عن سبب عجلته رحمة عليه ، ومحبة له وإلا فكان هو عالماً بذلك .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٤١٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٢ ،

وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٦ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٤ .

(٣) فضيل الناجي . ذكره ابن حجر في التهذيب ، وقال : «مجهول» ، وعنه حفص بن حميد القمي . انظر : تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧٠ ، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣١١ ، وتقريب التهذيب ٢/ ١١٤ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٢ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٩٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣١ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٩٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٢ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٣ .

٨٤. فقال موسى : ﴿هُمُ أُولَآءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ . وذكرنا معنى أولاء عند قوله : ﴿هَآأَنُتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران : ١١٩] . ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ . قال الكلبي : «لتزداد رضا»^(١) .

٨٥. قوله تعالى : ﴿قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ألقيناهم في فتنة ومحنة من بعدك»^(٢) .

وقال ابن الأنباري : «صيرناهم مفتونين أشقياء بعبادة العجل لما سبق لهم في حكمنا من بعد انطلاقتك من بينهم»^(٣) .

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أن الضلالة كانت على يدي السامري»^(٤) . يعني أنه كان سبب إضلالهم حين دعاهم إلى الضلالة ، كما قال الكلبي : «فهم السامري إلى عبادة العجل»^(٥) .

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٣٥١ / ٢ ، والكشف والبيان ٢٣ / ٣ ، أ ، ومعالم التنزيل ٢٨٨ / ٥ ، وزاد المسير ٣١٣ / ٥ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٧١ / ٣ .

(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير ، وقال ابن سعدي في تفسيره ١٨٠ / ٥ : «ابتليناهم اختبرناهم فلم يصبروا وحين وصلت إليهم المحنة كفروا» .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٧ / ١٠ ، ومعالم التنزيل ٢٨٨ / ٥ ، والنكت والعيون ٤١٨ / ٣ ، وزاد المسير ٢١٣ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٣ / ١١ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٢٨٩ / ٥ ، وروح المعاني ٢٤٤ / ١٦ ، وروح البيان ٤١٤ / ٥ .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «كان السامري من أهل بَاجَرْمَى^(١) وقع بأرض مصر ، فدخل في بني إسرائيل ، وكان من قوم يعبدون البقر ، وكان حب عبادة البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل وفي نفسه ما في نفسه»^(٢) .

وقال في رواية عطاء : «كان السامري رجلاً من القبط ، جاراً لموسى آمن به وصدّقه وخرج معه فابتلي»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «الأكثر في التفسير : أنه كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسَّامِرَة^(٤) وهم إلى هذه الغاية في الشام تعرف بالسامريين»^(٥) .

وروي عن راشد بن سعد^(٦) أنه قال : «قال الله لموسى : إن قومك اتخذوا من بعدك عجلاً جسداً له خوار . قال : يا رب ، فَمَنْ جعل فيه الروح ؟ قال : أنا . قال : فأنت أضللتهم يا رب ؟ قال : يا موسى ، إني رأيت ذلك في قلوبهم

(١) بَاجَرْمَى (بفتح الجيم ، وسكون الراء ، وميم وألف مقصورة) : قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة . انظر : معجم البلدان ١/ ٣١٣ .

(٢) بحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٥ ، والتفسير الكبير ١٠١/ ٢٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٤ ، والتفسير الكبير ١٠١/ ٢٢ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٤ .

(٤) في (ص) : (السامري) .

(٥) تفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٧ ، والكشاف ٢/ ٥٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧١ ، والتفسير الكبير ١٠١/ ٢٢ .

(٦) راشد بن سعد المقرئ ، ويقال : الحيراني الحمصي ، تابعي ثقة ، كان من أثبت أهل الشام ، شهد صفين مع معاوية رضي الله عنه ، روى عن ثوبان ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي الدرداء ، وعمرو بن العاص وغيرهم ، وروى عنه صفوان بن عمرو ، ومعاوية بن صالح ، وعلي بن أبي طلحة ، وغيرهم كثير ، توفي - رحمه الله - سنة ١١٣ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٤٨٣ ، والكاشف ١/ ٢٩٩ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٣٥ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٩٥ .

فيسرته لهم»^(١). ومعنى هذا أنهم كانوا يعتقدون التشبيه حين قالوا لموسى : ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، فجزاهم الله بذلك الاعتقاد أن فتنهم بالعجل ، فهذا معنى قوله : «رأيت ذلك في قلوبهم فيسره لهم» .

وقال عطاء عن ابن عباس : «قال موسى : يا رب ، هذا السامري أخرج لهم عجلاً من حليهم ، فمن جعل له الجسد والخوار»^(٢) ؟ قال الله تعالى : أنا . قال موسى : وعزتك ، وجلالك ، وارتفاعك ، وعلو سلطانك ما أضلهم غيرك . قال : صدقت يا حكيم الحكماء»^(٣) .

٨٦ . قوله تعالى : ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ . سبق الكلام في هذا في سورة الأعراف^(٤) . ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ ؛ صدقاً لإيتاء الكتاب^(٥) . ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ ؛ مدة مفارقتي إياكم^(٦) . ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ، وتلخيص المعنى : أم أردتم أن تصنعوا صنعة يكون سبب غضب ربكم ؛ لأن أحداً لا يتطلب غضب ربه ، ولكن قد يأتي سبب

(١) الدر المنثور ٤/ ٥٤٥ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٧ .

(٢) الخوار : صوت الثور ، وما اشد من صوت البقرة والعجل ، تقول : خَار يُخَوِّرُ خَوَّاراً . انظر : تهذيب اللغة (خار) ١/ ٩٥٩ ، والقاموس المحيط (الخوار) ٢/ ٢٥ ، والصحاح (خور) ٢/ ٦٥١ ، ولسان العرب (خور) ٣/ ١٢٨٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٤ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٧ . ولعل هذه من الروايات الإسرائيلية التي رويت في هذا الباب .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠] .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، والكشاف ٢/ ٥٤٩ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٤ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٢٣ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥١ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٣ .

ذلك . ﴿فَأَخْلَفْتُ مَوْعِدِي﴾ ؛ ما وعدتموني من حسن الخلافة بعدي ، هذا في قوله : ﴿بِسْمَا خَلَقْتُنِي مِنْ بَعْدِي﴾ [الأعراف : ١٥٠] .

وقال مجاهد : ﴿فَأَخْلَفْتُ مَوْعِدِي﴾ : قال عهدي^(١) . يعني ما عهد إليهم موسى وأوصاهم به من الإقامة على طاعة الله . وقيل في التفسير : ﴿فَأَخْلَفْتُ مَوْعِدِي﴾ ؛ أي تركتم السير على أثري^(٢) . وهذا إنما يصح لو روي أن موسى وعدهم ذلك ، ولم نر في شيء من الروايات أن موسى وعد قومه : أن يسيروا على أثره .

وقال ابن الأنباري : ﴿فَأَخْلَفْتُ مَوْعِدِي﴾ ؛ أي نسبتموه إلى الخلاف^(٣) . يعني وعده بالرجوع إليهم .

٨٧ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ . قال قتادة : «بطاقتنا»^(٤) . وقال مقاتل : «ونحن نملك أمرنا»^(٥) . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي يقول : «بأمرنا»^(٦) .

وقال مجاهد : «بأمر نملكه»^(٧) .

-
- (١) زاد المسير ٣١٣/٥ ، والتفسير الكبير ٢٠٢/٢٢ ، وتفسير مجاهد ٤٦٤ .
 (٢) جامع البيان ١٩٦/١٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٦/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/١٦ .
 (٣) ذكر نحوه بلا نسبة القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/١١ ، والرازي في التفسير الكبير ١٠٢/٢٢ .
 (٤) تفسير القرآن للصنعاني ١٧/٢ ، وجامع البيان ١٩٧/١٦ ، والنكت والعيون ٤١٨/٣ ، وزاد المسير ٣١٣/٥ ، والدر المنثور ٥٤٧/٤ .
 (٥) الكشف والبيان ٢٣/٣ أ ، وتفسير مقاتل ٥ ب .
 (٦) جامع البيان ١٩٧/١٦ ، والدر المنثور ٥٤٧/٤ ، وفتح القدير ٥٤٤/٣ .
 (٧) جامع البيان ١٩٧/١٦ ، والدر المنثور ٥٤٧/٤ .

قال الفرّاء: في التفسير: «إنا لم نملك الصواب وإنما أخطأنا»^(١).

وحكى الزجاج أيضاً: «مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ» بأن ملكنا الصواب^(٢). ومعنى هذا أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا: إنا لم نملك أمرنا حتى وقعنا بالذي وقعنا فيه من الفتنة، وهذا التفسير لا يطرد عليه نظم الآية، ولا يبقى معه معنى كقراءة مَنْ قرأ: (بِمِلْكِنَا) بالضم^(٣). ولكان يجب أن يقولوا: فأخرج لنا عجباً جسداً، ولكن الصحيح ما ذكره بعض أهل التفسير: «أن هذا من قول المؤمنين الذين لم يعبدوا العجل»^(٤). ولعل هذا أصح؛ لأن العتاب جرى معهم في سوء خلافتهم من ترك الإنكار على عبدة العجل، فقالوا له: ما أخلفنا موعدك الذي وعدناك من حسن الخلافة، ونحن نملك شيئاً من أمرنا، أو نطبق ردهم عن عظم ما ارتكبوا؛ لأننا كنا مغلوبين لقلتنا وكثرتهم، وكذا جاء في رواية: «إن الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر ألفاً، وافتن الباقون بالعجل وكانوا جميعاً ستمائة ألف»^(٥).

وأكثر الفرّاء: (بِمِلْكِنَا) بالكسر^(٦). والتقدير: بملكنا أمرنا، فأضيف المصدر إلى الفاعل وحذف المفعول، كما أنه قد يضاف إلى المفعول، ويحذف

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٨٩/٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٧١/٣.

(٣) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر (بِمِلْكِنَا) بكسر الميم، وقرأ نافع، وعاصم ﴿بِمِلْكِنَا﴾ بفتح الميم، وقرأ حمزة، والكسائي (بِمِلْكِنَا) بضم الميم. انظر: السبعة ٤٢٢، والحجة ٥/٢٤٤، والتبصرة ٢٦١، والنشر ٢/٣٢١.

(٤) النكت والعيون ٣/٤١٨، وزاد المسير ٥/٣١٤، والتفسير الكبير ٢٢/١٠٢، وأضواء البيان ٤٩٤/٤.

(٥) الكشف والبيان ٣/٢٣، ومعالم التنزيل ٥/٢٨٨، والكشاف ٢/٥٤٩، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٣٤.

(٦) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر (بِمِلْكِنَا) بكسر الميم. انظر: السبعة ٤٢٢، والحجة للفرّاء السبعة ٥/٢٤٤، والمبسوط في القراءات ٢٥٠، وحجة القراءات ٤٧١.

الفاعل في نحو : ﴿دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت : ٤٩] ، ﴿سُؤَالِ نَجْعِكَ﴾ [ص : ٢٤] ، وَمَنْ قرأ : بِمِلْكِنَا) فهو المصدر الحقيقي يقال : مَلَكَتُ الشيءَ أَمْلِكُهُ مَلَكًا ، وَالْمَلِكُ مَا مَلَكَ مثل : الطَّخَنُ وَالطَّخَنُ ، وَالسَّقِي والسَّقِي ، وقد وضع الاسم موضع المصدر ، كما قال الشاعر ^(١) :

وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَاءَةُ الرَّتَاعَا

أعمل الاسم إعمال المصدر ^(٢) .

وَمَنْ قرأ : «بِمِلْكِنَا» بضم الميم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا ، يعني لم نقدر على ردهم ، وأنكر أبو عبيد هذه القراءة ^(٣) ، فقال : «الْمَلِكُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْعِزَّةِ ، وَأَيُّ مَلِكٍ كَانَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَئِذٍ ؟ وَإِنَّمَا كَانُوا بِمَصْرَ مُسْتَضْعَفِينَ» ^(٤) . كما قال الله تعالى : ﴿وَأَوْزَنَّا الْفُقُومَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف : ١٣٧] وقال : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص : ٥] . فليس الأمر كما ذهب إليه ؛ لأنه ليس معنى الملك هاهنا : السلطان الشديد والكبرياء ، وإنما معناه : القدرة فقط ^(٥) . وأصل الملك راجع إلى معنى واحد ذكرناه عند قوله : ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة : ٤] .

(١) هذا عجز بيت للقطامي من قصيدة يمدح فيها زفر بن الحارث الكلبي ، وصدر البيت :

أَكْفُرُ بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي

الرتاع : الإبل الراعية . يقول : لا أكفر معروفك بعد أن أطلقتني من الأسر ، وأعطيتني مائة من الإبل الرتاع . انظر : ديوانه ٣٧ ، وتذكرة النحاة ٤٥٦ ، وخزانة الأدب ١٣٦ / ٨ ، والشعر والشعراء ٧٢٣ / ٢ ، والحجة للقراء السبعة ٢٤٥ / ٥ ، والخصائص ٢٢١ / ٢ ، وشرح المفصل ٢٠ / ١ ، وجمع الهوامع ١٨٨ / ١ ، ولسان العرب (عطا) ٣٠٠١ / ٥ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٢٤٥ / ٥ .

(٣) لعل الإنكار للمعنى وليس للقراءة ، فالقراءة ثابتة بالتواتر فلا يجوز إنكارها .

(٤) غريب الحديث لأبي عبيدة ١٣٦ / ٣ ، وجامع البيان ١٩٨ / ١٦ ، والحجة للقراء السبعة ٢٤٥ / ٥ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٢٤٥ / ٥ .

على أن أبا الحسن الأخفش حكى : «أن الملك مصدر في المالك»^(١) . وحكى
الفرّاء : «مالي مُلك ؛ أي شيء أملكه»^(٢) . وعلى هذا معنى الوجوه كلها واحد^(٣) .

ثم ذكروا قصة اتخاذ العجل فقالوا : ﴿وَلَكِنَّا جُمَلْنَا أَوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ ؛ أي
أثقالاً وأحمالاً^(٤) . قال قتادة : «كانت حلياً تعوروها»^(٥) من آل فرعون فساروا
وهي معهم»^(٦) .

وقال مجاهد : «أوزاراً من زينة الحلي الذي استعاروه من آل فرعون وهي
الأثقال»^(٧) . وهذا قول ابن عباس ، والشَّدي ، وابن زيد^(٨) . والأكثرين : أن
(الأوزار) هي الأحمال ، و﴿زِينَةُ الْقَوْمِ﴾ ؛ حلي آل فرعون استعاره بنو إسرائيل
قبل خروجهم من مصر فبقي في أيديهم ، وكان موسى قد أمرهم بذلك^(٩) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٤٥ / ٥ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١٨٩ / ٢ .

(٣) قال ابن جرير الطبري في تفسيره ١٩٩ / ١٦ : «وكل هذا الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى ؛
لأن من لم يملك نفسه لغلبة هواه على ما أمر فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول فعل فلان هذا الأمر وهو لا
يملك نفسه وفعله وهو لا يضبطها ، وفعله لا يطبق تركه ، وإذا كان ذلك كذلك فسواء بأي القراءات
الثلاث قرأ ذلك القارئ» .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ١٨ / ٢ ، والكشف والبيان ٢٣ / ٣ ، وجامع البيان ١٩٩ / ١٦ ، وتفسير كتاب
الله العزيز ٤٧ / ٣ ، والنكت والعيون ٤١٨ / ٣ .

(٥) العارية والعارة : ما تداولوه بينهم ، وقد أعاره الشيء وأعاره منه ، والمعاورة والتعاور : شبه المداولة
والتداول في الشيء يكون بين اثنين ، واستعار الشيء واستعاره منه : طلب منه أن يعيره إياه .
انظر : تهذيب اللغة (عار) ٣ / ٢٢٧٣ ، والقاموس المحيط (العور) ٩٧ / ٢ ، ولسان العرب (عور)
٥ / ٣١٦٥ ، ومختار الصحاح (عور) ٤٦٢ .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ١٨ / ٢ ، وجامع البيان ١٩٩ / ١٦ .

(٧) جامع البيان ١٩٩ / ١٦ ، والنكت والعيون ٤١٨ / ٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٧ / ٣ .

(٨) جامع البيان ١٩٩ / ١٦ ، والنكت والعيون ٤١٨ / ٣ .

(٩) جامع البيان ١٩٩ / ١٦ ، والكشف والبيان ٢٣ / ٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٧ / ٣ ، والنكت
والعيون ٤١٨ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٢٨٩ / ٥ .

وقال الزجّاج : «يعنون بالأوزار : حلياً كانوا أخذوها من آل فرعون ، حين قذفهم البحر فألقاهم على الساحل ، فأخذوا الذهب والفضة وسميت أوزاراً . قال : وسميت أوزاراً ؛ لأن معناها الآثام»^(١) . ونحو هذا ذكر الفرّاء^(٢) . وعلى هذا ، المراد بزينة القوم : ما كان معهم حين أغرقوا من مصوغات الذهب والفضة للمناطق وزينة الدواب ، وغير ذلك فسميت أوزاراً ، بأن معناها أثام لم يحل لهم أخذها^(٣) . وعلى هذا القول ، يجوز أن يكون المراد بالأوزار الأحمال ؛ لأن الوزر في اللغة : الحمل^(٤) .

وُقرئ : بالتشديد وضم الحاء^(٥) . المعنى : جعلونا نحمل ، وُحْمَلْنَا على ذلك وأردنا له وكلفنا حمله ، وَمَنْ قرأ : (حَمَلْنَا) أراد أنهم فعلوا ذلك . قال أبو عبيد : «وهو الاختيار ؛ لأن التفسير قد جاء أنهم حملوا معهم ما كان في أيديهم من حلي آل فرعون»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿فَقَذَفْتَهَا﴾ ؛ أي طرحناها ، واختلفوا : أين طرحوها ؟ وكيف فعلوا ؟ فقال قتادة : «لما مضت ثلاثون يوماً ولم يرجع موسى قال السامري : هذه العقوبة التي أصابتكم بتخلف موسى عن الوقت الذي وقته لرجوعه إليكم ، إنما أصابتكم بالحلي التي معكم ، فاجمعوها حتى يجيء موسى فنقضني منه ، فجمعت

(١) معاني القرآن للزجّاج ٣/ ٣٧٢ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٨٩ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (وزر) ٤/ ٣٨٨٣ ، والقاموس المحيط (الوزر) ٢/ ١٥٤ ، والصحاح (وزر)

٢/ ٨٤٥ ، ولسان العرب (وزر) ٨/ ٤٨٢٣ .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم ﴿حَمَلْنَا﴾ بضم الحاء وتشديد الميم ، وقرأ

عاصم في رواية أبي بكر ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي (حَمَلْنَا) بفتح الحاء وتخفيف الميم . انظر :

السبعة ٤٢٣ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٦ ، وحجة القراءات ٤٦٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٥٠ .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٧ .

ودفعت إليه»^(١). وعلى هذا ، معنى ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ ألقيناها إليه ، وهذا قول قتادة قال : «فقدفوها إليه»^(٢).

وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «قال لهم هارون : إنكم تحملتكم أوزاراً من زينة آل فرعون فتطهروا منها ، فإنها نجسة ، وأوقد لهم ناراً وقال : اقدفوا ما كان معكم من ذلك فيها . قالوا : نعم ، فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الحلي فيقدفونها فيها ، حتى استلب الحلي فيها»^(٣). وعلى هذا ، معنى ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ ألقيناها في النار . ونحو هذا ذكر الزجاج^(٤).

وقال السُّدِّي : «قال هارون لهم : إن الحلي غنيمة ولا تحل لكم الغنيمة فاحفروا لهذا الحلي حفرة فاطرحوه فيها»^(٥). وعلى هذا ، المعنى فقدفناها في الحفرة .

قوله تعالى : ﴿فَكَذَلِكَ﴾ ؛ أي فكما ألقيت ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد ألقى الحلي - وهو الذهب - في النار»^(٦).

وهذا اختيار الزجاج والفراء ، قالا : «وكذلك فعل السامري ؛ أي ألقى حلياً كان معه في النار»^(٧). وعلى هذا دل كلام مجاهد ؛ لأنه يقول : «فلذلك صنع

(١) جامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٦ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٧ .

(٣) بحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٢ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٧ .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، والمحزر الوجيز ١٠/ ٧٦ ، ومعالم

التنزيل ٥/ ٢٩٠ منسوب إلى ابن عباس ، وزاد المسير ٥/ ٣١٥ ، والكشاف ٢/ ٥٥٠ ، وتفسير القرآن

العظيم ٣/ ١٨٠ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٢ .

السامري»^(١)؛ أي فعل كما فعلنا . وقال آخرون : «وكذلك ألقى السامري ؛ يعني : ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل»^(٢) .

قال قتادة : «وقد كان صر في عمامته قبضة من أثر فرس جبريل يوم جاوز ببني إسرائيل ففقدوها فيها»^(٣) . فهذا معنى قول ابن عباس في رواية الشَّدي عن أبي مالك ، عنه^(٤) . وعلى هذا معنى ﴿أَلْقَى﴾ ألقى القبضة التي كانت معه من التراب . ولعل الأقرب هذا القول^(٥) ؛ لأن الله - تعالى - أتبعه .

٨٨ . بقوله : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ . قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «لما أسبكت الحلي في النار أقبل السامري إلى النار ، فقال لهارون : يا نبي الله ألقى ما في يدي ؟ قال : نعم ، ولا يظن هارون إلا أنه لبعض ما جاء به غيره من تلك الحلي والأمتعة ، ففقدته فيها ، وقال : كن عجلًا جسداً له خوار ، فكان للبلاء والفتنة»^(٦) .

-
- (١) جامع البيان ٢٠٠/١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١١ ، وتفسير مجاهد ٤٦٥ .
 (٢) جامع البيان ١٩٩/١٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٧/٣ ، وبحر العلوم ٣٥٢/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٩٠/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٦ .
 (٣) جامع البيان ١٩٩/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٩٠/٥ ، وذكر نحوه الصنعاني في تفسير القرآن ١٧/٢ .
 (٤) جامع البيان ٢٠٠/١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ١٨٠/٣ ، والدر المنثور ٥٤٥/٤ .
 (٥) قال ابن عطية ٧٢/١٠ : «وروي وهو الأصح الأكثر : أنه ألقى الناس الحلي في حفرة أو نحوها ، وألقى هو عليه القبضة فتجسد العجل ، وهذا وجه فتنة الله - تعالى - لهم ، وعلى هذا ، انخرقت للسامري عادة ، وأما على أن يصوغه فلم تنخرق له عادة وإنما فتنوا حيثئذ بخواره فقط ، وذلك الصوت قد تولد في الأجرام بالصنعة» .
 (٦) بحر العلوم ٣٥٢/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٦ ، والدر المنثور ٥٤٧/٤ ، وروح المعاني ٢٤٧/١٦ .

وقال السُّدِّيُّ عن أبي مالك عن ابن عباس : « قال لهم هارون : اجمعوا هذا الحلي حتى يجيء موسى فيقضي فيه ، قال : فجمع ثم أذيب ، فلما ألقى السامري القبضة تحول عجلًا جسدًا له خوار»^(١) .

وقال علي بن أبي طالب : «لما تعجل موسى إلى ربه ، عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي نساء بني إسرائيل ، فضربه عجلًا ثم ألقى القبضة في جوفه فإذا هو عجل جسد له خوار»^(٢) .

وقال قتادة : «ضربها صورة بقرة ، وقذف فيها القبضة فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار ، فجعل يخور خوار البقرة»^(٣) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ ؛ يريد لحمًا ودمًا . ﴿لَهُ خُورٌ﴾ كما يخور الحلي من العجول»^(٤) . وذكر في التفسير وحكاة الزجَّاج^(٥) . وهو قول ابن عباس في رواية عكرمة : «أن هارون مر بالسامري وهو يصنع العجل ، فقال له : ما تصنع ؟ قال : اصنع ما ينفع ولا يضر . وقال : ادع لي . فقال : اللهم أعطه ما يسأل كما يجب . فسأل الله أن يجعل للعجل خوار»^(٦) .

وقال الحسن : «صور بقرة صاغها من الحلي الذي كان معهم ثم ألقى عليها من أثر فرس جبريل فانقلبت حيوانًا يخور»^(٧) .

(١) النكت والعيون ٤١٩/٣ .

(٢) بحر العلوم ١٥٢/٢ ، والدر المنثور ٥٤٥/٤ .

(٣) جامع البيان ٢٠٠/١٦ ، والنكت والعيون ٤١٩/٣ ، وذكر نحوه الصنعاني في تفسير القرآن ١٧/٢ .

(٤) بحر العلوم ١٥٢/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٦ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣٧٢/٣ .

(٦) الكشف والبيان ٢٣/٣ ، ومعالم التنزيل ٢٨٩/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٦ ، وتفسير

القرآن العظيم ١٨٠/٣ ، والدر المنثور ٥٤٦/٤ .

(٧) النكت والعيون ٤١٩/٣ .

وقال مجاهد : «خواره حفيف الريح إذا دخلت جوفه»^(١) .

قال أبو إسحاق : «الذي قاله مجاهد من أن الخوار حفيف الريح ، فيه أسوغ إلى القبول ؛ لأنه شيء ممكن ، والتفسير الآخر من أنه خار ، ممكن في محنة الله»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ . أكثر أهل التفسير : «فقال السامري هذا إلهكم [وإله موسى]»^(٣) .

وروي عن علي رضي الله عنه : «فقال لهم السامري : هذا إلهكم»^{(٤)(٥)} .

وقال قتادة : «فقال عدو الله : هذا إلهكم»^(٦) .

والمفسرون يقولون : فقال : هذا إلهكم . وفي التنزيل : ﴿فَقَالُوا﴾ فيحتمل أن المعنى : وقال السامري ومن تابعه ممن افتنن بالعجل .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «عكفوا عليه ، وأحبوه حُباً لم يحبوه شيئاً قط»^(٧) .

(١) تفسير كتاب الله العزيز ٤٨/٣ ، وبحر العلوم ٣٥٢/٢ ، والنكت والعيون ٤١٩/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٦ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٧٢/٣ .

(٣) جامع البيان ٢٠١/١٦ ، وزاد المسير ٣١٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١١ ، وروح المعاني ٢٤٨/١٦ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٤١٢/٢ ، وزاد المسير ٣١٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١١ ، ولباب التأويل ٢٧٧/٤ ، وإرشاد العقل السليم ٣٦/٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٩٩/١١ ، وزاد المسير ٣١٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١١ ، وروح المعاني ٢٤٨/١٦ .

(٧) تفسير القرآن العظيم ١٦٧/٣ .

وقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾. روى الشُّدِّي عن أبي مالك عن ابن عباس في قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ قال: «إن موسى ذهب يطلب ربه فضلًا ولم يعلم مكانه»^(١). ونحو هذا قال في رواية عطاء: «أي ضلَّ وأخطأ الطريق»^(٢).

وروى سَمَّاك بن حرب عنه قال: «نسي موسى أن يذكر لكم أن هذا إلهه وإلهكم»^(٣). ونحو هذا روى عكرمة عنه^(٤).

وقال الشُّدِّي: «﴿فَنَسِيَ﴾ يقول: ترك موسى إلهه هاهنا وذهب يطلبه»^(٥).

وقال قتادة: «يقول: إن موسى إنما طلب هذا، ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر»^(٦). وعلى هذا قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ إخبار عن السامري [أنه قال ذلك].

وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: «﴿فَنَسِيَ﴾؛ أي ترك ما كان عليه من الإسلام»^(٧). يعني السامري^(٨)، وعلى هذا القول قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ كلام

(١) جامع البيان ٢٠١/١٦، وتفسير القرآن ١٨٠/٣، وذكر في معالم التنزيل ٢٩٠/٥ من دون نسبة، وكذلك المحرر الوجيز ٧٨/١.

(٢) زاد المسير ٣١٥/٥، والبحر المحيط ٢٦٩/٦، وروح المعاني ٢٤٨/١٦، وذكر في معالم التنزيل ٢٢٨/٣ من دون نسبة، وكذلك القرطبي ٢٣٦/١١.

(٣) القرطبي ٢٣٦/١١، وابن كثير ١٨٠/٣، وذكر نحوه في الدر المنثور ٥٤٧/٤.

(٤) بحر العلوم ٣٥٢/٢، وزاد المسير ٣١٥/٥، وتفسير القرآن العظيم ١٨٠/٣، وأضواء البيان ٤٩٧/٤.

(٥) جامع البيان ٢٠١/١٦، وذكر في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١١ من دون نسبة.

(٦) جامع البيان ٢٠١/١٦، وبحر العلوم ٣٥٢/٢، والنكت والعيون ٤١٩/٣، وزاد المسير ٣١٥/٥، والبحر المحيط ٢٦٩/٦.

(٧) جامع البيان ٢٠١/١٦، والنكت والعيون ٤١٩/٣، وزاد المسير ٣١٥/٥، وابن كثير ١٨٠/٣، والبحر المحيط ٢٦٩/٦، وأضواء البيان ٤٩٧/٤.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، ومن نسخة (ص).

الله - تعالى - في وصف السامري أنه نسي ؛ أي ترك ما كان عليه من الإيمان ؛ لأنه نافق لما عبر البحر^(١) ، فعيرهم الله بصنيعهم ، وقال موبخاً لهم :

٨٩ . ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ . قال المبرّد : «أفلا يعلمون ؛ لأن رأيت على ضربين : على رؤية القلب ، وعلى رؤية العين ، وما كان من رؤية القلب فالمراد به العلم»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ . قال أبو إسحاق : «الاختيار الرفع ، ويكون المعنى : أنه لا يرجع ، كما قال : ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٨] قال : ويجوز أن لا يرجع ينتصب بأن»^(٣) .

قال المبرّد : ﴿أَن﴾ هاهنا مخففة من الثقيلة والمعنى : أنه لا يرجع ، كقوله : ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠] ، ولا يكون بعد العلم إلّا ثقيلة ، ومخففة من الثقيلة ، وتخفف إذا جئت بالعوض نحو : السين وسوف ، نحو : علمت أن سيذهبون ، وأن سوف يذهبون ، وعلى^(٤) هذا قولنا : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، خفت الأولى من الثقيلة ؛ لأنك جئت بالعوض وهو لا وشددت الثانية ؛ لأنه الإيجاب»^(٥) .

(١) قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره ٢٠١ / ١٦ : «والذي هو أولى بتأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء وهو أن ذلك خبر من الله - عز ذكره - عن السامري أنه وصف موسى بأنه نسي ربه ، وأن ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه وأنه عقيب ذكر موسى ، وهو أن يكون خبراً من السامري عنه بذلك أشبه من غيره» .

(٢) ذكر نحوه في المقتضب ٣١ / ٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٧٣ / ٣ .

(٤) في (ص) : (ومن) .

(٥) المقتضب ٧ / ٣ .

وهذا الفصل مستقصى عند قوله : ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة : ٧١] ، ومعنى ﴿أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ لا يكلمهم ولا يرد لهم جواباً ، كما قال في هذا المعنى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف : ١٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ توبيخ لهم إذا عبدوا من لا يملك ضراً من ترك عبادته ، ولا ينفع من عبده ، وتركوا عبادة من يملكها .

٩٠ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ ؛ أي من قبل أن يأتي موسى ، وذلك أنه لما رأى ما وقعوا فيه قال لهم : ﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «ضللتهم به»^(١) . وقيل : «ابتليتهم به»^(٢) . ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ لا العجل ، ﴿فَأَنبِئُونِي﴾ في عبادته لا أمر السامري ، فعصوه .

٩١ . وقالوا : ﴿لَنْ نَدْرَجَ عَلَيْهِ عَكَفِينَ﴾ ؛ لن نزال مقيمين على عبادة العجل^(٣) . ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ ، فلما رجع موسى .

٩٢ . ﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ ؛ أي افتننوا في دينهم . وقال الكلبي : «كفروا وأخطؤوا الطريق»^(٤)

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١١ من دون نسبة .

(٢) جامع البيان ٢٠٢/١٦ ، والكشف والبيان ٢٣/٣ ب ، والمحزر الوجيز ٧٨/١٠ ، وزاد المسير ٣١٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١١ .

(٣) جامع البيان ٢٠٢/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٩٠/٥ ، وزاد المسير ٣١٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/١١ .

(٤) ذكر في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/١١ من دون نسبة .

٩٣. ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِ﴾ لا زائدة^(١)؛ أي ما منعك من اتباعي واللاحق بي ، وترك المقام بين أظهرهم ليرغبهم خروجك من بينهم^(٢) . وقيل : «من اتباعي في الإنكار عليهم»^(٣) .

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ . قال ابن عباس : «يريد أن مقامك بينهم ، وقد عبدوا غير الله ، عصيان منك»^(٤) . وعلى هذا ، إنما عذله على المقام في ما بينهم وقد كفروا ، ثم أخذ برأس أخيه غضباً منه عليه . قال الكلبي : «أخذ شعره بيمينه ولحيته بشماله»^(٥) . ولم يذكر هاهنا أخذه لذكره في سورة أخرى^(٦) ؛ ولأن قوله : ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ يدل على الأخذ ، فلما أخذ موسى ذلك منه .

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٨٠ / ١٠ : «ذهب حذاق النحاة إلى أنها مؤكدة وأن في الكلام فعلاً مقدراً كأنه قال ما منعك ذلك أو حضك أو نحو هذا على أن لا تتبعن وما قبل وما بعد يدل على هذا ويقتضيه» . وقال الزركشي في البرهان ٩٠ / ٣ : «وقيل ليست بزايدة من وجهين :

١ . أن التقدير : ما دعاك إلى ألا تتبعني ؛ لأن الصارف عن الشيء داعٍ إلى تركه ، فيشتركان في كونها من أسباب عدم الفعل .

٢ . أن التقدير : ما منعك من ألا تتبعني ، وهذا أقرب مما قبله ؛ لأن فيه إبقاء المنع على أصله ، وعدم زيادتها أولى ؛ لأن حذف حرف الجر مع أنه كثير لا يصل إلى المجاز ، والزيادة في درجتها . قالوا : وفائدة زيادتها تأكيد الإثبات ، فإن وضع ﴿لَا﴾ نفي ما دخلت عليه فهي معارضة للإثبات ولا يخفى أن حصول الحكم مع المعارض أثبت مما إذا لم يعترضه المعارض أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط» . انظر : النبا العظيم لمحمد عبدالله دراز ١٣٠-١٣٦ .

(٢) جامع البيان ٢٠٢ / ١٦ ، والكشف والبيان ٢٣ / ٣ ب ، ومعالم التنزيل ٢٩١ / ٥ .

(٣) زاد المسير ٣١٦ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨ / ١١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٧ / ١١ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٣٧ / ١١ ، والتفسير الكبير ١٠٩ / ٢٢ ، وروح المعاني ٢٥١ / ١٦ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف : ١٥٠] .

٩٤. ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ﴾ أضافه إلى الأم دون الأب تريقاً واستعطافاً، هذا معنى قول الكلبي^(١).

وقال أبو إسحاق: «وقيل في هارون: إنه لم يكن أخا موسى لأبيه، وكان أخاه لأمه»^(٢). وقُرى: (يا بن أم) بالكسر والفتح^(٣). وذكرنا الوجه في سورة الأعراف^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ أراد ولا شعر رأسي. فإن قيل: الأخذ باللحية يؤدي إلى الاستخفاف بمن فعل به، فلم فعل ذلك موسى؟ والجواب: أن العادة في ذلك الزمان لم تكن كهذه العادة بل كان يجري ذلك مجرى القبض على اليد، والأشياء تختلف حكمها بحسب العادة فيها^(٥)، وقيل: «إنه أجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على لحيته؛ لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه»^(٦).

(١) الكشف والبيان ٢٣/٣ ب، والمحزر الوجيز ٨١/١٠، وروح المعاني ٢٥١/١٦، وقال: «فإن الجمهور على أنها كانا شقيقين».

(٢) ذكر هذا القول في الكشف والبيان ٢٣/٣ ب، ولم أجده بهذا اللفظ عند الزجاج، والذي ورد في معاني القرآن للزجاج ٣٧٣/٣ قوله: «وقد قيل في هارون: إنه لم يكن أخا موسى لأمه». وقال ابن عطية في المحزر الوجيز ٨١/١٠: «وقالت فرقة لم يكن هارون أخا موسى إلا من أمه، وهذا ضعيف».

(٣) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم (يا بن أم) بفتح الميم، وقرأ ابن عامر، وحزرة، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر (يا بن أم) بكسر الميم. انظر: السبعة ٤٢٣، والحجة للقراء السبعة ٢٤٨/٥، والعنوان في القراءات ١٣٠.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿قَالَ ابْنَ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٩/١١.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٥٥/٣.

قال ابن الأنباري : « وقع في نفس موسى أن هارون^(١) عصى الله بترك اتباعه ، فأخذ بلحيته ورأسه غضباً لله ، وتأديباً لهارون^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ . قال ابن عباس : « يريد إن أنا أتيتك^(٣) » بمعنى : إن فارقتهم واتبعتك ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ . قال ابن عباس : « يريد^(٤) : جماعتهم^(٥) » . وذلك أنه لو لحق بموسى لصاروا أحزاباً : حزب يسيرون معه ، وحزب يتخلفون عنه مع الإيمان والإنكار على عبدة العجل ، وحزب مع السامري ، فلا يؤمن أن يصيروا في الخلاف إلى تسافك ، فاعتذر بما مثله يقبل ؛ لأنه وجه من وجوه الرأي^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ تَرْفُفْ قَوْلِي﴾ يعني : ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك : اخلفني في قومي^(٧) .

وقال ابن جريج في قوله : « ألا تتبعني » ؛ أي في شدة الزجر لهم عن الكفر بالله وعبادة غير الله^(٨) .

-
- (١) في (ص) : (أن موسى) ، وهو تصحيف .
 - (٢) ذكره ابن الجوزي بلا نسبة في زاد المسير ٣١٧/٥ .
 - (٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٢٩١/٥ ، وزاد المسير ٣١٧/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٩/١١ ، وروح المعاني ٢٥١/١٦ .
 - (٤) قوله : (يريد) ساقط من نسخة (س) .
 - (٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٠٣/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٩١/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٩/١١ ، ولباب التأويل ٢٧٨/٤ .
 - (٦) جامع البيان ٢٠٤/١٦ ، والكشف والبيان ٢٣/٣ ب ، والقرطبي ٢٣٩/١١ .
 - (٧) جامع البيان ٢٠٤/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٩١/٥ ، والقرطبي ٢٣٩/١١ .
 - (٨) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٤٢٠/٣ ، وزاد المسير ٣١٧/٥ ، والقرطبي ٢٣٧/١١ ، ولباب التأويل ٢٧٨/٤ .

وقال في قوله : ﴿خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ : «خشيت من العنف بهم أن يتفرقوا أحزاباً فيقتل بعضهم بعضاً»^(١) . فلما اعتذر هارون بهذا العذر .

٩٥ . قال موسى للسامري : ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ . قال ابن عباس : «يريد ما قصتك ؟»^(٢) .

قال المفسرون : «ما شأنك الذي دعاك إلى ما صنعت ؟»^(٣) . وأصل الخطب : الجليل من الأمر ، كأنه قيل له : ما هذا الأمر العظيم الذي صنعت ؟^(٤) . وقال الزجاج : «ما أمرك الذي تخاطب به ؟»^(٥) .

٩٦ . قوله تعالى : ﴿قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ . يقال : بصر الرجل إذا صار عليماً بالشيء^(٦) . قال أبو عبيدة : «علمت ما لم تعلموا»^(٧) .

وقال ابن عباس : «عرفت ما لم تعرفوا»^(٨) .

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٢٩١ / ٥ ، وزاد المسير ٣١٧ / ٥ ، والقرطبي ٢٣٩ / ١١ .

(٢) ذكر في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٩ / ١١ من دون نسبة .

(٣) جامع البيان ٢٠٤ / ١٦ ، والكشف والبيان ٢٤ / ٣ ، وبحر العلوم ٣٥٣ / ٢ ، ومعالم التنزيل ٢٩١ / ٥ ، والمحذر الوجيز ٨٢ / ١٠ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (خطب) ١٠٥٢ / ١ ، والقاموس المحيط (الخطب) ٦٢ / ١ ، ولسان العرب (خطب) ١١٩٤ / ٢ ، والمفردات في غريب القرآن (خطب) ١٥٠ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٧٤ / ٣ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (بصر) ٣٤١ / ١ ، ومقاييس اللغة (بصر) ٢٥٣ / ١ ، والصاح (بصر) ٥٩١ / ٢ ، ومختار الصحاح ٥٤ ، والمصباح المنير ٥٠ / ١ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٦ / ٢ .

(٨) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٢٤ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٢٩١ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٩ / ١١ ، والتفسير الكبير ١١٣ / ٢٢ .

وَقُرِّئَ: ﴿يَبْصُرُوا﴾ بالياء والتاء^(١). مَنْ قرأ بالياء فالمعنى: بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل، وَمَنْ قرأ بالتاء: صرف الخطاب إلى الجميع. قال له موسى: وما الذي أبصرت دون بني إسرائيل؟ قال: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾. قال ابن عباس وجميع المفسرين: «يريد أثر فرس جبريل»^(٢).

قال أبو إسحاق: «كان رأى فرس جبريل، فقبض قبضة من تراب حافر الفرس»^(٣).

وروى الشُّدِّي عن أبي عمارة^(٤) عن علي رضي الله عنه، قال: «إن جبريل لما نزل ليصعد بموسى إلى السماء أبصره السامري من بين الناس، فقبض قبضة من أثر الفرس»^(٥). وعلى هذا معنى ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾؛ أي رأيت ما لم تروه. وقال الكلبي: «قال السامري: رأيت جبريل على الفرس، وهي الحياة بقاء أنثى، خطوها مد البصر، فألقي في نفسي أن أقبض من أثرها، فما ألقيتها على شيء إلا صار له روح ولحم ودم، فحين رأيت قومك سألوكم أن تجعل لهم إلهًا»^(٦).

(١) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم ﴿يَبْصُرُوا﴾ بالياء، وقرأ حمزة، والكسائي (تبصروا) بالتاء. انظر: السبعة: ٤٢٤، الحجة للقراء السبعة ٥/٢٤٩، والتبصرة ٢٦١، والنشر ٢/٣٢٢.

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ١٧/٢، وجامع البيان ١٦/٢٠٥، والكشف والبيان ٣/٢٤٤، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٤٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٧٤.

(٤) قيس أبو عمارة الفارسي مولى الأنصار، وقيل: مولى سودة بنت سعد مولاة بني ساعدة من الأنصار، روى عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم، وروى عنه إسماعيل بن أبي أويس، وخالد بن مخلد، ومعن بن عيسى، وثقة العلماء وأثنوا عليه، وروى له ابن ماجه وغيره، توفي - رحمه الله - سنة ١٦٠ هـ. انظر: الجرح والتعديل ٧/١٠٦، والثقات ٩/١٥، وتهذيب التهذيب ٨/٤٠٦، والكاشف ٢/٤٠٣، وتهذيب الكمال ٢٤/٨٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٣٩، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٨١، وقال: «غريب»، والتفسير الكبير ٢٢/١١٠، وروح المعاني ١٦/٢٥٣.

(٦) يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَسْمُوْنَ أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءِلَٰهٌ ؕ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهُلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

حدثت لي نفسي بذلك ﴿فَبَدَّثَهَا﴾^(١). وعلى هذا معنى : ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا﴾ ؛ أي علمت ما لم تعلم بنو إسرائيل من أخذ تراب حافر فرس جبريل . وقال الكلبي بإسناده عن ابن عباس : «لما أمر فرعون بذبح ولدان بني إسرائيل كانت المرأة تلد فتطرح ولدها حيث لا يشعر به أصحاب فرعون ، فيأخذ الولدان الملائكة ، فيربوهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس ، فكان السامري ممن أخذه جبريل ، فغذاه فلما رآه على فرسه عرفه ، فقبض القبضه من تحت حافر فرسه»^(٢) .

وقوله : إنها إذا جعلت في موات حي ، فذلك قوله : ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ ؛ أي من أثر فرسه ، يعني من حيث وضع عليه حافره ، ﴿فَبَدَّثَهَا﴾ ؛ وألقيتها في صورة العجل ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ؛ وكما حدثتك يا موسى ﴿سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ زينت لي نفسي من أخذ القبضه وإلقائها في صورة العجل .

٩٧ . قوله تعالى : ﴿فَكَالَ فَاذْهَبَ﴾ . روي في التفسير : «أن موسى - عليه السلام - همّ بقتل السامري ، فنهاه الله عن ذلك وقال : لا تفعل ، فإنه

(١) ذكره الصنعاني مختصراً في تفسير القرآن ١٧/٢ ، وذكره القرطبي ٢٣٩/١١ من دون نسبة ، وأورد

نحوه ابن كثير ١٨٢/٣ . وقد ورد في حديث الفتون عن ابن عباس ما يخالف ذلك ؛ إذ قال : «اجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار» ، ثم قال ابن عباس : «والله ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل دبره فتخرج من فيه ، وكان ذلك الصوت من ذلك» . انظر : مجمع الزوائد في كتاب التفسير ، (سورة طه) ٦٤/٧ .

(٢) ذكر نحوه جامع البيان ٢٠٥/١٦ ، وبحر العلوم ٣٥٢/٢ ، وأورده النكت والعيون ٤٢٣/٣ من دون نسبة ، وكذلك معالم التنزيل ٢٩٢/٥ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٠١/١١ وقال : «هذا ضعيف» ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٠/١١ ، والرازي في التفسير الكبير ١١١/٢٢ ، وقال : «والذي ذكروه من أن جبريل - عليه السلام - هو الذي رباه فبعيد» . ولعل هذا القول من الروايات الإسرائيلية التي ذكرت في هذا الباب .

سخي»^(١)^(٢). فقال له موسى : ﴿فَاذْهَبْ﴾ ؛ أي من بيننا ﴿فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ . قال ابن عباس : «لك»^(٣) ولولدك»^(٤) .
والمساس : فعال من المساسة ومعنى لا مساس : لا يمس بعضنا بعضاً»^(٥) .

قال الكلبي : «يقول : لا يخالط أحداً ولا يخالطك»^(٦) . وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يؤاكلوه ولا يقربوه»^(٧) .

وقال أبو إسحاق : «التأويل : أن موسى حرّم^(٨) مخالطة السامري ، والمعنى : أنك في الدنيا لا تخالط جزاء لفعلك»^(٩) . وعلى هذا ، كأن موسى صيّر مهجوراً ، وأمر قومه بمجانبته ، وأن لا يخالطوه ولا يؤاكلوه ولا يبايعوه ، هذا معنى ما ذكر

(١) السخاوة والسخاء : الجود ، والسخي : الجواد . انظر : تهذيب اللغة (سخا) ٤٨٧ / ٧ ، والقاموس

المحيط (السخي) ٣٤١ / ٤ ، ولسان العرب (سخا) ٢٠٨ / ٩ ، ومختار الصحاح (سخا) ٢٩١ .

(٢) الكشف والبيان ٢٤ / ٣ أ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤١ / ١١ ، وروح المعاني ٢٥٦ / ١٦ . وهذا القول من الروايات الإسرائيلية التي ذكرها أهل التفسير في هذه الآية .

(٣) قوله : (لك) ساقط من نسخة (ص) .

(٤) معالم التنزيل ٢٩٢ / ٥ ، وروح المعاني ٢٥٦ / ١٦ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (مس) ٣٣٩ / ٤ ، ومقاييس اللغة (مس) ٢٧١ / ٥ ، ولسان العرب (مسس) ٤٢٠١ / ٧ ، والمفردات في غريب القرآن (مسس) ٤٦٧ .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٠٦ / ١٦ ، والكشف والبيان ٢٤ / ٣ أ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٠ / ١١ .

(٧) جامع البيان ٢٠٦ / ١٦ ، والكشف والبيان ٢٤ / ٣ أ ، والنكت والعيون ٤٢٤ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٢٩٢ / ٣٥ .

(٨) قوله : (حرم) ساقط من نسخة (ص) .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤٧٣ / ٣ .

في هذه الآية^(١). غير أن اللفظ لا يدل على هذا؛ لأنه إذا هجر لم يقل: لا مساس إنما يقال له ذلك^(٢).

على أن ابن الأنباري ذكر في هذا وجهين؛ أحدهما: «أن السامري ألهم هذا القول، وأجبر عليه إذ لا لاً له وتصغيراً لشأنه. والثاني: أن الفعل نسب إلى السامري وهو في المعنى لغيره. وتلخيصه: فاذهب فإن لك في الحياة أن يقال لك: لا مساس، فنسب إليه قول غيره تحقيقاً للزوم الفعل وبقائه»^(٣)، هذا كلامه.

والصحيح ما ذكر في التفسير من وجه آخر: أنه جعل يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس أحداً ولا يمسّه أحد، عاقبه الله بذلك^(٤). وكان إذا لقي أحداً يقول: لا مساس؛ أي لا تقربني ولا تمسني، وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى إن بقاياهم اليوم يقولون ذلك^(٥). وذكر: «أنه إن مس واحد من غيرهم أحداً منهم حمّ كلاهما في الوقت»^(٦).

(١) جامع البيان ٢٠٦/١٦، والكشف والبيان ٢٤/٣، والمحزر الوجيز ٨٤/١٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٠/١١.

(٢) قال الرازي - رحمه الله - في تفسيره ١١٣/٢٢: «وهذا الاعتراض ضعيف؛ لأن الرجل إذا بقي طريداً فريداً فإذا قيل له كيف حالك؟ فله أن يقول: لا مساس؛ أي لا يماسني أحد ولا أماس أحداً، المعنى: أني أجعلك يا سامري في المطرودين بحيث لو أردت أن تخبر غيرك عن حالك لم تقل إلا أنه لا مساس، وهذا الوجه أحسن وأقرب إلى نظم الكلام».

(٣) ورد نحوه بلا نسبة في زاد المسير ٣١٩/٥، والبحر المحيط ٢٧٥/٦، وروح المعاني ٢٥٦/١٦.

(٤) النكت والعيون ٤٢٣/٣، ومعالم التنزيل ٢٩٢/٥، وزاد المسير ٣١٩/٥، والجامع لأحكام القرآن ٤١/١١.

(٥) جامع البيان ٢٠٦/١٦، والكشف والبيان ٢٤/٣، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٩/٣، وزاد المسير ٣١٩/٥.

قول المؤلف رحمه الله: «إن بقاياهم اليوم يقولون ذلك» هو قول يحتاج إلى دليل؛ فليس في ظاهر الآية دليل على هذا القول، وقد قال - تعالى - في سورة النجم: ﴿الْأَنزِلُ وَأَنزِلُ وَزَكَاةً﴾.

(٦) الكشف والبيان ٢٤/٣، ومعالم التنزيل ٢٩٢/٥، والكشاف ٥٥١/٢، وزاد المسير ٣١٩/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١١.

وهذا معنى ما ذكره قتادة في قوله: ﴿لَا مِصَاسَ﴾ قال: «عقوبة لهم»^(١). ومعنى: أن ذلك في الحياة؛ أي أنك ما دمت حيّاً تعاقب بهذه العقوبة فإذا صرت إلى الآخرة جوزيت بما تستحق، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾. قال ابن عباس: «يريد موعد القيامة»^(٢). والموعدها هنا مصدر يعني أن لك وعداً لعذابك ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ وقرأ: بفتح اللام^(٣)، فمن كسر اللام كان المعنى: لن تخلف ذلك الوعد؛ أي ستأتيه ولا مذهب لك عنه، ومن فتح اللام كان المعنى: لن تخلف ذلك الوعد أي سيأتيك به الله ولن يتأخر عنك.

قال أبو إسحاق: «أي يكافئك الله على ما فعلت في القيامة، والله لا يخلف الميعاد. ومن قرأ: ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ فالمعنى: أنك تبعث وتوافي القيامة لا تقدر على غير ذلك»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾. قال ابن عباس: «يريد الذي طفقت تعبدته وظللت عليه مقياً»^(٥). وظلّت أصله ظللت.

(١) تفسير القرآن للصنعاني ١٨/٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٤٢، وتفسير القرآن العظيم ١٨٣/٣، والدر المنثور ٤/٥٤٨.

(٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٤٢ من دون نسبة.

(٣) قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بفتح اللام، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو (لن تخلفه) بكسر اللام. انظر: السبعة ٤٢٤، والحجّة ٥/٢٤٩، وحجّة القراءات ٤٦٣، والتبصرة ٢٦١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٧٥.

(٥) جامع البيان ١٦/٢٠٧، وزاد المسير ٥/٣١٩، وفتح القدير ٣/٥٤٩.

قال الزَّجَّاج : «ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر»^(١) . والعرب تفعل ذلك كثيراً ، قال ابن مغراء^(٢) :^(٣)

مَسَّنَا السَّمَاءَ فَنَلْنَاهَا وَطَاهُمُ حَتَّى رَأَوْا أَحَدًا يَمْشِي وَنَهْلَانَا
فحذفوا أحد السينين من (مسنا) استثقلاً للجمع بينهما ومثله كثير .

وقوله تعالى : ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ (قال ابن عباس في رواية الوالبي : «يقول بالنار»^(٤) . وروى عنه : «فحرقه بالنار ثم ذراه في البحر»^(٥))^(٦) .

وقال الكلبي : «أحرق العجل بالنار ، ثم دق ، ثم ذري في البحر»^(٧) ، وهو النفس .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٥ .

(٢) أوس بن مغراء من بني ربيعة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد ، شاعر اشتهر في الجاهلية ، وعاش زمناً في الإسلام ، له شعر في الهجاء والمدح . انظر : الشعر والشعراء ٤٥٧ ، وسمط اللآلئ ٧٩٥ ، والأغاني ١٢/ ٥ ، والأعلام ٣١/ ٢ .

(٣) البيت لأوس بن مغراء السعدي . انظر : تهذيب اللغة (مس) ٤/ ٣٣٩ ، ولسان العرب (مسس) ١٧/ ٤٢٠١ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥٧ .

(٥) في (ص) : (في اليم) .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥٨ .

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٥٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٩ ، والقرطبي ١١/ ٢٤٢ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١١٣ .

وقال السُّدِّي : «أخذ موسى العجل فذبحه ، فسال منه دماً كما يسيل من العجل إذا ذبح ، ثم حرقه بالمبرّد ، ثم ذراه في اليم»^(١) . وهذا على ، معنى حرق عظامه بالمبرّد ، كما قال الكلبي : «ثم دق» . وهذا على قراءة مَنْ قرأ : (لَنُحْرِقَنَّهُ) وليست قراءته في مشهور القراءة^(٢) . والصحيح : أن ذلك العجل صار لحماً ودماً ، وإذا كان كذلك فالحرق بالمبرّد فيه بعيد . وفي حرف عبد الله : لنذبحنه ثم لنحرقنه^(٣) .

وروى عطاء عن ابن عباس : «فبرد بالمبارد ثم ألقى في البحر»^(٤) .

وهذا يحمل على برد عظامه ، إلّا على قول مجاهد فإنه لم يجعله لحماً ودماً ، وحينئذ برد العجل بالمبرّد وهو من الذهب . والدليل على أن المبرّد كان للعظام قول ابن مسلم في قوله : ﴿لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ «أي لنطيرن تلك البرادة والرماد في البحر»^(٥) . والرماد يكون لما أحرق بالنار . ومعنى النسف : نقض الشيء لتذهب به الريح ، وهو : التذرية^(٦) .

(١) الكشف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، والقرطبي ١١/ ٢٤٢ ، وذكر نحوه في جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٠ .

(٢) قرأ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (لَنُحْرِقَنَّهُ) بفتح النون وضم الراء ، وقرأ الحسن (لَنُحْرِقَنَّهُ) بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، والمحتسب ٢/ ٥٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٢٨١ ، وغريب القرآن لابن الملقن ٢٤٩ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٣ ، والمحزر الوجيز ١٠/ ٨٧ ، والكشف ٢/ ٥٥٢ .

(٤) ذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٤٩ ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٣ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (نسف) ٤/ ٣٥٦١ ، والقاموس المحيط ٣/ ١٩٩ ، والصحاح ٤/ ١٤٣١ ، ولسان العرب ٧/ ٤٤١١ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٩٠ .

٩٨. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا أيضاً إخبار عن موسى أنه قال لقومه . والمعنى : إلهكم الذي يستحق العبادة الله لا العجل ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تاماً لم يضق علمه عنه ، فلا يخفى عليه شيء ، والتقدير : وسع كل شيء علمه ، ثم نقل الفعل عن العلم ونصب على التفسير ، وهي لفظة عجيبة في الفصاحة .

٩٩. ﴿كَذَلِكَ﴾ ؛ كما قصصنا عليك نبأ موسى وقومه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد القرآن»^(١) .

ثم أوعد على الإعراض عنه وترك الإيمان به .

١٠٠. فقال : ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ . قال مجاهد : «إثماً»^(٢) . قال أهل المعاني : «إثماً عظيماً»^(٣) . لأن الوزر معناه : الحمل الثقيل^(٤)

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٠٩ / ١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٤ / ١١ .

(٢) جامع البيان ٢٠٩ / ١٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٥٠ / ٣ ، والبحر المحيط ٢٧٨ / ٦ ، والدر المنثور ٥٤٩ / ٤ .

(٣) القرطبي ٢٤٤ / ١١ ، والبحر المحيط ٢٧٨ / ٦ ، وروح المعاني ٢٥٩ / ١٦ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (وزر) ٣٨٨٣ / ٤ ، والقاموس المحيط (الوزر) ١٥٤ / ٢ ، والصاحح (وزر) ٨٤٥ / ٢ ، ولسان العرب (وزر) ٤٨٢٣ / ٨ .

١٠١. ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ ؛ أي في عذابه عذاب ذلك الوزر ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

حِمْلًا﴾ . قال الوابي عن ابن عباس : «يقول : بئس ما حملوا»^(١) . [وقال عطاء عنه : «يريد : بئس يوم القيامة ﴿حِمْلًا﴾ يريد : سوء العذاب»^(٢) .

وقال الكلبي : «بئس ما حملوا»^(٣) على أنفسهم من المآثم كفراً بالقرآن»^(٤) .

قال أبو إسحاق : «المعنى : بئس الوزر لهم حملاً يوم القيامة . و (حملاً) منصوب على التمييز»^(٥) .

١٠٢. قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ﴾ . وقرأ أبو عمرو (ننفخ) بالنون ،

والوجه قراءة العامة^(٦) لقوله : ﴿وَيُفْعُ فِي الصُّورِ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿يَوْمَ

يُفْعُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا: ١٨] ؛ ولأن النفع يكون من الملك

الموكل بالصور بأمر الله ، فالأجود أن يقرأ على غير تسمية الفاعل ،

ووجه قراءة أبي عمرو : أنه على معنى إضافة الأمر بالنفع إلى الله تعالى ،

ويقوي ذلك ما عطف عليه من قوله : ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾

يقال : زُرِقَتْ عينه ، تَزْرُقُ ، زَرْقًا ، وَزُرْقَةً ، وَارْزَأَتْ ، ازرِقًا^(٨) .

(١) جامع البيان ٢٠٩/١٦ ، والدر المنثور ٥٤٩/٤ ، وفتح القدير ٣/٣٨٥ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٠٩/١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/١١ ، وفتح القدير ٣/٣٨٥ .

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٤) معالم التنزيل ٢٩٣/٥ ، ومجمع البيان ٤٧/٧ ، والبحر المحيط ٦/٢٧٨ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٧٦ .

(٦) قرأ نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحمة والكسائي ، وعاصم ﴿يُفْعُ﴾ بالياء ، وقرأ أبو عمرو البصري (تنفخ) بالنون .

انظر : السبعة ٤٢٤ ، والحجة للقراء السبعة ٢٥٠/٥ ، وحجة القراءات ٤٦٣ ، والتبصرة ٢٦١ .

(٧) وردت هذه الآية في سور عدة : الكهف : الآية ٩٩ ، ويس : الآية ٥١ ، والزمر : الآية ٦٨ ، وق : الآية ٢٠ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (زرق) ٢/١٥٢٥ ، والقاموس المحيط (الزرق) ٣/٢٤٠ ، والصاح (زرق) ١٤٨٩/٤ ، ولسان العرب (زرق) ٣/١٨٢٧ .

قال ابن عباس : «يريد : بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله إلهاً»^(١) .

قال : «يريد : زرق العيون سود الوجوه»^(٢) . وإلى هذا ذهب جماعة من المفسرين : «أن معنى الزرق هاهنا أن في عيونهم زرقاً ، وهي الخضرة في سواد العين»^(٣) . كعين السَّوْرُ^(٤) والعرب تتشائم بالزرق وتذمه^(٥) . والمعنى في هذا : تشويه الخلق بسواد الوجوه وزرقة العيون .

وقال الكلبي : «زرقاً : عمياً»^(٦) .

وذكره الفراء ، وابن الأعرابي ، والزجاج^(٧) ، قال الزجاج : «يخرجون من قبورهم بصراء ويعمون في المحشر . قال : وإنما قيل للعمى : زرق ؛ لأن السواد يزرق إذا ذهبت نواظرهم»^(٨) ، هذا كلامه ، ولم يكشف عن المعنى . وذكر ابن قتيبة فقال : «أي بيض العيون من العمى قد ذهب الناظر والسواد»^(٩) ، وهذا كلامه كما

(١) ذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢١ / ٥ من دون نسبة .

(٢) روح المعاني ١٦ / ٢٦٠ ، وذكره البغوي في تفسيره ٢٩٤ / ٥ من دون نسبة .

(٣) الكشف والبيان ٣ / ٢٤ ب ، وبحر العلوم ٢ / ٣٥٤ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٩٤ ، وفتح القدير ٥٥١ / ٣ .

(٤) السَّوْرُ : الهر ، مشتق منه ، وجمعه السَّنَانِير . انظر : لسان العرب (سنر) ٤ / ٢١١٧ ، والمعجم الوسيط (السنور) ١ / ٤٥٤ .

(٥) قال الزمخشري في تفسيره ٢ / ٥٥٣ : «إن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب ؛ لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدو : أسود الكبد ، أصهب السيال ، أزرق العين» .

(٦) زاد المسير ٥ / ٣٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٤٤ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ١١٤ ، وذكرته بعض كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ٢١٠ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٥٤ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٢٤ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٩١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٧٦ ، وتهذيب اللغة (زرق) ٢ / ١٥٢٥ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٧٦ .

(٩) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٢ .

قال ؛ لأن العرب تسمي كل أبيض صافي البياض : أزرق ، ويقال للمياه الصافية : زرق ، قال زهير^(١) :

فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَّاهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

ويقال للأسنة : زرق لصفاء لونها^(٢) . وهذا التفسير يوافق قوله : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧] ، وحكى الفراء والزجاج في تفسير ﴿ زُرْقًا ﴾ : «عطاشاً»^(٣) .

ورواه أيضاً أبو العباس عن ابن الأعرابي^(٤) .

قال أبو إسحاق : «ومن قال : عطاشاً فجيد أيضاً ؛ لأنهم من شدة العطش يتغير سواد أعينهم ، حتى يزرق»^(٥) . وهذا الذي ذكره صحيح ؛ لأن العطش يؤثر في العين ، ومن مات عطشاً ظهر ذلك في سواد عينيه ، ويشهد لهذا التفسير قوله تعالى : ﴿ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴾ [مريم: ٨٦] . وحكى ثعلب عن ابن الأعرابي

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى .

زرقاً : الزرقة ، وهي شدة الصفاء ، يقال : ما أزرق إذا اشتد صفاؤه . والجمام : جمع جم ؛ الماء ، وجهته وهو : ما اجتمع منه في البئر والخوض وغيرهما . ووضع العصي : كناية عن الإقامة . والحاضر المتخيم : الحاضر النازل على الماء والمتخيم المقيم ، وأصله من تخيم إذا نصب الخيمة . انظر : ديوان زهير ٧٨ ، والمحزر الوجيز ٩١ / ١٠ ، والبحر المحيط ٢٧٩ / ٦ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٣٣ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ١٤١ ، وتهذيب اللغة (زرق) ١٥٢٥ / ٢ ، ولسان العرب (زرق) ١٨٠٢٧ / ٣ .
(٢) انظر : تهذيب اللغة (زرق) ١٥٢٥ / ٢ ، والقاموس المحيط (الزرق) ٢٤٠ / ٣ ، ولسان العرب (زرق) ١٨٢٧ / ٣ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٩١ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٧٦ / ٣ .

(٤) تهذيب اللغة (زرق) ١٥٢٥ / ٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٧٦ / ٣ .

في تفسير ﴿زُرْقًا﴾ : «طامعين في ما لا ينالونه»^(١) . ووجه هذا التفسير : أن مَنْ يتطلع إلى شيء وطال به انتظاره يقول : قد ابيضت عيني بطول انتظاري^(٢) .

١٠٣ . قوله تعالى : ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يتسارون بينهم»^(٣) ، وذكرنا معنى هذا الحرف عند قوله : ﴿وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾ [الإسراء : ١١٠] . ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ، وذلك لهول ما عاينوا ، نسوا مقدار مدة لبثهم في الدنيا ، فيقولون هذا القول^(٤) .

وقيل : «يذهب عنهم طول لبثهم في الدنيا فيقولون هذا القول»^(٥) .

وقيل : «يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم لشدة ما يرون من أحوالهم التي دهمتهم فكأنهم كانوا نياماً فانتبهوا»^(٦) .

وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ : يريد من النفخة الأولى إلى الثانية ، وذلك أنه يكف العذاب عنهم بين النفختين ، فإذا كانت النفخة الثانية بعثوا^(٧) . وذلك قوله : ﴿قَالُوا يَنْوِلُنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس : ٥٢] .

(١) تهذيب اللغة (زرق) ١٥٢٥ / ٢ .

(٢) يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْأَسَفُنَّ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبِیضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف : ٨٤] .

(٣) جامع البيان ٢١١ / ١٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٥١ / ٣ ، والنكت والعيون ٤٢٥ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٢٩٤ / ٥ ، والمحرم الوجيز ٩٢ / ١٠ .

(٤) جامع البيان ٢١١ / ١٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٥١ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٢٩٤ / ٥ ، وزاد المسير ٣٢١ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥ / ١١ .

(٥) جامع البيان ٢١١ / ١٦ ، والكشف والبيان ٢٤ / ٣ ب ، وزاد المسير ٣٢١ / ٥ .

(٦) الكشف والبيان ٢٤ / ٣ ب ، والنكت والعيون ٤٢٥ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٢٩٤ / ٥ ، وزاد المسير ٣٢١ / ٥ .

(٧) زاد المسير ٣٢١ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥ / ١١ ، وذكره البغوي في تفسيره ٢٩٤ / ٥ من دون نسبة .

١٠٤ . قال الله تعالى : ﴿ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ؛ أي بالنجوى بينهم ، ﴿ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : « أعدلهم »^(١) . [وقال
الكلبي : « أعدلهم »^(٢) قولاً^(٣) . وقال السُّدِّي : « أمثلهم حالاً »^(٤) .

وقال سعيد بن جبير : « أوفاهم عقلاً »^(٥) . وعنه أيضاً : « أعلمهم في
نفسه »^(٦) ، وهو اختيار الزجاج قال : « أعلمهم عند نفسه بما يقول »^(٧) .

وقال الفرّاء : « أجودهم قولاً في نفسه وعندهم »^(٨) . والمعنى في ﴿ أَمْثَلُهُمْ
طَرِيقَةً ﴾ أشبههم طريقة بأهل العقل . وذكرنا الكلام في هذا عند قوله :
﴿ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَنَّى ﴾ [طه : ٦٣] .

﴿ إِنْ لَبِئْتُمْ ﴾ ؛ أي في الدنيا ، أو في القبور ، أو في ما بين النفختين على ما ذكرنا .
﴿ إِلَّا يَوْمًا ﴾ . قال ابن عباس : « وقد لبثوا أربعين سنة ؛ لأن ما بين النفختين أربعين
سنة »^(٩) .

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره ٢٩٤ / ٥ من دون نسبة .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٢٣١ / ٣ من دون نسبة .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٢٤ / ٣ ب ، وبحر العلوم ٢ / ٣٥٤ ،
ومعالم التنزيل ٢٩٤ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٤٥ .

(٥) جامع البيان ١٦ / ٢١١ ، وذكر في بحر العلوم ٢ / ٣٥٤ من دون نسبة ، وكذلك في معالم التنزيل
٢٩٤ / ٥ .

(٦) جامع البيان ١٦ / ٢١١ ، والدر المنثور ٤ / ٥٥٠ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٧٦ .

(٨) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٩١ .

(٩) زاد المسير ٥ / ٣٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٤٥ ، وروح المعاني ١٦ / ٢٦١ ، وذكره البغوي
في تفسيره ٢٩٤ / ٥ من دون نسبة .

١٠٥ . قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ . قال ابن عباس : «سأل رجال من ثقيف ^(١) رسول الله ﷺ فقالوا : كيف تكون الجبال يوم القيامة ؟ فأنزل الله هذه الآية» ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ . قال الكلبي : «يقلعها قلعاً» ^(٣) .

وقال الزجاج : «النسف : التذرية تصير الجبال كالهباء المثور تذرى تذرية» ^(٤) .

وقال المفسرون : «يصيرها الله رملاً يسيل سيلاً ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا» ^(٥) .

١٠٦ . ﴿فَيَذَرُهَا﴾ ؛ أي يدع أماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قَاعًا﴾ قال الفراء : «القاع : ما انبسط من الأرض ، وفيه يكون السراب نصف النهار ، وجمعه : قِيعَة ، كما قالوا : جَارٌّ وَجِيرة» ^(٦) .

(١) ثقيف : بطن من هوازن من العدنانية ، يُنسبون إلى ثقيف ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن قيس بن عيلان بن مضر ، وقيل : إن اسم ثقيف : قيس . ونزلت هذه القبيلة بالطائف ، وانتشرت منها في البلاد . انظر : نهاية الأرب ١٩٨ ، والأنساب ٥٠٨ / ١ ، والمتنخب في ذكر أنساب العرب ٤١٢ .
(٢) بحر العلوم ٣٥٤ / ٢ ، ومعالم التنزيل ٢٦٤ / ٥ ، والمحزر الوجيز ٩٢ / ١٠ ، وزاد المسير ٣٢٢ / ٥ ، وذكر نحوه الهواري في تفسيره ٥٢ / ٣ ، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٦ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٦ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢١١ / ١٦ ، وبحر العلوم ٣٥٤ / ٢ ، ومعالم التنزيل ٢٩٤ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٥ / ١١ ، ولباب التأويل ٢٨٠ / ٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٧٦ / ٣ .

(٥) النكت والعيون ٤٢٥ / ٣ ، والكشاف ٥٥٣ / ٢ ، وزاد المسير ٣٢٢ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥ / ١١ . يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارة : ٥] .

(٦) معاني الفراء ٢٥٤ / ٢ .

وقال الليث والأصمعي : «القاع : أرض واسعة سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والأكام»^(١) . وقال : «هذه قاع ، ثلاث أقوع ، وأقوع كثيرة ، وتجمع القِيعَة والقِيعَان ، وهو ما استوى من الأرض وما حواليه أرفع منه ، وهو مصب المياه ، ويصغر : قُويَعَة في قول مَنْ أَنَّثَ ، وَمَنْ ذَكَرَ قال : قُويَعٌ ، ودلت هذه الواو أن ألفها واوا»^(٢) . وقال رؤبة^(٣) :

وَوَدَّعْنَ أَقْوَاعَ الشَّمَالِيلِ بَعْدَمَا ذَوَى بِقُلْهَا أَحْرَارُهَا وَذُكُورُهَا
وقوله تعالى : ﴿صَفَصَفَا﴾ . قال الفرّاء : «هو الأملس الذي لا نبات فيه»^(٤) .

وقال الزّجاج : «المستوي من الأرض»^(٥) . وقال ابن الأعرابي : «الصفصف : القرعاء»^(٦) . وأنشد شمر^(٧) :

إِذَا رَكِبْتَ دَاوِيَّةَ مُدْهِمَّةٍ وَغَرَدَ حَادِيهَا لَهَا بِالصَّفَصِيفِ

(١) تهذيب اللغة (قاع) ٣/ ٢٨٥٨ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قاع) ٣/ ٢٨٥٨ ، ومقاييس اللغة (قوع) ٥/ ٤٢ ، والقاموس المحيط (قاع) ٣/ ٧٧ ، والصحاح (قوع) ٣/ ١٢٧٤ ، ولسان العرب (قوع) ٦/ ٣٧٧٥ ، والمفردات في غريب القرآن (قيع) ٤١٥ .

(٣) هذا البيت يُنسب إلى ذي الرمة ، ولم أقف عليه منسوباً إلى رؤبة . الأقواع : جمع قاع ، وهي الأرض المستوية حرة الطين لا رمل فيها ولا حجارة . والشاليل : مكان . وأحرار البقل : ما روق منه وحل ، والذكر : ما خشن منه . انظر : ديوان ذي الرمة ٣٠٥ ، وتهذيب اللغة (قاع) ٣/ ٢٨٥٨ ، ولسان العرب (قوع) ٦/ ٣٧٧٥ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٩١ .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ٣/ ٣٧٧ .

(٦) تهذيب اللغة (صف) ٢/ ٢٠٢٨ .

(٧) البيت يُنسب إلى شمر . الدو : الفلاة الواسعة ، ودَاوِيَّة : إذا كانت بعيدة الأطراف ، مستوية واسعة . مدْهِمَة : المدْهِم الأسود ، وادْهِم الليل والظلام ، وفلاة مدْهِمَة : لا علامة فيها . وغرد : طرب في الصوت والغناء ، والتغريد الصوت . وحاديها : حدى الإبل وحداها زجرها وساقها ، والحدو سوق الإبل والغناء لها . انظر : تهذيب اللغة (صف) ٢/ ٢٠٢٨ ، ولسان العرب (صفف) ٤/ ٢٤٦٢ .

قال ابن عباس والمفسرون في قوله: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾: «مستويًا لا نبات فيه أملس»^(١). هذا قول مجاهد، والسُّدِّي، وابن زيد^(٢).

١٠٧. قوله تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾. العِوَج (بكسر العين) في الدين، وفي الطرف، وفي ما لا ينتصب. والعِوَج (بالفتح) في العود^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ قال أبو عبيدة: «الأم: ارتفاع وهبوط، يقال: مدَّ حبله حتى ما ترك فيه أمتًا، وملاً سقاءه حتى لم يدع فيه أمتًا»^(٤).

وأنشد ليزيد بن ضبة النيمري^{(٥)(٦)}:

لَهَا صُورَةٌ كَالشَّمْسِ أَشْرَقَ ضَوْوُهَا لُبَاخِيَّةٌ هَيْفَاءُ لَيْسَ بِهَا أَمْتُ

قال المبرد: «اللُّبَاخِيَّةُ الممتلئة الخلق»^(٧).

(١) جامع البيان ٢١٢/١٦، والنكت والعيون ٤٢٦/٣، ومعالم التنزيل ٢٩٥/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١١.

(٢) جامع البيان ٢١٢/١٦، وبحر العلوم ٣٥٤/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١١، وتفسير القرآن العظيم ١٨٣/٣.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (عاج) ٢٢٦٤/٣، ومقاييس اللغة (عوج) ١٧٩/٤، والقاموس المحيط (عوج) ٢٠١/١، ولسان العرب (عوج) ٣١٥٥/٥، والمفردات في غريب القرآن (عوج) ٣٥١.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩/٢. ومن قوله (أمتًا) سقط من (س) حتى ٥٥٨.

(٥) يزيد بن مقسم الثقفي، من موال بهم، وضبة أمه، وهو شاعر كبير من أهل الطائف، مات أبوه وخلفه صغيراً فحضنته أمه فُنُسب إليها، انقطع إلى الوليد بن يزيد فكان لا يفارقه، ولما انتقلت الخلافة إلى هشام أبعده، وبقي في الطائف، يقال: إن له ألف قصيدة اقتسمها شعراء العرب وانتحلوها فدخلت في أشعارهم، وكان يعتمد الإتيان بغريب اللغة، مات بالطائف سنة ١٣٠ هـ. انظر: تهذيب الكمال ٣٥٠/٣٢، وتهذيب التهذيب ٣١٧/١١، وتقريب التهذيب ٦٠٥/١.

(٦) ورد هذا البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٠/٢.

(٧) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (لبخ) ٤٢٣/١٤.

وقال الليث : «الأمت : أن يصب في السَّقا ماء فلا يمتلى فيثني ، فذلك الشيء هو الأمت . وتقول للقربة إذا امتلأت : لا أمتَ فيها»^(١) .

وقال الفرّاء : «الأمت موضع النَّبْكَ^(٢) من الأرض وهو ما ارتفع منها ، وسمعت العرب يقولون : ملأ القربة ملأ لا أمتَ فيه»^(٣) .

وقال ابن الأعرابي : «الأمت : وَهْدَةٌ بَيْنَ نُشُوزٍ»^(٤) .

قال ابن عباس في رواية الوالبي : «لَا تَرَى فِيهَا عَوْجًا» : يقول : وادياً ، ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ : يقول : رابية»^(٥) .

وقال قتادة : «لَا تَرَى فِيهَا عَوْجًا» ؛ أي صدعاً ، ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ؛ ولا أكمة»^(٦) . وهذا كقول ابن عباس سواء .

(١) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (أمت) ١ / ١٩٤ ، والصحاح (أمت) ١ / ٢٤١ ، ولسان العرب (أمت) ١ / ١٢٤ .

(٢) النَّبْكَ : الأرض فيها صعود وهبوط ، والجمع نَبْكَ بالتحريك ، وقال الأصمعي : «النَّبْكَ : ما ارتفع من الأرض» ، وقيل : كل رابية من روابي الرمال كانت مسلكة الرأس ومحدته . انظر : تهذيب اللغة (نبك) ٤ / ٣٤٩٩ ، والقاموس المحيط (النبكة) ٣ / ٣٢١ ، والصحاح (نبك) ٤ / ٢٦١٢ ، ولسان العرب (نبك) ٧ / ٣٤٢٨ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٩١ .

(٤) تهذيب اللغة (أمت) ١ / ١٩٤ .

(٥) جامع البيان ١٦ / ٢١٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣ / ٥٢ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٢٦ ، وزاد المسير ٥ / ٣٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٤٦ ، والدر المنثور ٤ / ٥٥٠ .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢ / ١٩ ، وجامع البيان ١٦ / ٢١٣ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٤٦ ، والدر المنثور ٤ / ٥٥٠ .

وقال الكلبي: «لَا تَرَى فِيهَا عَوْجًا»؛ وهي الأودية، ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ يعني النَّبَّاتُ^(١). وقال مجاهد: «لا انخفاضاً ولا ارتفاعاً»^(٢).

وقال عكرمة عن ابن عباس: «ليس فيها منخفض ولا مرتفع»^(٣).

وقال في رواية ابن الأزرق: «الْأَمْتُ: الشيء الشاخص من الأرض»^(٤). وقال في رواية عطاء: «﴿وَلَا أَمْتًا﴾ يريد نتوءاً»^(٥).

وقال السُّدِّي: «العوج: الطريق في الجبال، والأمت: الروابي»^(٦). فهذه أقوال أهل اللغة والمفسرين في الأمت أنه: المرتفع.

وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن قال: «العوج: ما انخفض من الأرض، والأمت: ما نشز من الروابي»^(٧).

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٣/٥ من دون نسبة، وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٤٦/١١.

(٢) جامع البيان ٢١٣/١٦، والكشف والبيان ٢٤/٣ ب، وتفسير كتاب الله العزيز ٥٢/٣، ومعالم التنزيل ٢٩٥/٥، وزاد المسير ٣٢٣/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١١، والدر المنثور ٥٥٠/٤.

(٤) الدر المنثور ٥٥٠/٤، وعزاه لابن الأنباري.

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: الكشف ٥٥٣/٢، والبحر المحيط ٢٨٠/٦، وروح المعاني ٢٦٣/١٦، وأنوار التنزيل ٣٠/٤.

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: معالم التنزيل ٢٩٥/٥، وزاد المسير ٣٢٣/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١١، وتفسير القرآن العظيم ١٨٣.

(٧) معالم التنزيل ٢٩٥/٥. قال الطبري - رحمه الله - في جامع البيان ٢١٣/١٦: «أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض؛ لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام لا ترى فيها ميلاً عن الاستواء ولا ارتفاعاً ولا انخفاضاً ولكنها مستوية ملساء كما قال جل ثناؤه: ﴿فَأَعَاظَكُمْ﴾».

١٠٨ . قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ . قال الفراء : «صوت الداعي للحشر»^(١) .

قال المفسرون : «يتبعون صوت داعي الله - تعالى - الذي يدعوهم إلى موقف القيامة»^(٢) .

﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ . قال الفراء : «لا عوج لهم عن الداعي ، وجاز أن يقول : ﴿لَهُ﴾ ؛ لأن المذهب إلى الداعي وصوته ، فهو كما تقول في الكلام : دَعَوْتَنِي دَعْوَةً لا عِوَجَ لَكَ عنها ؛ أي إني لا أعوج لك ولا عنك»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «المعنى لا عِوَجَ لهم عن دُعائه ، لا يقدر أن لا يَتَّبِعُوا»^(٤) . وهذا معنى قول ابن عباس : «يريد : البعيد والقريب سواء كلهم يتبع الصوت ولا يتعوج عنه»^(٥) .

﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ . قال الوالبي عنه : «يريد : سكنت»^(٦) .

وقال عطاء : «يريد : خضعت وذلت»^(٧) . وهو قول السُّدِّي : «ذلت»^(٨) . وهو قوله : ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ . همس الأقدام أخفى ما يكون من الصوت ،

(١) معاني القرآن للفراء ١٩٢/٢ .

(٢) جامع البيان ٢١٤/١٦ ، والكشف والبيان ٢٤/٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٥٢/٣ ، ومعالم التنزيل ٢٩٥/٥ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٩٢/٢ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٧٧/٣ .

(٥) ذكره الطبري في جامع البيان ٢١٤/١٦ من دون نسبة .

(٦) جامع البيان ٢١٤/١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١١ ، وتفسير القرآن العظيم ١٨٤/٣ .

(٧) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢٩٥/٥ من دون نسبة .

(٨) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٣٥٥/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٩٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١١ .

وقال أبو عبيدة : «الهمس والرَّكْز واحد ، وهو الصوت الخفي . ويقال : همس لي بكذا ؛ أي أخفاه إلي»^(١) . وذكر عن ابن عباس أنه تمثل بقول الراجز^(٢) :

وَهْنٌ يَمْشِيْنَ بِنَا هَمِيْسَا

يعني : صوت أخفاف الإبل في سيرها . وقال أبو الهيثم : «إذا مَضَعَ الرجل الكلام وفوه مُنْضَمَّ قيل : هَمَسَ يَهْمِسُ هَمْسًا»^(٣) . قال^(٤) :

يَأْكُلْنَ مَا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسَا

والهَمْوُسُ من أسماء الأسد ؛ لأنه يَهْمِسُ في الظلمة ؛ أي يطأ وطأ خفياً^(٥) .
ومنه قول أبي زبيد^{(٦)(٧)} :

فَيَأْتُوا يُدْجُونَ وَيَأْتِ يَسْرِي بَصِيرٌ بِالدُّجَى هَادٍ هُمُوسٌ

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٠/٢ .

(٢) هذا صدر بيت من الرجز ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة ، وعجزه :

إِنْ يَصْدُقُ الطَيْرُ تَبْكِي لِمِيسَا

انظر : جامع البيان ٢١٤/١٦ ، والكشف والبيان ٢٥/٣ ، والنكت والعيون ٢٧/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١١ ، ومجمع البيان ٤٩/٧ ، وروح المعاني ١٦/١٦٤ ، ومعاني القرآن للقرّاء ١٩٢/٢ ، وتهذيب اللغة (همس) ٣٧٩٣/٤ ، ولسان العرب (همس) ٨/٤٧٠٠ .

(٣) تهذيب اللغة (همس) ٣٧٩٣/٤ .

(٤) لم أهد إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير بلا نسبة ، وقبله :

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَباً قَدْ أَمْسَا عَجَائِزاً مِثْلَ السَّعَالِي خَسَاً

انظر : خزنة الأدب ١٦٧/٧ ، وشرح شذور الذهب ١٢٨ ، والكتاب ٢٨٤/٣ ، والمقاصد النحوية ٣٥٧/٤ ، وأوضح المسالك ١٣٢/٤ ، وجمهرة الذهب ٨٤١ ، وشرح المفصل ١٠٦/٤ ، وتهذيب اللغة (همس) ٣٧٩٣/٤ ، وتاج العروس (همس) ٢٧٥/٤ ، ولسان العرب (همس) ٨/٤٧٠٠ .

(٥) تهذيب اللغة (همس) ٣٧٩٣/٤ .

(٦) تقدمت ترجمته في سورة البقرة .

(٧) البيت لأبي زبيد الطائي . الدجلة : سير السحر ، يقال : أدلج القوم : ساروا من آخر الليل ، والدجى : سواد الليل . انظر : تهذيب اللغة (همس) ٣٧٩٣/٤ ، ولسان العرب (همس) ١/٤٧٠٠ .

يعني : الأسد .

قال ابن عباس في رواية الوالبي في قوله : ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾ : يقول : «الصوت الخفي»^(١) .

وفسر ذلك الصوت في رواية سعيد بن جبير وعطاء فقال : «يريد صوت وقع الأقدام كمشي الإبل»^(٢) .

وهذا قول أكثر المفسرين قالوا : «يعني : صوت ثقل الأقدام إلى الحشر» . وهذا قول عكرمة ، وسفيان ، والحسن والسُّدي^(٣) ، واختيار الفراء ، والزجاج^(٤) .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ «يعني تحريك الشفاه بغير نطق»^(٥) . وهو قول مجاهد : «الكلام الخفي»^(٦) .

قال الليث : «الهمس : حس الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر ، ولا جهرارة في المنطق ، ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر»^(٧) . والمعنى

(١) جامع البيان ٦/٢١٥ ، والنكت والعيون ٣/٤٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٤٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٨٤ ، والدر المنثور ٤/٥٥١ .

(٢) جامع البيان ١٦/٢١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٤٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٨٤ ، والدر المنثور ٤/٥٥١ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢/١٨ ، وجامع البيان ١٦/٢١٥ ، والكشف والبيان ٣/٢٥ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٥٣ ، وزاد المسير ٥/٣٢٣ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/١٩٢ ، ومعاني الزجاج ٣/٣٧٧ .

(٥) معالم التنزيل ٥/٢٩٥ ، وزاد المسير ٥/٣٢٣ ، والدر المنثور ٤/٥٥١ .

(٦) جامع البيان ١٦/٢١٥ ، والكشف والبيان ٣/٢٥ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٩٥ ، وزاد المسير ٥/٣٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٤٧ .

(٧) تهذيب اللغة (همس) ٤/٣٧٩٣ .

على هذا التفسير : سكنت الأصوات ، ولا يجهر أحد بكلام إلا كالسر في الإشارة بالشفة وتحريك الفم بغير صوت .

١٠٩ . قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ . قال الفرّاء : «﴿مَنْ﴾ في موضع نصب ، لا تنفع الشفاعة إلا مَنْ أذن له أن يشفع فيه»^(١) ، هذا كلامه والمعنى : لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس إلا مَنْ أذن الله أن يشفع له فذلك الذي تنفعه الشفاعة ، والكناية في قوله : ﴿لَهُ﴾ تعود إلى ﴿مَنْ﴾ وهو المشفوع له المأذون له في شفاعته^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ يعني قال : لا إله إلا الله . قاله ابن عباس ، والكلبي^(٣) .

قال الفرّاء : «يقال : رضيت لك عملك ، ورضيته منك»^(٤) . وهذا يدل على أنه لا حظ في الشفاعة لغير المؤمن ، وذكر في الآية وجه آخر وهو : أن المعنى لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة مَنْ أذن له الرحمن ، فعلى هذا ، مَنْ أذن هو الشفيع لا المشفوع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ إن كان مؤمناً ، فإن الكافر لا يؤذن له في الشفاعة ، ولا يكون شفيعاً ولا مشفوعاً له ، وعلى هذا التأويل الكنايتان تعود إلى الشفيع^(٥) . والآية تدل على أن الشفيع إنما يشفع بعد الإذن إذا كان مؤمناً .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٩٢/٢ .

(٢) جامع البيان ٢١٥/١٦ ، والمحور الوجيز ٩٥/١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١١ .

(٣) معالم التنزيل ٢٩٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١١ ، وروح المعاني ٢٦٥/١٦ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١٩٢/٢ .

(٥) المحرر الوجيز ٩٥/١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١١ .

قال الكلبي : «وذلك أن الأنبياء يشفعون ، والملائكة يشفعون ، والآباء والأبناء يشفعون»^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : «وإن الرجل من أمتي ليشفع بالقبيلة ، ويشفع للفئام من الناس ، ويشفع للعصبة ، والثلاثة وللرجلين وللرجل»^{(٢)(٣)} .

١١٠ . قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكناية راجعة إلى الذين ذكروا في قوله : ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ ؛ [طه : ١٠٨] أي يعلم ما يصيرون إليه من الثواب والعقاب . ﴿وَمَا خَلَفَهُمْ﴾ ؛ ما قد وقع من أعمالهم . قال ابن عباس : «يريد ما قدموا وما خلفوا»^(٤) .

(١) لم أقف عليه ، ويشهد له ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ' مرفوعاً ، قال : «فيقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا لأرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط» .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة ٤ / ٥٤١ ، وقال : «هذا حديث حسن» ، وأخرجه الإمام أحمد ٣ / ٢٠ . وفي إسناده عطية العوفي ، وهو ضعيف مدلس ، قال الذهبي في الميزان : «قال أحمد : بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير ، وكان يكنيه بأبي سعيد ، فيقول : قال أبو سعيد» . قلت : «يوهم أنه الخدري» . وقال النسائي وجماعة : «ضعيف» .

(٣) الشفاعة نوعان ؛ الأول : شفاعة نفاها القرآن وأخبر أنها لا تقبل ، وهي الشفاعة للكفار والمشركين ، فقال تعالى : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] .

النوع الثاني : شفاعة أثبتها القرآن ، وهي الشفاعة للمؤمنين الموحدين ، ولا تحصل إلا بشرطين : الأول : إذن الله للشافع بالشفاعة كما قال تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . الثاني : رضاه - سبحانه - عن المشفوع له بأن يشفع له كما قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٨] . انظر : العقيدة الطحاوية ٢٥٢ ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٢٠٤ .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥ / ٢٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٤٨ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ١١٩ ، ومجمع البيان ٧ / ٥٠ .

وقال الكلبي : «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» من أمر الآخرة ، «وَمَا خَلْفَهُمْ» من أمر الدنيا»^(١) .

وقال مجاهد : «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» ؛ ما مضى من الدنيا ، «وَمَا خَلْفَهُمْ» الآخرة»^(٢) .

وقوله تعالى : «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» . الظاهر أن الكناية في قوله «بِهِ» تعود إلى «مَا» في قوله : «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ» . أي هو يعلم ذلك وهم لا يعلمونه^(٣) . وعلى هذا كلام ابن عباس حيث قال : «يريد ولا يحيطون بشيء من علمه ؛ أي بما علمه»^(٤) . ويجوز أن تعود الكناية إلى الله تعالى ؛ لأن عباده لا يحيطون به علماً^(٥) .

١١١ . قوله تعالى : «وَعَنَتِ الْوُجُوهُ» . قال ابن عباس في رواية الوالبي وقتادة : «ذلت»^(٦) .

-
- (١) ذكر في جامع البيان ٢١٥/١٦ ، ونسبه إلى قتادة ، وذكره الهواري في تفسيره ٥٣/٣ من دون نسبة ، وكذلك البغوي في تفسيره ٢٩٦/٥ .
- (٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : التفسير الكبير ١١٩/٢٢ ، ومجمع البيان ٥٠/٧ ، وروح المعاني ٢٦٥/١٦ .
- (٣) جامع البيان ٢١٥/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٩٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١١ .
- (٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢١٦/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٩٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١١ ، والتفسير الكبير ١١٩/٢٢ .
- (٥) جامع البيان ٢١٦/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٩٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١١ ، والدر المنثور ٥٥١/٤ .
- (٦) تفسير القرآن للصنعاني ١٨/٢ ، وجامع البيان ٢١٦/١٦ ، وبحر العلوم ٣٥٥/٢ ، والنكت والعيون ٤٢٧/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١١ ، والدر المنثور ٥٥٢/٤ .

وقال مجاهد وسفيان : «خشعت»^(١) . وقال السُّدِّي : «استسلمت»^(٢) .

قال عطاء عن ابن عباس : «خضعت»^(٣) .

قال أبو إسحاق : «معنى ﴿وَعَنَتِ﴾ في اللغة : خضعت ، يقال : عَنَّا يَعْنُو إذا خَضَعَ ، ومنه يقال : أخذت البلاد عَنوةً إذا أخذت غَلَبَةً ، وأخذت بِخِضُوعٍ من أهلها»^(٤) .

وقال أهل المعاني : «معنى ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذلت خضوع الأسير في يد المالك القاهر له ، والعاني : الأسير لخضوعه وذله»^(٥) .

قال أبو عبيدة : «وكل مَنْ ذل واستكان فقد عَنَّا ، والاسم منه العنوة»^(٦) .

(١) جامع البيان ٢١٦/١٦ ، والنكت والعيون ٤٢٧/٣ ، وتفسير سفيان الثوري ١٩٦ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢٥/٣ من دون نسبة .

(٣) الدر المنثور ٥٥٢/٤ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٥٢/٢ من دون نسبة ، وذكره ابن الملقن في تفسير غريب القرآن ٢٥٠ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٧٧/٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (عنا) ٢٥٨٠/٣ ، ومقاييس اللغة (عنى) ١٤٦/٤ ، والقاموس المحيط (عنوت) ٢٦٧/٤ ، والصحاح (عنا) ٢٤٤٠/٦ ، ولسان العرب (عننت) ٣١٢٠/٥ ، والمفردات في غريب القرآن (عننت) ٣٤٩ .

(٦) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة (عنا) ٢٥٨٠/٣ ، وورد نحوه مختصراً في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٠/٢ .

وَأُنْشِدَ لِلْقَطَامِيِّ^(١) :

وَنَأَتْ بِحَاجَتِنَا وَرُبَّتْ عَنُوءٌ لَكَ مِنْ مَوَاعِدِهَا الَّتِي لَمْ تَصْدُقِ

أي رب ذلة وخضوع منك لها لأجل مواعدها . ومن هذا يقال : أخذت الشيء عَنُوءً ؛ أي غلبةً بذل المأخوذ منه ، ومن صريح التفسير وعنت ، قال : «والعاني الأسير ، والعاني العبد»^(٢) . وقال الفراء : «عَنَا يَعْنُو عَنُوءًا إِذَا خَضَعَ ، وقولهم : أخذت الشيء عَنُوءً يكون غلبةً ، ويكون عن تسليم وطاعة ممن يؤخذ منه الشيء ؛ لأنه على طاعة الذليل للعزيز»^(٣) . وأنشد أهل التفسير في ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ﴾ بمعنى : ذلت وخضعت ، قول أمية^(٤) :

مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيِّمٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ

وفسر طلق بن حبيب^(٥) عَنُو الوجوه في هذه الآية : «بالسجود»^(٦) . هذا الذي ذكرنا قول أكثر أهل التأويل . وقال الكلبي : «وعملت الوجوه . قال : ويقال نصبت»^(٧) .

(١) البيت لعمير القطامي . انظر : ديوانه ٣٥ ، وتهذيب اللغة (عنا) ٣ / ٢٥٨٠ ، ومعجم مقاييس اللغة

(عنى) ٤ / ١٤٦ ، ولسان العرب (عنن) ٥ / ٣١٣٩ .

(٢) مجاز القرآن ٢ / ٣٠ ، وتهذيب اللغة (عنا) ٣ / ٢٥٨٠ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٩٢ .

(٤) البيت لأمية بن أبي الصلت . انظر : الكشف والبيان ٣ / ٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٤٨ .

(٥) تقدمت ترجمته في سورة الإسراء .

(٦) جامع البيان ١٦ / ٢١٦ ، والكشف والبيان ٣ / ٢٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٢٨ ، ومعالم التنزيل

٢٩٦ / ٥ ، والمحزر الوجيز ١٠ / ٩٦ ، والدر المنثور ٤ / ٥٥٢ .

(٧) النكت والعيون ٣ / ٤٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٤٨ .

واختاره الفراء فقال في تفسيره : «يقال : نصبت به ، وعملت له»^(١) . وعلى هذا ، عَنَت من العَنَا بمعنى التعب ، والعَنَا : الحبس في شدة وذل ، هذا أصل معناه ، ثم قيل لكل تعب : عَنَا ، يقال : لقيت من فلان عَنِيَةً وَعَنَاءً ؛ أي تَعَبًا ، وَعَنِيَّتُهُ أُعْنِيَهُ تَعْنِيَةً إذا أسرته فحبسته مضيقاً عليه في الشدة ، وكل حبس طويل عَنِيَةٌ^(٢) ، ومنه قول الشاعر^(٣) :

قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسِّدِّمِ الْمُعْنَى تُهَدِّرُ فِي دِمَشْقَ وَمَا تَرِيْمُ

قال ابن قتيبة : «والعاني بمعنى الأسير»^(٤) من هذا ، فالقولان إذا يعودان إلى أصل واحد ومعنى واحد ؛ لأن نصب الوجوه يعني به : السجود لله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد خسر مَنْ أَشْرَكَ بالله عز وجل»^(٥) .

(١) معاني القرآن للفراء ١٩٢/٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عنا) ٣/٢٥٨٠ ، ومقاييس اللغة (عنى) ٤/١٤٦ ، والقاموس المحيط (عنوت) ٤/٣٦٧ ، والصحاح (عنا) ٦/٢٤٤٠ ، ولسان العرب (عنت) ٥/٣١٢٠ .

(٣) البيت للوليد بن عقبة يخاطب فيه معاوية رضي الله عنهما .
السِّدِّمُ : الذي يرغب عن فعلته فيحال بينه وبين أَلَاْفِهِ ويقيده إذا هاج ، فيرعى حوالي الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه . والهدير : تردد صوت البعير في حنجرتة . والريم : البراح يقال : ما يريم يفعل ذلك ؛ أي ما يبرح ، وريم المكان : أقام به . انظر : تهذيب اللغة (عنى) ٣/٢٥٨٠ ، والصحاح (عنا) ٦/٢٤٤١ ، ولسان العرب (سدم) ٤/١٩٧٦ .

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٢ .

(٥) معالم التنزيل ٥/٢٩٦ ، وزاد المسير ٥/٣٢٤ ، وروح المعاني ١٦/٢٦٦ .

١١٢. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ . يجوز أن تكون ﴿مِنْ﴾ للتبعيض فيكون المعنى : شيئاً من الصالحات ، ويجوز أن تكون للجنس فيكون المعنى : ومن يعمل الصالحات . ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ جملة في موضع نصب على الحال .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ في موضع جواب الشرط ، والمبتدأ محذوف مراد بعد الفاء ، المعنى : فهو لا يخاف^(١) . وهذا كقوله : ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة : ٩٥] ، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ [البقرة : ١٢٦] ، ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن : ١٣] .

وقرأ ابن كثير : (فلا يخف) على النهي^(٢) . وهو حسن ؛ لأن المعنى : ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فيأمن ؛ لأنه لم يفرط في ما وجب عليه ، ونهيه عن الخوف أمر بالأمن ، ولفظ الآية في قوله : (فلا يخف) على النهي ، والمراد الخبر بأن المؤمن الصالح لا خوف عليه ، وإذا كان كذلك كان معنى القراءتين واحد^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾ . قال الفرّاء : «تقول العرب : هضمت لك من حقي ؛ أي تركته»^(٤) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٥٢ / ٥ .

(٢) قرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ بالألف على الخبر ، وقرأ ابن كثير المكي (فلا يخف) على النهي . انظر : السبعة ٤٢٤ ، والحجة للقراء السبعة ٢٥١ / ٥ ، وحجة القراءات ٤٦٤ ، والمبسوط في القراءات ٢٥٠ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٢٥٢ / ٥ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١٩٣ / ٢ .

وقال المُبَرِّد والزَّجَّاج : «الهضم النقص ، يقال : فلان هضمني حتي ؛ أي نقصني ، وكذلك هذا يهضم الطعام ؛ أي ينقص ثقله»^(١) . ومنه للدواء هاضوم ؛ لأنه يقع في الطعام الذي كظ فيهضمه ، وقيل للخميص البطن : هضم^(٢) . وقال أبو عبيدة : «﴿وَلَا هَضْمًا﴾ نقيصة^(٣) ، وأنشد للبيد^(٤) :

وَمُقَسَّمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَمُعْذَمَّرٌ لِحُقُوقِهَا هَضَامُهَا .

قال ابن عباس في رواية الوالبي : « لا يخاف أن يظلم فيزاد عليه في سيئاته ، ولا أن يهضم من حسناته»^(٥) . ونحو هذا قال الحسن^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٧٧/٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (هضم) ٣٧٦٧/٤ ، ومقاييس اللغة ٥٥/٦ ، والقاموس المحيط ١٩١/٤ ، ولسان العرب ٤٦٧٢/٨ ، والمفردات في غريب القرآن ٥٤٣ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣١/٢ .

(٤) البيت للبيد بن ربيعة العامري .

عَذَمَر : المغذمر الذي يركب الأمور فيأخذ من هذا ويعطي هذا ويدع لهذا من حقه ، ويقال للرئيس الذي يسوس عشيرته بما شاء من عدل وظلم : مغذمر . انظر : ديوانه ١٧٩ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٣١/٢ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٢٠٥ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٢٥٠ ، وتهذيب اللغة (غذمر) ٢٦٤٢/٣ ، ولسان العرب (غذمر) ٣٢٢٢/٦ .

(٥) جامع البيان ٢١٨/١٦ ، والكشف والبيان ٢٥/٣ ب ، والنكت والعيون ٤٢٨/٣ ، ومعالم التنزيل ٣٢٤/٥ ، وزاد المسير ٣٢٤/٥ ، والدر المنثور ٤/٥٥٢ .

(٦) جامع البيان ٢١٧/١٦ ، والكشف والبيان ٢٥/٣ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٥٣/٣ ، والنكت والعيون ٤٢٨/٣ .

وقال في رواية عطاء : « لا ينتقص من ثوابه ، ولا يحط من حسناته »^(١) . وأجاد الضحاك في قوله : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ﴾ : « لا يؤخذ بذنب لم يعمله ، ﴿ وَلَا هَضْمًا ﴾ لم يبطل حسنة عملها »^(٢) .

وقال الكلبي : « ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ﴾ يعني ذهاباً لعمله كله ، ﴿ وَلَا هَضْمًا ﴾ يقول : لا ينتقص من عمله شيء »^(٣) .

١١٣ . قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ؛ أي وكما بيننا في هذه السورة ﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ؛ أنزلنا هذا الكتاب ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾ ؛ أي بيننا فيه ضروب الوعيد وما فيه العقاب .

قال قتادة : « يعني : عذابه ووقائعه في الأمم قبلكم »^(٤) . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ؛ ليكون سبباً لاتقائهم الشرك بالاعتاظ من قبلهم . ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ . قال ابن عباس : « موعظة فينتفعون بها »^(٥) . يعني : يحدد لهم القرآن ذكراً واعتباراً واعتاظاً فيتذكرون به عقاب الله للأمم المكذبة فيعتبرون ويتفكرون ، وهذا معنى قول قتادة في قوله : ﴿ ذِكْرًا ﴾ : « جداً وورعاً »^(٦) .

-
- (١) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢١٨/١٦ ، والمحزر الوجيز ٩٧/١٠ ، والنكت والعيون ٤٢٨/٣ ، ومعالم التنزيل ٢٩٧/٥ ، وزاد المسير ٣٢٤/٥ .
- (٢) الكشف والبيان ٢٥/٣ ب ، ومعالم التنزيل ٢٩٧/٥ ، وزاد المسير ٣٢٤/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٨٤/٣ .
- (٣) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢١٦/١٦ ، والمحزر الوجيز ٩٧/١٠ ، ومعالم التنزيل ٢٩٧/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٨٥/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/١١ .
- (٤) جامع البيان ٢١٨/١٦ .
- (٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحزر الوجيز ٩٧/١٠ ، ومعالم التنزيل ٢٩٧/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٠/١١ ، وروح المعاني ٢٦٧/١٦ .
- (٦) تفسير القرآن للصنعاني ١٨/٢ ، وجامع البيان ٢١٩/١٦ ، والكشف والبيان ٢٥/٣ ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٠/١١ ، والدر المنثور ٥٥٢/٤ .

وذكر الفراء قولين هما للكلبي ﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ يقول : «لو أخذوا به كان القرآن لهم شرفاً بإيمانهم به»^(١) . وهذا كقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] ويقال : «﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ عذاباً ؛ أي يتذكرون حلول العذاب الذي وعدوه»^(٢) .

١١٤ . قوله تعالى : ﴿فَنَعْلَى اللَّهِ الْمَلِكُ﴾ ؛ أي جل عن إلحاد الملحين ، ونزه عما يقول المشركون في صفته^(٣) . ويجوز أن يكون المعنى : تعالى ؛ استحق في المدح صفات لا تساوى ؛ لأنه أقدر من كل قادر ، وأعلم من كل عالم ، وقادر سواه محتاج إليه ، وهو غني عنه . ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الذي بيده الثواب والعقاب»^(٤) . يعني أنه يملكها . و﴿الْحَقُّ﴾ معناه : ذو الحق ، وقد مرّ وتقديم الكلام فيه^(٥) .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٩٣ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢١٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٥ ، والمحزر الوجيز ١٠/ ٩٧ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٩٣ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٥٥ ، والمحزر الوجيز ١٠/ ٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢١٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٥ .

(٤) ذكر نحوه الألسوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٦٧ من دون نسبة ، وكذلك الشوكاني في فتح القدير ٣/ ٣٨٩ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾ [الأنعام : ٦٢] .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء وأبي صالح: «كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي ، ولا يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله حرصاً منه على ما كان ينزل عليه ، وشفقة على القرآن مخافة الانفلات والنسيان ، فنهاه الله عن ذلك»^(١) . فقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ ؛ أي بقراءته ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ ؛ من قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته عليك . وقال المفضل: «من قبل أن يوفى ويتم»^(٢) .

وقال السُّدِّي: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يستوعبه يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه فينسى ما علمه ، فأنزل الله هذه الآية»^(٣) . قال عطاء عن ابن عباس: «وهذا كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]»^(٤) . وهذا قول الكلبي ، واختيار الفراء وابن قتيبة^(٥) .

-
- (١) الكشف والبيان ٢٥/٣ ب ، وزاد المسير ٣٢٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٨٥ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٧ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٧ ، وأخرج نحوه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ ٩/١٨٧ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الصلاة ، باب الاستماع للقرآن ١/٣٣٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥/٥٥٢ .
- (٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر: الكشف والبيان ٢٥/٣ ب ، والنكت والعيون ٣/٤٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٥٠ ، والتفسير الكبير ٢٢/١٢٢ .
- (٣) الدر المنثور ٤/٥٥٢ ، وعزاه لابن أبي حاتم .
- (٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر: جامع البيان ١٦/٢١٩ ، وبحر العلوم ٢/٣٥٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٥٤ ، ومعالم التنزيل ٥/٢٩٧ ، والمحرم الوجيز ١٠/٩٨ .
- (٥) معاني القرآن للقرآن ٢/١٩٣ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٣ .

وقال مجاهد وقتادة : « لا تتله على أحد حتى نبينه لك »^(١) . وعلى هذا ، نهى عن تلاوة الآية التي تنزل عليه ، وإملائه على أصحابه قبل أن يتبين له معناها .

وهذا معنى رواية عطية عن ابن عباس قال : « لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله »^(٢) .

وذكر بعض أهل التفسير أن معنى هذه الآية : « لا تسأل إنزال القرآن من قبل أن يأتيك وحيه »^(٣) . وروى جرير^(٤) عن الحسن في سبب نزول هذه الآية : « أن رجلاً لطم امرأته ، فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب القصاص فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص ، فأنزل الله هذه الآية ، فوقف النبي ﷺ حتى نزلت : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء : ٣٤] »^(٥) . ولا تعلق لهذه الآية بالقصة التي ذكرها الحسن حتى يقال : إنها نازلة فيها ، إلا لقوله : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وذلك أن النبي ﷺ حكم بالقصاص ، وأبى الله ذلك وأنزل : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ وقد تقدم

(١) جامع البيان ١٦/٢٢٠ ، والكشف والبيان ٣/٢٥ ب ، ومعالم التنزيل ٥/٢٩٧ ، وزاد المسير ٥/٣٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٥٠ .

(٢) جامع البيان ١٦/٢٢٠ ، والكشف والبيان ٣/٢٥ ب .

(٣) النكت والعيون ٢/٤٢٩ ، وزاد المسير ٥/٣٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٥٠ .

(٤) جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الأزدي البصري ، أحد التابعين وعُدَّ من صغارهم ، روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة وغيرهم ، وروى عنه ابنه وابن المبارك وغيرهما ، وثقه أكثر العلماء ، توفي - رحمه الله - سنة ١٧٥ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢/٥٠٤ ، وميزان الاعتدال ١/٣٩٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/٦٩ .

(٥) بحر العلوم ٢/٣٥٦ ، وزاد المسير ٥/٣٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٥٠ ، والدر المنثور ٤/٥٥٣ ، ولباب النقول في أسباب النزول ٦٨ .

بيانه^(١). وأمره في هذه الآية بأن يسأل الله - تعالى - زيادة علم ، والمعنى : علمني ما لا أعلمه^(٢).

وقيل معناه : «زدني علماً بالقرآن ومعانيه»^(٣). وهذا موافق للتفسير الأول في الآية .

١١٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ ؛ أي أمرناه وأوصينا إليه . قال الكلبي والسُّدِّي : «عهدنا إليه ألا يأكل من الشجرة»^(٤).

وقال ابن عباس : «ألا يقرب الشجرة»^(٥). ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ . قال الكلبي : «من قبل أن يأكل من الشجرة»^(٦). وقال غيره : «من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي»^(٧). وهم الذين ذكرهم في قوله : ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ

(١) عند قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ يَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿النساء : ٣٤﴾ .

(٢) جامع البيان ١٦ / ٢٢٠ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٢٩ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٩٧ ، والكشاف ٢ / ٥٥٥ .

(٣) الكشف والبيان ٣ / ٢٥ ب ، والنكت والعيون ٣ / ٤٢٩ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٩٧ .

(٤) ذكر في زاد المسير ٥ / ٣٢٧ من دون نسبة .

(٥) الدر المنثور ٤ / ٥٥٣ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ١٢٤ .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : تفسير كتاب الله العزيز ٣ / ٥٤ ، والمحزر الوجيز ١٠ / ١٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٥١ .

(٧) جامع البيان ١٦ / ٢٢٠ ، والكشف والبيان ٣ / ٢٥ ب ، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٩٧ ، وزاد المسير ٥ / ٣٢٧ ، وقال ابن عطية - رحمه الله - في المحزر الوجيز ١٠ / ١٠٠ : «وهذا التأويل ضعيف وذلك أن يكون آدم مثلاً للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء و آدم إنما عصى بتأويل ، ففي هذا غضاضة عليه وأما الظاهر في هذه الآية إنما أن يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله وإنما أن يجعل تعلقه أنه لما عهد إلى محمد أن لا يعجل القرآن مثل له بنبي قبله عهد إليه فنسي فعوقب لتكون أشد في التحذير وأبلغ في العهد إلى محمد» .

لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴿طه: ١١٣﴾ والمعنى : أنهم نقضوا العهد ، فإن آدم أيضاً عهدنا إليه ﴿فَنَسِيَ﴾ . قال ابن عباس : «فترك عهدي»^(١) . وقال مجاهد : «ترك ما أمر به»^(٢) .

وقال السُّدِّي : «ترك عهدنا»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : ﴿فَنَسِيَ﴾ هاهنا فترك ؛ لأن الناسي لا يؤاخذ بنسيانه»^(٤) . هذا قول الجميع في أن نسي هاهنا : ترك . وحمل ابن زيد النسيان هاهنا على الذي هو ضد الذكر^(٥) . ولا يصح هذا ؛ لأن الناسي لا يؤاخذ بنسيانه ، ولأن إبليس حين استغواهما ذكرهما النهي فقال : ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ . معنى العزم : عقد القلب على أمر يفعل ، وهو توطين النفس على الفعل ، هذا معناه في اللغة^(٦) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد صبراً عن أكل الشجرة»^(٧) . والمعنى : أنه لم يصبر على ما وطن عليه نفسه من ترك ما نهى عن أكله ، وهو معنى قول الحسن : «صبراً عما نهى عنه»^(٨) .

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٧ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣٠ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٥ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، والمحزر الوجيز ١٠/ ١٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٥ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٨ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٢١ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥١ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (عزم) ٣/ ٢٤٢٥ ، والقاموس المحيط ٤/ ١٤٩ ، والصحاح ٥/ ١٩٨٥ ، ولسان العرب ٥/ ٢٩٣٢ ، والمفردات في غريب القرآن ٣٣٤ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٦٩ .

(٨) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ .

وقال عطية العوفي : «عن ما حفظنا لما أمر به»^(١) .

وقال السُّدِّي : «صبراً على الذنوب»^(٢) . وقال عبدالله بن مسلم : «رأياً معزوماً عليه»^(٣) . وقيل : «عقداً ثابتاً حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له»^(٤) .

١١٧ . قوله تعالى : ﴿فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد شقاء الدنيا ونصبها»^(٥) .

وقال الحسن : «عني به شقاء الدنيا ، ألا ترى ابن آدم إلا ناصباً شقياً»^(٦) .

وقال سعيد بن جبير : «أهبط إلى آدم ثور أحمر كان يعتمل عليه ، ويمسح العرق عن جبينه ، فكان ذلك شقاؤه»^(٧) .

وقال السُّدِّي : «الحرث والزرع والعجن والخبز»^(٨) .

-
- (١) جامع البيان ٢٢١/١٦ ، والكشف والبيان ٢٥/٣ ب ، وبحر العلوم ٣٥٦/٢ ، والنكت والعيون ٤٣٠/٣ ، ومعالم التنزيل ٢٩٧/٥ ، والدر المنثور ٥٥٤/٤ .
- (٢) بحر العلوم ٢٥٦/٢ .
- (٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٣ .
- (٤) زاد المسير ٣٢٨/٥ .
- (٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/١٠١ ، ومعالم التنزيل ٢٩٨/٥ ، وزاد المسير ٣٢٨/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٥٣ .
- (٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٥٣ ، والدر المنثور ٤/٥٥٥ .
- (٧) جامع البيان ٢٢٢/١٦ ، والكشف والبيان ٢٥/٣ ب ، وبحر العلوم ٣٥٧/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٩٨/٥ ، والمحذر الوجيز ١٠/١٠١ ، والدر المنثور ٤/٥٥٥ .
- (٨) معالم التنزيل ٢٩٨/٥ ، وزاد المسير ٣٢٨/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١/٢٥٣ .

وقال زيد بن علي : «فتشقى في كد المعيشة»^(١).

قال الفرّاء : «ولم يقل : فتشقى ؛ لأن آدم المخاطب وفي فعله اكتفاء من فعل المرأة»^(٢). يعني : أن أول الآية خطاب لآدم ، وصرف الخطاب في آخرها إلى آدم لوفاق الفواصل ، وكان في خطابه اكتفاء عن خطاب حواء كما قال : ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ اكتفى بالقعيد عن صاحبه .

١١٨ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ﴾ ﴿إِنَّ﴾ في موضع نصب بأن ، كما تقول : إن لك مالا^(٣) . ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ بمعنى الشبع ، كأنه قيل : إن لك الشبع فيها والاكتساء . قال الكلبي : «من لباس الثور»^(٤) .

قال ابن عباس : «يريد أن لك ما دمت في الجنة ألا تجوع فيها»^(٥) . ﴿وَلَا تَعْرِى﴾ يقال : عَرِيَ فلان من ثوبه يَعْرِى عُرْيًا فهو عَارٍ وَعُرْيَانٌ ، والأنثى عُرْيَانَةٌ وَعَرِيَّةٌ والمصدر العُرْيِ وسمي العُرْيَان العُرْي^(٦) . ومنه الحديث : «أن النبي ﷺ ركب فرساً لأبي طلحة عُرْيًا»^(٧) .

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٢٢ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ٢٩٨ / ٥ ، وزاد المسير ٣٢٨ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٨٦ / ٣ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١٩٣ / ٢ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١٩٣ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٧٨ / ٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥٩ / ٣ .

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥ / ٣ ب .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٢٢ / ١٦ ، وبحر العلوم ٣٥٧ / ٢ ، ومعالم التنزيل ٢٩٩ / ٥ ، والقرطبي ٢٥٣ / ١١ ، وابن كثير ١٨٦ / ٣ .

(٦) فرس عري ؛ أي لا سرج عليه ولا غيره . يقال : دابة عري ، وخيل أعراء ، ورجل عريان ، وامرأة عريانة إذا عريا من أثوابها . انظر : تهذيب اللغة (عرا) ٢٣٧٣ / ٣ ، والقاموس المحيط (العري) ٣٦١ / ٤ ، والصحاح (عرا) ٢٤٢٤ / ٦ ، ولسان العرب (عرا) ٢٩١٩ / ٥ .

(٧) أخرج نحوه البخاري في كتاب الجهاد ، باب مبادرة الإمام عند الفرع ١٠٨٤ / ٣ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب في شجاعة النبي وتقدمه في الحرب ، والترمذي في جامعه ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الخروج عند الفرع ١٧١ / ٤ ، وابن ماجه في كتاب الجهاد ، باب الخروج في النفير ٩٩٦ / ٢ ، والإمام أحمد في مسنده ١٤٧ / ٢ .

قال الأزهري : «والعرب تقول : فَرَسٌ عُزِّيٌّ . وخَيْلٌ أَعْرَاءٌ ولا يقال رَجُلٌ عُزِّيٌّ»^{(١)(٢)} .

١١٩ . قوله : ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿وَأَنْتَ﴾ في موضع نصب نسقاً على قوله : ﴿أَلَّا يَجُوعَ﴾ ، ويجوز أن تكون في موضع رفع ، وإن كان معطوفاً على اسم إن ؛ لأن معنى إن زِيداً قائم : زيد قائم ، فيكون المعنى ذلك أنك لا تظمأ^(٣) . يعني كأنه لم يذكر (أن) في أول الآية الأولى . ومن قرأ : (وإنك) بالكسر على الاستئناف ، وعطف جملة كلام على جملة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَضْحَكْ﴾ يقال : ضَحَا الرجل إذا برز للشمس فأصابه حرها ، ضَحَا ، وضْحِيًّا^(٥) . وقال النضر : «ضَحَا للشمس يَضْحَى ، ضُحُوًّا»^(٦) .

(١) تهذيب اللغة (عرا) ٣/ ٢٣٧٣ .

(٢) من قوله : (أمت وملا سقاءه . . .) ٥٢٣ إلى هنا ساقط من نسخة (س) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٨ .

(٤) قرأ نافع ، وعاصم في رواية أبي بكر ﴿وَأَنْتَ﴾ بكسر الألف ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم (وَأَنْتَ) مفتوحة الألف . انظر : السبعة ٤٢٤ ، والحجة للقرء السبعة ٥/ ٢٥١ ، والمبسوط في القراءات ٢٥١ ، وحجة القراءات ٤٦٤ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ضحأ) ٣/ ٢٠٩٣ ، ومقاييس اللغة (ضحى) ٣/ ٢٩١ ، والقاموس المحيط

(الضحو) ٤/ ٣٥٤ ، والصحاح (ضحأ) ٦/ ٢٤٠٦ ، ولسان العرب (ضحأ) ٥/ ٢٥٥٩ .

(٦) تهذيب اللغة (ضحأ) ٣/ ٢٠٩٣ .

وقال ابن الأعرابي: «ضَحِيْتُ للشمس، وضَحَيْتُ، أَضَحَىٰ مِنْهَا جَمِيعاً»^(١).
وحكى شَمِر: «ضَحِي، يَضْحِي، ضَحِيًّا، وَضَحًا، يَضْحُو، ضُحُوًّا»^(٢). وأنشد
الزجاج^(٣):

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
فَيَضْحِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصُرُ

قال ابن عباس في رواية الضحاك يقول: «لا تعطش فيها كما يعطش أهل الدنيا، ولا يصيبك فيها حر كما يصيب أهل الدنيا»^(٤).

وقال في رواية عكرمة: «لا تصيبك الشمس»^(٥). وقال في رواية الوالبي وعطاء: «لا يصيبك فيها حر ولا عطش»^(٦). والمعنى: لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها؛ لأنه ليس في الجنة شمس إنما هو ظل محدود.

١٢٠. وقوله تعالى: ﴿فَوَسَّوْا لِلَّهِ الشَّيْطَانُ﴾ كقوله: ﴿فَوَسَّوْا لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠] ﴿قَالَ يَتَّادُمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾. قال الكلبي: «على شجرة من أكل منها لم يمت»^(٧). ﴿وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى﴾؛

(١) تهذيب اللغة (ضحا) ٢٠٩٣/٣، ولسان العرب (ضحا) ٢٥٥٩/٥.

(٢) تهذيب اللغة (ضحا) ٢٠٩٣/٣، ولسان العرب (ضحا) ٢٥٥٩.

(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة. انظر: ديوانه ٩٤، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٧٨، والأغاني ١/٨١، وخزانة الأدب ٥/٣١٥، والمحاسب ١/٢٨٤، ومغني اللبيب ١/٥٥، والممتع في التصريف ١/٣٧٥، وتهذيب اللغة (ضحا) ٢٠٩٣/٣، ولسان العرب (ضحا) ٢٥٥٩/٥.

(٤) ذكر نحوه الطبري ١٦/٢٢٣ من دون نسبة، وكذلك السيوطي في الدر ٤/٥٥٥.

(٥) جامع البيان ١٦/٢٢٣، والكشف والبيان ٣/٢٥ ب، ومعالم التنزيل ٥/٢٩٩، والدر المنثور ٤/٥٥٥.

(٦) جامع البيان ١٦/٢٢٣.

(٧) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/٣٥٧ من دون نسبة.

لا يفنى . قال ابن عباس : « وهذا كقوله : ﴿ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف : ٢٠] »^(١) .

١٢١ . قوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ ﴾ . قال الكلبي : « بأكله من الشجرة »^(٢) .
﴿ فَغَوَىٰ ﴾ ؛ أي فعل ما لم يكن له فعله^(٣) . وقيل : « ضلَّ حيث طلب الخلد والملك بأكل ما نهي عن أكله »^(٤) . هذان قولان حكاهما المفسرون .

وقال ابن الأعرابي : « الغي : الفساد »^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ ؛ أي فسد عليه عيشه ، وقال ابن قتيبة : « الغي ضد الرشد ، كما أن المعصية ضد الطاعة »^(٦) .

وقد أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها باستزلال إبليس وخداعه إياه بالله ، والقسم إنه لمن الناصحين^(٧) ، حين دلّاه بغرور ولم يكن ذنبه عن إرصاد وعداوة وإرهاص كذنوب أعداء الله ، فنحن نقول : عصى وغوى ، كما قال الله في القرآن ولا نقول : آدم عاصٍ وغاوَ ؛ لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدم ، ولا نية

(١) ذكر القول ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٩/٥ من دون نسبة .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٢٢٣/٥ من دون نسبة ، وكذلك السمرقندي في تفسيره ٣٥٧/٢ .

(٣) جامع البيان ٢٢٤/١٦ ، والكشف والبيان ٢٥/٣ ب ، ومعالم التنزيل ٢٢٩/٥ .

(٤) بحر العلوم ٣٥٧/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٢٣/٥ .

(٥) معالم التنزيل ٢٢٩/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/١١ ، وتهذيب اللغة (غوى) ٢١٨/٨ ، وذكره

الشنقيطي في أضواء البيان ٥٣٥/٤ ، وقال : « وهذا خلاف الظاهر » .

(٦) قال القرطبي في تفسيره ٢٥٧/١١ : ﴿ فَغَوَىٰ ﴾ ؛ فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا ، والغى الفساد ،

وهو تأويل حسن ، وهو أولى من تأويل من يقول : (غوى) معناه ضل من الغي الذي هو ضد الرشد .

(٧) يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ وَقَاسَمُوهَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢١] .

صحيحة كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه : قد قطعه وخاطه ، ولا تقول : خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به^(١) .

١٢٢ . وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ﴾ . قال ابن عباس : «اصطفاه وتاب عليه»^(٢) . عاد عليه بالعفو .

هَدَى . قال الكلبي : «هداه بالتوبة»^(٣) .

١٢٣ . ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد آدم وإبليس»^(٤) . والآية مفسرة في سورة البقرة^(٥) .

(١) قال أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن ٣ / ١٢٦١ : «لا يجوز لأحد منا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم إلا إذا ذكرناه في أثناء قوله - تعالى - عنه ، أو قول نبيه ، فأما أن يتبدئ ذلك من قبل نفسه فليس بجائز في آبائنا الأذنين إلينا ، المائلين لنا ، فكيف في أبينا الأقدم الأعظم الأكرم النبي المقدم ، الذي عذره الله وتاب عليه وغفر له» . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٥٥ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ١٢٨ ، وأضواء البيان ٤ / ٥٣٨ .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ١٦ / ٢٢٤ من دون نسبة ، وكذلك البغوي في معالم التنزيل ٥ / ٣٠٠ .

(٣) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢ / ٣٥٧ من دون نسبة ، وكذلك البغوي في معالم التنزيل ٥ / ٣٠٠ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦ / ٢٢٤ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٥٧ ، وزاد المسير ٥ / ٣٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٥٨ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤ / ٥٣٩ : «الظاهر أن ألف الاثنين في قوله : ﴿أَهْبِطَا﴾ راجعة إلى آدم وحواء ، خلافاً لمن زعم أنها راجعة إلى إبليس وآدم ، والثنية باعتبار آدم وحواء فقط ، والجمع باعتبارهما مع ذريتهما» .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿فَلَنَّا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ ؛ أي في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَى﴾ [في الآخرة . قال ابن عباس : «أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة ، ثم قرأ : ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾»^(١) (٢) .

١٢٤ . ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ . قال ابن عباس : «يريد عن موعظتي»^(٣) . وقال الكلبي : «عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه»^(٤) .

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ . الضَّنْكَ أصله في اللغة : الضيق والشدة ، وكل ما ضاق فهو ضَنْكٌ يقال : منزل ضَنْكٌ ، وعيش ضَنْكٌ ، وضَنْكٌ عيشه يَضْنُكُ ضَنَاكَةً وضَنْكًا^(٥) .

وأنشد أبو عبيدة قول عنترة^(٦) :

إِنَّ الْمَنِيَةَ لَوْ تُثَلُّ مُثَلَّتْ مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٢) جامع البيان ١٦ / ٢٢٤ ، والكشف والبيان ٣ / ٢٦ أ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٥٧ ، والنكت والعيون ٣ / ٤٣١ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٣٠٠ ، والدر المنثور ٤ / ٥٥٦ .

(٣) زاد المسير ٥ / ٣٣٠ .

(٤) زاد المسير ٥ / ٣٣٠ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢ / ٣٥٧ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥ / ٣٠١ من دون نسبة .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ضنك) ٣ / ٢١٣٨ ، ومقاييس اللغة (ضنك) ٣ / ٣٧٣ ، والقاموس المحيط (الضنك) ٤ / ٣١١ ، والصحاح ٤ / ١٥٩٨ ، ولسان العرب ٥ / ٢٦١٣ ، والمفردات في غريب القرآن ٢٩٩ .

(٦) قال القرطبي في تفسيره ١١ / ٢٥٧ : ﴿فَفَوَّكُ﴾ فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا ، والغني الفساد ، وهو تأويل حسن ، وهو أولى من تأويل مَنْ يقول (غوى) معناه ضل ، من الغي الذي هو ضد الرشاد .

ومنه قيل للمرأة الضخمة الكثيرة اللحم : ضَنَّاكَ ؛ لأن جلد لها قد ضاق بلحمها ، والضَّنَّكَ في الأصل مصدر ثم وصف به ، ولذلك قيل معيشة ضَنَّاكَ^(١) .

وأكثر ما جاء في التفسير المعيشة الضَّنَّكَ : «أنه عذاب القبر» عن النبي ﷺ ، وعن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وابن مسعود^(٢) .

وقال الحسن ، والكلبي ، وابن زيد ، وقتادة : «هو عذاب النار ، وأكل الزقوم ، والغسلين ، والضريع»^(٣) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : ضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه»^(٤) .

(١) تهذيب اللغة (ضنك) ٢١٣٨/٣ .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٢٧/١٦ ، والصنعاني في تفسيره ٢١/٢ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/٣ ، والهاواري في تفسيره ٧٥/٣ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣٥٧/٢ ، والماوردي في النكت ٤١٣/٢ ، والبغوي في معالم التنزيل ٣٠١/٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥٥٧/٤ ، والحاكم في المستدرک ، كتاب التفسير (سورة طه) ٣٨١/٢ ، وقال : «هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجناه» ، ووافقه الذهبي ، وذكره مجمع الزوائد في كتاب التفسير (سورة طه) ٦٧/٧ ، وقال : «رواه الطبراني ، وفيه المسعودي وقد اختلط ، وبقي رجاله ثقات» .

(٣) جامع البيان ٢٢٦/١٦ ، والكشف والبيان ٢٦/٣ ، والنكت والعيون ٤٣١/٣ ، ومعالم التنزيل ٣٠١/٥ ، والكشف ٥٥٨/٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٩/١١ ، وتفسير القرآن العظيم ١٨٧/٣ ، والدر المنثور ٥٥٨/٤ . ولعل المراد ما جاء في الآيات الآتية : الزقوم ورد في قوله تعالى : ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾ [الواقعة : ٥٢] .

والغسلين ورد في قوله تعالى : ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ﴾ [الحاقة : ٣٦] .

والضريع ورد في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية : ٦] .

(٤) زاد المسير ٢٢٨/٥ ، وروح المعاني ٢٧٧/١٦ ، وذكره الطبري في جامع البيان ٢٢٦/١٦ ، ونسبه إلى أبي سعيد الخدري ، وكذلك البغوي في تفسيره ٣٠١/٥ .

وقال في رواية الوالبي : «الشقي»^{(١)(٢)} .

وقوله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ . قيل في التفسير : «أعمى البصر»^(٣) . وقيل : «أعمى الحجة»^(٤) .

قال أبو إسحاق : «وتأويله أنه لا حجة له يهتدي إليها ، لا أن له حجة وأنه يعمى عنها»^(٥) .

وقال غيره : «العمى إذا أطلق كان الظاهر عمى البصر»^(٦) . وعلى هذا يدل ما بعده من :

-
- (١) جامع البيان ٢٢٦/١٦ ، والكشف والبيان ٢٦/٣ أ ، ومعالم التنزيل ٣٠١/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ١٨٧/٣ ، والدر المنثور ٥٥٧/٤ .
- (٢) قال الشنقيطي في أضواء البيان ٥٤٨/٤ : «قد جاء عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة أن المعيشة الضنك في الآفة : عذاب القبر . وبعض طرقه بإسناد جيد كما قاله ابن كثير في تفسير هذه الآفة ، ولا ينافي ذلك شمول المعيشة الضنك لمعيشته في الدنيا ، وطعام الضريع ، والزقوم ، فتكون معيشته ضنكاً في الدنيا والبرزخ والآخرة ، والعياذ بالله تعالى» . انظر : جامع البيان ٢٢٩/١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٩/١١ ، وتفسير القرآن العظيم ١٨٧/٣ .
- (٣) جامع البيان ٢٢٩/١٦ ، والكشف والبيان ٢٦/٣ أ ، وبحر العلوم ٣٥٨/٢ ، والنكت والعيون ٤٣١/٣ ، ومعالم التنزيل ٣٠١/٥ ، والمحزر الوجيز ١٠٧/١٠ .
- (٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢٠/٢ ، وجامع البيان ١٦٥/١٦ ، والكشف والبيان ٢٦/٣ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٥٨/٣ ، ومعالم التنزيل ٣٠١/٥ ، والدر المنثور ٥٥٨/٤ .
- (٥) معاني القرآن للزجاج ٣٧٩/٣ .
- (٦) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحزر الوجيز ١٠٧/١٠ ، والبحر المحيط ٢٨٧/٦ ، وروح المعاني ٢٨٧/١٦ ، وإرشاد العقل السليم ٤٨/٦ .

١٢٥. قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ﴾ عن حجتني ، ﴿ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ بها في الدنيا ، ولا أدري كيف وجه هذا ؟ ومتى كان الكافر بصيراً بحجته ؟ ولا حجة له في الدنيا ولا في الآخرة^(١) .

١٢٦. قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ ﴾ ؛ أي قال الله مجيباً لهذا الكافر كذلك الأمر كما ترى .

﴿ أَنْتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا ﴾ ؛ تركتها ولم تؤمن بها ، ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ؛ وكما تركتها ، ﴿ أَلْيَوْمَ نُنَسِّي ﴾ ؛ تترك في النار . هذا قول ابن عباس ، والكليبي ، وأهل التفسير^(٢) .

١٢٧. ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ؛ كما ذكرنا ﴿ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾ . قال ابن عباس : « أشرك »^(٣) . ﴿ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ ؛ أقطع وأعظم مما ذكر في عذاب القبر ، وهذا يدل على أن المراد بقوله : ﴿ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ عذاب القبر .

(١) قال الطبري - رحمه الله - في تفسيره ٢٢٩/١٦ : « والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله - عز شأنه وجل ثناؤه - عم بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر ولم يخص منه معنى دون معنى فذلك على ما عمه ، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية : قال رب لم حشرتني أعمى عن حجتني ورؤية الأشياء وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله . انظر : المحرر الوجيز ١٠/١٠٨ ، والبحر المحيط ٦/٢٨٧ ، وأضواء البيان ٤/٥٤٨ ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَ وَبُكَاءُ وَصَمًا مَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩٧] .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/٢٠ ، وجامع البيان ١٦/٢٣٠ ، والكشف والبيان ٣/٢٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٥٨ ، وبحر العلوم ٢/٣٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/٣٠١ ، والمحرر الوجيز ١٠/١٠٨ ، والدر المنثور ٤/٥٥٨ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٦/٢٣١ من دون نسبة ، وذكر في الدر المنثور ٤/٥٥٩ ، ونسبه إلى سفيان .

١٢٨. قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾؛ نبين لهم إذا نظروا يعني لكفار مكة، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾. قال الفراء: ﴿كَمْ﴾ في موضع نصب بأهلكنا، ومثله من الكلام: أو لم يتبين لكم مَنْ يعمل خيراً يجز به، فجملة الكلام فيها معنى رفع، ومثله أن تقول: قد تبين لي أقام عبدالله أم زيد^(١).

قال أبو إسحاق: «والمعنى أفلم يتبين لهم الأمر بإهلاك مَنْ قبلهم من القرون»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾؛ يعني أهل مكة كان يمشون ويسرون في مساكن عاد وثمود، وفيها علامات الإهلاك يقول: فلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بالذين رأوا مساكنهم^(٣).

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٩٥. قال ابن جرير الطبري في تفسيره ١٦/ ١٦٧ بعد أن ذكر قول الفراء: «وليس الذي قال الفراء من ذلك كما قال؛ لأن كم، وإن كانت من حروف الاستفهام، فإنها لم تجعل في هذا الموضع للاستفهام بل هي واقعة موقع الأسماء الموصوفة، ومعنى الكلام ما قد ذكر قبل، وهو أفلم يتبين لهم كثرة إهلاكنا قبلهم القرون التي يمشون في مساكنهم؟ أو أفلم تهدم القرون الهالكة؟ وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبدالله: أفلم يهد لهم مَنْ أهلكنا، فكَمْ واقعة موقع مَنْ في قراءة عبدالله هي في موضع رفع بقوله: يهد لهم، وهو أظهر وجوهه وأصح معانيه، وإن كان للذي قاله وجه ومذهب على بعد».

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٩.

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٣١، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٢، والمحزر الوجيز ١٠/ ١١١، وزاد المسير ٥/ ٣٣٣، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٠، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْجِدٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

١٢٩. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أي في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة وهو قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يعني القيامة وهو عطف على الكلمة، وقد أُخِّر عن موضعه والتقدير: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً^(١). هذا قول الجميع.

وقال مجاهد: [﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يعني الدنيا^(٢)]. وعلى هذا الأجل في تركهم عن العذاب، ومن قال: هو القيامة^(٣) فهو أجل تعذيبهم، واللزام يجوز أن يكون فعلاً من الملازمة، ويجوز أن يكون مصدراً كاللزم، والمعنى: لكان العذاب لازماً لهم، فهو مصدر وصف به، وأضمر اسم كان، وهو العذاب لتقدم ذكره وللعلم به^(٤)، والمعنى: لعذبوا في الدنيا ولزمهم العذاب كما لزم القرون الماضية لما كذبوا الرسل، هذا معنى الآية. وقال أبو عبيدة: «اللزام: الفیصل»^(٥).

ونحو هذا روى ثعلب عن ابن الأعرابي: «اللَّزْمُ: فصل الشيء من قوله تعالى: ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾؛ أي فيصلاً»^(٦). وعلى هذا، معنى الآية: لكان العذاب فصلاً بينك وبين قومك؛ أي لوقع الفصل بتعذيبهم. وتخطب المفسرون في تفسير

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٣٢، والكشف والبيان ٣/ ٢٦، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٨، والنكت والعيون ٢/ ٤٣٢، والدر المنثور ٤/ ٥٥٩.

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٣٢.

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في الأصل، وفي نسخة (س).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (لزم) ٤/ ٣٢٦٠، والقاموس المحيط ٤/ ١٧٥، والصحاح ٥/ ٢٠٢٩، ولسان العرب ٧/ ٤٠٢٧.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٢.

(٦) تهذيب اللغة (لزم) ٤/ ٣٢٦٠.

اللَزَامُ فقالوا: «أخذاً وموتاً، وعذاب يوم بدر»^{(١)(٢)}. وكل ذلك وَهُمْ لا يصح تفسير الزمام به، وتصحيحه أن يقال: لكان الأخذ أو الموت أو القتل كما وقع ببدر لزماً؛ أي لازماً لهم فالذي ذكروا في تفسير الزمام هو تفسير المضممر من اسم كان لا تفسير للزمام^(٣).

١٣٠. قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾. أمره بالصبر إلى أن يحكم الله، ثم حكم فيهم بالقتل، فنسخ الصبر على ما يسمع من أذاهم^(٤). ﴿وَسَيِّحَ مُحَمَّدَ رَبِّكَ﴾؛ صل الله بالحمد له والثناء عليه^(٥). ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾

(١) بدر: هو ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخاً، وفيه حصلت الواقعة المشهورة بين المسلمين وكفار قريش في رمضان من السنة الثانية للهجرة، وبدر الآن فيها إمارة تابعة لإمارة المدينة المنورة، وغالب سكانها بنو سالم بن حرب. انظر: معجم ما استعجم ٢٣١/١، ومعجم البلدان ٣٥٧/١، ومعجم المعالم الجغرافية ٤١، ومراصد الاطلاع ١٧٠/١، وقاموس الأمكنة والبقاع ٤٦.

(٢) جامع البيان ٢٣٢/١٦، والنكت والعيون ٤٣٢/٣، والمحزر الوجيز ١١١/١٠، وزاد المسير ٣٣٣/٥، والدر المنثور ٥٥٩/٤.

(٣) قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسيره ٢٣٢/١٦: «ولولا كلمة سبقت من ربك يا محمد، أن كل من قضى له أجلاً فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يقول: وقت مسمى عند ربك سماه لهم في أم الكتاب وخطه فيه هم بالغوه ومستوفوه لكان لزماً؛ يقول: للآزمهم الهلاك عاجلاً». انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٠٩، وغريب القرآن ٢٨٣، ومعاني القرآن للقرآء ١٩٥/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٨٠/٣.

(٤) الكشف والبيان ٢٦/٣، ومعالم التنزيل ٣٠٢/٥، وزاد المسير ٣٣٣/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٠/١١، والتفسير الكبير ١٢٣/٢٢.

والذي يظهر لي -والله أعلم- أنه لا نسخ في هذه الآية، فالآية تأمر النبي ﷺ بالصبر على ما كان يفعله كفار قريش وما يقولونه ويتهمون به، وفي الوقت نفسه تنوعد المشركين بعقاب الله الشديد في الآخرة، فلا تعارض بين الأمر بالصبر وقتالهم. انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢٥١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٣٩٩، وقلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ ١٤٠، وناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ٤٠.

(٥) جامع البيان ٢٣٣/١٦، ومعالم التنزيل ٣٠٢/٥، وزاد المسير ٣٣٣/٥.

يريد : الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يريد : العصر ^(١) . ﴿وَمِنْ أَمَّا يَ الْيَلِ﴾ ^(٢)
ساعاته واحدها إني مثل : نحيي وأنحاء ، وإني مثل : معي وأمعاء ^(٣) ،
قال الأعشى ^(٤) :

بِكُلِّ إِنِّي قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

وأنشد ابن الأعرابي في الإننى ^(٥) :

أَتَمَّتْ حَمَلَهَا فِي نِصْفِ شَهْرٍ وَحَمَلُ الْحَامِلَاتِ إِنِّي طَوِيلُ

قال ابن عباس : «يريد أول الليل المغرب والعشاء» ^(٦) . ﴿فَسَيِّحٌ وَأَطْرَافُ النَّهَارِ﴾ يريد : الظهر . هذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآية من أوقات الصلاة المكتوبة ، قول ابن عباس في رواية عطاء ، ومذهب مجاهد ، وقتادة ^(٧) . وعلى هذا سمي وقت صلاة الظهر أطراف النهار ؛ لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٢٠ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٦/ أ ، وبحر

العلوم ٢/ ٣٥٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٨ .

(٢) في نسخة (ص) : (أثناء الليل ساعاته) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (أنى) ١/ ٢٢٥ ، والقاموس المحيط (أنى) ٤/ ٣٠١ ، والصحاح (أنا) ٦/ ٢٢٧٣ ،

ولسان العرب (أنى) ١/ ١٦٧ .

(٤) هذا عجز بيت ينسب إلى أبي أثيلة المتنخل الهذلي ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الأعشى ، وصدر البيت :

حُلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقَدْحِ مَرَّتُهُ

انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٠٢ ، وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٨٣ ، والشعر والشعراء

٢/ ٦٦٦ ، والنصف ٢/ ١٠٧ ، وحروف المدود والقصور ٦٤ ، وتهذيب اللغة (أنى) ١/ ٢٢٥ ،

ولسان العرب (أنى) ١/ ١٦١ ، والصحاح (أنا) ٦/ ٢٢٧٣ .

(٥) لم أقف على قائله ، وذكرته كتب اللغة بلا نسبة . انظر : تهذيب اللغة (أنى) ١/ ٢٢٥ ، ولسان العرب

(أنى) ١/ ١٦١ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٣٠٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٠ .

(٧) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٢٠ ، وجامع البيان ١٦/ ٢٣٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٣ ، والدر المنثور

٤/ ٥٥٩ .

الأول وطرف النصف الثاني ، فجعل الطرفان أطرافاً على مذهبه في تسمية الاثنين باسم الجمع كقوله : ﴿فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمَا﴾ وقد مرَّ . وهذا قول الفرَّاء في هذه الآية^(١) . وقال أبو العباس : «جمع الطرفين ؛ لأنه يلزم في كل نهار يعود»^(٢) . ومن المفسرين مَنْ حمل أطراف النهار على : الغدوة والعشية^(٣) . وعلى هذا ، استفاد من الآية بقوله : ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ . وقال ابن الأعرابي : «أطراف النهار : ساعاته»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ . قال ابن عباس : «يريد : الثواب والمعاد واجباً من الله لك»^(٥) وفيه قراءتان :

ضم التاء وفتحها^(٦) . فمَنْ فتح التاء وهو الذي فسَّره ابن عباس فحجته قوله : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى : ٥] . وَمَنْ ضم التاء فحجته قوله : ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم : ٥٥] ويكون المعنى لعلك ترضى بفعل ما أمرك به من الأفعال التي يرضاها الله ، أو ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة^(٧) . واختار أبو عبيد هذه القراءة لاحتماها معنيين ؛ أحدهما : ترضى : تعطى الرضى ، والآخر :

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ١٩٥ .

(٢) تهذيب اللغة (طرف) ٣ / ٢١٨١ .

(٣) جامع البيان ١٦ / ٢٣٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣ / ٥٩ .

(٤) تهذيب اللغة (طرف) ٣ / ٢١٨١ .

(٥) لم أقف عليه ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى : ٥] . والحق أن الله - تعالى - لا يجب عليه شيء لخلقه ، وما يعطيهم فهو فضل منه وكرم . قال الألوسي في روح المعاني ١٦ / ٢٨٣ : «رجاء أن تنال عنده ما ترضى به نفسك من الثواب ، واستدل به على عدم الوجوب على الله تعالى» .

(٦) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمة ، وعاصم في رواية حفص ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ بفتح التاء ، وقرأ الكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر (لعلك تُرضى) بضم التاء . انظر : السبعة ٤٢٥ ، الحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٥٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٥١ ، والتبصرة ٢٦١ .

(٧) جامع البيان ١٦ / ٢٣٤ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٦ / ٣ ، وبحر العلوم ٢ / ٣٥٩ .

يرضاك الله ، قال : «وتصديقها قوله : ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥] قال : وليس في الآخرة إلّا وجه واحد»^(١) ، هذا كلامه .

١٣١ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية . قال أبو رافع^(٢) : «نزل رسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال : «قل له : إن رسول الله ﷺ يقول : بعني وأسلمني إلى رجب» . وأتيته فقلت له ذلك ، فقال : والله لا أبيعه ولا أسلفه إلّا برهن»^(٣) . فأتيت رسول الله ﷺ وأخبرته ، فقال : «والله لو باعني أو أسلفني لقضيته ، وإني لأمين في السماء أمين في الأرض ، اذهب بدرعي الحديد إليه» ، قال : فنزلت هذه الآية»^(٤) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٥٣/٥ ، وحجة القراءات ٤٦٤ .

(٢) أبو رافع ، مولى رسول الله ﷺ ، اشتهر بكنيته ، واسمه على المشهور أسلم ، دخل في الإسلام قبل بدر ولم يشهدها ، وشهد أحداً وما بعدها ، وروى عن النبي ﷺ وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، توفي رضي الله عنه في آخر خلافة عثمان بن عفان ، وقيل في أول خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين . انظر : الاستيعاب ٦١/١ ، والإصابة ٥٤/١ ، والكاشف ٢٩٤/٣ .

(٣) الرهن : ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . يقال : رهن فلاناً داراً رهناً ، وارتهنته إذا أخذه رهناً .

انظر : تهذيب اللغة (رهن) ١٤٩١/٢ ، والقاموس المحيط (رهن) ٢٣٠/٤ ، والصاح (رهن) ٢١٢٨/٥ ، ولسان العرب (رهن) ١٧٥٧/٣ .

(٤) جامع البيان ٢٣٥/١٦ ، والكشف والبيان ٢٦/٣ ب ، وبحر العلوم ٣٥٩/٢ ، والنكت والعيون ٤٣٣/٣ ، ومعالم التنزيل ٣٠٣/٥ ، والدر المنثور ٥٦٠/٤ ، وأسباب النزول للواحدي ٣١٣ ، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٧ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٧ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٢٦ في كتاب البيوع ، باب البيع إلى أجل ، وقال : «رواه الطبراني في الكبير ، والبخاري ، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف» ، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف ١٠٩ ، وقال : «وفيه موسى بن عبيدة وهو متروك» . وقال ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره ١١٦/١٠ بعد ذكر هذا القول : «وهذا معترض أن يكون سبباً ؛ لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي ﷺ ؛ لأنه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت ، وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها وذلك أن الله - تعالى - وبخهم على ترك الاعتبار بالأمم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل ، ثم أمر نبيه بالاحتقار لشأنهم والصبر على أقوالهم والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا ؛ إذ ذاك منحصر عندهم صائر إلى خزي» .

وقوله تعالى: ﴿أَزْوَجًا مِّنْهُمْ﴾ قال أبي بن كعب: «أشباهاً من الكفار»^(١). يعني أشكالا من المزاوجة بين الأشياء وهي المشاكلة، وذلك أنهم أشكال في الذهاب عن الصواب. وقد فسرنا هذه الآية في آخر سورة الحجر^(٢). وقال أبي بن كعب في هذه الآية: «فمن لم يتعز بعزة الله تقطعت نفسه حشرات على الدنيا، ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه، ولا يشفى غيظه، ومن لم ير الله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه وحضر عذابه»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قال ابن عباس والسُّدِّي: «زينة الدنيا»^(٤). وقال أهل اللغة: «زهرة الدنيا بهجتها ونضارتها وحسنها، وأصلها من زهرة الشجرة، وهي الأنوار التي تروق عند الرؤية»^(٥). قال أبو إسحاق: «و﴿زَهْرَةَ﴾ منصوب بمعنى متعنا؛ لأن معناه جعلنا لهم ما متعناهم به زهرة الحياة الدنيا»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾. قال السُّدِّي: «لنبتليهم»^(٧). والمعنى: لنعاملهم معاملة المبتلى المختبر شكرهم بما أنعمنا عليهم.

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة. انظر: جامع البيان ٢٣٥/١٦، والمحضر الوجيز

١١٦/١٠، والتفسير الكبير ١٣٦/٢٢، وروح المعاني ٢٨٣/١٦.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

(٣) معالم التنزيل ٢٣٧/٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٨٩/٣، وذكره الطبري في تفسيره ٢٣٥/١٦، ونسبه إلى قتادة، وكذلك الماوردي في النكت والعيون ٤٣٣/٣، والسيوطي في الدر المنثور ٥٦٠/٤.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (زهر) ١٥٦٩/٢، ومقاييس اللغة (زهر) ٣١/٣، والقاموس المحيط (الزهرة) ٤٣/٢، والصحاح (زهر) ٦٧٤/٢، ولسان العرب (زهر) ١٨٧٧/٣.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣٨٠/٣.

(٧) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٣٥٩/٢ من دون نسبة، وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٦٢/١١.

وقال أبو إسحاق : « لنجعل ذلك فتنة لهم »^(١) .

قال ابن عباس : « ضلالة مني لهم »^(٢) . وعلى هذا ، معنى ﴿لِفِتْنَتِهِمْ فِيهِ﴾ لنضلهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً . وهذا تفسير أشبه بحال الكفار وبمعاملة الله معهم .

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ . قال ابن عباس : « يريد : في المعاد »^(٣) . وقال السُّدِّي وغيره : « يعني الجنة »^(٤) ﴿حَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ؛ أكبر وأدوم .

١٣٢ . قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ ؛ روي : « أنه لما نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يذهب إلى علي وفاطمة كل صباح فيقول : « الصلاة » فكان يفعل ذلك شهراً متواليه »^(٥) .

ومعنى الأهل هاهنا : قومه ومن كان على دينه^(٦) . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ الآية .

﴿وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ؛ للاستعانة على الصبر عن محارم الله عز وجل ؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر^(٧) . ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ . قال ابن مسلم : « لا نسألك رزقاً

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٨١ .

(٢) التفسير الكبير ٢٢/ ١٣٦ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ١١٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٥ ، والكشاف ٢/ ٥٦٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٨٧ .

(٤) الدر المنثور ٤/ ٥٦٠ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٥٩ من دون نسبة .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٣ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٨٤ ، وفتح القدير ٣/ ٥٦٤ .

(٦) تفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٦١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٥ .

(٧) يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مِنَ الْكِتَابِ وَأُقِيمُ الصَّلَاةَ وَأَنُصِلُ النَّاسَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت ٤٥] .

لخلقنا ، ولا رزقاً لنفسنا»^(١) . ﴿ تَخُنْ نَزْرُقَكَ ﴾ قال عبدالله بن سلام : « كان النبي ﷺ إذا أنزل بأهله ضيق ، أو قال شدة ، أمرهم بالصلاة ثم تلا هذه الآية »^(٢) .

وقوله : ﴿ وَالْعَقِبَةُ ﴾ . قال ابن عباس والسُّدِّي : « يريد : بالعاقبة الجنة »^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ لِلنَّقْوَى ﴾ . قال الأخفش : « أي لأهل التقوى »^(٤) . قال ابن عباس : « يريد : الذين صدقوك واتبعوك واتبوني »^(٥) .

١٣٣ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا ﴾ ؛ يعني المشركين : ﴿ لَوْلَا يَأْتِينَا بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ؛ هلاً يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى بها الأنبياء نحو الناقة والعصا^(٦) . قال أبو إسحاق : « وقد اتتهم الآيات ، ولكنهم طلبوا أن يأتهم ما يقترحون »^(٧) .

قال الله : ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ؛ يعني : أو لم تأتهم بالقرآن بيان ما في التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة ، وذلك أعظم آية إذ أخبر أمي بما

(١) ذكرته كتب التفسير من غير نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٥٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٣ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، والدر المنثور ٥/ ٥٦١ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٨٥ ، وفتح القدير ٣/ ٥٦٤ .

(٣) الدر المنثور ٤/ ٥٦١ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣١ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٤ ، وفتح القدير ٣/ ٥٦٤ ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ وَيَقُومُ هَذِهِ نَافَةٌ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوْهَا سَوْءٌ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود : ٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢] .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٨١ .

فيها من غير قراءة كتاب على ما تصدقه أهل الكتب . هذا معنى قول الكلبي وغيره^(١) .

وفيه قول آخر وهو : « أن المعنى أو لم تأتهم ببيان ما في الكتب من أنباء الأمم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات ثم كفروا بها ، فماذا يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤال الآية كحال أولئك ؟ وإنما أتاهم هذا البيان في القرآن »^(٢) . وقال بعض أهل التفسير : « **يَبْنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى** » ؛ ما تقدم من البشارة بمحمد ﷺ في الكتب المتقدمة وبيان نعتة وصفته^(٣) .

١٣٤ . قوله تعالى : « **وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ** » ؛ يعني مشركي مكة . « **بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ** » ؛ من قبل بعث محمد ونزول القرآن « **لَقَالُوا** » يوم القيامة : « **رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا** » ؛ هلاً أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى طاعتك « **فَنَنْتَعِ بِآيَاتِكَ** » ؛ نعمل بما فيها ؛ يعني بما نزل على ذلك الرسول ويأتينا به « **مِن قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ وَنَخْزِي** » ؛ في جهنم ، وهذا كقوله تعالى : « **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** » [الإسراء : ١٥] .

(١) الكشف والبيان ٣/ ٢٧ أ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٩٠ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٣٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٤ .

(٣) بحر العلوم ٢/ ٣٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ ، ويشهد لهذا قوله تعالى :

« **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يُأْتِي مِن بَعْدِي أَسْمُهُ أَحمدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** » [الصف : ٦] .

١٣٥. قوله تعالى : ﴿قُلْ﴾ ؛ أي قل لهم يا محمد : ﴿كُلُّ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ ﴿مُتَرَيِّصٌ﴾ ؛ نحن نتربص بكم وعداً لنا فيكم ، وأنتم تتربصون بنا الدوائر فتستريحون مِنَّا^(١) . ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ؛ أي فانظروا .

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاء أمر الله وقامت القيامة ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ .
قال ابن عباس : «يريد الدين المستقيم»^(٢) .

﴿وَمِنْ أَهْتَدَى﴾ ؛ أي من الضلالة أنحن أم أنتم ؟

* * *

(١) يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ﴾ [الطور : ٣٠ ، ٣١] .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣ / ٤٣٤ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٣٠٥ ، وزاد المسير ٥ / ٣٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٦٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٩٠ .